إنباء الحي

أن كلامه المصون تبيان لكل شيء

(١٣٢٦هـ)

مع تعليقات المؤلِّف

حاسم المفتري على السيد البري (١٣٢٨هـ)

لشيخ الإسلام والمسلمين إمام أهل السنة والجماعة

الإمام أحمد رضا خان الماتريدي قدس سره العزيز (ت ١٣٤٠هـ)

تحقيق واعتناء

المفتي محمد أسلم رضا الشيواني الميمني حفظه الله تعالى

دار أهل السنة لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

الفن للطباعة والنشر والتوزيع





الحاشية المفصَّلة لكتاب "الدَّولة المكيّة بالمادّة الغَيبيّة" المسمّاة باسم تاريخي

إنباء الحَي

أنّ كلامَه المَصُونَ تبيانٌ لكلِّ شيء

(١٣٢٦هـ)

فيها إثبات أنّ القرآنَ الكريم تبيانٌ لكلّ شيءٍ بالتعميم، ولا خصوصَ في تلك النُّصوص

مع تعليقات المؤلِّف

حاسِم المفتري على السيّد البَري

(١٣٢٨هـ)

الجزء الأوّل

لشيخ الإسلام والمسلمين إمام أهل السُنّة والجماعة

الإمام أحمد رضا خانْ رحمه الله تعالى

(ت١٣٤٠هـ)

تحقيق واعتناء

الدكتور المفتي محمد أسلم رضا المَيمني حفظه الله تعالى









www.facebook.com/
darahlesunnat



القاهرة – مصر

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م

ISBN:
978-969-7833-04-7

الموضوع: العقيدة الإسلاميّة

العنوان: "إنباء الحَي أنّ كلامَه المصُونَ تبيانٌ لكلِّ شيء" مع تعليقات المؤلِّف "حاسم المفتري على السيّد البَري"

التأليف: الإمام أحمد رضا خانْ رحمه الله تعالى

التحقيق: د. المفتي محمد أسلم رضا المَيمني حفظه الله تعالى

تنفيذ العمل والإشراف الطباعي: دار أهل السُنّة، كراتشي

مجموع عدد الصفحات (الجزء الأوّل والثاني): ٩٥٢

عدد الصفحات (الجزء الأوّل): ٤٨٠ صفحة

قياس الصفحة: ٨/ ٣٠ × ٢٠

عدد النُّسخ: ١١٠٠ نسخة

 : idarakutub@gmail.com

00971 55 942 1541 :


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى العلماء الأجلّة من أساطين الملّة البيضاء، الذين أفنَوا أعمارَهم في خدمة الإسلام والمسلمين، لا سيّما في التفقّه لاستخراج الأحكام من القرآن والسنّة، وبيانها وتفهيمها بأساليب دقيقةٍ قديماً وحديثاً.

وبالأخصّ منهم: الأئمّة المجتهدون الأربعة، لا سيّما الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان، وتلامذتهم الذين هم قادةُ الأمّة بعد الصّحابة الكِرام، والذين هُم تتلمذوا عند أصحاب رسول الله ﷺ أو عند تابعيهم.

وبالأخصّ أتباعُهم: السّادةُ الماتُرديّةُ والأشاعرة والصُّوفية الكِرام، الذين هُم على العقيدة الصّحيحة السَّليمة السَّنيّة، الثابتة من القرآن الكريم والسُنّة النبويّة الشّريفة، البعيدة عن التطرُّف والتشدّد، فرضي اللهُ تعالى عنهم أجمعين وعنّا بهم!.

وبالأخص: سيّدي وسندي، جامع الشّريعة والطريقة، مولانا المنعام، المرجع المتفَّق عليه في عصره، مفتي الدِيار الهندية، الملقَّب بـ"تاج الشّريعة"، العلّامة المفتي الشيخ **أختر رضا خانْ الأزهري** (ت٦ ذي القعدة ١٤٣٩هـ-٢٠/٧/٢٠١٨م)، ابن الشيخ إبراهيم رضا خانْ، ابن حجّة الإسلام الشيخ حامد رضا خانْ، ابن الإمام أحمد رضا خانْ.

وإلى جميع أساتذتي ومشايخي وأبوَي وأهلي وأصدقائي الكِرام، الذين ببركة دعائِهم نِلتُ شرفَ خدمة بعض العلم الشّريف، فجزاهم اللهُ تعالى عنّا كلَّ خيرٍ في الدّنيا والآخرة.

خوَيدم العلم الشّريف

محمد أسلم رضا الميَمَني غُفر له

٠١ محرّم الحرام ١٤٤٠هـ- ١٢ / ٠٩ / ٢٠١٨م

المشرِف على التحقيق

الدكتور المفتي محمد أسلم رضا الميمني حفظه الله تعالى

شارَك في التحقيق

المفتي محمد يونس علي - المفتي محمد كاشف محمود الهاشمي

المفتي محمد أمجد الأعوان - المفتي محمد فاروق الصدّيقي

تنبيه وبيان

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الخَلق وسيّد الأنبياء والمرسَلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، وبعد:

لقد أكرمنا ربُّنا ﷻ بأن نقومَ بخدمة بعض الكتب الدِّينية الشّرعية الإسلامية لإفادة إخوتنا في الإسلام، لا سيّما كتب علماء الهند، ولا سيّما مؤلَّفات شيخ الإسلام والمسلين، إمام أهل السنّة والجماعة، مجدِّد الأمّة، الإمام أحمد رضا خانْ -عليه رحمة الرّحمن-، أمّا الكتاب الذي بين يديكم الآن، فهو مسمّى بـ**"إنباء الحي أنّ كلامَه المصُونَ تبيانٌ لكلِّ شيء"** في إثبات أنّ النبيَّ ﷺ يعلم الغيبَ، بإعلام الله تعالى إيّاه. ثمّ ترجمَه باللُّغة الأورديّة الشيخ محمد عيسى الرضوي الهندي حفظه الله تعالى.

هذا التأليف القيّمُ يحتوي على علوم معلِّم الكلّ، سيّد الرُّسُل سيّدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ، الذي أطلعه الله تعالى على العلوم الغَيبيّة، التي لا نهايةَ لها مما في اللَّوح المحفوظ، والعرش والعوالم العُلويّة، بل علم اللَّوح والقلم من علومِه، وأكرمَه بمكانةٍ رفيعةٍ جليلة ما لم يعطَ أحدٌ سِواه، وكلُّ ذلك أثبتَه المؤلِّفُ بدلائل قاهرةٍ وبراهين باهرةٍ أوضحتْ مغاليقَ وغوامضَ يُواجهها القارئ، وسدَّ بابَ التساؤلات تنشأ في ذهنه.

وقد طُبع هذا الكتابُ مرّاتٍ عديدةً في بلادٍ شتّى، بمنهج الطباعة القديمة المعروفة في تلك البلاد، فتشرّفنا الآنَ بخدمته بالأسلوب الحديث المعروف عند إخوتنا العرب؛ لتسهل قراءتُه للجميع، فكلُّ ما قُمنا به في خدمة هذا الكتاب، تفصيلُه فيما يلي:

١- ضبطُ النُّصوص على نحو لتسهلَ قراءتُها على طالب العلم، ويجنّبه الزَّلل في فهم المراد، كما ضبطنا الآياتِ القرآنية، والأحاديث النبويّة؛ لتسهلَ قراءتُها على الوجه الصّحيح دون لحنٍ فيها.

٢- تخريج النّصوص، لا سيّما الأحاديث النبويّة الشّريفة من مصادرها الأصليّة.

٣- مقابلة نصّ الكتاب على النُّسخ المطبوعة الباكستانية والهنديّة القديمة.

٤- تراجم الأعلام من المؤلّفات والرّجال ﷺ، ليقفَ القارئُ على جُهودهم في خدمة الدّين، ليكونوا قُدوةً لهم، فيحذو حذوَهم وينسجوا على منوالهم.

٥- كما نلفت الأنظار إلى أنّنا قُمنا بصنع فهارس علميّة لهذا الكتاب وجعلناها في نهايتها؛ تسهيلاً لوصول القارئ إلى مراده، وترتيب الفهارس بما يلي:

فهرس الآيات القرآنيّة المباركة

فهرس الأحاديث النّبوية الشّريفة

فهرس الأعلام المترجمة

فهرس الكتب المترجمة

فهرس المحتويات

فهرس المصادر المخطوطة

فهرس المصادر المطبوعة

وما توفيقُنا إلّا بالله، ولا توكُّلنا إلّا على الله، وصلّى الله تعالى على سيّدنا ومولانا الحبيب الأعظم محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

خوَيدم العلم الشّريف

محمد أسلم رضا المَيمني غُفر له



الله جل جلاله

اَلحَمْـــدُ لِلْمُتَوَحِّـــدِ ... بِجَلَالِـــــهِ الْمُتَفَـــرِّدِ

وَصَـلَاةُ مَوْلَانَـا عَـلَى ... خَـيْرِ الأَنَـامِ مُحَمَّـدِ

وَالْآلِ أَمْطَـارِ النَّـدىٰ ... وَالْصَّحْبِ سُحْبِ عَوَائِدِ

لَا هُمَّ قَدْ هَجَمَ العِدىٰ ... مِـنْ كُـلِّ شَـأْوٍ أَبْعَـدِ

لٰكِـنَّ عَبْـدَكَ آمِـنٌ ... إِذْ مَـنْ دَعَـاكَ يُؤَيَّـدِ

لَا أَخْشىٰ مِـنْ بَأْسِهِم ... يَـدُ نَـاصِرِيْ أَقْـوىٰ يَـدِ

يَـا رَبِّ يَـا رَبَّـاهُ يَـا ... كَنْـزَ الْفَقِـيْرِ الْفَاقِـدِ

بِكَ أَلْتَجِيْ بِـكَ أَدْفَـعُ ... فِيْ نَحْـرِ كُـلِّ مُهَـدِّدِ

أَنْـتَ الْقَـوِيُّ فَقَـوِّنِيْ ... أَنْـتَ الْقَـدِيْرُ فَأَيِّـدِ

فَـإِلَى الْعَظِـيْمِ تَوَسُّـلِيْ ... بِكِتَابِـــهِ وَبِأَحْمَـــدِ

وَأَدِمْ صَلَاتَكَ وَالْسَّـلَا ... مَ عَـلَى الْحَبِيْـبِ الْأَجْـوَدِ

وَاجْعَلْ بِهَا أَحْمَدْ رِضَا ... عَبْـداً بِحِـرْزِ السَّـيِّدِ

(للإمام أحمد رضا القادري قدس سره)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله ﷻ في شأن حبيبه الكريم ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الصّلاة الرّضويّة على خير البريّة

صلّى اللهُ على النبّيِّ الأُمِّي وَآلِه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم
صلاةً وَّسَلاماً عليكَ يا رسولَ الله[١].

(١) استخرج الإمام أحمد رضا صيغة الصّلاة على سيّدنا رسول الله ﷺ هذه في سفرته الثانية إلى المدينة المنوّرة الطيّبة المشرّفة، وحضر بين يدَي سيّدنا الحبيب الأعظم -صلوات الله على الأكرم وتسليماته على المعظَّم- فصلّى عليه بهذه الصيغة المباركة طول الليل، ثمّ كرّر الحضور عنده ﷺ الليلة الثانية مثلَ الأولى، فتشرّف برؤية ﷺ بدون حجاب شبّاكه المبارك في اليقظة، فسُمّيتْ هذه الصيغة: "الصلاة الرضويّة على خير البريّة".

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله ﷻ:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣].

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].


دار أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر



حياة الإمام أحمد رضا



أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حياة الإمام أحمد رضا

بقلم: الشيخ المفتي محمد أسلم رضا المَيمني حفظه الله تعالى

هو إمام المتكلّمين[١] وقامع المبتدعين، الذابّ عن حياضِ الدّين، وحجّة الله للمؤمنين، فخر الإسلام والمسلمين، العالم المتبحّر، قدوة الأنام، وتاج المحقّقين، وشمسُهم الساطعة، وقمرُهم البازغ، العلّامة الإمام أحمد رضا ابن الشيخ المفتي نقي علي[٢] بَرَيْلويُ المسكن، حنفيُّ المذهب، قادريُّ الطريقة، المحدِّث، المفسِّر، الأصولي، عبقريّ الفقه الإسلامي، صاحب التصانيف الوافرة في كلّ علمٍ وفنّ.

---

(١) التقطنا هذه الترجمة من "الإجازات المتينة"، و"الدّولة المكّيّة"، و"حياة أعلى حضرة"، وهو أوّل كتاب في ترجمة الإمام أحمد رضا لتلميذه العلاّمة الشيخ ظفر الدِّين البِهاري مؤلِّف "الجامع الرَّضَوي"، وكذلك استفدنا فيها من مقدّمة رسالة "الفضل الموهبي" التي ترجمها بالعربية الشيخ افتخار أحمد المصباحي.

(٢) العلاّمة الشيخ الفقيه المفتي نقي علي بن رضا علي بن كاظم علي بن أعظم شَاهْ بن سعادتْ يار الأفغاني البَرَيْلوي، أحد الفقهاء الحنفيّة، وُلد غرّة رجب سنة ستّ وأربعين ومئتين وألف، وأخذ عن أبيه وقرأ عليه ما قرأ من الكتب الدرسية، ثمّ أخذ الطريقة القادرية عن الإمام السيّد آل الرّسول المارَهْرَوِي، وأنّه مجازٌ عنه في جميع سلاسل الطريقة الجديدة والقديمة، وأسند الحديث عنه سنة أربع وتسعين، وسافَر للحجّ سنة خمس وتسعين، فحجّ وزار، وأسند الحديثَ عن مفتي مكّة المكرّمة العلاّمة الشيخ أحمد زَيني دَحلان الشّافعي وغيره من العلماء مكة المعظمة، توفّي في سلخ ذي القعدة سبع وتسعين ومئتين وألف. من تصانيفه الفائقة: "الكلام الأوضح في تفسير ألم نشرح"، و"وسيلة النَّجاة" في السِّير، و"سرور القلوب في ذكر =

أسرة الإمام

أسرة الإمام أحمد رضا رحمه الله تعالى كانت أصلاً من "قَنْدَهارْ"[1] "أفغانستان"[2] فهاجَر بعضُ أجداده إلى بلاد "الهند"[3] في عصر

=

المحبوب"، و"جواهر البيان في أسرار الأركان"، و"أصول الرَّشاد لقمع مباني الفساد"، و"هداية البرية إلى الشّريعة الأحمدية"، و"إذاقة الأثام لمانعي عمل المولد والقيام"، و"أحسن الوعاء لآداب الدّعاء"، و"إزالة الأوهام"، و"تزكية الإيقان في ردّ تقوية الإيمان"، وغيرها.

("تذكرة علماء الهند" حرف النون، صـ٢٤٤، ٢٤٥ ملتقطاً تعريباً).

(١) هي مدينة في جنوب أفغانستان، عاصمة أحمد شاه درّاني (ت١٧٤٧م)، من مصنوعات حرفية: سجاد وأسلحة، ومن أهمّ الصادرات: تبغ وفواكه مجفّفة.

("المنجد" في الأعلام، صـ٤٤٣).

(٢) هي دولة إسلامية في آسيا الوسطى جنوبي تركمانستان وأوزبكستان بين إيران وباكستان وصين، عاصمتها "كابل" ومن مدنها: "هَراة"، و"قَنْدَهار"، و"مزارِ شريف"، و"غزني"، جبال صخرية قاحلة "هندوكوش" في شمال، فتحها العرب ٦٥١هـ، حكمها الغزنويون ٩٦٢-١١٨٦هـ، تعاقب عليها المغول والصفويون استقلت ١٩٢١م، وأصبحت ملكية، ثمّ أعلنت الجمهورية ١٩٧٣م. ("المنجد" في الأعلام، صـ٥٦، ٥٧ ملتقطاً).

(٣) هي جمهوريّة في جنوب آسيا بشبه الجزيرة الهنديّة على المحيط الهندي وخليج البنغال وبحر العرب بين الباكستان والصين وتبّت ونيبال وبُوتان وبنغلاديش وبورما، عاصمتها: "نيو دهلي"، من مدنها: "دهلي" و"ممبائي" و"كلكتا"، و"مَدراس"، و"حيدرآباد"، و"بَنغلَور"، و"بَنارس"، و"أحمدآباد"، و"آغْرَه"، و"إله آباد"، و"بُونا"، و"كانفور"، و"ناغفَور"، استعمرها الإنكليز ١٨٥٧م، استقلت ١٩٤٧م بعد مقاومة سلمية

=

المغول[1] ونال منصباً من الحكومة، وبعضُهم رغب عن وظيفة الحكومة إلى السّلوك والمجاهدة والذِّكر وكثرة العبادة، فأصبح عملُه سنّةً لأولاده، وتحوّلت الأسرةُ من منحى الأمراء إلى منهج الزُهّاد الصوفيّة، وكان جدُّه من كِبار العلماء والصّالحين، وكان عملُه الإفتاء والإرشاد والتصنيف والتدريس، فتتلمذ عليه كثيرٌ من علماء الهند وأثنوا عليه، وإنّ أباهُ رئيس المتكلّمين الشيخ المفتي نقي علي خان القادري أيضاً كان عالماً شهيراً، وصاحب الفتاوى والمؤلَّفات الجليلة، منها: "الكلام الأوضح في تفسير سورة ألم نشرح".

ولادة الإمام ونشأته

وُلد الإمام أحمد رضا بمدينة "بَرَيْلي"[2] في الهند، العاشر من شوّال سنة ١٢٧٢هـ الموافق ١٤ من حزيران سنة ١٨٥٦م، ونشأ في أسرةٍ دينيّةٍ وبيئةٍ صالحةٍ، ربّاه

=

ضدّ الاستعمار، وانقسمت إلى دولتَين: "باكستان"، و"الاتحاد الهندي"، جعل الدستور من الهندي دولة اتحادية مالية وبرلمانية ١٩٥٠م. مصنوعات حرفية وأهمّ الصادرات: قطن، وجُوت، وشائي، وحديد، وصلب. ("المنجد" في الأعلام، صـ٥٩٨ ملتقطاً).

(١) هو اسم دولتَين: أوّلها في آسيا الوسطى أسّسها جَنكيز خان ووزّعها بين أبنائه منهم: جُغتائي، وثانيها في الهند ١٥٢٦-١٨٥٨م أسّسها بابُر من أحفاد تَيمُورلَنك، حكمها ١٩ إمبر أطوراً، اشتهر منهم الستّة الأُوَل ١٥٢٦-١٧٠٧م، وهم مغول الهند العظماء: بابُر، وهمايُون، وأكبر، وجَهانكِير، وشاهْجَهان، وأورَنكْ زَيب عالمكِير، وكان آخرهم بهادُر شاه.

("المنجد" في الأعلام، صـ٥٤٠).

(٢) هي بلدة مشهورة في شمال الهند، التي تبعد مسافة ٢٥٠ كيلو متراً من العاصمة "دهلي" في اتجاه الشرق.

جدُّه الكريم، إمامُ العلماء والصّالحين، الشيخ المفتي رضا علي خان -قدّس سرّه الرّحمن- المتوفّى ١٢٨٦هـ[1] ووالدُه الشفيق المفتي نقي علي خان القادري -رحمه الله تعالى القوي- المتوفّى ١٢٩٧هـ.

تسمية الإمام

سمّي الإمام باسم محمّد، واسمه التاريخي وفق علم الجمّل "المختار" (١٢٧٢هـ) فقد استخرج الإمامُ سنةَ ولادته من هذه الآية: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] وسمَّاه جدُّه الكريم بـ"أحمد رضا" فاشتهر بهذا الاسم في مشارق الأرض ومغاربها، ثمّ بعد ذلك لقّب الإمامُ نفسَه بكلمة "عبد المصطفى" بمعنى الخادم والمملوك، وهذا يدلّ على غرمه القويّ إلى السيّد البَريّ، صلوات الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) هو الشيخ رضا علي خان بن محمد كاظم علي خان بن محمد أعظم الشاه بن محمد سعادتْ يارْ خان بهادُرْ، كان من أجلاء علماء بـ"بلدة بَرَيلي"، وكان من قوم أفغان "بڑهيچ"، وكان آباؤه على المراتب العالية في ديوان ملوك الدّهلي، وُلد سنة ١٢٢٤هـ، وأخذ العلوم من الشيخ خليل الرحمن في بلدة "تَونْكْ"، وتخرّج سنة ١٢٤٥هـ، وكان إماماً في الفقه وزاهداً كاملاً في التصوّف، له تأثير في الكلام، وفضائله وشمائله لا تحصى، لاسيّما في الزهد والقناعة والتواضع والحلم، توفّي ٢ جُمادى الأولى سنة ١٢٨٦هـ.

("تذكرة علماء الهند" حرف الراء المهملة، صـ ٦٤ تعريباً).

تعلّمه وقوّة ذاكرته

أخذ الإمامُ العلومَ من المنقول والمعقول عن والده، ودرس بعضَ العلوم عند المشايخ الآخَرين، حتّى أكملها في السنة الرابعة عشرة من عمره في شهر شعبان المعظّم سنة ١٢٨٦ﻫ، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء. وقد أجمع عددٌ كبيرٌ من العلماء على كونه عبقريّاً وتبدو مخايل عبقريّته هذه منذ صباه، فكان يستحضر كلَّ ما يدرّسه أستاذُه على الفور، فيقع الأستاذُ في الحيرة والاستعجاب.

حَفظ الإمام "القرآن الكريم" في غضون شهرٍ واحدٍ، وهذا مما يدلّ على قوّة ذاكرته، وأخذ بعضَ العلوم والفنون عن أساتذته، وبعضَها بمؤهّلاته الوَهبيّة، وما اقتصر على ذلك، بل ألّف المصنَّفات في كلّ علمٍ وفنّ، فصنّف أوّلَ كتابٍ له وهو "شرح هداية النحو" باللّغة العربيّة في العاشرة من عمره، ثمّ كتاباً آخَر في الثالثة عشر من عمرهِ، ثمّ لم يزل يكتب ويصنِّف مستمرّاً، حتّى زاد عدد مصنّفاتِه على الألف. ونفس اليوم الذي أكمل فيه دراستَه اشتغل فيهِ بكتابة الإفتاء عن مسألة الرّضاعة، ثمّ عرضه على والده الذي كان مفتياً، فسرَّ بهِ لصحّة الجواب وكمالهِ وفوّض إليه أمورَ الإفتاء كلَّها، فاستمرَّ الإمامُ بالإفتاء إلى أكثر من خمسين سنة تقريباً.

تبحّرُ الإمام في العلوم والفنون ونبوغُه فيها

لم يكن الإمام عالماً في العلوم الدينيّة الرائِجةِ المشتهرةِ فقط، بل كان متبحّراً في كثيرٍ من العلوم الدينيّة والفنون الأخرى، أكثر من خمس وخمسين عِلماً، كما عدّها الإمامُ نفسه في النسخة الثانية من "الإجازات المتينة" وهي:

(١) القرآن العظيم (٢) والقراءات (٣) والتجويد (٤) والتفسير (٥) وأصوله (٦) والحديث الشّريف (٧) وأصوله (٨) وعلم الرّجال وطبقاتهم (٩) والفقه (١٠) وأصوله (١١) وعلم الفرائض (١٢) والعقائد (١٣) والكلام المحدَث للردّ والتفريع (١٤) والمناظَرة (١٥) والتواريخ (١٦) والسِّيَر (١٧) والتصوّف (١٨) والسُّلوك (١٩) والأخلاق (٢٠) واللُّغة (٢١) والأدب (٢٢) والنَّحو (٢٣) والصَّرف (٢٤) والمعاني (٢٥) والبديع (٢٦) والبيان (٢٧) والمنطق (٢٨) والفلسفة المدلَّسة (٢٩) والحساب (٣٠) والهَندسة (٣١) والتكسير (علم الأوفاق) (٣٢) والجدل المهذَّب (٣٣) وعلم الجَفَر (٣٤) والهيئة (٣٥) والهيئة الجديدة المربَّعات (٣٦) وعلم الزائجة (٣٧) والحساب السِتّيني (٣٨) واللوغارثمات (٣٩) وعلم التوقيت (٤٠) والمناظر والمرايا (٤١) وعلم الأكر (٤٢) والزِّيجات (٤٣) والجبر والمقالة (٤٤) والأرثماطيقي (٤٥) والمثلَّث المسطَّح (٤٦) والمثلَّث الكُروي (٤٧) والنظم العربي (٤٨) والنظم الفارسي (٤٩) والنظم الهندي (٥٠) والنثر العربي (٥١) والنثر الفارسي (٥٢) والنثر الهندي (٥٣) وخطّ النَّسخ (٥٤) وخطّ النستعليق[1].

واستخرج بعضُ المحقّقين في عصرنا عددَ علومه من مؤلَّفاته مئةَ علمٍ، ويكفي للدّلالة على تبحُّره في هذه العلوم والفنون تآليفهُ الشّاهدة التي وصلَ عددُها إلى الألف تقريباً بالعربيّة والفارسيّة ومعظمها بالأرديّة؛ لأنّ أغلبَها في جواب سؤالٍ سائلٍ، فلما

---

(١) "الإجازات المتينة لعلماء بكّة والمدينة"، النسخة الثانية، صـ٥٣-٥٥، ٥٧، ٥٨ ملخّصاً.

كانت لغةُ أهل الهند وأسئلتُهم باللُّغة الأرديّة، فأجاب عنها الإمام بلغة السؤال نفسها؛ إذ هكذا كانت عادتُه، ومَن يريد المزيد فليرجع إلى "اللآلي المنتثرة في آثار مجدّد الرابعة عشرة"[١] للدكتور المؤرِّخ عماد عبد السّلام رؤوف البغدادي حفظه الله.

مذهب الإمام

كان الإمام أحمد رضا من العلماء الصّوفية أهل السنّة والجماعة قادريُّ الطريقة، حنفيُّ المذهب من حيث الفقه الإسلامي، وكان ماهراً حاذقاً ناظراً في جميع المذاهب الإسلاميّة، والدّليل على ذلك رسالتُه "الجودُ الحلو في أركان الوضوء" (١٣٢٤هـ) التي نقلناها بالعربيّة، وللإمام سندٌ متّصلٌ إلى سيّدنا رسول الله ﷺ في جميع العلوم الإسلاميّة المذكورة في "الإجازات المتينة لعلماء بكّة والمدينة" (١٣٢٤هـ)[٢]، فإنّها جديرة بالمطالعة.

البيعة والخلافة

حضر الإمام مع أبيه الكريم سنة ١٢٩٥هـ قريةَ "مَارَهْرَه"[٣] إلى حضرة السيّد مجمع الطريقَين ومرجع الفريقَين من العلماء والعُرفاء الأطاهر، ملحِق الأصاغر

---

(١) طبع هذا الكتاب من مركز أبناء الرافدين، العراق: البغداد الأعظميّة رأس الحواش مقابل مثلّجات حديد، مجمع النور التجاري ١٤٢٤هـ.

(٢) "الإجازات المتينة"، النسخة الثانية، صـ٥٣.

(٣) "مارَهْرَه": قرية من قُرى الهند، قريب من "علي جَره" تحت محافظة "إيتا" بإقليم "أُتَرپَردِيش".

بالأكابر، الشيخ الشاه آل الرّسول المارَهْرَوِي[1] -رضي الله تعالى عنه بالرِّضى السَّرمدي-؛ لأخذ الطريقة والإجازات منه، فما أن وقع نظر شيخِه على الإمام وافَق على إعطائه الطريقةَ بدون التحرّي والامتحان، خلافاً لما كان المعتاد في حضرته، وذلك لما لاحَظه من تباشير الفضل والصّلاح في جبِين إمامنا الأغرّ الأسعد، فالإمام بايَع على يده الشّريفة في الطريقة القادريّة، ونال منه الإجازةَ والخلافة في سلاسل الأولياء كلّها، وفي الحديث والعلوم والفنون جميعاً، وكان الشيخ آل الرّسول من كِبار تلامذة الشيخ عبد العزيز الدِّهلوي[2]، نفعنا الله تعالى جميعاً ببركاتهم العالية.

---

(١) العلاّمة الإمام الشيخ آل الرّسول بن آل بركات بن حمزة بن آل محمد الحسيني البلغرامي، ثمّ المارَهْرَوِي، أحد الأفاضل المشهورين، وُلد ونشأ بـ"مارَهْرَه"، وسافَر للعلم فقرأ الكتب الدرسية على مولانا نور بن أنوار اللَكنَوي، وعلى الشيخ نياز أحمد السَرهَندي، وعلى غيرهما، ثمّ أسند الحديث عن الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، ولازَم عمَّه السيّد آل أحمد، وأخذ عنه الطريقة وأسند الحديث عنه، كان شيخاً جليلاً مهاباً رفيع القدر، بارعاً في الحديث والتصوّف والطبّ، وتوفّي لسبع عشرة خلون من محرّم سنة ١٢٩٦هـ بـ"مارَهْرَهْ"، فدُفن في مقبرة أسلافه. ("نزهة الخواطر" حرف الألف، ر: ٧، ٧/ ٦ ملتقطاً).

(٢) العلاّمة الإمام الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدّهلوي الهندي الفقيه الحنفي، المتوفّى سنة ١٢٣٩هـ. من تصانيفه: "بستان المحدّثين"، و"التحفة الإثنا عشرية" في الردّ على الروافض، و"سرّ الشهادتَين"، و"فتح العزيز" في تفسير القرآن. ("هدية العارفين" ٥/ ٤٧٢).

شيوخه وأساتذته

المدرسة الأُولى لتربيته وتعلّمه كانت بين يدَي أبيه وجدّه اللذَين كانا عالمَين كبيرَين وفاضلَين جليلَين، فقد بذلا قصارى جهودِهما في تثقيفه وإبرازِ محاسنِه الأخلاقيّة وقدراتِه الإبداعية، حيث تفتقتْ قريحتُه، وأثمرتْ جهودُهما، فلم يترك أُفقاً من الآفاق، بل تطلع إلى كلِّ أفقٍ جديد، وإضافةً إلى هؤلاء استفاد من العلماء والمشايخ الكِبار، وها أنا أذكر أسماءَ مشايخ الإمام أحمد رضا الذين أخذ عنهم في الحديث والفقه وباقي العلوم والفنون المختلفة:

١- جدّه الأمجد إمام العلماء والصّالحين المفتي رضا علي خان الأفغاني.

٢- شيخه في الطريقة، العلاّمة السيّد آل الرّسول الأحمدي المارَهْرَوِي.

٣- والده الكريم رئيس المتكلّمين العلاّمة المفتي نقي علي خان القادري.

٤- حفيد شيخه العلاّمة السيّد أبو الحسين أحمد النُّوري[1].

---

(١) العالم الصالح أبو الحسين بن ظهور حَسَن بن آل الرّسول بن آل البركات بن حمزة المارَهْرَوي، المشهور بـ"أحمد النُّوري"، كان من العلماء الصّوفية، وُلد ونشأ بـ"مارَهْرَه"، وأخذ الحديثَ والطريقةَ عن جدّه السيّد آل الرّسول، وأخذ المسلسل بالأوّلية عن الشيخ أحمد حَسَن المرادآبادي عن الشيخ أحمد بن محمد الدَّمياطي عن الشيخ المعمَّر محمد بن عبد العزيز عن الشيخ المعمَّر أبي الخير بن عموس الرَّشيدي عن شيخ الإسلام زين الدّين زكريّا بن محمّد الأنصاري، وهو سندٌ عالٍ جدّاً. له مصنَّفات كثيرة في الفروع والأصول، منها: "النور والبَهاء في أسانيد الحديث وسلاسل الأولياء". مات لإحدى عشرة خلون من رجب سنة أربع وعشرين وثلاثمئة وألف. ("نزهة الخواطر" حرف الألف، ر: ١١، ٨/ ١٧ ملتقطاً).

٥- مفتي الشافعية العلّامة الشيخ السيّد أحمد زَيني دَحلان المكّي[١].

٦- مفتي الحنفيّة بمكّة المحميّة الشيخ عبد الرّحمن سراج المكّي[٢].

---

(١) العلاّمة الشيخ أحمد زَيني دَحلان مفتي مكّة المكرّمة، ورئيس العلماء، وشيخ الخطباء، الشّافعي المكّي، توفّي بالمدينة المنوّرة في محرّم من سنة ١٣٠٤هـ. من تصانيفه: "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب"، و"تاريخ الدُول الإسلامية بالجداول المرضيّة"، و"تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين"، و"حاشية على متن السَّمَرقندية" في الآداب، و"الدرر السَّنية في الردّ على الوهابية"، و"رسالة في فضائل الصّلاة على النّبي ﷺ"، و"السِّيرة النّبوية والآثار المحمّدية"، و"شرح الأجروميّة"، و"فتح الجواد المنّان شرح العقيدة المسمّاة بـ"فيض الرّحمن"، و"الفوائد الزينيّة" في شرح "الألفية" للسيوطي، و"النصر في أحكام صلاة العصر".

("هدية العارفين"، ٥/ ١٥٧، ١٥٨).

(٢) عبد الرحمن سراج مفتي مكّة المكرمة البهية، وداعيها ومفسّرها وراويها، وشيخ علمائها، وابن شيخهم، الشيخ عبدالله السّراج ابن عبد الرحمن الحنفي المكّي (ت١٣١٤هـ)، أحد أجلائها المشايخ العِظام، المتصدرين لإفادة العلم والإفتاء والتدريس بالمسجد الحرام، وُلد بمكّة المشرّفة في سنة تسع وأربعين ومئتين وألف، وحفظ القرآن المجيد وكثيراً من المتون، وأكب على كسب العلوم وتحصيلها واجتهد، ولم يزل في اجتهاد في تحصيل الفروع والأصول حتّى حاز منها غاية السول، وصار أوحد علماء هذا العصر، وفقهائه وأدبائه وشعرائه تفنّن في علومه، أخذ عن مفتي الشّافعية السيّد أحمد دَحلان، وأثنوا عليه ونوهوا بشأنه، وله إجازة من والده المذكور، وهو يروي عن الشيخ صالح الفلاني صاحب ثبت "قطف الثمر"، وعن غيره، ولما توجّه شيخه جمال لزيارة النّبي ﷺ أنابه في منصب الفتوى فقام به أحسن قيامٍ إلى أن قفل شيخه إلى البلد الحرام، ولما مات شيخه المذكور ولاّه منصب الإفتاء أميرُ مكّة الشريف عبد الله. (المختصر من كتاب "نشر النور" ر: ٢٦٣، صـ٢٤٣، ٢٤٤ ملتقطاً).

٧- الشيخ العلاّمة حسين بن صالح جَمل اللَّيل المكّي[1].

٨- الشيخ العلاّمة عبد العلي الرّامْفوري[2].

٩- الشيخ مِرزا غلام قادر بَيك[3]، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وعنّا بهم آمين، بجاه سيّد المرسَلين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصّلاة والتسليم.

---

(١) السيّد حسين جَمل اللَّيل بن صالح بن سالم، الشّافعي المكّي الخطيب، الإمام بالمسجد الحرام، وُلد بـ"مكّة المشرّفة"، ونشأ بها، وأخذ العِلم عن أفاضل أهلها، ولبث فيه إلى أن توفّي ١٣٠٥هـ بمكّة، ودُفن في المعلاة عليه رحمة المولى.

(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ١٦٩، صـ١٧٧ ملتقطاً).

(٢) الشيخ الفاضل العلاّمة عبد العلي الحنفي الرّامفوري، أحد الأفاضل المشهورين في المنطق والحكمة وسائر الفنون الرّياضية، درّس وأفاد مدّةَ عمره، وأخذ عنه كثيرٌ من العلماء، منهم القاضي عبد الحقّ بن محمد أعظم الكابلي صاحب "القول المسلَّم". توفّي سنة ثلاث وثلاثمئة وألف ببلدة رامفور. ("نزهة الخواطر" حرف العين، ر: ٢٦١، ٨/ ٢٨٤ ملتقطاً).

(٣) كتب حفيد شقيق الشيخ الحكيم مِرزا غلام قادر بيك في مقالته: "ولادة الشيخ مِرزا غلام قادر بَيك ١ محرّم ١٢٤٣هـ/ المصادِف ٢٥ يُولِيُو ١٨٢٧م في "لَكنَو" بمنطقة "جُهوائي توله"، انتقل والده الحكيم مرزا حَسَن بَيك من لَكنَؤ إلى بلدة بَرَيْلي، وأعطي لقب "مِرزا" و"بَيك" من السّلاطين المغوليّة، فبهذه المناسبة تكتب مع أسماء أكابرنا كلمة "مِرزا" و"بَيك"، وسلسلة نسبنا يتّصل بالشيخ خواجه عبيد الله أحرار -رحمة الله عليه- إلى سيّدنا عمر الفاروق رضي الله عنه؛ فلذلك يقال لأُسرتنا: "الفاروقي". كان مِرزا غلام قادر بَيك يدرّس العلوم الدينيّة بدون مقابل مادّي، وكان يحضر الطلاّب عنده للدّرس في عيادته، لكن كان يدرّسُ رحمه الله الإمامَ أحمد رضا في بيته، ثمّ أتى وقتٌ أصرّ فيهِ على أخذ درس "الهداية" عن الإمام =

بعض تلامذته والمجازين منه

وكما كان إمامنا مجمعاً فعّالاً في الكتابة والتأليف، فألّف ما يقارب ألف مؤلَّف، كذلك كان مدرسةً قائمةً بذاتها، تخرّج فيها الفقهاءُ والمحدِّثون والدُّعاة، والمفكِّرون، وقد رتّب ملكُ العلماء الشيخ ظفرُ الدّين البِهاري[1]

=

أحمد رضا، ويقول بافتخار: أنا تلميذ مَلِك ملوك العِلم والفضل. توفّي رحمه الله ببلدة "بَرَيْلي"، وكتب والدي الماجد مِرزا محمد جان بَيك في ديوان شعره تاريخ وفاته ١ محرّم الحرام ١٣٣٦هـ/ المصادِف ١٨ أكتوبر ١٩١٧م في ٩٠ من عمره. [انتهى كلام الشيخ مرزا عبد الوحيد بَيك]. (المجلّة الشهرية "سُنّي دنيا" عدد حزيران ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ تعريباً).

(١) محمّد ظفر الدّين ابن عبد الرزّاق، وُلد ١٤ محرّم الحرام ١٣٠٣هـ بموضع "عظيم آباد" "بَتنَة"، بأحد أقاليم الهند "البِهار"، أخذ العلوم إلى متوسّطات الكتب عن الشيخ مولانا بدر الدّين أشرف، وبعد ذلك أخذ العلوم عن شيخ المحدِّثين السيّد مولانا وصي أحمد المحدِّث السُّورتي قدس سره إلى ١٣١٧هـ، وأخذ الطريقة القادرية عن الإمام أحمد رضا خان، وقرأ عليه "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" من أوّلهما إلى آخرهما، وست مقالات من "الأقليدس"، و"تصريح تشريح الأفلاك"، و"شرح چغميني"، وعلم التوقيت، والجفر، والتقصير. له مصنَّفات كثيرة منها: "شرح كتاب الشِّفا"، و"التعليق القدوري"، و"خير السّلوك في نسب الملوك"، و"مؤذِّن الأوقات"، و"سرور القلب المحزون في البصر عن نور العيون"، و"ظفر الدّين الجيّد"، و"جواهر البيان في ترجمة الخيرات الحِسان" (بالأردية)، و"الأكسير في علم التفسير"، و"حياة أعلى حضرة"، و"الجامع الرّضوي" المعروف بـ"صحيح البِهاري". توفّي تسع عشرة خلون من جمادى الأخرى سنة ١٣٨٢هـ بـ"بَتْنَة".

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٩-٣١١ ملتقطاً وتعريباً).

-صاحب "الجامع الرَّضوي"[1]، تلميذُ الإمام أحمد رضا والمجازُ منه- فهرسَ تلامذة الإمام، وذلك لم يقتصر على الطلاّب فحسب، بل أيضاً العلماء الذّين استفادوا من الإمام، كما الشيخ عبد الرّحمن بن أحمد الدّهان المكّي[2] استفاد منه في علم الجَفَر،

---

(١) "الجامع الرّضوي" المعروف بـ"صحيح البِهاري": للشيخ ظفر الدّين البِهاري (ت١٣٨٢هـ)، جمع فيه الأحاديث المؤيّدة للمذهب الحنفي.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٢٩٩، ٣٠٥، ٣١١ تعريباً ملتقطاً).

(٢) عبد الرّحمن ابن المرحوم العلاّمة أحمد الدهّان بن أسعد الحنفي المكّي العالم العلاّمة، وُلد بـ"مكّة المشرّفة" في سنة ثلاث وثمانين ومئتين وألف، وبها نشأ في حفظ صيانة وصلاح وديانة، وحفظ القرآن المجيد وجوّده، وصلّى به التراويح بالمسجد الحرام، وشرع في طلب العلوم، فقرأ على الشيخ رحمة الله الكيرانوي الهندي في النحو والتوحيد والفقه وأصوله والتفسير والحديث والمعاني والبيان وغير ذلك، وحضر درسَ الشيخ عبد الحميد الداغستاني في "الترمذي"، وقرأ على الشيخ حضرة نور البِشاوري، ولازَمه ملازمةً كبيرة، وتوظّف بمدرسة الشيخ رحمة الله المذكور ليعلّم الطلبة بها فلبث فيها سنين، وقام بالوظيفة أحسن قيام، ونتج على يده كثيرٌ من التلامذة، ثمّ جُعل من جملة العلماء الموظّفين المدرّسين بالمسجد الحرام من طرف أمير مكّة الشريف حسين، فتصدّر للتدريس به وعرضتْ عليه نيابةُ القاضي بالمحكمة الشرعيّة وغيرها من الوظائف المتعلّقة بالحكومة، وهو صالحٌ ديّنٌ صاحب تواضُع وخمول، منفردٌ عن النّاس لا يرغب مخالطتَهم، متضلع من العلوم فلكيٌّ ماهرٌ، توفّي ليلةَ السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة وألف.

(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر"، ر: ٢٦٠، صـ٢٤١، ٢٤٢ملتقطاً).

والشيخ عبد الرّحمن الآفندي الشّامي[١]، وحضر الشيخ السيّد حسين ابن السيّد عبد القادر الطرابلسي المدني[٢] بلدةَ "بَرَيْلي" وأقام بها أربعةَ عشرَ شهراً، فتلقّى علمَ الجَفَر وعلمَ الأوفاق وعلمَ التكسير، وصنّف له الإمامُ رسالة مسمّاة بـ"أطايب الإكسير في علم التكسير" باللُّغة العربيّة، ولنذكر الآن بعض أسماء الذين استفادوا من الإمام من علماء العرب ثمّ العجم.

بعض الآخذين عنه من علماء العرب

١ - محدّث المغرب الشيخ السيّد محمّد عبد الحيّ[٣] ابن الشيخ الكبير السيّد

---

(١) لم نعثر على ترجمته، ولكن ذكره العلامة المفتي ظفر الدين البهاري في "حياة أعلى حضرة"، التبحر في العلم، الكمال في علم الجفر، ١/ ٣٠٣.

(٢) الشيخ السيّد حسين ابن السيّد عبد القادر الطرابلسي المدني، كان يدرّس في المسجد النبوّي الشريف، وكان صاحبَ كمالٍ وتقوى وورعٍ، ماهراً في المنقول والمعقول كالجَفر، وعلم الفلك، والهيئة، والتوقيت، والتكسير، سافَر إلى بلدة "بَرَيْلي" الهند، ومكث عند الإمام أحمد رضا أكثر من سنة، وأخذ منه علمَ الأوفاق، والتكسير، والجَفر على الخصوص. ("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٥٨ تعريباً).

(٣) محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بـ"عبد الحي الكِتّاني": وهو عالم بالحديث ورجاله، مغربيٌّ، وُلد وتعلّم بـ"فاس" (ت١٣٨٢ھ)، وحجّ فتعرّف إلى رجال الفقه والحديث في مصر والحجاز والشّام والجزائر وتونس والقيروان، وعاد بأحمال من المخطوطات، وكان جمّاعةً للكتب، ذخرت مكتبته بالنفائس، وضُمت بعد سنوات من استقلال المغرب إلى خزانة الكتب العامّة في الرّباط، فرأيتُ على كثيرٍ منها تعليقات بخطّه في ترجمة بعض مصنّفيها أو التنبيه إلى فوائد فيها. له تآليف منها: "فهرس الفهارس"، =

عبد الكبير الكِتّاني[١] الحسني الإدريسي الفاسي المالكي.

٢- مفتي الحنفيّة بمكّة المحمية الشيخ صالح كمال المكّي الحنفي[٢].

=

و"اختصار الشمائل" رسالة، و"التراتيب الإدارية"، و"الكمال المتلالي والاستدلالات العوالي"، و"ثلاثيات البخاري"، و"الرّحمة المرسَلة في شأن حديث البَسملة"، و"لسان الحجّة البُرهانية في الذّبّ عن شعائر الطريقة الأحمدية الكِتّانية" في التصوّف. كان صدراً من صدور المغرب ومرجعاً للمستشرقين خاصّةً. ("الأعلام" ٦/ ١٨٧، ١٨٨ ملتقطاً).

(١) عبد الكبير بن محمد بن عبد الكبير الحسني الإدريسي الكِتّاني (ت١٣٣٣هـ)، فقيه من أعيان فاس، مولده ووفاته فيها، وهو والد صاحب "فهرس الفهارس". من كتبه: "مبرد الصوارم والأسنة في الذبّ عن السنّة"، و"المشرب النفيس في ترجمة مولانا إدريس بن إدريس"، و"الانتصار لآل البيت المختار". ("الأعلام" ٤/ ٥٠).

(٢) صالح بن صدّيق بن عبد الرّحمن كمال الحنفي، المدرّس بالمسجد الحرام، وُلد بـ"مكّة المشرّفة" في شهر ربيع الأوّل سنة ١٢٦٣هـ، وبها نشأ وحفظ "القرآن العظيم" وجوّده، وصلّى به التراويح في المسجد الحرام، وحفظ بعضاً من المتون، ثمّ شرع في طلب العلم، فجدّ واجتهد ودأب، فقرأ في ابتداء الطلب على والده، ثمّ لازَم العلاّمة الشيخ عبد القادر خوقير الحنفي، فتفقّه عليه، وقرأ عليه عدةَ كتب في الفقه، منها: "الدرّ المختار" مع حاشيته للمحقّق ابن عابدين، وقرأ على السيّد أحمد زَيني دَحلان في التفسير والحديث والعربية وغيرها، وأجازه بسائر مرويّاته، وقرأ على السيّد عمر الشّامي البقاعي ثمّ المكّي في النحو والمعاني والبيان والعروض وغيرها وانتفع به، ولما تفوّق في العلم وبرع وتصدّر للتدريس والإفادة والفتوى، درّس بالمسجد الحرام، توفّي عام ١٣٣٢هـ.

(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ٢٣١، صـ٢١٩).

٣- أمين مكتبة الحرم المكّي العلّامة الجليل السيّد الشيخ إسماعيل بن خليل المكّي الحنفي[١].

٤- الشيخ السيّد مصطفى بن خليل المكّي الحنفي[٢].

٥- الشيخ عبد القادر الكُردي المكّي[٣].

---

(١) السيّد إسماعيل بن السيّد خليل أمين مكتبة الحرم المكّي (ت١٣٢٩هـ)، تتلمذ عند الشيخ عبد الحقّ المهاجر إله آبادي، كان من أجلّة علماء الحرم الشريف، والمجاز من الإمام أحمد رضا خانْ، وسافَر سنة ١٣٢٨هـ إلى الهند لزيارة الشيخ المجدِّد الإمام أحمد رضا.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٣٥ تعريباً. و"تاريخ الدولة المكّية"، صـ١٠٤ تعريباً).

(٢) الشريف مصطفى بن خليل المكّي الأفندي، وكان أخوه الكبير الشريف إسماعيل خليل أميناً على مكتبة الحرم المكّي، استجاز واستفاد من الإمام أحمد رضا ﷺ في سفره إلى الحرمين الشّريفين في سنة ١٣٢٣هـ، وكان يحبّ الإمام أحمد رضا حبّاً شديداً كما يحبّ أخوه الكبير، ولمّا حضر الإمام أحمد رضا مكّة المعظمة قاما بخدمته، وجدّ في تعظيمه وراحته وطمأنينته، وبيّض رسالةَ الإمام أحمد رضا المساة بـ"كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم"؛ لأنّه كان جميلَ الخط، ومرّةً كان عند الإمام أحمد رضا في مجلسٍ من مجالس علماء مكّة المكرّمة، وهم كانوا يتكلّمون في علوم شتى، فقال الإمام أحمد رضا: هل عندكم شيءٌ من هزمة جبريل؟ ففهم الشّريف مصطفى خليل وقال: نعم ياسيّدي! وجاء بماء زَمزَم، وشرب الإمام أحمد رضا من زَمزَم، وأجازه الإمام أحمد رضا ﷺ أوّلاً إجازةً شفهيةً، ثمّ كتابةً بسنده المفصَّل، طبع في بلدة بريلي المسمّى بـ"الإجازات الرّضوية لمبجل مكّة البهيّة"، توفّي سنة ١٣٣٩هـ.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ١١٩-١٢١ ملتقطاً تعريباً).

(٣) ذكره في "الإجازات المتينة" المقدمة، صـ٣١. وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٦٧.

٦- الشيخ عبد الله فريد بن عبد القادر الكُردي المكّي[١].

٧- الشيخ السيّد عبد الله بن صدقة زَيني دحلان[٢] ابن أخي الإمام الشهير سيّدنا أحمد زَيني دَحلان المكّي الشّافعي.

٨- الشيخ السيّد محمد بن عثمان دَحلان المكّي الشّافعي[٣].

٩- الشيخ السيّد حسين بن صدقة دَحلان المكّي الشّافعي[٤].

---

(١) الشيخ عبد الله فريد بن عبد القادر الكردي، استجاز والده من الإمام أحمد رضا في الحديث والتفسير والفقه، فأجازه الإمام وابنَه الصالح عبدالله فريد في الحديث والتفسير والفقه والعلوم الكثيرة، وحينما أجاز الإمام أحمد رضا عبدَالله فريد كان صغيراً، ولكن النجابة ظاهرة عليه من صغره، وكان ذكياً فطِناً، لذلك حفظ متونَ عشرة كتب في صغر سنه، والإجازة في الصغر معتبرةٌ مقبولة عند العلماء والصّالحين وأمرها شائع وذائع.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٦٧، ٦٨ تعريباً).

(٢) عبد الله بن صدقة بن زَيني دَحلان، الشّافعي المكّي العالم الفلكي، وُلد بـ"مكّة المعظمّة" في ثمان أو تسع وثمانين ومئتين وألف، ونشأ بها وحفظ القرآن المجيد، وصلّى به في التراويح وصلّى به مراراً بالمسجد الحرام، وحفظ كثيراً من المتون، واشتغل بالعلم وجدّ في الطلب، فقرأ على العلماء الأعلام، منهم خالُه عمر شطا، وخالُه بكري شطا، ومفتي المالكية عابد، ولازَمه وقرأ عليه كثيراً من العلوم، وقرأ عدة كتب في جملة فنون، ودرّس وأفاد وهو ابن أخي الشيخ أحمد زيني دَحلان. توفّي سنة ١٣٦٣هـ. (المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر"، ر: ٣١٥، صـ٢٩٤).

(٣) ذكره في "الإجازات المتينة"، النسخة الرابعة، صـ٦٥، وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، صـ٨٤.

(٤) السيّد حسين بن صدقة بن زَيني دَحلان، الشّافعي المكّي، ولد بـ"مكّة المشرّفة" سنة أربع وتسعين ومئتين وألف، ونشأ بها وحفظ القرآن المجيد، وصلّى به التراويح، وأخذ العلم عن
=

١٠- الشيخ أسعد بن أحمد الدهّان المكّي الحنفي[1].

١١- الشيخ عبد الرّحمن بن أحمد الدهّان المكّي الحنفي.

١٢- الشيخ عبد الرّحمن الأفندي الشّامي.

١٣- الشيخ السيّد حسين ابن السيّد عبد القادر الأدهمي الطرابلسي المدني.

= جماعةٍ من أفاضل أهلها، فقرأ على خاله السيّد عمر شطا، وعلى أخيه السيّد عبد الله دَحلان، وعلى الشيخ عبد الله العجَيمي في عدة فنون، وحفظ كثيراً من المتون كـ"الأجرومية"، و"ألفية" ابن مالك، و"الرحبية"، و"السنوسية"، و"الجوهرة"، و"الزُبد"، و"البهجة"، ثمّ رحل إلى مصر وغيرها، وأخذ عن الأفاضل، فبرع ومهر ونظم ونثر وهو ابن أخي السيّد أحمد دَحلان. (المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ١٧١، صـ١٧٩).

(١) الشيخ أسعد بن العلاّمة أحمد بن أسعد الدهّان، الحنفي المكّي، وُلد بـ"مكّة المشرّفة" سنة ١٢٨٠هـ، ونشأ بها (ت١٣٣٨هـ)، وحفظ "القرآن المجيد" مع كمال التجويد، وصلّى به التراويح بالمسجد الحرام مراراً وتكراراً، وجدّ واشتهر في طلب العلوم، فقرأ على جملة من المشايخ العِظام علماء البلد الحرام، منهم: العلاّمة الجليل الشيخ رحمة الله الكيرانوي الهندي، والعلاّمة عبد الحميد الداغستاني الشّرواني، وحضرة نور محمد البِشاوري الحنفي، وقرأ على إسماعيل نوّاب في المنطق والتصوّف وغيرهما، وأخذ عنه خلقٌ كثيرٌ وانتفع به جمعٌ غفير، ووظّفه أميرُ مكّة المشرّفة الشريف حسين بن علي مساعد القائم مقامية في فصل القضايا الشّرعيّة، وجعله شيخاً على أهل مدرسة السليمانيّة، وصيّره عضواً بـ"مجلس التعزيرات الشرعيّة"، وعرض عليه مرّةً نيابةَ القضاء بالمحكمة الشرعيّة، فاعتذر ولم يقبلها، وأقامه رئيساً على هيئة "مجلس تدقيقات أمور المطوّفين" بالبلد الأمين.

(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ١٠٦، صـ١٢٩ ملتقطاً).

١٤- الشيخ السيّد إبراهيم ابن السيّد عبد القادر الطرابلسي المدني[1].

١٥- الشيخ السيّد أبو حسين محمّد بن عبد الرّحمن المرزوقي الحنفي[2].

١٦- الشيخ السيّد بكر رفيع المكّي[3].

١٧- الشيخ السيّد مأمون البِرّي الأرزنجاني ثمّ المدني[4].

---

(١) الشيخ السيّد إبراهيم ابن السيّد عبد القادر الطرابلسي المدني، كان عالماً تقياً زاهداً، وعندما حضر الإمام أحمد رضا المدينة الطيّبة عام ١٣٢٤هـ لم يلتق به لكونه مسافراً خارج البلد، فعندما رجع وسمع فضل الإمام وكماله في العلوم والتصوّف، اشتاق إلى زيارته فسافَر إلى الهند ١٣٢٥هـ وبقي ستّة أشهُر عند الإمام البَرَيْلوي، وأخذ عنه العلوم والسّلوك.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ ٧٩ تعريباً).

(٢) السيّد محمد المرزوقي المكنّى بـ"أبي حسين" العالم الأديب ابن عبد الرّحمن بن محجوب الحنفي المكّي (ت١٣٦٥هـ)، قدم والدُه مكّة من مصر في نيف وستّين ومئتين وألف وجاوَر بها، وطلب العلم على العلاّمة السيّد محمد حسين الكتبي الكبير، وتزوّج بها من ابنة ابنِهِ العالم الفاضل محمد، وأمّها ابنة مفتي المالكية بمكّة العارف بالله تعالى السيّد أحمد المرزوقي، وكانت ولادته بمكّة المشرّفة، واجتهد في طلب العلم، لاسيّما الفقه، فلازَم مفتي مكّة الشيخ صالح كمال، وقرأ على الشيخ حافظ عبدالله الهندي، وعلى شيخنا الجليل الشيخ عبد الحقّ الهندي الإله آبادي ثمّ المكّي، وأجازه إجازةً عامّةً، ولما قدم مكّة شيخنا العلاّمة أحمد رضا خانْ البَرَيْلوي استجازه، فأجازه بسائر مرويّاته ومؤلّفاته، وجلس للتدريس بالمسجد الحرام، ووُلّي نيابة القضاء بالمحكمة الشرعيّة.

(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ٤٤٧، صـ٤٠٢، ٤٠٣ ملتقطاً).

(٣) ذكره في "الإجازات المتينة" النسخة الرابعة، صـ٦٣. وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٥٦.

(٤) ذكره في "الإجازات المتينة" المقدمة، صـ٣٦. وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٧٦-٧٩.

١٨- الشيخ السيّد محمّد سعيد ابن شيخ الدّلائل العلاّمة السيّد محمد المغربي[١].

١٩- محدِّث الحرم الشريف الشيخ عمر حمدان المَحرَسي المدني[٢].

٢٠- الشيخ محمد عابد ابن العلاّمة الشيخ حسين المكّي المالكي[٣].

٢١- الشيخ محمد علي ابن العلاّمة الشيخ حسين المكّي المالكي[٤].

---

(١) الشيخ السيّد محمد سعيد بن محمد المغربي: ذكره في "الإجازات المتينة"، المقدمة، صـ٣٠، وذكره الكتّاني في "فهرس الفهارس"، ٢/ ١١٠٩.

(٢) عمر بن حمدان المَحرسي التُونسي المكّي المدني (١٢٩٢هـ- ١٣٦٨هـ/ ١٨٧٥م- ١٩٤٩م)، مدرّس ومحدّث، وقد لُقّب محدّث الحرمَين الشريفَين، كان مجازاً من المجدّد الإمام أحمد رضا خان البَرَيْلوي -عليه رحمة الله القوي-، وجمع أسانيده مختصرةً في كتابه "ذوي العرفان ببعض أسانيد عمر حمدان"، وتلميذه الشيخ محمد ياسين الفاداني المكّي ألّف في حياته وجمع أحواله وأسانيده في كتابه "مطمح الوِجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان"، ثمّ بعد ذلك لخّصه.

("الإمام أحمد رضا محدّث البَرَيْلوي وعلماء مكّة المكرّمة رحمهم الله" صـ٢٣، ٦١ تعريباً).

(٣) عابد بن حسين المالكي فقيه، من أهل مكّة، تولّى إفتاء المالكية بها بعد أبيه، ونقم عليه الشريف عون لصراحته في الوعظ فأخرجه من مكّة، فسافَر إلى اليمن، ومنها إلى الخليج العربي متنقلاً بين إماراته، وعاد إلى مكّة مع الحجّاج متنكراً، إلى أن توفّي الشّريف عون (١٣٢٣هـ) فانطلق. وألّف "هداية الناسك" تعليقاً على "توضيح المناسك" لوالده، و"رسالة في التوسّل" واستمرّ في الإفتاء إلى أن توفّي (١٣٤١هـ). ("الأعلام" ٣/ ٢٤٢).

(٤) محمد علي بن حسين بن إبراهيم المالكي المكّي، فقيه، نحوي، مغربي الأصل، وُلد وتعلّم بمكّة، ووُلّي إفتاء المالكيّة بها سنة ١٣٤٠هـ، ودرّس بالمسجد الحرام، وقام برحلات إلى أندونيسية، وسومطرة، والملايا، وتوفّي بالطائف (١٣٦٧هـ). له زهاء ٣٠ كتاباً مازال أكثرها

=

٢٢- الشيخ محمد جمال ابن الشيخ محمد أمير ابن الشيخ حسين المكّي المالكي[(١)].

٢٣- الشيخ عبدالله مِرداد[(٢)] ابن العلاّمة الشيخ أحمد أبي الخير مِرداد

=

مخطوطاً عند ولده عبد اللطيف المالكي بمكّة، طبع منها: "تدريب الطّلاب في قواعد الإعراب" في النحو، و"تهذيب الفروق" اختصر به "فروق القرافي" في أصول الفقه، ومن كتبه المخطوطة: "فتاوى النوازل العصرية" و"انتصار الاعتصام بمعتمد كلّ مذهب من مذاهب الأئمّة الأعلام" و"القواطع البُرهانيّة في بيان إفك غلام أحمد وأتباعه القاديانيّة".

("الأعلام" ٦/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(١) جمال بن محمد الأمير ابن مفتي المالكيّة بمكّة البَهيّة العلاّمة الشيخ حسين المالكي، العالم النبيه الفاضل النحوي النجيب الكامل، وُلد بمكّة المشرّفة في سنة ١٢٨٥هـ، نشأ بها وأخذ عن جماعةٍ من أفاضل أهلها، فجدّ في الطلب، ولازَم عمّه الشيخ عابد مفتي المالكيّة، وأخذ عنه المعقول والمنقول، ولازَم العلاّمة الشيخ عبد الوهّاب البسري ثمّ المكّي الشّافعي، وقرأ عليه في المعقول، ولما برع درّس بالمسجد الحرام، وأفاد وصنّف، وتوظّف عضواً بدائرة مجلس المعارف، ثمّ عُيّن أيضاً رئيساً بمحكمة التعزيرات الشرعيّة من طرف أمير مكّة الشريف حسين بن علي، توفّي عام ١٣٤٩هـ بـ"مكّة المكرمة". (المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ١٥٢، صـ١٦٣ ملتقطاً).

(٢) عبد الله بن أحمد أبي الخير بن عبد الله بن محمد، ابن مِرداد: فاضل، له علم بالتاريخ والتراجم، من أهل مكّة، كان من خطباء المسجد الحرام، ووُلّي القضاء بمكّة في عهد الشّريف حسين بن علي، وقتل في واقعة الطائف (١٣٤٣هـ). له " نشر النّور والزَّهر في تراجم أفاضل أهل مكّة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر"، اختصره عبدالله بن محمد غازي وسمّاه "نظم الدّرر في اختصار نشر النّور والزَّهر"، وله رسالة سمّاها "إتحاف ذوي التكرمة في بيان عدم دخول الطاعون مكّة المعظّمة". ("الأعلام" ٤/ ٧٠).

المكّي[1] الحنفي.

٢٤- الشيخ حسن[2] العجَيمي المكّي ابن القاضي الشيخ عبد الرّحمن[3]، من أولاد العَلم الشهير العلاّمة الكبير الشيخ حسين[4] بن علي العجَيمي المكّي.

---

(١) الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد صالح بن سليمان بن محمد صالح ابن محمد مرداد، ولد سنة ١٢٥٩هـ. وتلقى علومه على والده وغيره من العلماء وكان إماماً وخطيباً ومدرّساً، ثمّ تولّى مشيخة الخطباء عام ١٢٩٣هـ، ومكث بها إلى عام ١٢٩٩هـ، وتوفّي في عام ١٣٣٥هـ.

(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" صـ٣٢).

(٢) الشيخ حسن بن عبد الرّحمن العجَيمي المكّي الحنفي -رحمة الله عليه- (ت١٣٦١هـ)، المدرّس، المجاز من الإمام أحمد رضا. (ذكره في "الإجازات المتينة" كتب لعلماء عشرة كرام بررة من مكّة المطهّرة، صـ٥٢. وفي"الإمام أحمد رضا المحدّث البَرَيْلوي وعلماء مكّة المكرّمة"، صـ٢٠ تعريباً).

(٣) الشيخ عبد الرّحمن بن حسن بن محمد بن علي أبو الأسرار العجَيمي المكّي، ولد في مكّة المشرّفة سنة ١٢٥٣هـ وهنا نشأ، حفظ قرآن المجيد ومتون الكتب العديدة، ثمّ درس عند مشايخ مسجد الحرام، توفّي سنة ١٣٠١هـ. ("العلماء العجَيمين في مكة المكرمة" صـ٨٤ تعريباً).

(٤) أبو البقاء حسن العجَيمي الحنفي المكّي، الإمام الكبير الشهير شيخ الشيوخ محدّث الحجاز أحد شيوخ الثلاثة الذين ينتهي إليهم غالب أسانيد من بعدهم من العلماء في الحجاز واليمن ومصر والشام وغيرها من البلدان، ولد بمكّة سنة ١٠٤٩هـ، حفظ القرآ ن في السنة التاسعة من عمره، وأخذ الحديث والتفسير وأصول الفقه والتصوّف والفرائض وعلم التوحيد والنحو والمعاني والبيان وغيرها عن شيخه العلاّمة عيسى الثعالبي المغربي المكّي. وله رسائل =

٢٥- الشيخ السيّد سالم بن عَيدروس البار العَلَوي الحَضرَمي المكّي الشّافعي[1].

٢٦- الشيخ السيّد عَلوي بن حَسن الكاف الحَضرَمي الشّافعي[2].

٢٧- السيّد أبو بكر بن سالم البار العَلَوي الحَضرَمي المكّي الشَّافعي[3].

=

وكتابات وأجوبة منها: حاشية على "الأشباه والنظائر"، و"إهداء اللطائف"، و"خبايا الزوايا"، و"السَّيف المسلول في جهاد أعداء الرّسول" وغير ذلك. توفّي سنة ١١١٣هـ.

(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ١٦٢، صـ١٦٧-١٧٣ ملتقطاً).

(١) الشيخ السيّد سالم بن عَيدروس البار العَلَوي الحَضرَمي (١٢٩٩-١٣٢٧هـ)، أخذ من والده، والشيخ محمد سعيد بابُصَيل، والشيخ صالح بَافَضل، والشيخ عمر بَاجنَيد، والشيخ السيّد حسين الحبشي، كان عالماً زاهداً ورعاً، وشُغله المحبوب التبليغ والتدريس، ودرّس بالمسجد الحرام، ونال على الإجازة في العلوم والتصوّف من الإمام أحمد رضا في ١١ صفر ١٣٢٤هـ بمكّة المكرّمة. ("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٦١ تعريباً).

(٢) ذكره في "الإجازات المتينة"، النسخة الرابعة، صـ٦٥، وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، صـ٧٠.

(٣) الشيخ مولانا السيّد أبو بكر بن سالم البار، ولد سنة ١٣٠١هـ في أسرة العلمية والزهد، وكان من آل الباريين. وتربّ في حجر والده وأخذ عنه العلوم الشّرعية، ثمّ إذا بلغ جهده فوّضه والدُه إلى أخيه الكبير العالم المتورّع السيّد عَيدروس البار، وأخذ الفقه والحديث والتفسير عن السيّد حسين الحبشي مفتي الشّافعية، والسيّد محمد سعيد بابصَيل، كان مدرّساً في المسجد الحرام، وكان قليل الكلام دائم الصمت عابداً وزاهداً، كان من داعية الكبير، سافَر للدعوة إلى الله سنة ١٣٥٢هـ إلى بلاد شتى، وتوفّي سنة ١٣٨٢هـ. ("معارف الرضا" المجلّة السنوية ١٤٢٠هـ، صـ٢٠٠، ٢٠١ ملتقطاً وتعريباً. وذكره في "الإجازات المتينة" النسخة الرابعة، صـ٦٥).

٢٨- الشيخ محمد يوسف الأفغاني الحنفي[١]، مدرّس بالمدرسة الصَّولتيّة التي أسّسها الشيخ رحمة الله[٢] الكيرانوي الهندي.

٢٩- الشيخ السيّد محمد عمر ابن السيّد الجليل أبي بكر المكّي الرَّشيدي طريقةً[٣].

٣٠- الشيخ عبد الستّار بن عبد الوهّاب الصِّديقي الدِّهلوي المكّي الحنفي[٤].

---

(١) ذكره في "الإجازات المتينة" النسخة الرابعة، صـ٦٥. وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ١١٧-١١٩.

(٢) الشيخ الفاضل العلاّمة رحمة الله بن خليل الله بن نجيب الله العثماني الكيرانوي، كان من العلماء المبرّزين في الكلام والمناظرة، ولد سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف، اشتغل بالعلم أيّاماً في بلدته، ثمّ سافَر إلى دهلي وقرأ العلوم المتعارفة على الشيخ عبد الرحمن الأعمى وشيخه محمد حياة، ولازَمهما مدةً طويلةً حتّى أتقنه، ودرّس وأفتى، وله ذكاء مفرط لم يكن في زمانه مثله، فسار إلى الحجاز وأقام بمكّة المكرّمة، وألقى الرحل في مكّة، وأسّس "المدرسة الصولتية" في رمضان سنة تسعين ومئتين وألف. وله مصنّفات: "إظهار الحقّ"، و"إزالة الأوهام"، و"إزالة الشكوك"، و"إعجاز عيسوي"، و"أصحّ الأحاديث في إبطال التثليث". توفّي لسبع بقين من رمضان سنة ثمان وثلاثمئة وألف. ("نزهة الخواطر" حرف الراء، ر: ١٤١، ٨/ ١٦٠-١٦٢ ملتقطاً).

(٣) ذكره في "الإجازات المتينة" المقدمة، صـ٣٠. وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ١١٢-١١٦.

(٤) عبد الستّار بن عبد الوهّاب بن خُدا يارْ بن عظيم حسين يارْ بن أحمد يارْ المباركْشَاهْوِي البكري الصّديقي الحنفي الدّهلوي، أبو الفيض وأبو الإسعاد، عالم بالتراجم، مولده ووفاته بمكّة سنة ١٣٥٥هـ، كان من المدرّسين بالحرم المكّي. له تآليف منها: "فيض الملك المتعالي وبأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي"، و"سرد النقول في تراجم الفحول"، و"وُلاة مكّة =

٣١- الشيخ أحمد بن محمد الحضراوي المكّي الشّافعي[١].

٣٢- الشيخ السيّد حسين جمال بن عبد الرّحيم[٢].

٣٣- الشيخ أحمد بن عبد الله بن حسين ناضرين المكّي الشّافعي[٣].

=

بعد الفاسي"، و"نثر المآثر فيمَن أدركته من الأكابر" وغير ذلك، وكان قد جعل مكتبته وقفاً قبل وفاته، ثمّ نقلت مع مؤلَّفاته إلى مكتبة الحرم بمكّة. ("الأعلام" ٣/ ٣٥٤).

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبده الحضراوي الشّافعي، وُلد بشغر إسكندرية في جمادى سنة اثنين وخمسين ومئتين وألف، ولما بلغ من العمر سبع سنين قدم والدُه إلى مكّة المعظّمة وتوطناها ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ العلم عن جملة من الأعيان، وحضراوي نسبةً إلى محلّ ببلدة "منصورة" من أعمال مصر، وتسلّك في الطريقة الشاذلية على الشيخ الفاسي ثمّ المكّي، وكان عالماً فاضلاً صالحاً متواضعاً كاتباً، له من التآليف: "العقد الثمين في فضائل البلد الأمين"، و"رسالة" في فضائل زَمزَم، وتخريج رواة أحاديث "كشف الغمّة" وغير ذلك، وكانت وفاته بمكّة سنة ألف وثلاثمئة وسبع وعشرين، ودُفن بالمعلاة.
(المختصر من كتاب "نشر النّور والزَّهر" ر: ٥١، صـ٨٤، ٨٥ ملتقطاً).

(٢) الشريف حسين جمال بن عبد الرّحيم، حضر مكّة المكرّمة سنة ١٣٢٣هـ مع الشريف عبد الحي ابن الشريف عبد الكبير الكتّاني الفاسي، وتشرّف معه بزيارة الإمام أحمد رضا، كان شاباً صالحاً، وجدّ في طلب العلوم واستجاز من الإمام في سلاسل الطريقة الأولياء الكبار، وأجازه باللسان، وأذن له أن يكتبَ نسخةً باسمه من عند السيّد الكتّاني على نحوه ورسمه. (ذكره في "الإجازات المتينة" المقدمة، صـ٢٨. وفي "تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٥٧، ٥٨ تعريباً).

(٣) العلاّمة الفقيه الشهير الشيخ أحمد بن عبدالله ناضرين المكّي الشّافعي، ولد بمكّة المكرمة بشعب علي في يوم آخر جمعة في شعبان سنة ١٢٩٩هـ، ونشأ بها في حجر والده، وكان أوّل تعليمه القرآن

=

٣٤- الشيخ المعمّر ضياء الدّين المدني[1].

=

الكريم على الشيخ يوسف أبي حجر في مسجد سوق الليل، ثمّ انتقل إلى الشيخ محمد عريف بزقاق الحجر وأتمّ القرآن عنده، ثمّ اعتنى بطلب العلم وجدَّ في تحصيله، فأخذ عن مشايخ عصره الأجلاء، منهم: الشيخ أبو بكر بن محمد سعيد بابصيل، والسيّد أحمد بن أبي بكر شطا، والحبيب أحمد بن حسن العطّاس، والشيخ أحمد رضا البَريلوي أجازه إجازة عامة وغير ذلك، وقد سافر إلى بومباي الهند للمعالجة سنة ١٣٢٦هـ، فمنّ الله عليه بالشفاء، فاشتغل بالتدريس في "المدرسة الصولتية" سنة ١٣٢٩هـ. وتوفّي سنة ١٣٧٠هـ. ("الدليل المشير" القسم ١ في التراجم، ر: ١٠ - شيخنا الشيخ أحمد بن عبد الله ناضرين، صـ٤٧، ٤٨، ٥٠ ملتقطاً).

(١) هو الشيخ ضياء الدّين أحمد القادري المدني بن عبد العظيم ابن الشيخ قطب الدّين القادري طريقةً، ونسبه ينتهي إلى سيّدنا عبد الرحمن ابن سيّدنا أبو بكر الصّديق رضي الله عنهما، وُلد سنة ١٢٩٧هـ في "سِيَالْكَوْتْ"، من أجداده الشيخ عبد الحكيم كان عالماً معروفاً في زمنه، وحواشيه على "الخيالي" و"القطبي" مشهورة، بعد حصول العلم من "لاهور" أخذ الحديثَ عن شيخ المحدّثين العلاّمة وَصِي أحمد المحدِّث السُّورَتِي في مدرسة الحديث بـ"بِيلِي بِيْتْ"، وبايَع على يدَي الإمام أحمد رضا، ونال منه الإجازة في العلوم والسُّلوك، وذهب سنة ١٣٢٧هـ إلى بغداد وعاش فيها تسع سنة، وأخذ العلوم والسّلوك من مشايخها الكرام، منهم: الشيخ حسين الحسني الكُردي، الشيخ مصطفى القادري، الشيخ شرف الدّين وغيرهم، ثمّ ذهب إلى المدينة المنوّرة في أيّام السلطنة العثمانية وعاش بها سبعين سنة، وزار والتقى بالعلماء والمشايخ من العالم لا يحصى عددهم، كلّ مَن حضر في المدينة المنوَرة تشرّف بزيارته، وعاش عيشاً طويلاً، وتوفّي ٤ ذي الحجّة سنة ١٤٠١هـ في المدينة المنوّرة، ودُفن في "البقيع" قريباً من ضريح سيّدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ١٤٠- ١٤٣ ملتقطاً وتعريباً).

بعض الآخذين عنه من البلاد غير العربية

١- حجّة الإسلام الشيخ محمد حامد رضا خان النجل الأكبر للإمام أحمد رضا خان الحنفي القادري[١].

٢- مفتي الديار الهندية الشيخ مصطفى رضا خان النجل الأصغر للإمام[٢].

---

(١) حجّة الإسلام محمد حامد رضا ابن الشيخ الإمام أحمد رضا، وُلد غرّة ربيع الأوّل ١٢٩٢هـ ببلدة "بَرَيْلي"، وأخذ جميعَ العلوم والفنون عن والده الكريم، وأخذ الطريقة القادريّة عن نور العارفين الشيخ أبي الحسين أحمد النّوري -نوّر الله مرقده-، كان فصيحاً بليغاً في العربيّة، وفقيهاً عظيماً في الفقه الحنفي، وكان درسُه مشهوراً. له مصنَّفات منها: "الفتاوى الحامديّة"، و"الصّارم الربّاني على إسراف القادياني"، و"سدّ الفرار"، و"سلامة الله لأهل السنّة من سبيل العناد والفتنة"، وحاشية على "مُلاّ جلال" وغيرها، وهو الذي جمع إجازات الإمام أحمد رضا باسم "الإجازات المتينة". توفّي ١٧ جمادى الأولى في سنة ١٣٦٢هـ.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٩، ٢٥٢ ملتقطاً وتعريباً).

(٢) مفتي الديار الهندية، الشيخ العلاّمة محمد مصطفى رضا خان، وُلد ٢٢ ذي الحجّة ١٣١٠هـ يوم الجمعة بـ"بَرَيلْي"، أخذ العلوم والفنون عن والده الكريم الإمام أحمد رضا، وعن شقيقه الأكبر حجّة الإسلام الشيخ العلاّمة محمد حامد رضا خان -عليه الرّحمة والرضوان-، وأستاذ الأساتذة العلاّمة رحم إلهي المنكوري، ومولانا بشير أحمد علي كَرْهِي، ودرس الحديث الشريف خاصّةً عند العلاّمة ظهور الحسين الفاروقي الرامْفوري تلميذ العلاّمة محمد فضل الرّحمن گَنج مرادآبادي، وأخذ الطريقة القادريّة عن الشيخ السيّد أبي الحسين أحمد النوري. له مصنّفات، منها: "الفتاوى المصطفويّة"، و"وقعات السِّنان إلى حلق المسمّاة بَسط البنان"، و"إدخال السنان إلى حنك الحلقي بسط البنان"، و"طرد الشيطان"، و"وقاية أهل السنّة عن مكر ديوبند والفتنة" =

٣- الشيخ حَسن رضا خان شقيق الإمام أحمد رضا، الصغير[1].

٤- الشيخ محمد رضا خان شقيق الإمام، الأصغر[2].

٥- صدر الأفاضل السيّد الشيخ نعِيم الدّين المُرادآبادي[3].

=

وغيرها من الكتب. وتوفّي في يوم الأربعاء ١٤ محرم الحرام سنة ١٤٠٢هـ. ("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٨ ملتقطاً وتعريباً. و"جهانِ مفتي أعظم" الباب ١٠ في خدماته في التصانيف والتآليف، صـ٧٦٦، ٧٦٧).

(١) مولانا الشيخ العلاّمة حَسن رضا خان شقيق صغير للإمام أحمد رضا، أخذ بدايةً عن والده الكريم الإمام نقي علي خان وعن أخيه الإمام أحمد رضا، ثمّ حصل له الكمال في الشعر عند فصيح المُلك داغ الدّهلوي في "رامْفور"، له مصنَّفات، منها: ديوان في مدح الرّسول ﷺ المسمّى بـ"ذوقِ نَعت"، توفّي ٢٢ رمضان المبارك في سنة ١٣٢٦هـ. ("تذكرة علماء أهل السنّة" صـ٧٨، ٧٩ تعريباً).

(٢) محمد رضا خان بن نقي علي خان بن رضا علي خان شقيق أصغر للإمام أحمد رضا خان، كان صغيراً وتوفّي والده، فنشأ في حجر الإمام أحمد رضا خان، وأخذ العلوم عنه، وتوفّي سنة ١٣٥٨هـ.(العدد السادس من المجلّة السنوية: "تجليات رضا" العدد الممتاز باسم: صدر العلماء المحدِّث البَرَيْلوي" صـ٧٨ تعريباً).

(٣) الشيخ السيّد محمد نعِيم الدّين صدر الأفاضل المرادآبادي، ولد ٢١ صفر المظفر سنة ١٣٠٠هـ ببلدة مرادآباد، أخذ العلوم الشّرعية العقلية والنقلية عن الشيخ العارف الكامل محمد گُل، وأخذ الطبّ عن الحكيم فضل أحد الأَمروهي، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ محمد گُل، والشيخ علي حسين الكَچوچوِي، والشيخ أحمد رضا خانْ، وكان مجازاً منهم، وأسس الجامعة النعِيمة سنة ١٣٢٨هـ. من تصانيفه: "الكلمة العُليا لإعلاء عَلم المصطفى"، و"خزائن العرفان في تفسير القرآن"، و"أطيَب البيان"، ومجموعة "الفتاوى"، و"سوانح كَربلا"،

=

٦- قاضي قضاة الهند الشيخ محمد أمجد علي الأعظمي[١].

٧- الشيخ أحمد أشرف الكَجَوجْوِي[٢].

=

و"كتاب العقائد"، و"أسواط العذاب"، و"التحقيقات لدفع التلبيسات"، و"القول السَّديد" وغير ذلك، وتوفّي ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٦٧هـ.

("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤١ ملتقطاً وتعريباً).

(١) قاضي قضاة الهند، إمام العلم والفضل، صدر الشّريعة، الشيخ أمجد علي ابن الحكيم العلاّمة جمال الدّين ابن الفاضل مولانا خدا بخش، وُلد بـ"غَوسِي" بمحافظة "أعظم جَره" الهند سنة ١٢٩٦هـ، قرأ القرآن المجيد والكُتب البدائيّة من الصّرف والنحو على أخيه الكبير العلاّمة الشيخ محمد صدّيق، ثمّ رحل إلى بلدة "جَونْفور" وقرأ أكثرَ الفنون على العلاّمة الشهير الفاضل الجليل الشيخ هدايةُ الله الرامْفوري، ثمّ انتقل إلى مدرسة الحديث بِبلدة "بِيْلِي بِيْتْ" فأخذ علومَ الحديث عن المحدِّث الشهير والإمام الكبير الشيخ وَصِي أحمد المحدِّث السُّورَتِي، وتفرّغ من العلوم وتشرّف بسند الفراغ عن المحدِّث المذكور بعد الألف وثلاثمئة من الهجرة، ثمّ رحل إلى لَكنَوْ وأكمل دراسة الطبّ على الطبيب الحاذق الشهير عبد الحكيم، ثمّ دعاه شيخ الإسلام الإمام أحمد رضا للتدريس في "جامعة منظر الإسلام"، فتعيّن على مسند الدَّرس والإفتاء، توفّي ٢ ذي القعدة في سنة ١٣٦٧هـ. له مصنَّفات كثيرة، منها: تصنيفه المعروف "بَهارِ شريعت" ٢٠ جزءاً، وله مجموعة الفتاوى المسمّاة: بـ"الفتاوى الأمجديّة" بأربع مجلّدات، وله حاشية على "شرح معاني الآثار" المسمّاة بـ"كشف الأستار". ("اليواقيت المِهريّة" صـ٧٩، ٨٠ ملتقطاً. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠ ملتقطاً وتعريباً).

(٢) العالم الربّاني العارف بالله الشيخ الشريف أحمد أشرف ابن المحبوب الربّاني الشريف علي حسين الأشرفي الكَجَوْجْوِي، وُلد يوم الجمعة ١٤ شوّال المكرّم ١٢٨٦هـ، وقرأ الكُتب

=

٨- المحدِّث الأعظم في الهند الشيخ السيّد محمد الكَجَوجْوِي[1].

٩- مبلّغ الإسلام الشيخ عبد العليم الصدّيقي المِيرَتِي[2].

=

البدائية على العلماء في كَجَوْجَه، وأكمل الدّروس على المفتي لُطف الله علي كَرْهِي، وبايَع على يدَي والده، وتوفّي في حياة والده سنة ١٣٤٣هـ بسبب الطّاعون رحمه الله.

("تذكرة علماء أهل السنّة" صـ٣٠ ملتقطاً وتعريباً).

(١) المحدِّث الأعظم وحيد العصر، شمس الأفاضل، قدوة العلماء الرّاسخين الشيخ الشريف محمد الكَجَوجْوِي ابن الحكيم الشريف نذر أشرف، كانت ولادتُه في موضع "جائس" قبل صلاة الفجر ١٥ ذي القعدة ١٣١١هـ، درس الفارسيّة عند والده، والعربيّة في المدرسة النظاميّة، وبعد ثمانية سنين حضر في خدمة المفتي لُطف الله عِلي كَرْهِي ودرس عنده "شرح التجريد" و"أفق المبين"، وأخذ الحديث الشريف عن الشيخ مطيع الرّسول عبد المقتدر البَدَايُونِي، وأسلَم على يده أكثر من خمسة آلاف، واستفاد منه كثيرٌ من المسلمين. من تصانيفه: "ترجمة القرآن الكريم" باللغة الأردية، توفّي ١٧ رجب ١٣٨٣هـ بـ"لَكنَؤ"، ودُفن في "الكَجَوجَهْ". ("تذكرة علماء أهل السنّة" صـ٢٣٥، ٢٣٦ ملتقطاً وتعريباً).

(٢) الشاه عبد العليم الصدّيقي ابن الشاه محمد عبد الحكيم الصدّيقي، وُلد في "مِيْرَتْ" الهند ١٥ رمضان الكريم ١٣١٠هـ، يتصل نَسَبُه بالخليفة الأوّل سيّدنا الصدّيق الأكبر رضي الله عنه، كان ذكيّاً جدّاً، ختم القرآن الكريم وعمره أربع سنوات وعشرة أشهُر، وقرأ الكُتب البدائية من العربيّة والأرديّة والفارسيّة عند والده الكريم، وبايَع على يَدَي الإمام أحمد رضا، ونال منه الإجازةَ في العلوم والطريقة، وأسلم على يدَيه أكثرُ من خمس وأربعين ألف، من تصانيفه: "المرآة" بالعربيّة، طبع في مصر، و"ذكر الحبيب" جزءان، و"بَهار الشَّباب"، و"المكالمة جارج برناؤشا"، توفّي ٢٣ ذي الحجّة ١٣٧٤هـ بـ"المدينة المنوّرة"، ودُفن في "البقيع". ("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ١٥٣، ١٥٤، ١٦٢-١٦٤ ملتقطاً وتعريباً).

١٠- برهان الملّة والدّين الشيخ برهان الحقّ الجَبَلْفوري[١].

١١- ملِك العلماء الشيخ ظفر الدّين البِهاري، صاحب "الجامع الرَّضَوي".

١٢- الشيخ نواب سلطان أحمد خان من "بَرَيْلي"[٢].

١٣- الشيخ أميرأحمد من "بَرَيْلي"[٣].

١٤- الشيخ الحافظ يقين الدّين من "بَرَيْلي"[٤].

١٥- الشيخ الحافظ السيّد عبد الكريم من "بَرَيْلي"[٥].

١٦- الشيخ السيّد منوّر حسين من "بَرَيْلي"[٦].

---

(١) الشيخ محمد عبد الباقي المعروف بُرهان الحقّ الجَبَلْفوري ابن العلاّمة المفتي محمد عبد السّلام القادري، وُلد بـ"جَبَلْفور" ٢١ ربيع الأوّل ١٣١٠هـ، درس الكُتب البدائية عند والده الكريم، وأكمل الدّراسة في دار العلوم "منظر الإسلام". من تصانيفه: "إجلال اليقين بتقديس سيّد المرسَلين"، و"البُرهان الأجلى في تقبيل أماكن الصُّلحاء"، توفّي في ١٤٠٥هـ، ودُفن جانب والده الكريم. ("تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧ ملتقطاً وتعريباً).

(٢) ذكره الشيخ ظفر الدين المحدّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٢٥.

(٣) ذكره الشيخ ظفر الدّين المحدّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٢٥.

(٤) الشيخ الحافظ يقين الدّين من "بَرَيْلي"، تلميذ الإمام أحمد رضا والمجاز منه في العلوم والطريقة، توفّي ١١ جُمادى الآخر ١٣٧٠هـ. ("تذكرة علماء أهل السّنة" صـ٢٦٣، ٢٦٤ ملتقطاً وتعريباً).

(٥) ذكره الشيخ ظفر الدّين المحدّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٢٦.

(٦) ذكره الشيخ ظفر الدين المحدّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٢٦.

١٧- الشيخ السيّد نور أحمد من "بنغلاديش"[1].

١٨- الشيخ واعظ الدّين[2].

١٩- الشيخ السيّد عبد الرّشيد العظيم آبادي[3].

٢٠- الشيخ السيّد الشّاه غلام محمد البِهاري[4].

٢١- الشيخ السيّد حكيم عزيز غَوث من "بَرَيْلي"[5].

٢٢- الشيخ نوّاب مِرزا من "بَرَيْلي"[6].

٢٣- الشيخ السيّد سلطان الواعظين عبد الأحد بِيلي بِيْتِي الهندي[7]، وغيرهم من

---

(١) ذكره الشيخ ظفر الدين المحدّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٢٦.

(٢) ذكره الشيخ ظفر الدين المحدّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٢٦.

(٣) الشيخ الشريف عبد الرّشيد، وُلد في "عظيم آباد"، أخذ العلوم تماماً في دار العلوم "منظر الإسلام" عن الإمام أحمد رضا وغيره من الأساتذة، وبعدما تخرّج درّس الفقه والحديث والتفسير والمنطق والفلسفة في مدارس مختلفة. ("تذكرة علماء أهل السنّة" صـ١٧٢، ١٧٣ ملتقطاً وتعريباً).

(٤) ذكره الشيخ ظفر الدّين المحدّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٦٣.

(٥) الشيخ حكيم عزيز غَوث، حفيد الشيخ السيّد فضل غَوث البَرَيْلوي، المجاز من شيخ الشيوخ السيّد آل أحمد المارَهْرَوِيِّ، وتلميذ مقرّب للإمام أحمد رضا والمجاز منه، كان متورّعاً وجواداً. ("تذكرة علماء أهل السنّة" صـ١٨٣ تعريباً).

(٦) ذكره الشيخ ظفر الدين المحدِّث البِهاري في "حياة أعلى حضرة" ١/ ١٢٦.

(٧) الشيخ عبد الأحد بِيلِيْ بِيتِيْ ابن الشيخ أستاذ المحدّثين السيّد وَصِي أحمد السُّورَتِي، وُلد بـ"بِيْلي بِيت" سنة ١٢٩٨هـ، وأكمل العلوم والفنون عند والده الكريم في مدرسة الحديث، ثمّ حضر =

العلماء ذوي المكانة العالية والدُّعاة البارزين، ويزيد عدد المجازين منه في الطريقة على مئة شخصٍ، انتشروا في الهند والباكستان[1] وفي مشارق الأرض ومغاربها، رحمهم الله تعالى أجمعين، ودامت بركاتهم وفيوضهم.

أهمّ مشاغل الإمام

قال الإمام نفسُه في النسخة الثانية من "الإجازات المتينة لعلماء بكّة والمدينة": "أمّا فنونِي التي أنا بها ولها، ورُزقتُ بحُبّها شغفاً دونها، فأجد ثلاثةً، ولنعمت الثلاثة!، أوّل الكلّ وأولى الكلّ وأعلى الكلّ وأغلى الكلّ: حماية جانب سيّد المرسَلين -صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين- من إطالة لسان كلِّ وهابيٍّ مَهين، بكلامٍ مُهين،

=

في خدمة الإمام أحمد رضا لأخذ الحديث الشريف، ثمّ درّس في مدرسة الحديث إلى آخر عمره، بايَع على يدَي الإمام أحمد رضا، ونال منه الإجازة في العلوم والطريقة، وتوفّي ١٣ شعبان المعظّم ١٣٥٢هـ بـ"لَكنَؤ"، ودُفن في "كَنج مرادآباد". ("تذكرة علماء أهل السنّة" صـ١٦٨، ١٦٩ ملتقطاً وتعريباً. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة" صـ١٧٢ تعريباً).

(١) هي جمهورية في جنوب آسيا بين الصين والهند وإيران وأفغانستان على بحر عمان في المحيط الهندي، عاصمتها: إسلام آباد، ومن مدنها: "كراتشي"، "لاهور"، "فيصل آباد"، "راوَلْبندِي"، "حيدرآباد السِّند"، "ملتان" وغيرها، وهي من الدول الإسلامية الكُبرى في العالم، انفصلت على الهند ١٩٤٧م، وانقسمت عنها بنغلاديش ١٩٧١م، **الأرض**: جبال عالية قاسية المناخ كثيرة الثلج والجليد لاسيما في الشمال، أمّا السكّان فينتشرون في السهول الزراعية الممتدة في الشمال الشرقي وفي الجنوب، تشمل حوض البنجاب أو الأنهُر الخمسة روافد الهندوس، أهمّ الصادرات: قطن، أرز، سكر، جلود، زيوت، سجاد، كروم. ("المنجد" في الأعلام، صـ١٠٧ ملتقطاً).

وهذا هو حسبِي إن تقبّل رَبّي، هذا هو ظَنِّي برحمة رَبِّي، وقد قال: «أنا عند ظنّ عبدِي بِي»[١]، ثمّ نكايةُ بقيّة المبتدعين ممّن يدّعي الدّين، وما هو إلّا من المفسِدِين، ثمّ الإفتاءُ بقدر الطّاقة على المذهب الحنفي المتين المبين، فهذه موئِلي، وعليها معوَّلي، وما أبرَد على صدرِي أن أكونَ لها وتكون لِي، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم الولي"[٢].

عبقريّة الإمام في الفقه الإسلامي

لا ريبَ أنّ الإمام أحمد رضا كان عبقريَّ الفقه الإسلامي، وأضاف فيه علوماً ونفائسَ لا يقدرها إلّا مَن طالَع مؤلَّفاته الجليلة؛ فإنّه قد قدّم للفقه الإسلامي بحوثاً ثمينةً رائعةً ومؤلَّفاتٍ عظيمةً فخمة، وألّف الإمام ألف كتابٍ تقريباً في الفقه وعلوم شتى، كلّها تدلّ على عبقريّته ولياقته، وغزارة علمه، وكثرة معرفته، وسِعة اطّلاعه، ووفور عثوره على الفقه الإسلامي، منها: "العطايا النبويّة في الفتاوى الرّضوية"[٣]، هذه الفتاوى العظيمة

---

(١) كما أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]... إلخ، ر:٧٤٠٥، صـ١٢٧٣ بطريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النّبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدِي بِي» ...الحديث.

(٢) "الإجازات المتينة" النسخة الثانية، صـ٥٧.

(٣) "العطايا النّبوية في الفتاوى الرضوية": للإمام أحمد رضا خان القادري ابن العلاّمة المفتي نقي علي خان القادري (ت١٣٤٠هـ)، كان حجمه باثني عشر مجلّداً، طبعت أوّلاً من مكتبات الهند والباكستان العدّة أكثر من مرّة، وأخيراً بمدينة ممبائي الهند بإشراف رضا أكادمي، ثمّ بعد ذلك طبعت محقَّقةً من "مؤسسة رضا" بإشراف مفتي باكستان العلاّمة الشيخ عبد القيوم الهَزارْوِي (ت١٤٢٤هـ) رحمه الله، والآن هذه الفتاوى العظيمة تحتوي على ثلاثة وثلاثين مجلَّداً كبيراً، ولا شكّ

=

تحتوي على نحو ثلاثة وثلاثين مجلّداً كبيراً، ولا شكّ أنّها موسوعةُ الفقه الإسلامي ودائرةُ العلوم والمعارف، وعندما يطالعها العلماء يتعجّبون ويتحيّرون من بصيرة الإمام الفقيه، ودقّة نظره وبحوثه العجيبة، وتحقيقاته المدهِشة، وقد شغف كثيرٌ من علماء العالَم بلياقته وعبقريّته في الفقه الإسلامي، كما قال أمين مكتبة الحرم المكّي الشيخ إسماعيل خليل بعدما طالَع عدةَ أوراقٍ من "الفتاوى الرّضوية": "والله أقول!، والحقِّ أقول!: إنّه لو رآها أبو حنيفة النعمانُ لأقرَّت عينَه، ولجعل مؤلِّفَها من جملة الأصحاب"[1].

ومن مؤلَّفاته الجليلة: "جدّ الممتار على ردّ المحتار" سبع مجلّدات ضخمة، وهذا الكتاب من مآثره التاريخيّة العظيمة، ومن درر الفقه الغالية التي يفتخرُ بها الفقهُ الإسلامي، وحُقَّ له الافتخارُ بهذا؛ ولا شكّ أنّ هذا الكتابَ جليلٌ وكنزٌ عظيمٌ يوضِّح "ردّ المحتار"[2] الشهير بـ"حاشية ابن عابدين" توضيحاً جميلاً، ويكشف عن عباراته العويصة، ويحلّ مواضعَه المغلَقة، ويتدفّق بالبحوث الوجيزة النّادرة، والتحقيقات العجيبة الأنيقة، فتارةً يقدِّم بحوثاً باهرةً، وأخرى ينقّد "ردّ المحتار"

=

أنّها موسوعة الفقه الإسلامي، كما قال أمين مكتبة الحرم المكّي الشيخ إسماعيل خليل المكّي متأثّراً بعدة أوراق "الفتاوى الرضوية": "واللهِ أقول!، والحقِّ أقول!: إنّه لو رأها أبو حنيفة النعمانُ لأقرّت عينُه، ولجعل مؤلّفَها من جملة الأصحاب".

(١) "الإجازات المتينة" كتاب العلاّمة الجليل السيّد إسماعيل خليل المكّي، صـ٣٢.

(٢) "ردّ المحتار على الدّر المختار": للسيّد محمد بن أمين عابدين بن السيّد عمر بن عابدين الدمشقي الحنفي المفتي العلاّمة الشهير بـ"ابن عابدين"، وُلد سنة ١١٩٨ وتوفّي سنة ١٢٥٢هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ٣٥١. و"هدية العارفين" ٦/ ٢٨٦).

نقداً عادلاً، ويعرض المسائل الخلافية فيوفِّق بينها وكأنّه لم يكن هناك خلاف، وعندما يأتي على مواضع تردّد فيها الترجيحُ والتصحيحُ، فيرجِّح بعضَها بالنّصوص الصّريحة والدّلائل القويّة، كأنّه لم يكن لغير ذلك حقُّ ترجيحٍ وتصحيحٍ، ويَظهر خلال البحوث توقُّدُ ذهن المؤلِّف، وبريقُ فكره، وتبحُّرُ عِلمه، وسِعةُ اطّلاعه على المسائل الفقهيّة، كأنّها نصب عينَيه، وتتبيّن قوّةُ تمييزه عند الترجيحِ واستخراجِ الصّحيح من بين الأقوال المختلفة، وإيضاحِ المسألة بالدّلائل القويّة الجليّة، فلذلك كلّما جرى قلمُه السبّاق في ميدان البحث والتحقيق لم يكد يقف على شيءٍ حتّى أتى بما له وما عليه.

زيارته للحرمَين الشّريفَين

حجّ الإمام أوّلَ مرّة عام ١٢٩٥هـ مع والده الكريم، فلمّا رآه في المطاف إمامُ الشافعيّة بالمسجد الحرام الشيخ حسين بن صالح جَمل اللَّيل فابتدر بإبداء شعورِه قائلاً: "واللهِ! إنّي لأرى نورَ الله من هذا الجبين"[1]، فطلب منه أن ينقلَ رسالتَه في مناسك الحجّ "الجوهرة المضيئة" إلى اللُّغة الأرديّة، فنقلها الإمامُ أحمد رضا ثمّ شرحها خلال يومَين فسمّاها بـ"النيّرة الوضيّة"، وعلّق عليها فسمّاها بـ"الطرّة الرضيّة على النيّرة الوضيّة". وفي هذه الزيارة نال الإمامُ أحمد رضا الإجازاتِ في العلوم من السيّد المحدِّث الشيخ أحمد زَيني دَحلان الشّافعي، والشيخ عبد الرّحمن سراج المكّي مفتي الحنفيّة.

وثمّ حجّ ثانيةً عام ١٣٢٣هـ فأعظمه علماءُ الحرمَين الشّريفَين وأكرموه واستجازوا منه في الحديث والفقه والعلوم والفنون وطُرق الصّوفية، واستفتاه بعضُهم

---

(١) "حياة أعلى حضرة" الحجّ والزيارة الأوّل، ١/ ١٣٣.

حولَ مسائل ذات أهميّةٍ فأجاب عنها، منها: مسألةُ علم المغيّبات للنبيّ المصطفى ﷺ، ومسألة الأوراق النَقديّة، فألّف الإمام رسالتَين في هاتَين المسألتَين، أوّلهما: "الدَّولة المكّيّة بالمادّة الغيبيّة"، وثانيهما: "كِفل الفقيه الفاهِم في أحكام قِرطاس الدَّراهم"، ألّفهما بدون مراجَعة إلى الكُتب في "مكّة المكرّمة"؛ لأنّه كان مسافراً بعيداً عن كتبه.

بعض مؤلَّفات الإمام

ومؤلَّفات الإمام أحمد رضا كلُّها عظيمةُ الجدوى، كثيرةُ المنافع، جمّةُ الفوائد، غزيرةُ المعارف، ممتلئةٌ بالبحوث المفيدة، ذاخرةٌ بالتحقيقات العجيبة، متدفّقةٌ بالمواد النّادرة، حاويةٌ للمسائل الجديدة، الدالّةُ على عِلمِه العظيم وعقلِه الواسع، وقدراته الهائلة، ومواهِبه الكُبرى، وكذلك من خصائص مؤلَّفات الإمام أنّه يُعنوِن لكلّ كتابٍ بعنوانٍ لو جمعنا حروفَه بحساب الجمّل لنتج معنا رقمٌ يشير إلى سَنة تأليف الكتاب الهجرية، ولم يختر الإمامُ موضوعاً إلّا أنهاه إلى حدٍّ لم يدَع مجالاً لمزيدٍ من التحرير، كما سيأتي[1] من قول الشيخ عبدالله بن محمّد صدقة زَيني دَحلان الجيلاني المكّي، فمن المناسب أن نذكرَ بعضَ مؤلّفات الإمام التي ألّفها بالعربيّة أصلاً:

١- "المعتمَد المستنَد على المعتقَد المنتقَد".

٢- "الدَّولة المكّيّة بالمادّة الغَيبيّة".

٣- "الفيوضات الملَكيّة لمحبّ الدَّولة المكّيّة".

٤- "إنباءُ الحَي أنّ كلامَه المصونَ تبيانٌ لكلِّ شَيء" (في مسألة العلوم الخمسة).

---

(١) انظر: صـ٧١.

٥- "أجلى الإعلام أنّ الفتوى مطلقاً على قول الإمام".

٦- "الإجازات المتينة لعلماء بَكّة والمدينة".

٧- "شمائم العنبر في أدب النداء أمامَ المنبر".

٨- "كِفل الفقيه الفاهِم في أحكام قِرطاس الدَّراهم".

٩- "الكشف شافِيا حكمُ فُونُوجرافِيا".

١٠- "أزهار الأنوار مِن صَبا صلاة الأسرار" (الصّلاة الغَوثيّة المروية عن سيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه).

١١- "صَيقل الرَّين عن أحكام مجاوَرة الحرمَين".

١٢- "هادي الأُضحِية بالشَّاة الهنديّة".

١٣- "الصّافية الموحية لحكم جُلود الأُضحية".

١٤- "جدّ الممتار على ردّ المحتار" (سبع مجلّدات).

١٥- "الظفر لقول زُفر".

١٦- "الزُلال الأَنقى من بحرِ سبقةِ الأتقى".

١٧- "حُسام الحرمَين على منحر الكُفر والمَين".

١٨- "فتاوى الحرمَين برجَف ندوة المين".

١٩- "الجبل الثانوي على كلية التهانوي".

ولنذكر لسادتنا القرّاء أسماءَ بعضِ مؤلَّفاته المترجمة بالعربيّة، وإن لم تجد فيها بدائعَ النثر الفنّي للإمام، ولكن بلا شكّ ستنهل من أفكاره السَّديدةِ وإعلامه المهمّ:

١- "تمهيد الإيمان بآيات القرآن".

٢- "الفَضل الموهَبي في معنى: إذا صحّ الحديثُ فهو مذهبِي".

٣- "عطاء القدير في حكم التصوير".

٤- "الزَمزَمة القُمريّة في الذَبّ عن الخمريّة ("القصيدة الخمريّة" لسيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ﵁).

٥- "إقامة القيامة على طاعِن القيامِ لنبيّ تَهامة".

٦- "الزُّبدة الزكيّة لتحريم سجود التحيّة".

٧- "إعلام الأعلام بأنّ هِندُوسْتَان دارُ الإسلام".

٨- "صِلات الصَّفا في نور المصطفى".

٩- "الأمن والعُلى لناعتي المصطفى بدافع البلاء".

١٠- "شمول الإسلام لآباء الرّسول الكِرام".

١١- "منير العين في حكم تقبيل الإبهامَين".

١٢- "الهاد الكاف في حكم الضِعاف".

١٣- "حياة الموات في سماع الأموات".

١٤- "بركات الإمداد لأهل الاستمداد".

١٥- "طَرد الأفاعي عن حمى هاد رفع الرِّفاعي".

١٦- "الوظيفة الكريمة"، (الأوراد والأذكار).

١٧- "حُقّة المرجان لمهمّ حكم الدُّخان".

١٨- "قوارع القهّار على المجسِّمة الفُجّار".

١٩- "قَهر الدَّيان على مرتدٍ بقاديان".

٢٠- "المبين ختم النبيين".

٢١- "محمّد خاتم النبيّين".

٢٢- "السُّوء والعِقاب على المسيح الكذّاب".

٢٣- "الجراز الدّياني على المرتد القادياني".

٢٤- "إزاحة العَيب بسَيف الغَيب".

٢٥- "أعالي الإفادة في تعزية الهند وبيان الشّهادة"، (أي: شهادة سيّدنا الإمام حسين ﷺ).

٢٦- "كاسرُ السفيه الواهِم في إبدال قِرطاس الدَّراهم".

٢٧- "حاجز البحرَين الواقي عن جمع الصّلاتَين".

٢٨- "سبحان السُّبّوح عن عيب كذبٍ مقبوح".

٢٩- "فقه شهنشاه وأنّ القلوب بيد المحبوب بعطاء الله".

٣٠- "الحَرف الحَسن في الكتابة على الكفن".

٣١- "صيانة القبور".

٣٢- "تيسر الماعون للسكن في الطاعون".

٣٣- "جزى اللهُ عدوَّه بإبائه ختم النبوّة".

٣٤- "إهلاك الوهابيين على توهين قبور المسلمين".

٣٥- "جلي الصَّوت لنهي الدّعوة أمام الموت".

٣٦- "وصاف الرجيح في بسملة التراويح".

٣٧- "رادّ القحط والوباء بدعوة الجيران ومواساة الفقراء".

٣٨- "أعجب الإمداد في مكفَّرات حقوق العباد".

٣٩- "صفائح اللُّجين في كون التصافُح بكفَّي اليدين".

بعض الكتب المتداولة التي علّق عليها الإمام

١- "الدر المنثور في التفسير بالمأثور": لجلال الدّين السّيوطي.

٢- "عناية القاضي وكفاية الراضي" حاشية على "تفسير البيضاوي": لشهاب الدّين الخفاجي.

٣- "معالم التنزيل": للإمام محيي السنّة البَغَوي.

٤- "الإتقان في علوم القرآن": للإمام جلال الدّين السيوطي.

٥- "صيحح البخاري": للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

٦- "سنن ابن ماجه": للإمام محمد بن يزيد القزويني.

٧- "التيسير شرح الجامع الصغير": للعلّامة المُناوي.

٨- "المسند": للإمام أحمد بن حنبل.

٩- "الترغيب والترهيب": لإمام المُنذري.

١٠- "العِلل المتناهية": للإمام ابن الجوزي.

١١- "عمدة القاري شرح صحيح البخاري": للعلّامة العيني.

١٢- "فتح الباري شرح صحيح البخاري": للعلّامة العسقلاني.

١٣- "إرشاد السّاري شرح صحيح البخاري": للعلّامة القُسطلاني.

١٤- "شرح نخبة الفكر": للعلّامة العسقلاني.

١٥- "فتح المغيث": للعلّامة السَّخاوي.

١٦- "فواتح الرَّحموت شرح مسلَّم الثبوت": لبحر العلوم عبد العلي اللكنَوي.

١٧- "غمز عيون البصائر على محاسِن الأشباه والنظائر": لشهاب الدّين الحَمَوي.

١٨- "ميزان الشّريعة الكُبرى": للإمام الشَّعراني.

١٩- "كتاب الخَراج": للإمام أبي يوسف.

٢٠- "معين الحكاّم": للإمام علاء الدّين الطرابلسي الحنفي.

٢١- "الهداية": للإمام برهان الدّين المَرغيناني الحنفي.

٢٢- "فتح القدير": للمحقِّق ابن الهمام الحنفي.

٢٣- "بدائع الصنائع": للإمام أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي.

٢٤- "الجوهرة النيّرة": للإمام أبي بكر بن علي المعروف بالحدّادي.

٢٥- "مراقي الفلاح": للعلاّمة الشُّرُنبُلالي الحنفي.

٢٦- "البحر الرائق": للعلاّمة ابن نجَيم المصري.

٢٧- "حاشية الطحطاوي على الدرّ المختار": للعلاّمة السيّد أحمد الطحطاوي.

٢٨- "الفتاوى الهنديّة": لجماعةٍ من أفاضل علماء الهند برئاسة الشيخ نظام.

٢٩- "خلاصة الفتاوى": للإمام طاهر بن أحمد بن عبد الرّشيد البخاري.

٣٠- "الفتاوى السراجيّة": للعلاّمة علي بن عثمان التيمي الأوشي الفَرغاني الحنفي صاحب نظم "بدء الأمالي".

٣١- "جواهر الأخلاطي": للإمام برهان الدّين بن ابراهيم الأخلاطي.

٣٢- "مجمع الأنهُر": لـ"شيخي زاده".

٣٣- "جامع الفصولَين": لمحمود بن إسماعيل الشهير بابن القاضي الحنفي.

٣٤- "جامع الرّموز": لشمس الدّين القُهُستاني.

٣٥- "تبيين الحقائق": لفخر الدّين الزَّيلعي.

٣٦- "رسائل الأركان": لبحر العلوم عبد العلي اللَكنَوي.

٣٧- "غنية المتملّي": للعلّامة إبراهيم بن محمد الحَلَبي.

٣٨- "كتاب الأنوار": للشيخ محيي الدّين ابن عربي ﰓ.

٣٩- "مجموعة رسائل ابن عابدين": للعلّامة ابن عابدين الشّامي.

٤٠- "فتح المعين": للعلّامة السيّد محمد أبي السعود المصري الحنفي.

٤١- "الإعلام بقواطع الإسلام": للإمام ابن حجر المكّي الهيتمي.

٤٢- "شفاء السِّقام": للإمام السُّبكي.

٤٣- "الفتاوى الخانيّة": للإمام قاضي خان.

٤٤- "الفتاوى الخيريّة": للعلّامة خير الدّين الرَّملي.

٤٥- "العقود الدُريّة": للعلّامة ابن عابدين الشّامي.

٤٦- "الفتاوى الحديثيّة": للإمام ابن حجر المكّي الهيتمي.

٤٧- "الفتاوى الزَّينية": للعلّامة الزين ابن نجَيم المصري.

٤٩- "الفتاوى الغِياثيّة": للشيخ داود بن يوسف الخطيب.

٥٠- "جامع الصِّغار": للشيخ محمد بن محمود بن الحسين الأستروشني.

٥١- "الفتاوى العزيزيّة" (بالفارسيّة):للشيخ عبدالعزيز المحدِّث الدّهلوي

وغير ذلك من الحواشي المفيدة على الكتب العدة.

بعض رسائل الإمام باللُّغة الأرديّة

١- "النّهي الأكيد عن الصّلاة وراء عدى التقليد".

٢- "النيرّة الوَضيّة شرح الجوهرة المضيئة".

٣- "الطُرّة الرَّضيّة على النَّيرة الوَضيّة".

٤- "السنيّة الأنيقة في فتاوى أفريقة".

٥- "رعاية المذهبَين في الدُّعاء بين الخطبتَين".

٦- "سرورُ العيد في حلّ الدُّعاء بعد صلاة العيد".

٧- "تجلّي المشكاة لإنارة أسئلة الزَّكاة".

٨- "وَصاف الرَّجيح في بَسملة التراويح".

هذه المؤلَّفات كلُّها تشهد بعبقريّته في الفقه الإسلامي، بل بكونه إماماً فيه.

بعض ميزات مؤلَّفاته وفتاواه بالإيجاز

١- البلوغ فيها إلى نهاية البحث والتحقيق.

٢- تضافُر الدّلائل والبراهين في كتبهِ وتعاضدها.

٣- تنقيح المسائل الكثيرة الغير منقّحة من حديثٍ وقديمٍ.

٤- الإكثار من المراجع والمصادر حتّى يزيد أحياناً عدد المصادر على المئتين في مسألةٍ واحدة.

٥- التوفيقُ بين الدّلائل ودفعُ التعارُض بين الأقوال.

٦- وضعُ رسم الإفتاء (وقد ألّف فيها عدةَ رسائل).

٧- ندرةُ الاستنباط والاستخراج من الجزئيّات والكُلّيات.

٨- التنبيه على تسامُح الفقهاء الكِبار، ويُعلَم ذلك بمراجعة فتاواه و"جدّ الممتار" و"كِفل الفقيه" وغيرها.

٩- استنباطُ الأحكام من الكتاب والسنّة وتقديمُ دلائلها.

١٠- استخراج المسائل الحديثة من القرآن والحديث وعباراتِ الفقهاء.

١١- تقوية المذهب الحنفي بأسلوبٍ جديد.

١٢- التعريف بماهية الأشياء وحقائقها ليتّضح الحكمُ الشّرعي اتّضاحاً تامّاً.

١٣- الإكثار من صُور الجزئيّات إلى الحدّ الذي لم يبلغْه فقيهٌ.

أولاد الإمام

كان للإمام ولدان، أكبرهما: حجّة الإسلام الشيخ المفتي حامد رضا خان القادريّ المتوفّى عام ١٣٦٢هـ، وأصغرهما: مفتي الديار الهندية الشيخ مصطفى رضا خان القادري المتوفّى عام ١٤٠٢هـ، كان لهما منزلة عالية في العلوم والفنون والإفتاء والسُّلوك والإرشاد، رحمهم الله تعالى وإيّانا بهم.

الدكتوراه التي حازها العلماءُ لرسائلهم حول الإمام

حصل كثيرٌ من الباحثين على الدكتوراه ببحوثٍ ورسائل تناولوا فيها شخصيةَ الإمام أحمد رضا خانْ في جامعات العالم، وكثيرٌ منهم الآن في مراحل تكميلِ البحوث، وها أنا أذكر بعضُ التفاصيل عن ذلك:

١. عنوان البحث: فقيه الإسلام

اسم الباحث: الدكتور حسن رضا خان

اسم الجامعة: جامعة بَتنة بـ"الهند"

عام البحث: ١٩٧٩م.

٢. عنوان البحث: أحوال الإمام أحمد رضا وخدماتُه الأدبيّة (رسالة ماجيستر)

اسم الباحث: الدكتورة آنسة آر بي المَظهرية

اسم الجامعة: جامعة السِّند، بـ"باكستان"

عام البحث: ١٩٨١م

٣. عنوان البحث: Devotional & Politics in British India, Ahmad Raza Khan bereilvi and His Movement 1870-1920

اسم الباحث: الدكتور أوشياسانيال

اسم الجامعة: جامعة كولمبيا، "نيويورك"

عام البحث: ١٩٩٠م

٤. عنوان البحث: لُغة الإمام أحمد رضا العربيّة وخدماته الأدبيّة (رسالة ماجيستر)

اسم الباحث: الدكتور محمود حَسن البَرَيْلْوي

اسم الجامعة: جامعة المسلم بـ"علي جَرَه"، "الهند"

عام البحث: ١٩٩٠م

٥. عنوان البحث: الإمام أحمد رضا خان البَرَيْلْوي الحنفي وخدماته العلميّة والأدبيّة (رسالة ماجيستر)

اسم الباحث: الدكتور الحافظ محمد أكرم

اسم الجامعة: الجامعة الإسلامية بَهَاوَلْفور، "باكستان"

عام البحث: ١٩٩٠م

٦. عنوان البحث: الإمام أحمد رضا خان حياتُه وخدماتُه

اسم الباحث: الدكتور طيّب علي رضا الأنصاري

اسم الجامعة: جامعة هِندُو، "بَنَارَس" "الهند"

عام البحث: ١٩٩٣م

٧. عنوان البحث: "كنز الإيمان" وتراجم القرآن بالأرديّة المعروفة، التقابُل فيما بينها

اسم الباحث: الدكتور مجيد الله القادري

اسم الجامعة: جامعة كراتشي، بـ"باكستان"

عام البحث: ١٩٩٣م

٨. عنوان البحث: الإمام أحمد رضا خان البَرَيْلَوي، أحوالُه وأفكارُه وخدماتُه الإصلاحيّة

اسم الباحث: الدكتور الحافظ عبد الباري الصِدّيقي

اسم الجامعة: جامعة السِّند "جامْشورو"، "باكستان"

عام البحث: ١٩٩٣م

٩. عنوان البحث: مدحُ الرَّسول بالأرديّة، والفاضلُ البَرَيْلْوِي
اسم الباحث: الدكتور عبد النعِيم العزيزي
اسم الجامعة: جامعة رُوهِيلْكَنْدْ، "بَرَيْلي" "الهند"
عام البحث: ١٩٩٤م

١٠. عنوان البحث: الشِّعر في مدحِ الرّسول ﷺ لمولانا أحمد رضا خانْ
اسم الباحث: الدكتور سراج أحمد البَستوي
اسم الجامعة: جامعة كانْفور، "الهند"
عام البحث: ١٩٩٥م

١١. عنوان البحث: الإمام أحمد رضا خان وأثرُه في الفقه الحنفي (رسالة ماجستير)
اسم الباحث: السيّد مشتاق أحمد الشَّاهْ الأزهري
اسم الجامعة: جامعة الأزهر الشريف
عام البحث: ١٩٩٧م

١٢. عنوان البحث: التنقيدات الفِكريّة لمولانا أحمد رضا خان
اسم الباحث: الدكتور أنور خانْ
اسم الجامعة: جامعة السِّنْد بـ"جامْشورو"، "باكستان"

عام البحث: ١٩٩٨م

١٣. عنوان البحث: الشيخ أحمد رضا خان البَرَيْلْوي الهندي، شاعراً عربيّاً (رسالة ماجستير)

اسم الباحث: الدكتور ممتاز أحمد السَدِيدِي

اسم الجامعة: جامعة الأزهر الشريف

عام البحث: ١٩٩٩م

١٤. عنوان البحث: تصوّر حُبّ المصطفى ﷺ عند الإمام أحمد رضا

اسم الباحث: الدكتور غلام مصطفى نجم القادري

اسم الجامعة: جامعة مَيسُور "الهند"

عام البحث: ٢٠٠٢م

١٥. عنوان البحث: النَّثر الفَنّي عند الشيخ أحمد رضا خان (رسالة ماجستير)

اسم الباحث: السيّد عتيق الرّحمن الشَّاهْ

اسم الجامعة: الجامعة الإسلاميّة العالميّة، "إسلام آباد"

عام البحث: ٢٠٠٣م

١٦. عنوان البحث: الإمام أحمد رضا ومتكوباته

اسم الباحث: الدكتور غلام جابر شمس المصباحي

اسم الجامعة: جامعة البِهار، مظفر فور "الهند"

عام البحث: ٢٠٠٤م

١٧. عنوان البحث: "الزُّلال الأَنقى من بحرِ سبقةِ الأتقى" للإمام أحمد رضا

اسم الباحث: الدكتور محمد إشفاق الجلالي

اسم الجامعة: جامعة كراتشي، بـ"باكستان"

عام البحث: ٢٠٠٦م

وغيرهم كثيرٌ من الباحثين الذين كتبوا عن سيرة الإمام، ولكن لا نستطيع أن نستوعبَ أسماءَهم في مقالتنا المختصرة هذه.

مراكز البحوث العلمية حول الإمام وعلومه

يوجد كثيرٌ من المراكز العلمية التي تبحث وتهتمّ ببحوث حول الإمام، فمَن يريد الاستزادةَ فليرجع إليها فيستفيد منها -إن شاء الله-، وهذه أسماء بعض تلك المراكز:

١- **"دار أهل السنّة":**

جامع ألماس، عزيز آباد ٨، كراتشي الباكستان

إيميل: dar_sunnah@yahoo.com

٢- الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا:

٢٥ يابان مينشن، ريكل جوك، صدر، كراتشي.

هاتف: ٣٢٧٢٥١٥٠-٩٢٢١/ الفاكس: ٣٢٧٣٢٣٦٩-٩٢٢١

إيميل: imamahmadraza@gmail.com

٣- مؤسّسة رضا:

الجامعة النّظامية الرّضوية، بـ"لاهور" باكستان.

هاتف: ٧٦٥٧٣١٤/ ٧٦٦٥٧٧٢-٩٢٤٢

٤- المجمع الإسلامي:

الجامعة الأشرفيّة، مباركفور، "أعظم جَرَه"، up، الهند.

إيميل: aljamiatulashrafia@redifmail.com

٥- رضا أكادمي:

٢٦/ كامبيكر إستريت "ممبائي"، الهند.

٦- مركز أهل السنّة بركات رضا:

شارع الإمام أحمد رضا، فور بَنْدَر "غُجرات"، الهند.

اعتراف علماءِ العالَم بتفقّهِ الإمام أحمد رضا وكونِه مجدِّداً

لقد ذَاع صيتُ علمِه وفضلِه في أقطار العالَم، لاسيّما في آسيا وبلاد العرب وأفريقيّة، وتأثّر به عددٌ كبيرٌ من علماء العالَم تأثّراً كبيراً، وأعجبوا به إعجاباً عظيماً، وأشادوا بتفقُّهه وإمامته وكونه مجدِّداً، وهذه نبذةٌ مختصرةٌ عن بعضَ أقوالهم وانفعالاتهم وكلماتهم المنوَّهة بهذا الإمام العظيم، اللّهم ارضَ عنه وعنّا به، آمين!.

١- قال الدكتور إقبال[1] الشهير بـ"شاعر المشرق":

"لم يظهر فقيهٌ طبّاعٌ ذكيٌّ مثلُه (أي: الإمام أحمد رضا البَرَيْلْوي) في عهد الهند الأخير، وليس رأيِي هذا إلّا بعدما طالعتُ فتاواه، وتشهد فتاواه بذكائه وفَطانتِه وجودةِ طبيعتِه وكمالِ تفقُّهِه، وتبحّرِه العِلمي في العلوم الدّينية شهادةً عادلةً، وعندما يقيم مولانا أحمد رضا الفاضل البَرَيْلْوي رأياً يقوم عليه بالقوّة، ولا شكّ أنّه لا يُظهِر رأيَه إلّا بعد

---

(١) الدكتور محمد إقبال بن نور محمد، وُلد بـ"سِيَالْكَوتْ" من محافظات بَنْجَابْ، باكستان ٣ ذو القعدة ١٢٩٤هـ، بدأ في الدّراسات الابتدائية في مكتب، ثمّ دخل مدرسة "سكاج مشن" بـ"سيالكوت"، وتخرّج بها من الدراسة الثانويّة، وتخرّج من دراسة الكلّية في العلوم الإنكليزيّة والعربيّة، ومن الدراسة الجامعيّة في الفلسفة بـ"لاهور"، وقد حصلت له الشهرة في الشِّعر فيقال له: شاعر المشرق والفَلسفي، من تصانيفه: "بانكِ درا"، و"بالِ جبريل"، و"ضربِ كليم"، كلّها بالأردية، توفّي في٢١ نيسان ١٩٣٨م، ودُفن في قريب باب المسجد الملكي بـ"لاهور". ("أردو دائرة المعارف الإسلامية " ٣/ ٧- ١٤ تعريباً).

تفكيره العميق، وخَوضِه الطويل؛ لأجل ذلك لا يحتاج إلى الرّجوع والتبديل في فتاواه وقضائِه الشَّرعي"[١]، ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء واللهُ ذو الفضل العظيم.

٢- كتب الطبيبُ عبد الحي النَّدوي[٢]

الأمين العام سابقاً لندوة العلماء لَكنَو (والد أبي الحسن علي النَّدوي)

في "نزهة الخواطر"[٣]:

"يندر نظيرُه في عصره في الاطّلاع على الفقه الحنفي وجزئيّاتِه، يشهد بذلك مجموع "فتاواه" وكتابُه "كِفل الفقيه الفاهِم في أحكام قِرطاس الدَّارهم" الذي ألّفه في مكّة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة وألف"[٤].

---

(١) انظر: "معارف رضا" العدد السَّنوي: ١٤٠٧هـ، صـ١٩٣.

(٢) عبد الحي بن فخر الدّين بن عبد العلي الحسني، باحث مؤرِّخ هندي، وُلد عبد الحي في زاوية السيّد علم الله (على بُعد ميلَين من بلدة "راي بَرَيلي" من أعمال لَكنَؤ)، وقرأ الفقه والأدب وبعض كُتب الطبّ في لَكنَؤ، واستقرّ فيها مديراً لأعمال ندوة العلماء، وتوفّي ١٣٤١هـ، دُفن بظاهر بلدة "رأي بَرَيلي"، له تصانيف منها: "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" بالعربيّة، وصنّف كتباً باللغة الأردية شعراً وأدباً تراجم وتاريخاً.

("الأعلام" ٣/ ٢٩٠، ٢٩١ ملتقطاً).

(٣) "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر": لعبد الحي بن فخر الدّين بن عبد العلي الحسني، توفّي ١٣٤١هـ. ("الأعلام" ٣/ ٢٩٠، ٢٩١ ملتقطاً).

(٤) "نزهة الخواطر" حرف الألف، تحت ر: ٣٢، ٨/ ٥٢.

وقد كان الإمام الفاضل البَرَيْلْوي تشرّف بزيارة الحرمَين الشريفَين مرّتَين، مرّةً في شبابه مع والده الجليل مولانا نقي علي ﷺ سنة ١٢٩٥هـ الموافقة ١٨٧٨م، وأخرى عام ١٣٢٣هـ الموافقة ١٩٠٥م، ولقي الإمامُ في سفره حفاوةً بالغةً وترحيباتٍ حارّةً، ونال تقديراً وتوقيراً من علماء الحرمَين الكريمَين لا يتصوّر أحدٌ مقدارَ علمه إلّا مَن يطالع كتابَه "الدَّولة المكيّة" (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) وغيرها من الكتب، وصنّف الإمام خلالَ إقامته بالحرمَين الشّريفَين كتباً قيمةً هامّةً ثمينةً، كما حرّرَ عبد الحيّ المذكور: "وسافَر (الإمام أحمد رضا البَرَيْلْوي إلى الحرمَين الشريفَين)، وذاكَر علماءَ الحجاز في بعض المسائل الفقهيّة والكلاميّة، وألّف بعضَ الرّسائل أثناء إقامته بالحرمَين، وأجاب عن بعض المسائل التي عرضتْ على علماء الحرمَين، وأعجبوا بغزارة عِلمه وسِعة اطّلاعه على المتون الفقهيّة والمسائل الخلافيّة وسرعة تحريره وذَكائه"[1].

٣- رقم الشيخ مولانا محمّد كريم الله[2] المهاجر المدني قائلاً عن الإمام:

هو"الإمام الهمام المحقّق المدقِّق، سيّدي ومَلاذي، مجدّد هذا الزّمان، عبد المصطفى -فداه روحي وقلبي- مولانا محمد أحمد رضا خان، سلّمه الله الحنّان

---

(١) المرجع السابق، صـ٥٠ ملتقطاً.

(٢) كان من إقليم البنجاب باكستان، وكان المجاز من الشاه غلام محيي الدّين (ت١٣٣٠هـ) من صغره، وهاجَر قبل سنة ١٣٢٣هـ من بنجاب إلى المدينة المنوّرة، تتلمذ على الشيخ عبد الحق الإله آبادي المهاجر المكّي. وكان حيّاً سنة ١٣٣١هـ في المدينة المنوّرة.

("تاريخ الدولة المكية" صـ٦٥ تعريباً).

المنّان"(١) -وقال-: "إنّي مقيم بالمدينة الأمينة منذ سنين، ويأتيها من الهند ألوفٌ من العالمين، فيهم علماء وصلحاء أتقياء، رأيتُهم يدورون في سِكك البلد لا يلتفت إليهم من أهله أحد، وأرى العلماءَ الكِبارَ العظماء إليك مُهرِعين، وبالإجلال مسرعِين، ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم"(٢).

وكان الإمام أحمد رضا قد أرسل بعضَ أوراق من "الفتاوى الرّضوية" إلى الشيخ إسماعيل خليل أمينُ مكتبة الحرم المكّي، فحرّر انطباعاتِه في رسالةٍ رُقمتْ في ١٦ من شهر ذي الحجّة ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م، فكتب: "تفضّل علينا سيّدُنا بعدّةِ أوراقٍ من "فتاواه"، نرجو الله -عزّ شأنه- أن يسهّلَ ويقاربَ لكم الأوقات لإتمامها في أقرب حين؛ فإنّها حَريّة بأن يعتنى بها، جعلها الله تعالى لكم ذُخراً ليوم المعاد، والله أقول!، والحقِّ أقول!: إنّه لو رآها أبو حنيفة النعمانُ لأقرّت عينُه، ولجعل مؤلِّفَها من جملة الأصحاب"(٣).

٤- أيضاً قال الشيخ أحمد أبو الخير مرداد المكّي الحنفي:

"الحمد لله على وجود مثل هذا الشيخ؛ فإنّي لم أر مثلَه في العلم والفصاحة وسعة الباع مع حُسن سبك العبارة، إنّ الشيخ قد نحى في رسالته نحوَ الصّواب بلا شكٍّ فيه ولا ارتياب، ومَن طالَعها لم يبق له فيها شبهة ولا مرية"(٤).

---

(١) "الدولة المكيّة بالمادة الغيبية" تقريظ الشيخ محمد كريم الله المهاجر المدني، صـ٢٠١.

(٢) "الإجازات المتينة" مقدّمة، صـ٣٠.

(٣) المرجع السابق، كتاب العلاّمة الجليل السيّد إسماعيل أمين مكتبة الحرم المكّي، صـ٣٢.

(٤) "الإجازات المتينة" كتاب العلاّمة الجليل السيّد إسماعيل أمين مكتبة الحرم، صـ٣٤.

٥- أيضاً رقم الشيخ إسماعيل خليل أمين مكتبة الحرم المكّي فقال:

"شيخنا العلّامة المجدّد، شيخ الأساتذة على الإطلاق، المولوي الشيخ أحمد رضا"[١]... إلخ.

٦- سطر الشيخ محمّد سعيد بابصيل[٢] مفتي الشّافعية وشيخ العلماء بمكّة المحميّة،

بعدما قرّظ كتابَ "الدّولة المكّية" للإمام أحمد رضا:

"هذا ما تيسّر لي من نصرة هذا الإمام الكامل"[٣].

(١) "الدولة المكّية" تقريظ الشيخ السيّد إسماعيل خليل، صـ١٣٨.

(٢) محمد سعيد بابُصَيل الحَضرَمي المكّي الشّافعي، مفتي الشافعيّة وشيخ العلماء بمكّة المكرّمة، وُلد بها عام ١٢٤٥هـ، وتلقّى من علماء المسجد الحرام في عصره، ولازَم السيّد أحمد زَيني دَحلان وتخرّج على يدَيه، أخذ عن الشيخ رحمة الله الكيرانوي أيضاً، ثمّ تصدّر للتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه الشيخ عبد القادر المنديلي وغيره، عُيّن أميناً، ثمّ تولّى الإفتاء، توفّي بمكّة المكرّمة سنة ١٣٣٠هـ. ("الإمام أحمد رضا المحدّث البَرَيْلْوي وعلماء مكّة المكرّمة"، صـ٢٥١، ٢٥٢ ملتقطاً وتعريباً).

(٣) "الدّولة المكّية" تقريظ الشيخ محمد سعيد بن محمد بابُصَيل، صـ١٤٢.

٧- حرّر الشيخ عبد الله بن عبد الرّحمن سراج[1] مفتيّ الحنفيّة بـ"مكّة المحميّة":

"أمّا بعد: فله الحمد ﷻ قد أوجد العلماءَ في الأعصار والأمصار، وجدَّد بهم الدّين، وأودَعَ في قلوبهم من الأسرار والأنوار ما أوزعت به نفوسُهم تمام التبيين، وضمائرهم كمال التحقيق واليقين، وإنّ منهم العلاّمة الفهّامة الهمام والعمدة الدرّاكة، ألا! إنّه ملِك العلماء الأعلام، الذي حقّق لنا قولَ القائل الماهر: "كم ترك الأوّلُ للآخِر"[2].

٨- كتب الشيخ عبد الله بن محمد صدقة زَيني دَحلان الجيلاني المكّي

قائلاً عن الإمام: "صاحب التصانيف الدالّة على وفرة اطّلاعِه وغزارةِ مادّتِه وطول باعِه، الإمام الذي ما ترك باباً مغلَقاً إلّا فتح صياصِيه، ولا أمراً مشكلاً إلّا أوضَح مبانِيه، جناب الأستاذ الفاضل والهمام الكامل"[3].

٩- حبر السيّد حسين ابن العلاّمة السيّد عبد القادر الطرابلسي قائلاً:

"العلاّمة النحرير، والفهّامة الشهير، حامي الملّة المحمديّة الظاهرة، ومجدّد المئة الحاضرة، أستاذِي وقدوتِي مولانا الشيخ أحمد رضا"[4].

---

(١) الشيخ عبدالله بن عبد الرّحمن سراج، وُلد في مكّة المكرّمة سنة ١٢٩٣هـ، وتعلّم في جامعة الأزهر ثمّ دار بعض بلاد الهند، ثمّ أقام في أستانبول عدة سنين، وفي آخر أيّام عهد العثماني كان مفتي الأحناف، وفي عهد الهاشمي كان قاضياً، ثمّ هاجر إلى أردن إلى أن توفّي في عمان سنة ١٣٦٨هـ ودُفن في عمان. ("تاريخ الدولة المكيّة" صـ١٠٥ ملتقطاً وتعريباً).

(٢) "الدّولة المكّية" تقريظ الشيخ عبدالله بن عبد الرّحمن سراج، صـ١٤٣.

(٣) المرجع السابق، تقريظ الشيخ عبدالله بن محمد صدقة زَيني دَحلان، صـ١٥١.

(٤) المرجع السابق، تقريظ الشيخ حسين بن عبد القادر الطرابلسي، صـ١٧٠.

١٠- سجّل السيّد أحمد بن علي المهاجر[١] في "المدينة المنورة":

"المحقّق المدقِّق العلّامة الفهّامة الفاضل الكامل، ذو التصانيف الشهيرة، والتآليفات الكثيرة، مجدّد المئة الحاضرة، شيخنا وأستاذنا ومولانا المولوي أحمد رضا"[٢]... إلخ.

١١- قال العلّامة موسى بن علي الشّامي الأزهري الأحمدي[٣]:

"إمام الأئمّة، المجدِّد لهذه الأمّة أمر دينها، المؤيّد لنور قلوبها ويقينها الشيخ أحمد رضا"[٤] ...إلخ.

١٢- كتب شيخ العلوم والطريقة الشيخ ياسين أحمد الخياري[٥]

وهو بحَرَم سيّد الخليقة ﷺ ناعتاً الشيخ أحمد رضا بقوله:

---

(١) أحمد بن علي الهندي الرامْفوري: فقيه حنفي (ت بعد ١٣١٣هـ). له: "رسالة في أشراف الكيلانيّين الحَمَويّين القاطنين بالهند". ("الأعلام" ١/ ١٨٣).

(٢) "الدولة المكّية" تقريظ الشيخ أحمد علي الهندي الرامفوري، صـ١٧٩.

(٣) الشيخ الشريف موسى بن علي الشّامي (كان حيّاً في عام ١٣٣١هـ)، كان من الشّام، ولكن تعلّم في جامعة الأزهر، ثمّ هاجَر إلى المدينة المنوّرة، عالمٌ مالكيٌّ، مدرّسٌ بالمسجد النّبوي. ("تاريخ الدّولة المكّية" صـ١٢٤ تعريباً).

(٤) "الدّولة المكّية" تقريظ الشيخ موسى بن علي الشّامي، صـ٢٠٤.

(٥) الشيخ ياسين أحمد الخياري (ت١٣٤٤هـ)، وُلد في بلدة مصر المنصورة، وتعلّم في جامعة الأزهر، ثمّ هاجَر إلى المدينة المنوّرة، حافظ القرآن الكريم، عالمٌ شافعيٌّ، شيخ القرّاء في المدينة المنوّرة، مدرّسٌ بالمسجد النّبوي. ("تاريخ الدّولة المكّية" صـ١٢٥ تعريباً).

"هو إمام المحدِّثين، وحسامٌ في رقاب المُلحِدين، وحيد الزَّمان، وفريد الأوان، مولانا الكامل السيّد أحمد رضا خان"[١] ...إلخ.

١٣- خطّ العلّامة يوسف بن إسماعيل النَبهاني[٢]:

طلب منّي بعضُ الأفاضل من أهل السنّة والعترة الطاهرة أهل المدينة المنورّة، وهو السيّد أمين رضوان أن أقرِّظَ هذا الكتاب المسمّى بـ"الدّولة المكيّة بالمادة الغيبية" تأليف الإمام العلّامة الشيخ أحمد رضا الهندي، قرأتُه من أوّله إلى آخره، فوجدتُه من أنفَع الكتب الدِّينيّة وأصدَقها لهجةً، وأقواها حجّةً، ولا يصدر مثلُه إلّا عن إمامٍ كبير، وعلّامةٍ نحرير، فرضي الله عن مؤلِّفه وأرضاه"[٣] ...إلخ.

---

(١) "الدَّولة المكّية" تقريظ الشيخ ياسين أحمد الخياري، صـ٢٠٩.

(٢) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَبهاني البَيروتي الشّافعي، أديب، من رجال القضاء، نسبته إلى "بني نَبهان" من عرب البادية بـ"فلسطين"، استوطنوا قرية "إجْزِم"، وبها وُلد ١٢٦٦هـ ونشأ، وتعلّم بالأزهر بـ"مصر"، وسافَر إلى "المدينة" مجاوِراً، فعاد إلى قريته وتوفّي بها ١٣٥٠هـ. من مؤلَّفاته النفيسة: "جامع كرامات الأولياء" مجلّدان، و"أفضل الصّلوات على سيّد السّادات"، و"حجّة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسَلين"، و"الأنوار المحمّدية مختصر المواهب اللدنّية"، و"شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيّد الخَلق" في مجلّد ضخم، وهو من أمتَع مؤلَّفاته وأنفسها، و"سعادة الدارَين في الصّلاة على سيّد المرسَلين".

("فهرس الفهارس" ٢/ ١١٠٧-١١٠٩ ملتقطاً. و"الأعلام" ٨/ ٢١٨ ملتقطاً).

(٣) "الدّولة المكّية" تقريظ الشيخ الإمام يوسف إسماعيل النَبهاني، صـ٢١٢.

١٤- قال مولانا السيّد محمد عثمان القادري[١]:

"فريد الدَّهر، ووحيد العصر، الفاضل الكامل، العالم العامِل، قامع البدعة، ناصر السنّة، المحقِّق المدقِّق، الإمام الهمام لهذا الزّمان، مولانا الحاج سيّدِي محمّد أحمد رضا"[٢]...إلخ.

١٥- قال مولانا الشيخ عبد الرّحمن الدَهّان:

"زبدة الفضلاء الرّاسخين، علّامة الزّمان، واحد الدّهر والأوان، الذي شهد له علماءُ البلد الحرام بأنّه السيّد الفَرد الإمام"[٣].

١٦- قال مولانا الشيخ عابد بن حسين المالكي:

"لما وفّق اللهُ لإحياء دينِه القويم، في هذا القَرن ذي الفِتن والشَّرّ العميم، مَن أراد به خيراً مِن ورثة سيّد المرسَلين، سيّد العلماء الأعلام، وفخر الفضلاء الكِرام، وسعد الملّة والدّين، أحمد السِّير والعدل الرِّضا في كلّ وطر، العالم العامل ذو الإحسان، حضرة المولى أحمد رضا"[٤].

(١) ذكره في "تاريخ الدولة المكية" صـ١٣٢.

(٢) "الدّولة المكية" تقريظ الشيخ السيّد محمد عثمان القادري الحيدرآبادي، صـ٢٣١.

(٣) "حُسام الحرمين على منحر الكفر والمين"، تقريظ الشيخ عبد الرّحمن الدهّان، صـ٩٧.

(٤) "حسام الحرمَين" تقريظ مفتي المالكيّة الشيخ عابد بن حسين، صـ٨٦.

١٧- قال الشيخ ضياء الدّين أحمد المهاجر المدني:

"إمام أهل السنّة، مجدّد الدّين والملّة، وحيد العصر، فريد الدّهر، الإمام الهمام العلّامة الشَّاهْ عبد المصطفى أحمد رضا ﷺ كان مجدّدَ هذا القرن بالحقّ، عماد الإسلام في الواقع، ومحافظ السنّة، كان سيّدنا "أعلى حضرة" عظيم البركة بطلاً جليلاً بأوصافه الدِّينية، وخدماته العِلميّة، ومآثره التجديديّة العظيمة"[1].

١٨- الشيخ محمد جمال بن محمد الأمير بن حسين المالكي:

"العالم العلّامة المفرد، والسيّد الحبر الأمجد، شيخنا الشيخ أحمد رضا خانْ"[2].

١٩- الشيخ محمّد مختار بن عطارد الجاوي[3]:

"سلطان العلماء المحقِّقين في هذا الزّمان، وأنّ كلامه حقٌّ صراح، فكأنّه من معجزات نبيّنا ﷺ أظهره الله تعالى على يد هذا الإمام، وهو سيّدنا ومولانا، خاتمة

---

(١) انظر: مقدّمة "الفضل الموهبي" صـ١٦، ١٧.

(٢) "الدَّولة المكّية" تقريظ الشيخ محمد جمال بن محمد الأمير بن حسين، صـ١٥٨.

(٣) الشيخ محمد مختار بن عطارد الجاوي، وُلد في أندونيسيا، ثمّ هاجَر إلى مكّة المكرّمة في سنة ١٣٢١هـ، وهنا توفّي ١٣٤٩هـ، عارف بالله عالمٌ شافعي، بارع في الفلكيات، مدرّس بالمسجد الحرام، وكان بيته أيضاً مدرسة، وأخذ عنه كبارُ العلماء من العرب والعجم، وله مصنَّفات منها: "إتحاف السّادة المحدِّثين بمسلسلات الأحاديث الأربعين" و"جمع الشوارد من مرويات ابن عطارُد" و"الموارد في شيوخ ابن عطارد". ("تاريخ الدَّولة المكّية" صـ١١٤، ١١٥ تعريباً)

المحقِّقين، وعمدة العلماء السُنّيين، سيّدِي أحمد رضا خان، متّعنا الله ببقائه، وحماه من جميع مَن أراد به سوءاً، وحشره الله وإيّانا في زمرة النّبيّين والصدّيقين"[١].

٢٠- كتب الشيخ علي بن أحمد المحْضار[٢]:

"إنّي قد نظرتُ في هذه الرّسالة نظرَ تأمّلٍ وإمعان، فألفيتُها في غايةٍ من الحُسن والتحقيق والإتقان، كيف لا وهي جمعُ مَن أغاث الله به المسلمين في هذا الزّمان...! العلّامة الكامل الشيخ الفاضل أحمد رضا خان"[٣].

٢١- كتب الشيخ عبد الحميد بن محمد العطّار[٤]:

"العلّامة المدقِّق، الدرّاكة المحقِّق، المولى الهمام أحمد رضا خان، أحد مشاهير علماء الهند الأعلام"[٥].

---

(١) "الدَّولة المكّية" تقريظ الشيخ محمد مختار بن عطارد الجاوي، صـ١٦٦.

(٢) الشيخ السيّد علي بن أحمد المحضار، كان مدرِّساً في المسجد النّبوي، أحد علماء الشّافعية، أسرته من حضرموت اليمن من السادات الحسينية باعلوية.

("تاريخ الدولة المكية" صـ ١٢١ تعريباً).

(٣) "الدَّولة المكّية" تقريظ الشيخ علي بن أحمد المحْضار، صـ١٨١.

(٤) ذكره في "تاريخ الدولة المكية" صـ١٢٩.

(٥) "الدَّولة المكّية" تقريظ الشيخ عبد الحميد بن محمد العطّار، صـ٢٢٤.

٢٢- قال الشيخ السيّد يوسف عطاء البغدادي[١]:

"مولانا الفاضل صاحب العرفان، سيّدي الشيخ أحمد رضا خان القادري"[٢].

٢٣- قال الشيخ محمد أمين سوَيد الدِّمشقي[٣]:

"العلّامة الكبير، والفهّامة الشهير، الألمعي المحقِّق، اللوذعيّ المدقِّق، الشيخ أحمد رضا خان"[٤]... إلخ.

٢٤- قال الشيخ محمّد الدِّمشقي[٥]:

"مرشِد السّالكين الملحوظ بعناية المعيد المبدئ، العالم الفاضل الشيخ

---

(١) يوسف بن محمد نجيب العطا (ت١٣٧١هـ) عالمٌ بالحديث، بغدادي، كان مدرِّس الشعبة الدِّينية العالية في جامعة آل البيت ببغداد، له: رسالة في علم الحديث. ("الأعلام" ٨/ ٢٥٣).

(٢) "الدَّولة المكّية" تقريظ الشيخ السيّد يوسف عطاء البغدادي، صـ٢٣٠.

(٣) محمد أمين بن محمد بن علي سوَيد فقيه مناظر، له علمٌ بالفرائض، دِمَشقِيُّ المولد والوفاة (ت١٣٥٥هـ)، تعلّم بـ"دِمشق" وبـ"الأزهر"، وقام برحلاتٍ إلى "تركيا" و"الهند" و"بُخارى" و"اليمن" و"المغرب"، وألقى دروساً عامّةً في مكّة المكرَّمة مدّة سنة، ودرّس أصول الفقه في معهد الحقوق بدِمشق، وصنّف "تسهيل الحصول على قواعد الأصول"، و"علوم القرآن". ("الأعلام" ٦/ ٤٤).

(٤) "الدَّولة المكّية"، تقريظ الشيخ محمد أمين سوَيد الدِّمشقي، صـ٢٣٥.

(٥) الشيخ محمد الدمشقي، ولد في دمشق وسكن في إستانبول.

("تاريخ الدولة المكية" صـ١٣٣ تعريباً).

أحمد رضا خانْ الهندي البَرَيْلْوي، أسكنه الله تعالى الجنّة بفضله وكرمه، آمين!"[١].

كما أقرّ هؤلاء العلماء من العالَم الإسلامي بعبقريّته وإمامته وبكونه مجدِّداً، كذلك اعترف جلّ علماء أهل السنّة في "الهند" و"الباكستان" عن عبقريّته وإمامته وبكونه مجدِّداً، فمن يريد التفصيل عن ذلك فليراجع التقاريظ الجليلة في "الدّولة المكّيّة"، و"حسام الحرمين"، و"الصّوارم الهنديّة"[٢]، و"حياة الموات في بيان سماع الأموات"، و"فتاوى الحرمَين برَجف ندوة المين" للإمام أحمد رضا.

وفاة الإمام

ارتحل هذا الإمام إلى رحمة الله تعالى ٢٥ صفر الخير ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، وقت صلاة الجمعة أوان قول المؤذِّن: "حيّ على الفلاح" ببلدة "بَرَيْلي"، لقد صدق مَن قال: "موت العالِم موت العالَم"، ولكن هذا المرتحل لم يكن عالماً فقط، بل كان عبقريّ الإسلام وإمام أهل السنّة والجماعة، فترك فراغاً لا يملأ، ويستمرّ الفراغ إلى الآن، فكما ورد: "قبض العلم يكون بموت العلماء" ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وكان الإمام المرتحل استخرج سنةَ وفاته بحساب الجمّل قبل ارتحاله بخمسة أشهُر برمضان سنة ١٣٣٩هـ من هذه الآية: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الإنسان:١٥]، فجزاهم الله تعالى عنّا وعن جميع المسلمين خيراً، آمين

---

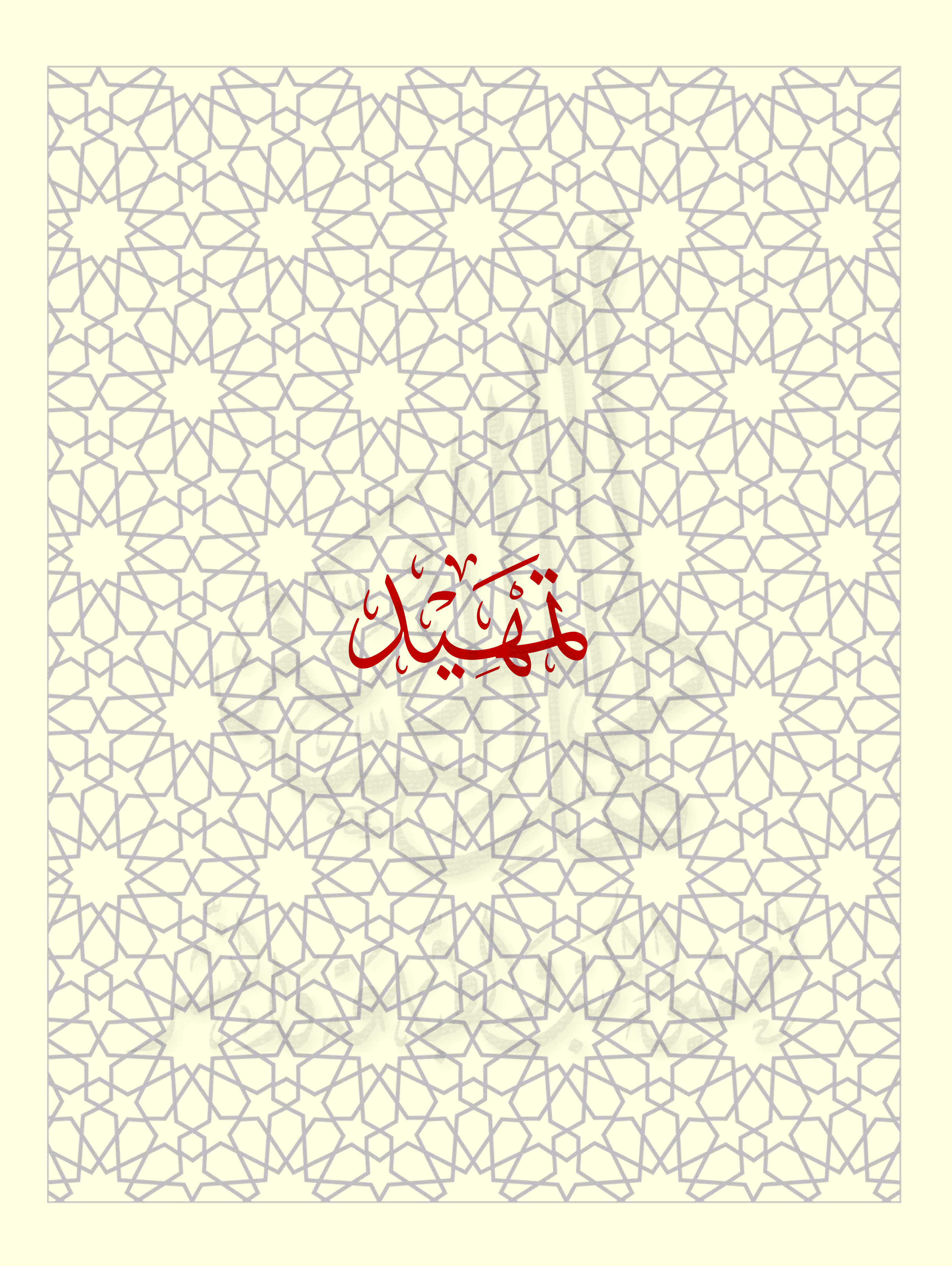
(١) "الدَّولة المكّية" تقريظ الشيخ محمد الدِّمشقي، صـ٢٣٩.

(٢) "الصَّوارم الهنديّة": لمناظِر الإسلام العلاّمة حَشمَتْ علي خان اللَكنوي (ت١٣٨٠هـ)، جمع فيه تصديقات علماء أهل السنّة والجماعة في الهند وتقاريظهم على "حسام الحرمَين".

بجاه النّبي الأمين، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصّلاة وأكرم التسليم، وصلّى الله تعالى على خير خلقه ونور عرشه، سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين!.




دار أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر



تَمْهِيد


دار أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

تمهيد

الحمد لله العليّ الكبير المتعال، العليم الخبير في كلِّ حال، لا يخفى عليه شيءٌ في السّماوات والأرض حتّى ذرّات الرّمال، وصلواته الزّاكيات الذّكيات، وتسليماتُه العاطِرات العابقات على سيّد السّادات، مَنبع الخيرات ومَصدر الكمالات، الذي أظهِر عليه أسرارُ الكَون والخافيات، سيّدنا ومولانا محمّد حبيبه المصطفى وصفيّه المجتبى، الذي أنزلَ عليه الكتابُ تبياناً لكلّ شيء، وعلى آله الطيّبين الطاهِرين أهل التّقى، وأصحابه المكرَمين نُجوم الهُدى، ومَن تبعَهم في جميع مجالات ودُروب الحياة بإحسانٍ إلى يوم يجزى فيه الجزاء الأَوفى.

كما لا يخفى على السّادة القرّاء أنّ الإمام أحمد رضا خانْ الحنفي القادري ﵀ من أبرَز العلماء في شِبه القارّة هند وباكستان، هو محدِّثٌ كبير، فقيهٌ عظيم، بذلَ جميعَ مجهوداتِه ومَساعيه لنشر تعاليم الإسلام وِفق الهداية السّماوية، وضحَى نفسَه ونفسيه لتكونَ كلمةُ الله العُليا، في سائر بقاع الدّنيا، وجاء بمؤلَّفاته الغالية الكثيرة، وهي تتفرّد في تنوّع مَوضوعاتها، وتمتاز في ندرة تحقيقِها، في اللّغات المختلفة، ومنها مؤلَّفه القيم **"الدَّولة المكيّة بالمادّة الغَيبيّة"**، وألّفه مجيباً عن الأسئلة التي رُفعت إليه من جوانب في بلد الله الأمين عن علوم مغيّبات النّبي الأمين -عليه أزكَى الصّلاة وأحلَى التسليم-، فكشفَ فيه الحقائقَ وأوضحَ الدّقائق، بالأدّلة القاطعة والبراهين السّاطعة، من آيات الله البيّنات والأحاديث الطيّبات، كما استدلَّ على عموم علم النّبي ﷺ بما كان وما يكون ببعض الآيات الكريمة في "النّظر الخامس" من كتابه، قائلاً:

"أنا **أقول** وبالله التوفيق: هذا كلام ربّنا ﷻ قولاً فصلاً وكلماً عدلاً قائلاً، وقوله الحقّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]"(١).

ثمّ بيّن وجوهَ الاستدلال وقال فيها: "قد بيّن في علم الأصول أنّ النّكرةَ في حيّز النّفي تعمّ"(٢).

ففي هذا المقام جاء المصنّفُ بحاشيةٍ مفصّلةٍ ردّ فيها قولَ مَن ادّعى الاتفاقَ على التخصيص ردّاً بليغاً، وأثبتَ العموم، وهذه الحاشيةُ تحتوي على عدة صفحات، تبدأ بقوله: "**أقول**: الخلافُ لم تخف عنّا، ولكن إذا جاء نهرُ الله بطلَ نهرُ معقل، ومن شدّة قُصور النّظر ادّعاءُ التخصيص"(٣) ...إلخ.

وقال في نهاية هذه الحاشية: "اعلم أنّ هذا الفصلَ لخّصتُه من رسالتي "إنباء الحَي" والآن أريد أزِيد فصولاً منها؛ لأنّ المقامَ يقتضي ذلك، وبالله التوفيق!"(٤).

تتبيّن من العبارة المذكورة أنّ هذه الحاشية فصلٌ من رسالته "إنباء الحَي"، وقوله فيها: "الآن أريد أزِيد فصولاً" تدلّ على مشمولاتٍ أخرى؛ لأنّ "إنباء الحَي" حاشية على "الدَّولة المكيّة بالمادّة الغَيبيّة" وهي محتويةٌ على فصولٍ عديدة.

---

(١) "الدولة المكية"، النظر ٥، صـ١٦٤، ١٦٥.

(٢) "الدولة المكية"، النظر ٥، صـ١٦٨.

(٣) "الدولة المكية"، النظر ٥، صـ١٦٨.

(٤) "الدولة المكية"، النظر ٥، صـ١٧٤.

فيلائم لنا نقلُ عبارات الاستدلال ووُجوه الاحتجاج المذكورة في النّظر الخامس من "الدَّولة المكيّة" التي تتعلّق بها هذا الفصلُ؛ ليسهلَ على السّادة القرّاء الكِرام مقامُ ارتباطها بـ"الدولة المكية"، ولتتكمّل رسالة "إنباء الحَي".

وصلّى الله تعالى على نبيِّه وحبيبِه وصفيِّه سيِّدنا محمدٍ شفيع الورى، وعلى آله وصحبه وبارَك وسلَّم.

المفتي محمد عبد القيوم القادري الهزارْوي

المتوفى ١٤٢٤هـ

رئيس الجامعة النّظامية الرَّضوية

لاهور- جُمهورية باكستان الإسلاميّة


لتحقيق الكتب والطباعة والنشر



عبارة
الدولة المكية


دار أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشّيخ الإمام أحمد رضا خانْ في "النّظر الخامس" من كتابه "الدولة المكيّة بالمادّة الغَيبيّة": وأنا أقول وبالله التوفيق: هذا كلامُ ربّنا ﷻ قولاً فَصلاً وحُكماً عَدلاً قائلاً وقولُه الحقّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّحل: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]. وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. فالقرآن العظيم شهيدٌ، وما أعظَمَه من شهيدٍ أنّه تبيانٌ لكلِّ شيء، والتبيانُ: البيانُ[1]

---

(١) زعم (ص١٠) [هذا حسب نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، فالباب ١، الوجه ٢، صـ ٣٢٦، ٣٢٧] بعضُ العصريين -مصنّف "غاية المأمول"-: "أنّ المرادَ بالبيان الواضح البليغ كثرةُ القضايا المبنية فيه، فالمبالغةُ باعتبار الكَم لا باعتبار الكَيف". قال: "ونظير هذا قولُهم: فلانٌ ظالمٌ لعبده، وظلّامٌ لعبيده، وعلى ذلك حمَلَ بعضُهم قولَه تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]".

أقول: لعمرك! هذا لهو التحويلُ الشّديد، والقياسُ على ﴿ظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سحيقٌ بعيد؛ فإنّ التبيانَ مضافٌ إلى كلّ فردٍ فردٍ، ولو من الأحكام الدِينيّة على زعم التخصُّص، فلا يكتسب الكثرة من كثرة المتعلّقات، كما اكتسب الظلم في ظلّامٍ لعبيده من تعلّقه بكثيرين، فما نحن فيه ليس كقولهم: ظلّام لعبيده، بل كأن يقال: ظلّامٌ لكلِّ منهم، ولا مساغَ فيه لما زعمَ كما لا يخفى.

ثمّ إذا تعلّقت المبالغةُ في البيان بكلّ فردٍ فردٍ، لم يُفِد الفرقُ بالكَم والكَيف، كيف وإنّ كلَّ شيءٍ أو كلَّ حكمٍ دينيٍّ إذا تعلّقت به بياناتٌ كثيرةٌ، أوجبت له إيضاحاً بالغاً، وهو المقصود.

=

الواضحُ الجليّ، الذي لا يُبقِي خفاءً؛ فإنّ زيادةَ المَباني دليلُ زيادة المعاني، والبيانُ لابدَّ له من مبيِّنٍ، وهو اللهُ ﷻ، ومبيَّنٍ له وهو الذي نزلَ عليه القرآنُ سيّدنا رسول الله ﷺ.

والشّيءُ عند أهل السنّة كلُّ موجود، فدخلَ فيه جميعُ الموجودات من الفَرش إلى العرش، ومن الشَّرق إلى الغَرب، من الذّوات والحالات والحرَكات والسَّكَنات واللَّمحات واللَّحظات والخطَرات والإرادات ...إلى غير ذلك. ومن جملتها كتابةُ اللَّوح المحفوظ، فلا بدّ أن يكونَ القرآنُ الكريم بياناً واضحاً وتفصيلاً تامّاً لكلّ ذلك.

ولنسأل عن هذا أيضاً الفُرقانَ الحكيم أنّ اللَّوحَ ماذا كتبَ فيه؟ قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي

=

ثمّ علاوةً عليه شيءٌ آخَر لم يتفطّن له، وإلّا لما ارتضاه، وهو أنّه يؤوّل على هذا، والعياذُ بالله إلى فريةٍ على الله تعالى، أنّه بيّن في القرآن كلَّ حكمٍ مراراً؛ كَي تعرض لبيانِ كلِّ حُكمٍ الكثرةُ الكميّة، وهو واضحُ البطلان بشهادة العَيان.

ثمّ هذا المرادُ مع بطلانه ليس من المأثور في شيءٍ، ولا عبرةَ بزَلّةٍ حدثتْ قريباً، فالحكمُ بأنّ مرادَ الله تعالى كذا، هو التفسيرُ بالرّأي، وهو المنهي عنه؛ لكونه شهادةً على الله تعالى: أنّه عنى باللّفظ هذا مع قيام الدّليل على بطلانه، فضلاً عن عدم قيام دليلٍ ظنّيٍ على صحته، خلفةً عن قيام دليلٍ قطعيٍّ به (انظر: رسالتهم صـ٥ [هذا حسب نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، فالباب ١، الوجه ١، صـ٣٠٦، ٣٠٧])، فليجعله أشدَّ من أشدِّ من مصداقِ قولِ الإمام الماتُريدي رحمه الله [هذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، فالباب ١، الوجه ١، صـ٣٠٦، ٣٠٧]، ولكن نسأل اللهَ لنا جميعاً العفوَ والعافيةَ، انتهى. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] سلّمه الله تعالى. (مدنيّة)

إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقد بيّن صحاحُ الأحاديث أنّ اللَّوحَ مكتوبٌ فيه كلُّ كائنٍ من أوّل يومٍ إلى اليوم الآخِر، بل إلى دخول أهل الدّارَين مَنازلهم، وهو المرادُ بما جاء في حديثٍ من لفظة «إلى الأبَد»[١]؛ فإنّ الأبَدَ يُطلَق ويُراد به الأمدُ المديدُ فيما يأتي[٢] كما في "البَيضاوي"[٣]، وإلّا تفاصيلُ[٤] ما لا يتناهَى لا يتحمّله ما تناهَى، كما لا يخفى. وهذا

---

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب تفسير القرآن، [باب] ومن سورة نون والقلم، ر: ٣٣١٩، صـ٧٥٧، عن عُبادة بن الصّامِت قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ أوّلَ ما خلقَ اللهُ القلمَ فقال له: اكتبْ! فجَرى بما هو كائنٌ إلى الأبد» [قال أبو عيسى]: وفي الحديث قصّة. [قال]: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب، وفيه عن ابن عبّاس.

(٢) أي: في "الدولة المكية" القسم ٢، صـ ٢٥٩.

(٣) أي: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل": للقاضي الإمام العلّامة ناصر الدّين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشّافعي، المتوفّى سنة ٩٨٥هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٩٧).

(٤) انظر هذا التصريح الجلي، وأنصُّ منه ما قدّمتُ في النّظر الأوّل: "أنّ العرشَ والفرش حدّانِ حاصرانِ، وأوّلُ يومٍ إلى اليوم الآخِر حدّانِ آخَرانِ، وما كان محصوراً بين حاصرَين لا يكون إلّا متناهياً" [أي: في "الدولة المكية" النظر ١، صـ ١٠١، ١٠٢]. ثمّ إن كان عندك عجبٌ فأعجب ممن دَندَنوا عليه بوجهَين، **أحدهما**: "أنّ القرآنَ باعتبار ألفاظِه متناهٍ لا يجوز أن يحيطَ بغير المتناهي" ["غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣٠، ٣٣١ ملتقطاً] ...إلخ. وهذا كما ترى ردٌّ على وهمٍ تصوّروه، بل خلقوه وصوّروه.

=

هو المعبَّرُ عنه بما كان وما يكون. وقد بيّن في علم الأصول أنّ النَّكِرةَ في حيّز النّفي تعمُّ[1]، فلا يجوز أن يكونَ اللهُ تعالى فرّطَ في كتابه شيئاً. وإنّ لفظةَ "الكلّ" من أنَصِّ

=

والثاني: زعم أن لو لم ينصّ القرآنُ المجيد على غير المتناهي بالفعل تفصيلاً، لم يدخل في ذلك على وجه اليقين المغيّباتُ الخمس. ["غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣١، ٣٣٢] ...إلخ.

وقد علمتَ أنّ مقصودَنا إحاطةُ ما كان وما يكون المثبت في اللَّوح المحفوظ، وهو شيءٌ متناهٍ، والآياتُ دلّتْ على إحاطة البيان والتفصيل لكلّ موجودٍ وقتَ النُّزول، وهو منه قطعاً، فلِماذا يتوقّف شمولُه على شُمول الغير المتناهي بالفعل؟ أهو غيرُ متناهٍ بنفسه؟ أم الآياتُ دلّتْ على أشياء مبهَمةٍ غير معيّنةٍ من بين غير متناهٍ، فلا يعلم دخولُها ما لم يمرّ البيانُ على جميع غير المتناهي تفصيلاً. ولعمري! مثل هذا لم يكن يحتاج إلى البيان، ولكن قلّة التدبّر. نسأل اللهَ العافيةَ!. منه [أي: من الإمام رضا] حفظه ربّه تعالى (جديدة)

(١) أقول: الخلاف لم يخف عنّا، ولكن إذا جاء نهرُ الله بطل نهرُ معقل. ومن شدّة قصور النّظر ادّعاءُ الاتفاق على التخصيص، فذلك قول: مَن حفظَ شيئاً وغابت عنه أشياء. قال الإمام الجليل السّمين [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٩٣] في "تفسيره" [أي: "الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٦١٢: انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٩٣] ثمّ العلّامة الجمل [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٣٢، ٣٣٣] في "الفتوحات الإلهيّة" [انظر ترجمته: "الأعلام" ٢/ ١٤١] تحت قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] [ما] نصُّه: "اختلفوا في الكتاب: ما المرادُ به؟ فقيل: اللّوحُ المحفوظ، وعلى هذا فالعمومُ ظاهر؛ لأنّ اللهَ تعالى أثبت ما كان وما يكون فيه. وقيل: القرآنُ، وعلى هذا فهل العمومُ باقٍ؟ منهم مَن قال: نعم، وإنّ جميعَ الأشياء مثبتٌ في القرآن، إمّا بالتصريح وإمّا

=

=

بالإيماء. ومنهم مَن قال: إنّه يراد به الخصوصُ، والمعنى من شيءٍ يحتاج إليه المكلَّفون" انتهى. ["الفتوحات الإلهيّة" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٢/ ٣٤٥].

ولفظ "الخازِن" [انظر ترجمته: ("كشف الظنون" ٢/ ٤٥٤)]: "وقيل: إنّ المرادَ بالكتاب القرآنُ، يعني أنّ القرآنَ مشتملٌ على جميع الأحوال" انتهى. [أي: "لُباب التأويل في معاني التنزيل" الأنعام، ٢/ ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ [يونس: ٣٧]. قال في "الجلالَين" [انظر ترجمته: "كشف الظنون" ١/ ٣٦٥]: "تفصيلُ الكتاب تبيينُ ما كتبَه اللهُ تعالى من الأحكام وغيرها" ["تفسير الجلالين" يونس، صـ١٧٤]. قال في "الجمل": "قوله: تبيينُ ما كتبَه اللهُ تعالى": أي: في اللَّوح المحفوظ" انتهى. ["الفتوحات الإلهيّة" يونس، تحت الآية: ٣٧، ٣/ ٣٦٠].

وأخرج ابنُ جرير ["جامع البيان" النحل، تحت الآية: ٨٩، الجزء ١٤، صـ ٢١٢] وابنُ أبي حاتم في "تفاسيرهما" [انظر ترجمتها: "كشف الظنون" ١/ ٣٦٠. و"هدية العارفين" ٦/ ٢٢، ٢٣. و"كشف الظنون" ١/ ٣٦٠]: عن سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن اللهَ تعالى أنزلَ هذا الكتابَ تبياناً لكلّ شيءٍ، ولقد علِمنا بعضاً مما بيّن لنا في القرآن» ثمّ تلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩] ["تفسير ابن أبي حاتم" النّحل، تحت الآية: ٨٩، ر: ١٢٦٣٢، ٧/ ٢٢٩٧].

وأخرج سعيدُ بن منصور في "سننه" [فضائل القرآن، ر: ١، ١/ ٧: انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ٤٨] وابنُ أبي شيبة في "مصنَّفه" [كتاب فضائل القرآن، باب في التمسّك بالقرآن، ر: ٣٠٠١٨، ٦/ ١٢٦، انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ٥٧٩، ٥٨٠] وعبد الله ابن الإمام أحمد [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٦٢، ٣٦٣] في "زوائد كتاب الزُّهد" [انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ١١] لأبيه، وابنُ الضريس [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٩] في "فضائل القرآن" [باب فضائل سورة شتّى، سورة النّحل، ر: ٣٢٤، صـ ١٥٢، انظر ترجمته: "إيضاح المكنون" ٤/ ١٣٧] وابنُ نصر المروزي في كتابه "في كتاب الله" والطبَراني في "المعجم الكبير"

=

=

[خطبة ابن مسعود ومن كلامه، باب، ر: ٨٦٦٥، ٩/ ١٣٥] والبَيهقي في "شعب الإيمان" [١٩ من شعب الإيمان، هو باب في تعظيم القرآن، فصل في تعليم القرآن، ر: ١٩٦٠، ٢/٨٠٨] عنه ﷺ قال: «مَن أراد العلمَ فليثور القرآن؛ فإنّ فيه علمَ الأوّلين والآخِرين» [انظر: "الزهد" في فضل أبي هريرة ﷺ، ر: ٨٥٦، صـ١٢٩]، وفي قوله ﷺ «فليثور»: ردّ أيّما ردّ على العميان الذين يقولون: ما نرَى في القرآن إلّا أحرُفاً يسيرةً في أوراقٍ عديدةٍ، أنّى تحتمل ما كان وما يكون؟ ولعمري! ما شبهت قول هؤلاء الطاعنين الطاغين إلّا بقول المشركين قبلَهم: "كيف يسع العالمين إلهٌ واحد؟". وقد بيّنتُ ذلك -بحمد الله تعالى- تبعيداً للأوهام وتقريباً إلى الأفهام في رسالتي "إنباء الحَي أنّ كلامَه المصونَ تبيانٌ لكلّ شيء" (١٣٢٦الهجرية) وحسبُك ما نقل [ذكره الإمام السّيوطي في ٧٨ من "الإتقان" [انظر ترجمته: "كشف الظنون" ١/ ٧٢] عن الإمام ابن سبع [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٢٩] في "شفاء الصّدور"[انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ٧٩] قال: "وقد قال بعضُ العلماء" ["الإتقان" النَّوع ٧٨ في معرفة شروط المفسِّر وآدابه، ٢/ ٣٦٧]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] حفظه (جديدة)] العلّامة القاري في "المرقاة" [انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ٥٧١] قال: "قال بعضُ العلماء: لكلِّ آيةٍ ستّون ألفَ فهمٍ. وعن علي -كرّم اللهُ تعالى وجهَه- «لو شئتُ أن أوقرَ سبعين بعيراً من تفسير القرآن لفعلتُ»" انتهى. ["المرقاة" كتاب العلم، الفصل ٢، تحت ر: ٢٣٨، ١/ ٤٩٨].

ولفظ العلّامة إبراهيم الباجُوري [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٧] في "شرح البُردة" [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٧] في الأوّل: "لكلِّ آيةٍ ستّون ألفَ فهمٍ، وما بقيَ من فهمِها أكثر" ["حاشية الباجُوري على البُردة" صـ٦٣]. ولفظُه [وهكذا ذكره الإمام السيوطي عن الإمام الأجل العارف بن أبي جمرة [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٧٨] عن علي -كرّم اللهُ وجهَه- ولفظُه أنّه قال: «لو شئتُ أن أوقرَ سبعين بعيراً من أمّ القرآن لفعلتُ» انتهى. ["الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسِّر وآدابه، ٢/ ٣٦٩]. فالظاهرُ سُقوطُ لفظ "أم" من عبارة القاري

=

=

عن قلم النّاسخ، انتهى. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] حفظه (جديدة)] في أثر أمير المؤمنين: «لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيراً من تفسير الفاتحة» ["حاشية الباجُوري على البُردة" صـ٦٣].

في "اليواقيت والجواهر" لسيّدي الإمام عبد الوهّاب الشّعراني عن الإمام الأجلّ أبي تراب النّخشبي [انظر ترجمته: "الطبقات الكبرى" ر: ١٥٧، الجزء ١، صـ٨٣]: "أين هؤلاء المنكِرون من قول علي بن أبي طالب ﵁: لو تكلّمتُ لكُم في تفسير الفاتحة، لحملتُ لكُم سبعين وقراً" انتهى. ["اليواقيت والجواهر" المبحث ٤٧ في بيان مقام الوارثين للرُّسُل ...إلخ، الجزء ٢، صـ٤٦٩، ٤٧٠].

وفي "شرح العشماوي" لصلاة سيّدي أحمد الكبير ﵁ [انظر ترجمته: "الطبقات الكبرى" ر: ٢٨٧، الجزء ١، صـ١٨٣، ١٨٥] عن سيّدي عمر المحضار [انظر ترجمته: سلسلة أعلام حضر موت "الإمام الشيخ عمر المحضار" صـ١٤-٥٠]، لو أردتُ أن أمليَ من تفسير ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، حمل مئة ألف جَملٍ وما ينفد تفسيرُها، لفعلتُ.

وفيه عن بعض الأولياء من بيت أبي فضل: وجدنا تحت كلِّ حرفٍ من القرآن أربعَمئةِ ألفٍ لك من المعاني، وكلّ حرفٍ منه له معانٍ في مَوضع غير المعاني التي له في موضعٍ آخَر.

قال: وقال سيّدي علي الخواصّ [انظر ترجمته: "الطبقات الكبرى" ر: ٦٣، الجزء ٢ صـ١٥٠] -نفع الله به-: إن اللهَ تعالى أطلعَني على معاني سورة الفاتحة، فظهرَ لي منها مئةُ ألفِ علمٍ، وأربعون ألفَ علمٍ، وتسعُمئةٍ وتسعون علماً، انتهى.

وفي "الزّرقاني على المواهب" [انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ٧١٦]: "ذكر الغزالي في كتابه في "بيان العلم اللدُني" قول علي ﵁: «لو طويت لي وسادة، لقلتُ في الباء من بسم الله سبعين جَملاً»" انتهى. ["شرح الزّرقاني على المواهب" شرح مقدمة المواهب، ١/ ٣٩ ملتقطاً].

وفي "ميزان الشّريعة الكبرى" [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥١٥، ٥١٦] للإمام الشَّعراني: "قد استخرجَ أخي أفضل الدّين من سورة الفاتحة مئتَي ألفِ علمٍ، وسبعةً وأربعين ألفِ علمٍ، وتسعَمئةٍ وتسعةٍ وتسعين علماً، ثمّ ردَّها كلَّها إلى البَسملة، ثمّ إلى الباء، ثمّ إلى النّقطة التي

=

=

تحت الباء. وكان ﷺ يقول: "لا يكمل الرّجل عندنا في مقام المعرفة بالقرآن، حتّى يستخرجَ جميعَ أحكامِه وجميعَ مذاهب المجتهدين فيها من أيِّ حرفٍ شاءَ من حروف الهجاء" انتهى. -قال-: ويؤيِّده في ذلك قولُ الإمام علي ﷺ: "لو شئتُ لأوقرتُ لكُم ثمانين بعيراً من علم النّقطة التي تحت الباء" انتهى. ["ميزان الشّريعة الكبرى" مقدّمة الكتاب، فصل في بيان أمثلة مرتبتي الميزن ...إلخ، الجزء ١، صـ١٠٦ ملتقطاً].

أقول: وبأمثال هذه تظهر حقيقةُ قول سيّدنا عبد الله بن عباس ﷺ: "لو ضاعَ لي عقالُ بعيرٍ لوجدتُه في كتاب الله". رواه عنه أبو الفضل المرسي [انظر ترجمته: "طبقات الشافعية الكبرى" ر: ١٠٧٩ محمد بن عبد الله بن محمد السلمي، ٨/ ٦٩] كما في "الإتقان" [النوع ٦٥ في العلوم المستنبطة من القرآن، ٢/ ٢٤٥]، فمن ضيق العطن، بل بعض الظنّ تحويلُه إلى أنّ المعنى "لوجدَ في القرآن ما يُرشِده إلى طريق وجدانه" ["غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٤٥].

وهذا الإمام الجليل الجلال السّيوطي ﷺ قائلاً في النّوع ٤٣ من "الإتقان": "قال الجوَيني: واستخرج بعضُ الأئمّة من قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم:١، ٢]: إنّ البيتَ المقدّس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة، ووقع كما قاله" انتهى. ["الإتقان" النوع ٤٣ في المحكَم والمتشابه، ٢/ ١٩].

أقول: فتحُ بيت المقدس سنة ٥٨٣ معلومٌ، وفيها ذكره المؤرِّخون كابن أثير [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٦٦] في "الكامل" ["الكامل في التاريخ" ذكر فتح بيت المقدس، ٩/ ١٨٣، ١٨٤. انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ٣٣٤]، أمّا الجوَيني فقد تقدّم حتفه على فتحه بنحوٍ من مئة وخمسين سنة، فضلاً عن الإمام الذي حكى عنه الجوَيني هذا الاستخراج. قال ابن خلّكان [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٨٣]: "أبو محمد الجوَيني توفّي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين، كذا قال السّمعاني [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٩٠] في كتاب "الذَّيل" [انظر ترجمته: "كشف الظنون" ١/ ٢٦٥]. وقال في "الأنساب" [حرف الجيم، باب الجيم والواو، ر: ١٠١-

=

=

الجوَيني، ٣/ ٤٢٩. انظر ترجمته: "كشف الظنون" ١/ ١٩٢] سنة أربع وثلاثين وأربعمئة بنيسابور" انتهى. ["وفيات الأعيان" حرف العين، الشيخ أبو محمد الجوَيني، ر: ٣٣٢، ٢/ ٢٣].
فجملة: "ووقع كما قال" من كلام الإمام السّيوطي، لا الإمام الجوَيني ﷺ، فسبحان مَن أكرم هذه الأمّةَ بنبيِّها صلّى الله تعالى عليه وعليها وبارَك وسلّم. ولعمري! لو قيل لهؤلاء: أخبروا! كيف استخرج هذا من قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾؟ لحاروا، وما أحاروا بشيءٍ أصلاً، فكيف تحكم بجهلنا على علم حبر الأمّة الذي دعا له النبيُّ ﷺ: اللّهم علِّمه الكتابَ!.

وقد أخرج ابنُ سُراقة [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٠٢] في "كتاب الإعجاز" [انظر ترجمته: "إيضاح المكنون" ٣/ ٦٤. و"كشف الظنون" ١/ ١٥١] عن الإمام أبي بكر ابن المجاهد [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥١] قال: "ما من شيءٍ في العالم إلّا وهو في كتاب الله تعالى" [انظر: "الإتقان" النوع ٦٥، ٢/ ٢٤٥، نقلاً عن "كتاب الإعجاز" لابن سُراقة].

وفي "الطبقات الكُبرى" من ترجمة سيّدي إبراهيم الدَّسوقي ﷺ: "كان يقول: لو فتحَ الحقُّ تعالى عن قلوبكم أقفالَ السّدد، لاطّلعتم على ما في القرآن من العجائب والحِكم والمعاني والعلوم، واستغنَيتم عن النّظر في سِواه؛ فإنّ فيه جميعَ ما رقمَ في صفحات الوجود، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]" انتهى. [أي: في "لَواقح الأنوار في طبقات الأخيار" ر: ٢٨٦- العارف بالله تعالى سيّدي إبراهيم الدَّسوقي القرشي، الجزء ١، صـ١٧٢].

وأخرج ابنُ جرير ["جامع البيان" الأنعام، تحت الآية: ٣٨ ر: ١٠٢٩٥، الجزء ٧، صـ٢٤٧] وابنُ أبي حاتم في "تفاسيرهما" عن عبد الرّحمن بن زيد بن أسلَم [انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبد الرحمن، ر: ٣٩٧٤، ٥/ ٩٠، ٩١] مولى أمير المؤمنين عمر ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ قال: "لم نغفل الكتاب ما من شيءٍ إلّا هو في ذلك الكتاب" ["تفسير ابن أبي حاتم" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ر: ٧٢٦٠، ٤/ ١٢٨٦]، وروى الدَّيلمي [انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٤٣] في "مُسند الفِردوس" [انظر ترجمته: "كشف

=

=
الظنون" ٢/ ٥٥٩. و"هدية العارفين" ٥/ ٣٤٣] عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أراد علمَ الأوّلين والآخِرين فليثور القرآنَ» [انظر: "كنز العمّال" حرف الهمزة، الكتاب الثاني في الأذكار من قسم الأقوال، الباب ٧ في تلاوة القرآن وفضائله، الفصل ١ في فضائله، الإكمال، ر: ٢٤٥١، ١/ ٢٧٤، نقلاً عن الدَّيلمي عن أنس]. وقدّمناه عن ابن مسعود ﵁ [أي: في "الدولة المكية" النظر ٥، صـ١٦٥، ١٦٦]، فيه بدأنا وبه ختمنا، انتهى.

قد ظهرَ لك بطلانُ دعوى الاتفاق على التخصيص، إمّا أن تطلعَ على الاختلاف، وكلّما تُلي عليك قولٌ لا يوافق هواك، خلتَه صائلاً عليك تدفعه بما استطعت، فتردّ بلسانك كلَّ عمومٍ إلى الخصوص، وتسلّم أنّ هذا عموم ["غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢١]، ثمّ تقول: "يجب حملُه على وجه الخصوص" ["غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣١٨، ٣٢٦] فهذا حكمُ الهوى وظلمٌ بالنّصوص، ولو ساغَ هذا لما بقيَ خلافٌ قطّ في العموم والخصوص كما لا يخفى، والله الهادي! انتهى. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] حفظه ربّه تعالى. (مدنيّة)

اعلم أنّ هذا فصلٌ كنتُ لخّصتُه من رسالتي "إنباء الحَي"، والآن أريد أزِيد فصولاً منها؛ لأنّ المقامَ يقتضي ذلك، وبالله التوفيق!.

الإرشاد الهام: وجاء المؤلّف -قدس سره العزيز- هذا الموضع بحاشية المفصلّة بتسمية "إنباء الحي أنّ كلامَه المصونَ تبيانٌ لكلّ شيء" تحت أضواء الآيات الكريمة الآية:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وهذه الحاشية قد طبعت قبل ذلك على حدةٍ، وستطبع الآن إن شاء الله تعالى.

النّصوص على العُموم، فلا يصحّ أن يبقَى من التبيان والتفصيل شيءٌ، وإنّ العامَ[١] قطعيٌّ في إفادة الاستغراق، وإنّ النّصوصَ واجبةُ الحمل على ظَواهرها ما لم يصرف دليلٌ صحيح، وإنّ التخصيصَ والتأويلَ من دُون إلجاء دليلٍ تبديلٌ وتحويل، وإلّا ارتفعَ الأمانُ عن الشّرع الجليل، وإنّ حديثَ الآحاد وإن بلغَ ما بلغَ من درَجات الصحّة، لا يصلح [أن يكونَ] مخصِّصاً لعموم الكتاب، بل يضمحل دُونه، فكيف بما دُونه مِن قال وقيل؟ وإنّ التخصيصَ المتراخي نَسخٌ، والأخبارُ لا تقبل النَّسخَ، وإنّ التخصيصَ العقلي لا يُنزِل العامَ عن قطعيّتِه، وإنّه لا يجوز التخصيصُ بظنّيٍّ، متمسِّكاً بخروج هذا عن كلّيته، فإذَن قد استقرَّ عرشُ التحقيق! ولله الحمد. (فقد انتهى هنا عبارة "الدَّولة المكيّة"[٢]).

❀ ❀ ❀

---

(١) أقول: فرق بين القطع الكلامي والقطع الأصولي، أعني أصولَ الفقه. ألا ترى أنّ قطعيّةَ العام مجتهَدٌ فيه فيها، فلا تكون من القطع الكلامي في شيءٍ، فليس تمسّكُ حنفيٌّ بعمومٍ قرآني، والحكمُ بكونه قطعيّاً في مذهبِه حكماً جازماً على مراد الجليل، ولا خروجاً عن حدود التأويل، كما لا يخفى على كلّ عارفٍ نبيل، انتهى. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] حفظه ربّه. (مدنيّة)

(٢) الدولة المكية، النظر ٥، صـ١٦٤، ١٧٦.


لتحقيق الكتب والطباعة والنشر



التعريف بتكاب

"إنباء الحي"


دار أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

التعريف بكتاب

"إنباءُ الحَي أنّ كلامَه المصُونَ تبيانٌ لكلِّ شيء"

(١٣٢٦ الهجرة النبويّة)

(١)هذا التأليف الشّهير بـ"حاشية الدَّولة المكيّة بالمادّة الغَيبيّة" يحتوي على تسعة فُصول، وتذييلٍ جليلٍ وتكميل.

ومنهجُ المؤلِّف فيه أنّه يأتي تحت كلّ عنوانٍ بمطالِب، وتحت كلِّ مَطلب أبحاثاً متعدّدة.

(٢) وإنّ المؤلِّفَ يأتي بكلمة "أقول" في إثبات مسألة أو ردِّ مُنكِرٍ عنيدٍ ويستخدم كلماتِ: أوّلاً، وثانياً، وثالثاً ...وهكذا، وتارةً الأوّل، والثاني، وتارةً أُخرى الأرقامَ في إتيان الدّلائل والشّواهد، وكَم من مَطالب هي معدودة في هذه الأعداد كما نرى في الفصل النِّهائي: "في ردّ ما تشبثوا به لنقصِ عمومِ علمِه ﷺ، وتمتدّ أبحاثُه إلى رقم ٨٦، أدرَج فيها التذييلَ والتكميلَ (في قَمع شُبهات الهنود) تحت رقم ٤٥ مُراعياً الأرقام، وهكذا تستمرّ الأرقام إلى المطلب الأخير ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩].

(٣) وجدنا في النّسخة المطبوعة، المطلبَ الأخير في أبحاث تفسير وتوضيح ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ من عدد "الأوّل" إلى "الحادي عشر" وانتهى السّطر الأخير من الحادي عشر بكلمة "العلاّمة الشّهاب"، فختامُ هذه النّسخة المطبوعة ناقص، والكلامُ يستمرّ ولم يتكمل ولم ينتهِ، فرجعنا إلى المخطوط رأينا فيها عبارةً بخطّ المصنّف بعد كلمة "العلاّمة الشّهاب".

ففهمنا منها أنّ المصنّفَ أعطَى مسودةَ الكتاب للطبع إلى كلمة "العلاّمة الشّهاب" لعديم فرصته للتكميل، وبقي ما بعده على صورة التسويد حتّى اليوم، فبذلنا قُصارى مجهوداتنا ومَساعينا لقُطوف الأزهار من أوراق المخطوط؛ لنتمكّن على النقل بعد تنقيحه. وقد فُزنا -بتوفيق الله ﷻ- بنقل العبارة ما أدركناها إلى نهاية بحث الحادي عشر، ورأيناه بعد ذلك عنوان "الثاني عشر" ولكن ما وجدنا تحته عبارة.

نرجو من القرّاء الكرام قبولَ ما فهمنا ورتّبنا، فإن كان صواباً فهو من الله ﷻ، وما كان من الأخطاء فهو منّا، ولكن الخيرَ قصدناه، والعفوَ من الله أملناه، اللّهم إنّك عفوٌ تحبّ العفوَ فاعفُ عنّا، وصلِّ وسلِّم على حبيبك المصطفى، وعلى آله أهل التّقى، وصحبه النُّجباء.

المفتي محمد عبد القيوم القادري الهزاروي

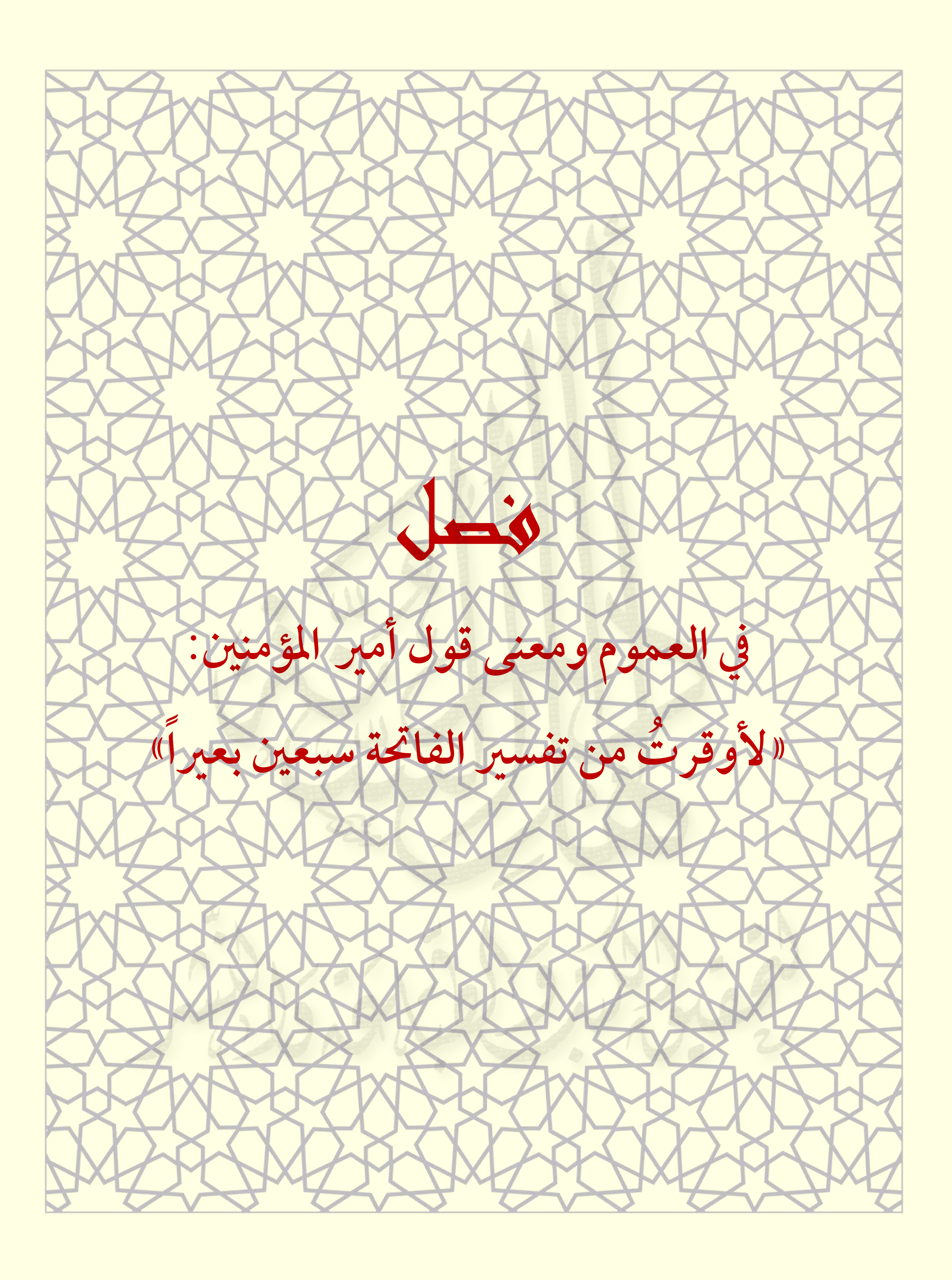
المتوفّى ١٤٢٤هـ

رئيس الجامعة النّظامية الرّضويّة

لاهور- جُمهورية باكستان الإسلامية

٢٠/ صفر المظفّر/ ١٤٢٣هـ



فصل

في العموم ومعنى قول أمير المؤمنين:

«لأوقرتُ من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً»


دار أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

فصلٌ

في العموم ومعنى قول أمير المؤمنين:

«لأوقرتُ من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً»

ما تقدّم من قول أمير المؤمنين -كرّم اللهُ تعالى وجهَه-: "أنّه لَو شاء لأوقرَ من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً"[١]، قال الإمام السُّيوطي في "الإتقان": "بيانُ ذلك: أنّه إذا قال: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] يحتاج إلى تبيين معنى الحمد، وما يتعلّق به الاسمُ الجليل الذي هو الله، وما يليقُ به من التنزيه، ثمّ يحتاج إلى بيان العالَم وكيفيتِه على جميع أنواعه وأعدادِه، وهي ألفُ عالَم، أربعُمئةٍ في البَرّ، وستّمئةٍ في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كلِّه"[٢] ...إلخ. وذكر في جميع السّورة الكريمة هكذا، قال: "فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علي ﷺ من هذا القبيل"[٣] ...انتهى. ونحا نحوَه الإمامُ الرّازي في صدر "مفاتيح الغيب"[٤] غير أنّه أبسطَ بياناً من السُّيوطي كعادته.

أقول: هذا تكلُّم منهما ﷺ على قدر ما يعقل النّاس، وليس من معنى كلام أمير المؤمنين في شيءٍ، إذا كان الأمرُ كذلك لما كانت فيه مزيةٌ للفاتحة الشّريفة ولا للقرآن الكريم؛ فإنّه يجري في كلّ كلامٍ يأتي فيه ذكرُ الله تعالى وخَلقه، ولو لم يكن إلّا جملةٌ واحدةٌ

---

(١) أي: في "الدولة المكية" النظر ٥، صـ١٧١.

(٢) "الإتقان في علوم القرآن" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٦٩.

(٣) "الإتقان في علوم القرآن" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٧٠.

(٤) "التفسير الكبير" الفاتحة، تحت الآية: ١، ١/ ١٩٠-٢٠١.

لاتبلغ عشرةَ أحرُف كقَولنا: "لله الخَلق"؛ إذ ما ثَمّ إلّا الخالقُ ثُمّ مخلوقُه، فيحتاج في تبيينه إلى بيان جميعِ ما في الوجود من أزَل الآزال إلى أبد الآباد، وذلك لا تكفيه ألوفُ آلافِ أمثالِ اللَّوح المحفوظ، الحاوي كلَّ ما كان وما يكون؛ لأنّ المتناهي وإن كبُر ما كبر، لا يقع مَوقعاً مّا من غير المتناهي، فضلاً عن سبعين جَملاً وسبعمئةِ ألفِ جَملٍ.

فأيُّ مدحٍ فيه للقرآن الكريم؟ وأيُّ تخصيصٍ للسُّورة الشّريفة؟ بل المرادُ قطعاً: أنّ السّورةَ الكريمة بنفسها بيّنت لعلي ﵁ عُلوماً، لو أبرَزها في الكتابة لأوقرَ سبعين جَملاً، فهي علومُ الفاتحة المندمجة في نظمِها المستخرجة من نفسها، لا المجلوبة من خارجٍ كما زعمَا[١]، فبهذا يمتاز القرآنُ العظيم عن غيره.

وهذا ما في حديث "الدّارمي"[٢] و"الترمذي"[٣] عن علي -كرّم الله تعالى وجهَه- عن النّبي ﷺ قال: «كتابُ الله فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدَكم، وحكمُ ما

---

(١) أي: الإمام السُّيوطي والإمام الرازي، كما مرّ في بداية الفصل.

(٢) أي: "السنن": للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، المتوفّى سنة ٢٥٥هـ.

("كشف الظنون" ٢/ ٤٨).

(٣) أي: في "السُنن" أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قرآن، ر: ٢٩٠٦، صـ٦٥٣، بطريق حسين ابن علي الجعفي قال: حدّثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعوَر، عن الحارث الأعوَر قال: مررتُ في المسجد فإذا النّاسُ يخوضون في الأحاديث، فدخلتُ على عليّ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! ألا ترى أنّ النّاسَ قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أوَ قد فعلوها؟ قلتُ: نعم، قال: أما إنّي قد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ألا إنّها ستكون فتنة» فقلتُ: ما المخرجُ منها يا رسولَ الله؟ قال: «كتابُ الله! فيه نبأُ ما كان قبلكم، =

بينكم» -إلى قوله-: «لا يشبع منه العلماءُ، ولا يخلق من كثرةِ الردّ، ولا ينقضي عجائبُه»[١].

قال القاري في "المرقاة": "(«لا يشبع منه العلماء») أي: لا يصلون إلى الإحاطة بكُنهه حتّى يقفوا عن طلبِه وُقوفَ مَن يشبع مِن مطعوم، بل كلّما اطّلعوا على شيءٍ من حقائقه، اشتاقوا إلى أكثر من الأوّل ...وهكذا، فلا شبعَ ولا سآمةَ. («ولا ينقضي عجائبُه») أي: لا ينتهي غرائبُه التي يتعجّب منها؛ لأنّ ظهورَ العجائب بحيث لا يتناهى"[٢] ...انتهى.

=

وخبرُ ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، وهو الفصلُ ليس بالهزل، مَن تركه مِن جبار قصمهُ الله، ومَن ابتغى الهُدى في غيره أضلّه الله، وهو حَبل الله المتين، وهو الذِكر الحكيم، وهو الصّراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسِنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنتهِ الجنّ إذ سمعته حتّى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجنّ: ١، ٢] مَن قال به صدق، ومَن عملَ به أُجِر، ومَن حكمَ به عدَل، ومَن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم» خُذها إليك يا أعوَر. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلّا من حديث حمزة الزيات، وإسنادُه مجهول، وفي الحارث مقالٌ.

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ر: ٣٣٣١، ٢/ ٥٢٦، ٥٢٧، عن الحارث عن علي.

(٢) "مرقاة المفاتيح" كتاب فضائل القرآن، الفصل ٢، تحت ر: ٢١٢٨، ٤/ ٦٥١ ملتقطاً.

وفي "أشعة اللّمعات": "«لا يشبع منه العلماء» أي: لا يحيطون بعُلومه فيقفوا، «ولا ينقضي عجائبُه» أي: لا تنتهي مَعانيه ومَعارفه، ولذا «لا يشبع منه العلماءُ، ولا يَخلق من كثرة الردّ»"[١].

وقال الإمامُ ابن حجر المكّي في "شرح الهَمزيّة": "كالعلوم والمعارِف المستنبطة منه، التي لا حدَّ لها ولا غايةَ، ومِن ثَمّ جاء عن علي -كرّم الله تعالى وجهَه- «لو شئتُ أن أوقرَ بعيراً من تفسير سورة الضُّحى، لفعلتُ»"[٢] ...انتهى.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن الضحّاك[٣] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «إنّ القرآنَ ذُو شُجونٍ وفُنونٍ وظُهورٍ وبُطون، لا تنقضي عجائبُه، ولا تبلغ غايته»[٤].

ورحم اللهُ الإمامَ البُوصِيري إذ قال في "البُردة الشّريفة" في آيات الكلام الكريم:

لها مَعانٍ كمَوج البَحر في مددٍ وفَوق جَوهرِه في الحُسن والقِيم

فما تُعدُّ ولا تُحصَى عجائبُها ولا تُسامُ على الإكثارِ بالسِّأم[٥]

أي: لا توصَف مع كثرة الترداد بالمَلل منها، وقد أخذَه من الحديث المذكور.

---

(١) "أشعة اللمعات" كتاب فضائل القرآن، الفصل ٢، ٢/ ١٤٣ ملتقطاً.

(٢) أي: في "المنح المكيّة" صـ٣٩٤.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الضاد، من اسمه الضحّاك، ر: ٣٠٥٨، ٤/ ٨٠، ٨١.

(٤) انظر: "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٦٧، نقلاً عن ابن أبي حاتم.

(٥) أي: في "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" الفصل ٦ في شرف القرآب ومدحه، صـ٤٢.

وقال القاري في شرحها "الزُّبدة" تحت البَيت الأوّل: "يعني للآيات مَعانٍ كثيرةٌ كمَوج البحر في الازدِياد وعدمِ النّفاد، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] يعني مَعانيها، وبهذا يزول الإشكالُ القوي الوارد من جهة القَبليّة في الآية، كما حرّرناه في "حاشية الجلالَين""[١] ...انتهى.

فإنّما يلزم تناهي المعاني المندمجة في نظم القرآن الكريم، دُون تناهي كلماتِ الله تعالى. **أقول:** على أنّ نفادَ البحر قبل نفادِها صادقٌ بعدم نفادِها أصلاً، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقال تحت البيت الثاني: "يعني مَعاني الآيات لا تدخل تحت العَدّ، ولا تضبط مَعانيها العجيبةُ في حيّز الحدّ"[٢]. وقال الإمامُ الجليل القاضي عياض في "الشِّفا" في أوّل وُجوه إعجاز القرآن الكريم: "إنّ تحت كلِّ لفظةٍ منها -أي: من آياتِ الكلام العزيز- جُملاً كثيرةً وفُصولاً جمّةً وعُلوماً زواخِر، ملئت الدّواوينُ من بعض ما استُفيد منها، وكثرت المقالاتُ في المستنبطات عنها"[٣].

قال القاري: "(علوماً زواخِر) كما قال ابنُ عباس رضي الله عنهما:

---

(١) "الزبدة العمدة في شرح البردة" صـ٨٩ ملتقطاً.

(٢) "الزبدة العمدة في شرح البردة" صـ٩٠.

(٣) "الشفا" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي ...إلخ، الباب ٤ فيما أظهر الله تعالى على يديه من المعجزات ...إلخ، فصل في إعجاز القرآن، الجز ١، صـ١٦٥.

جميعُ العلمِ في القرآنِ لكن تقاصَر عنه أفهامُ الرِّجال"[١]

وقال الخَفاجي: "وإذا ملأها بعضه فكلّه لا يمكن حصرُه ولا يحوِيه كتاب، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾"[٢] ...انتهى.

وفي "التفسير النيشافوري" تحت قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً﴾: "نبّهَ على كمال حال القرآن"[٣]. أقول: ولم يُعجبني لفظةُ "حال"؛ فإنّ القرآنَ صفةٌ قديمةٌ منزَّهةٌ عن التحوُّل والانتقال، وإنّما كان حقُّه أن يقولَ: على كمالِ وصفِ القرآن الكريم!.

وفي "الإتقان": "قال ابنُ أبي الدّنيا[٤]: "عُلوم القرآن وما يستنبط منه بحرٌ لا ساحلَ له"[٥] انتهى.

---

(١) أي: في "شرح الشفا" فصل، ١/ ٥٥٩ ملتقطاً.

(٢) أي: في "نسيم الرياض" فصل في إعجاز القرآن، ٣/ ٣٩٩.

(٣) "غرائب القرآن" الكهف، تحت الآية: ١٠٩، الجزء ٨، صـ٣٦٠.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي الإمام أبو بكر البغدادي الزاهد الشّافعي توفّي سنة ٢٨١هـ. من تصانيفه: "أخبار القبور" و"إصلاح المال" و"الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكَر" و"ذمّ الدنيا" و"ذمّ الغضب" و"ذمّ الغيبة" و"كتاب الموت" و"مَكارم الأخلاق" و"كتاب فضائل شهر رمضان" وغير ذلك. ("هدية العارفين" ٥/ ٣٦٢).

(٥) "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٦١.

وفي "الطبقات الكُبرى"[١] للإمام الشَّعراني[٢] في ترجمة سيّدي إبراهيم الدّسُوقي[٣] ﷺ: "كان ﷺ يقول: جميعُ المعبِّرين والمؤوِّلين والمتكلِّمين في علم

---

(١) أي: "لواقح الأنوار في طبقات السّادة الأخيار": للشيخ أبي المواهب عبد الوهّاب بن أحمد الشَّعراني الشّافعي، المتوفّى سنة ٩٧٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤٧٢).

(٢) هو عبد الوهّاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرقا بن موسى بن السلطان أحمد التلمساني الفقيه المحدِّث الشَّعراني المصري الصّوفي، توفّي في جُمادى الأولى من سنة ٩٧٣هـ. له: "الأجوِبة المرضيّة عن أئمّة الفقهاء الصّوفية" و"الأخلاق الزَكّية والعلوم اللدُّنية" و"الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمديّة" و"الأنوار القُدسية في ملزمة آداب القبولية" و"تنبيه المغترّين في القرن العاشر على ما خالَفوا فيها سلَفهم الطاهر" و"دُرر الغوّاص في فتاوى سيّدي علي الخوّاص" و"السّراج المنير في غرائب أحاديث البشير النذير" و"فتح الوهّاب في فضائل الآل والأصحاب" و"فرائد القلائد في علم العقائد" و"القول المبين في الردّ على الشّيخ محي الدّين" و"الكبريت الأحَمر في علوم الشّيخ الأكبر" و"كشف الغمّة عن جميع الأمّة" في الحديث، و"لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدُّث بنعمة الله ﷻ على الإطلاق، و"لواقح الأنوار في طبقات السّادة الأخيار" و"لواقح الأنوار القُدسية المنتخب من الفتوحات المكّية" و"المآثر والمفاخِر في علماء القرن العاشر" و"الميزان الشَّعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمّة المجتهدين ومقلّديهم في الشّريعة المحمّدية" و"اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر" و"النّور الفارق بين المريد الصّادق وغير الصّادق" و"هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين". ("هدية العارفين" ٥/ ٥١٥، ٥١٦).

(٣) إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد الدّسوقي (ت ٦٧٦هـ)، من كِبار المتصوّفين، كثير الأخبار. ("الأعلام" ١/ ٥٩).

التوحيد والتفسير، لم يصلوا إلى عشرِ مِعشار معرفةِ كُنه إدراكِ معنى حرفٍ واحدٍ من حروف القرآن العظيم"[1] ...انتهى.

وقال سيّدي عبد الغني النّابلُسي -قدّس سرّه القدسي- في "الحديقة النَّدية شرح الطريقة المحمديّة"[2]: قال الشّيخُ محيُ الدّين ابن العربي -قدّس اللهُ تعالى سرَّه- في الباب الرّابع عشر وثلاثمئة ٣١٤ من "الفتوحات المكيّة"[3]: "إذا رقت الأولياءُ فغايةُ وصولها إلى الأسماء الإلهيّة التي تطلبها، فإذا وصلت إليها في مَعارجها أفاضت عليها من العلوم وأنوارها على قدر الاستعداد، وإنّما هي أنوار فهمٍ فيما أتى به الرّسولُ في وحيِه، لا يخرج علمُ الولي عمّا جاء به من كتابٍ وصحيفةٍ، لا بدّ من ذلك لكلّ وليٍّ صدّيقٍ برسوله إلى هذه الأمّة؛ فإنّ لهم من حيث صدّيقيّتهم بكلّ رسولٍ ونبيٍّ، العلمُ والفتحُ والفيضُ الإلهي بكلّ ما يقتضيه وحيُ كلِّ نبي. وبهذا فُضّلت هذه الأمّةُ على كلّ أمّةٍ من الأولياء، فلا يفتح لوليٍّ قطّ إلّا في الفهم في الكتاب العزيز، فلهذا قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨][4] ...مختصراً.

---

(١) "الطبقات الكبرى" ر: ٢٨٦، العارف بالله تعالى سيّدي إبراهيم الدسوقي، الجزء ١، صـ١٦٧.

(٢) "الحديقة الندية شرح الطريقة المحمديّة": لعبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلُسي الدِّمشقي الحنفي الصُّوفي، توفّي سنة ١١٤٣هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ٤٧٦، ٤٧٧).

(٣) "الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية" الباب ٣١٤ في معرفة منزل الفرق ...إلخ، ٣/ ٥٦.

(٤) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٢، ١/ ١٧٠، ١٧١.

وفي كتاب "اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر" عن "الفُتوحات"(١) الشّريفة" الباب ٣٦٦: "جميعُ ما أتكلّم به في مجالسي وتآليفي، إنّما هو من حضرة القرآن العظيم؛ فإنّي أُعطيتُ مفاتيحَ العلم فيه، فلا أستمدّ قطّ في علمٍ من العلوم إلّا منه"(٢) ...انتهى.

قول سيِّدنا الإمام الأعظم ﵁ في القياس

وإن لم تؤمن له، فهذا سيِّدنا الإمام الأعظم أبو حنيفة ﵁ قائلاً: "ما أقوله ليس هو بقياسٍ -في نفس الأمر- وإنّما ذلك من القرآن، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ فليس ما قلناه بقياسٍ في نفس الأمر، وإنّما هو قياسٌ عند مَن لم يُعطِه اللهُ تعالى الفهمَ في القرآن"(٣).

نقله الإمامُ الشَّعراني الشّافعي في أوائل "الميزان". وحسبك قولُ أمير المؤمنين عمر ﵁: «حسبُنا كتابُ الله»(٤) كما في "صحيح البخاري".

---

(١) "الفتوحات المكية" الباب ٣٦٦ في معرفة منزول وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان ...إلخ، ٣/ ٣٢٦.

(٢) "اليواقيت والجواهر" الفصل ٤ في بيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج ...إلخ، الجزء ١، صـ٥١.

(٣) "الميزان الكبرى" فصل فإن قلت: فمن يقول: إنّ القياس من جملة الأدلّة ...إلخ، الجزء ١، صـ١٨.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب العلم، باب كتابة العلم، ر: ١١٤، صـ٢٥، من طريق يونس عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: لما اشتدّ بالنّبي ﷺ وجعُه قال: «ائتوني بكتابٍ أكتبُ لكم كتاباً لا تضلّوا بعدَه» قال عمر: إنّ النبيَّ ﷺ غلبَه الوجعُ وعندنا كتابُ الله حسبُنا، فاختلفوا وكثر اللَّغط، قال: «قُوموا عنّي! ولا ينبغي عندي التنازُع» فخرج ابنُ عباس يقول: إنّ الرزيئةَ كلَّ الرزيئة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه.

وفي "الميزان" أيضاً: "سمعتُ سيّدي عليّاً الخوّاص ﵀ يقول: لا يكمل مقامُ العالم عندنا في العِلم، حتّى يردَّ أقوالَ المجتهدين ومقلِّدِيهم في سائر الأدوار إلى الكتاب والسنّة، ولا يصير عنده جهلٌ بمنزع قولٍ واحدٍ منها لو عرض عليه. قال: وهناك يخرج عن مقام العوام، ويستحقّ التلقيبَ بالعالم، وهو أوّلُ مرتبةٍ تكون للعلماء بالله تعالى، ثمّ يترقّى أحدُهم عن ذلك درجةً بعد درجة، حتّى يصيرَ يستخرج جميعَ أحكام القرآن وآدابه من سورة الفاتحة، فإذا قرأ بها في صلاته، رُبما يكون ثوابُه كثواب مَن قرأ القرآنَ كلَّه، من حيث إحاطته بمَعانيه"[١] ...إلخ، وسيأتي تمامُه[٢].

فهذا معنى قول أمير المؤمنين -كرّم الله تعالى وجهَه-، وأين هذا مما مالا[٣] إليه مُراعيَين مَبلغَ عقول العوام، وقد تقدّم[٤] قولُ الإمام أبي تراب النّخشبي، أفتظنّه كان يدعو المنكِرين إلى مثل ما ذكراه؟! فأيُّ محلٍّ فيه للإنكار؟ ويُرشِدك إلى الحقيقة تمامُ كلامِه حيث قال -قُدّس سرُّه الشّريف-: "إنّ اللهَ تعالى كان قادراً على أن ينصَّ ما تأوَّله أهلُ الله وغيرُهم في كتابه، ومع ذلك ما فعل، بل أدرجَ في تلك الكلماتِ الإلهيّةِ علومَ مَعاني الاختصاص الخاصّ فهمُها بالخُلَّص، ولو أنّ هؤلاء المنكِرين يُنصِفون

(١) "الميزان الكبرى" فصل ومما يدلك على صحة ارتباط جميع أقوال علماء الشريعة بعين الشريعة ...إلخ، الجزء ١، صـ٣٨ ملتقطاً.

(٢) انظر: صـ١١٨.

(٣) أي: الإمام السُّيوطي والإمام الرازي، كما مرّ في بداية الفصل.

(٤) أي: "الدولة المكية" النظر الخامس، صـ١٧١.

لاعتبروا في نُفوسِهم إذا نظروا في الآية بالعَين الظاهرة فيما بينهم، فيرَون أنّهم يتفاضَلون في ذلك، ويعلموا لبعضهم على بعضٍ في الكلام في معنى الآية، ومع ذلك يُنكِرون على أهل الله إذا جاءُوا بشيءٍ يغمض عن إدراكِهم، وأين هؤلاء المنكِرون من قولِ علي بن أبي طالب ﵁: «لو تكلّمتُ لكم في تفسير الفاتحة، لحملتُ لكم سبعين وقراً» فهل هذا العِلمُ إلّا من العِلم اللَّدُني، الذي أعطاه اللهُ تعالى في القرآن؛ إذ الفِكرُ لا يصل إلى ذلك"[1] ...انتهى ملتقطاً.

فانظر مِن أيِّ وادٍ يتكلّم! بل قد سمعتُ قولَ آحادِ المرتوِين من شآبيب فيوض علي ﵁، كسيّدنا الإمام الأعظم، وإمام المكاشِفين محي الدّين، وقولَ رجلٍ من العلماء عن فهم نفسِه: إنّ في كلّ آيةٍ ستّين ألفَ فهمٍ، ولو اجتمع المنكِرون لم يقدروا في أكثر الآيات على استخراج ستّين، بل ولا ستّة، وكذا سمعتُ قولَ سيّدي عُمر المحضار عمّ السيّد عبد الله العَيْدَرُوْس[2]، وقولَ السيّد الجليل

---

(١) "اليواقيت والجواهر" الفصل ٣ في بيان إقامة العذر لأهل الطريق في تكلّمهم في العبارات ...إلخ، الجزء ١، صـ٣٨، ٣٩.

(٢) هو الإمام المجمَع على إمامته، وسلطان الأولياء، حامل لواء العارفين، وزعيم السّادة العَلويين، الشيخ عبد الله بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرّحمن السقّاف العَيدرُوس الأكبر، وُلد ﵁ سنة ٨١١هـ. نشأ نشأةً كريمةً تحت رعاية والده الإمام أبي بكر. وسمع الحديثَ من عشرات المحدّثين والرُّواة في حضرمَوت وجهات اليمن ثمّ بعد سفره ورحلته إلى الحجاز. وقرأ علومَ التصوّف على السيّد الجليل محمد بن الحسن جَمل اللّيل، ولازَم عمَّه الشيخ عُمر =

الفضلي(١)، وقولَ سيّدي علي الخوّاص، واستخراجَ سيّدي أفضل الدّين(٢)، وقولَه في العارف الكامل، وقال مثلَه شيخُه الخوّاص -نفعنا الله تعالى ببركاتهم- بعد العبارة التي نقلنا عنه آنفاً: "ثمّ يترقّى من ذلك حتّى يصيرَ يُخرج أحكامَ القرآن كلّه، وأحكامَ الشّريعة وجميع أقوال المجتهدين ومقلِّدِيهم إلى يوم القيامة، من أيِّ حرفٍ شاءَ من حروف الهجاء، ثمّ يترقّى إلى ما هو أبلَغ من ذلك. قال: وهذا هو العالِم الكامل عندنا ...انتهى"(٣).

هذا رجلٌ من أهل الله، أحدُ تلامذة الإمام السُّيوطي سيّدي عبد الوهّاب الشَّعراني رحمهما الله تعالى يقول في "ميزان الشّريعة الكُبرى": "قد وضعتُ كتاباً سمَّيتُه بـ"الجَوهر المصُون في علوم كتاب الله المكنون"(٤) ذكرتُ فيه نحوَ ثلاثةِ آلافِ علمٍ،

=

المحضار في طريقة السُّلوك، وتدرّج في مراتبها، ثمّ زوّجه الشيخ عُمر المحضار بابنته. كان جواداً عظيماً سخياً كريماً، مات سنة ٨٦٥هـ.

(سلسلة أعلام حضرمَوت "العَيدروس الأكبر" صـ١٤-١٧، ٦٠ ملتقطاً).

(١) لم نعثر على ترجمته.

(٢) لم نعثر على ترجمته.

(٣) "الميزان الكبرى" فصل ومما يدلك على صحة ارتباط جميع أقوال علماء الشريعة بعين الشريعة ...إلخ، الجزء ١، صـ٣٨.

(٤) أي: "الجوهر المصُون والسرّ المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم": للشيخ عبد الوهّاب بن أحمد الشَّعراني، المتوفّى سنة ٩٧٣هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٨٤).

وكتب عليه مشايخُ الإسلام على وجه الإيمان والتسليم لأهل الله ﷺ، ومن جملةِ مَن كتبَ عليه الشيخُ ناصر الدّين اللّقاني المالكي[1]، وقد أخذَه الشيخُ شهابُ الدّين ابن الشّيخ عبد الحقّ[2] عالم العصر، فمكثَ عنده شهراً، وهو ينظر في علومه فعجزَ عن معرفة مَوضع استخراج علمٍ واحدٍ منها، فقال لي: أنا أقول في نفسي: إنّني عالمُ مصر والشّام والحجاز والرّوم والعجم، قد عجزتُ عن معرفة استخراج نظير علمِ واحدٍ منه من القرآن، ولا فهمتُ مما فيه شيئاً"[3] ...انتهى.

---

(١) هو محمد ناصر الدّين اللقاني أبو عبد الله المصري المالكي، المتوفّى سنة ٩٥٨هـ. صنّف: حاشية على "شرح جميع الجوامع" للمحلي، و"شرح خطبة مختصر الشيخ خليل". ("هدية العارفين" ٦/ ١٩٣).

(٢) الشيخ الإمام العالم العلاّمة، الشيخ شهاب الدّين ابن الشيخ عبد الحق السنباطي، المصري، الشّافعي الواعظ بجامع الأزهر. أخذه عن والد وغيره، وكان معه بمكّة في مجاورته بها سنة إحدى وثلاثين وتسعمئة، ووعظ بالمسجد الحرام في حياة أبيه، وفتح عليه في الوعظ حينئذٍ، وهو الذي تقدّم للصّلاة على والدِه حين توفّي بمكّة المشرّفة كما تقدّم، وقال الشَّعراني: لم نر أحداً من الوعّاظ، أقبل عليه الخلائقُ مثله. قال: وكان مفنّناً في العلوم الشرعيّة، وله الباع الطويل في الخلاف، ومعرفة مذاهب المجتهدين، وكان من رؤوس أهل السنّة والجماعة، وكان قد اشتهر في أقطار الأرض كالشّام، والحجاز، واليمن، والروم، وصاروا يضربون به المثَل، وأذعنوا له علماء مصر الخاصّ منهم والعام. وكانت وفاةُ الشيخ شهاب الدّين ابن عبد الحقّ في أواخر صفر سنة خمسين وتسعمئة. قال الشيخ عبد الوهّاب الشّعراني: ولما مات أظلمت مصر لموته، وانهدمَ ركنٌ عظيمٌ من الدِّين. ("الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة" الطبقة ٢، حرف الهمزة من الطبقة ٢، ٢/ ١١٢).

(٣) "الميزان الكبرى" فصل في بيان أمثلة مرتبتي الميزان ...إلخ، الجزء ١، صـ١٠٥، ١٠٦ ملتقطاً.

وقال في أوائل الكتاب: "كتابنا المسمّى بـ"الجوهر المصُون والسرِّ المرقوم" ذكرنا فيه من علوم القرآن العظيم نحوَ ثلاثةِ آلافِ علمٍ تخلع هذه العلوم على العارف حالَ تلاوته للقرآن، لا يتخلف عن النّطق به، حتّى كأنّ عينَ ذلك العلم عينُ النّطق بتلك الكلمة، ومتى تخلف العلم عن النّطق، فليس هو من علوم أهل الله، وإنّما هو نتيجةُ فِكر"[١] ...انتهى.

فإذا كان هذا لهؤلاء الأولياء، الذين ما هُم إلّا صبيانُ كتاب علي المرتضى، فما ظنُّك بتلميذه الأخصّ الكامل البالغ[٢]، الذي دعا له رسولُ الله ﷺ: «اللّهمّ علّمه الكتاب»[٣].

قولُ سيّدنا علي في سيِّدنا ابن عباس

وقال فيه عليٌّ -كرّم الله تعالى وجهَه-: «إنّه لينظر إلى الغَيب من سِترٍ رقيق»[٤]

(١) "الميزان الكبرى" مقدّمة الكتاب، فصل فإن طعن طاعن في هذه الميزان ...إلخ، الجزء ١، صـ١٢ ملتقطاً.

(٢) أي: سيِّدُنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب العلم باب قول النبي ﷺ: «اللّهمّ علّمه الكتاب!» ر: ٧٥، صـ١٨، عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الدينوري في "المجالسة وجواهر العلم" ر: ٥٩٩، الجزء ٤، صـ١٣٠، بطريق محمد بن الحارث قال سمعت المدائني يقول: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عبد الله بن عبّاس رحمة الله عليه: «إنّه لينظر إلى الغَيب من سترٍ رقيقٍ؛ لعقله وفطنته بالأمور».

رواه الدّينوري[١] عن المدائني[٢] قال: قال لي عليٌّ -كرّم الله تعالى وجهَه- في عبد الله بن عبّاس ﵄ فذكره، يستكثر عليه القاصِرون قولَه: «لو ضاعَ لي عقالُ بعيرٍ لوَجدتُه في كتاب الله»[٣]، ويحوِّلونه إلى وجدان ما يُرشِده إلى طريق وجدانه، ولعلّك لو سألتَهم أين في القرآن بيانُ طريقِ وجدان العقال، لبهتوا وتاهوا، فسبحان اللهَ مِن قومٍ يَقيسون الملوكَ بالفَدّادين، بل الملائكةَ بالحدّادين.

علمُ سيِّدنا علي بما دُون العرش، وبما يكون إلى يوم القيامة

فما ظنّك بباب مدينة العلم الذي كان يقول: «سَلُوني قبل أن تفقدوني؛ فإنّي لا أُسأل عن شيءٍ دُون العرش، إلّا أخبرتُ عنه»[٤] رواه ابنُ النَجّار عن أبي المعتمر مسلم[٥] بن أَوس، وجارية[٦] بن قدامة السَّعدي عن علي -كرّم اللهُ تعالى وجهَه-، وكان يقول: «سَلوني، فوالله! لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى يوم

---

(١) هو أحمد بن مروان الحافظ أبو بكر الدَّيْنَوَري المالكي، نزيل مصر توفّي بها سنة ٢٩٣هـ. صنّف "كتاب فضائل مالك بن أنس" و"كتاب القناعة" و"مجالسة وجواهر العلم" في الحديث. ("هدية العارفين" ٥/ ٤٨).

(٢) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٢٣٥٧، ٩/ ٣.

(٣) "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبطة من القرآن، ٢/ ٢٤٥.

(٤) انظر: "كنز العمال" كتاب الفضائل والمناقب، باب في فضائل الصحابة، فضائل علي ﵁، ر: ٣٦٤٩٨، ١٣/ ٧٢، نقلاً عن ابن النجّار.

(٥) لم نعثر على ترجمته.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الجيم، من اسمه جارية، ر: ٩٢٦، ٢/ ٢٠.

القيامة، إلّا حدّثتُكم به»[١]... رواه ابنُ الأنباري[٢] في "كتاب المصاحِف"[٣]، وأبو عُمر بن عبد البَرّ[٤] في "كتاب العِلم"[٥] عن أبي الطفيل عامر[٦] بن واثلة رضي الله عنه رضي الله عنه

---

(١) انظر: "كنز العمال"، كتاب الأذكار من قسم الأفعال، فصل في التفسير، جامع التفسير، ر: ٤٧٣٧، ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠ نقلاً عن ابن الأنباري في "المصاحف".

(٢) هو محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد ابن يسار، المعروف بابن الأنباري البغدادي الحافظ الأديب النَّحوي اللُّغوي، وُلد سنة ٢٧١ وتوفّي ببغداد سنة ٣٢٨هـ. من تصانيفه: "أدب الكاتب" و"أمالي" و"الردّ على مَن خالف مصحف عثمان رضي الله عنه" وغير ذلك. ("هدية العارفين" ٦/ ٢٩).

(٣) "كتاب المصاحف": لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنْباري، النحوي، المعدود في حفاظ الحديث، ومصنّف التصانيف الكثيرة، المتوفّى ببغداد سنة ٣٢٨ هـ.

("الرسالة المستطرفة" كتب في المصاحف والقراآت ...إلخ، ر:٥٠٩، صـ٢٧٦ ملتقطاً).

(٤) هو الحافظ جمال الدّين أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النمري الأديب الفقيه المالكي، الشّهير بابن عبد البرّ القُرطبي، وُلد سنة ٣٦٨ وتوفّي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ. من تصانيفه: "الاستذكار لمذاهب أئمّة الأمصار وفيها تضمّنه الموطّأ من المعاني والآثار" في اختصار "التمهيد"، و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" و"التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد" في الفقه والحديث، و"جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمته". ("هدية العارفين" ٦/ ٤٢٧ ملتقطاً).

(٥) أي: "جامع بيان العلم وآدابه": لحافظ جمال الدّين أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النمري الأديب الفقيه المالكي، الشّهير بابن عبد البرّ القُرطبي، وُلد سنة ٣٦٨ وتوفّي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٤٦. و"هدية العارفين" ٦/ ٤٢٧).

(٦) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والألف، ر: ٢٧٤٧، ٣/ ١٤٣، ١٤٤.

قال: شهدتُ علي بن أبي طالب ﵁ يخطُب، فقال في خطبته: «سَلُوني، فوالله!»[١] ...إلخ.

رُجحان علم سيّدنا عُمر ﵁

فما ظنُّك بالعبقري الذي قال فيه أعلَمُ الصّحابة بعد الخلفاء الأربعة: "كُنَيفٌ مليئٌ علماً" سيّدنا عبد الله بن مسعود ﵄: «لو أنّ علمَ عُمر يُوضَع في كفةٍ، ووُضع علمُ أحياءِ الأرض في كفةٍ، لرجحَ علمُ عُمر بعلمِهم» ولقد كانوا يرَون أنّه ذهبَ بتسعةِ أعشار العِلم[٢]، رواه الطبَراني[٣] والحاكم[٤].

فما ظنُّك بأعلَم خلقِ الله بعد الأنبياء والمرسَلين ﵈، الذي كان يقول فيه أميرُ المؤمنين عُمر ﵁: «وددتُ أنّي شَعرةٌ في صدرِ أبي بكر ﵁»[٥] رواه شيخ البخاري مسدّد[٦] ﵀.

---

(١) "جامع بيان العلم وفضله" في إبتداء العالم جلساءه بالفائدة، ر: ٧٢٦، الجزء ٢، صـ٤٦٤.

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب معرفة الصحابة، ر: ٤٤٩٧، ٥/ ١٦٩٥، عن عبد الله ابن مسعود ﵁.

(٣) أي: في "المعجم الكبير" باب، ر: ٨٨٠٩، ٩/ ١٦٣، عن عبد الله ابن مسعود ﵁.

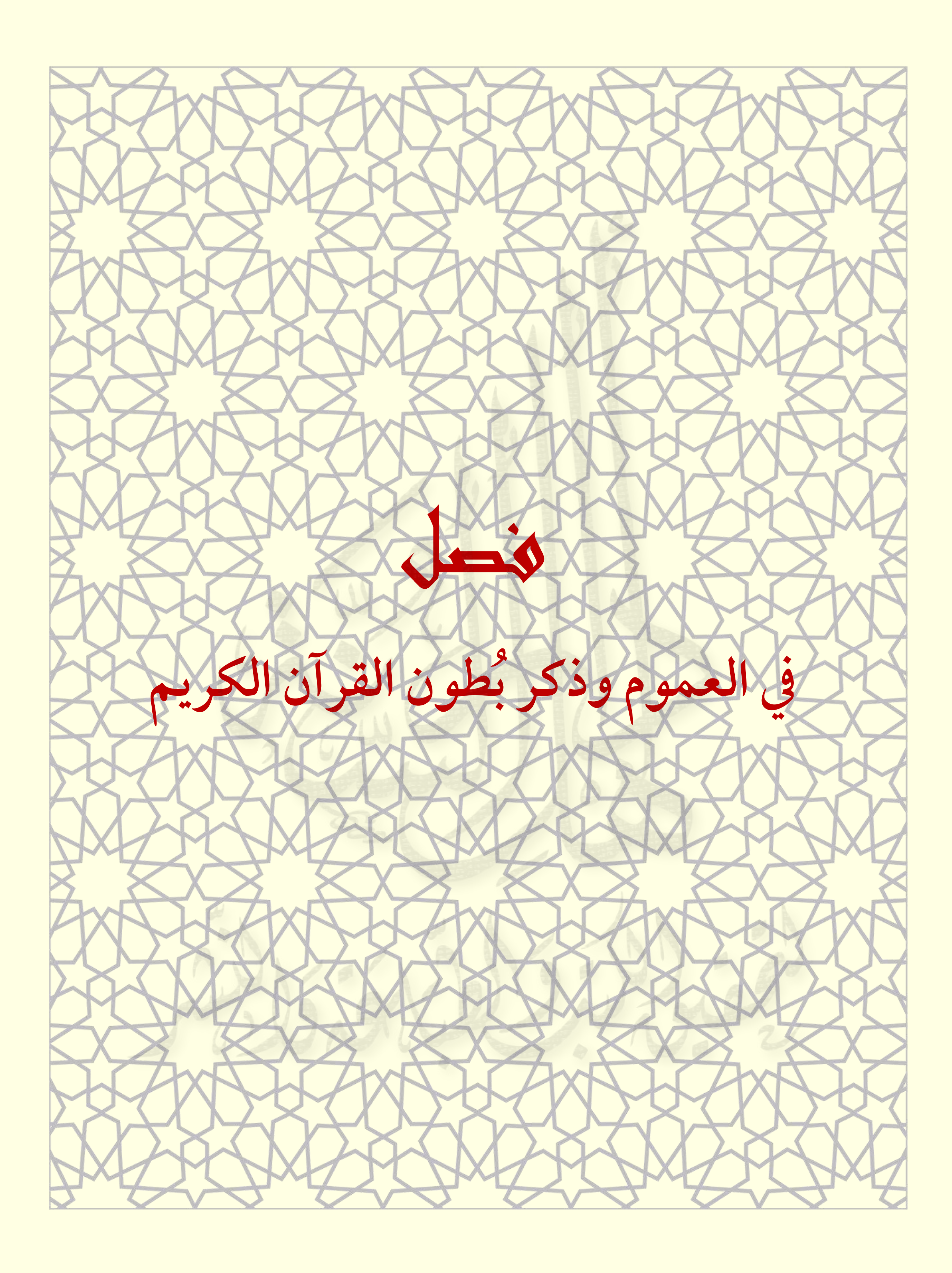
(٤) انظر ترجمته: هدية العارفين" ٦/ ٤٨.

(٥) انظر: "كنز العمال" كتاب الفضائل من قسم الأفعال، باب فضائل الصحابة، فصل في تفضيلهم فضل الصديق ﵁، ر: ٣٥٦٢١، ١٢/ ٢٢٣، نقلاً عن مسدد.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه مسحاج ومسدد، ر: ٦٨٧٠، ٨/ ١٣٠. ١٣١.

فما ظنُّك بالذي نزلَ عليه القرآنُ تبياناً لكلّ شيء، وعلّمه ربُّه ما لم يكن يعلم، وكان فضلُ الله عليه عظيماً -صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وبارَك وسلّم تسليماً- فإليه منتهَى الرّغبات ونهاية النّهايات، والحمد لله ربّ العلمين!.





فصل

في العموم وذكر بُطون القرآن الكريم


دار أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

فصلٌ

في العموم وذكر بُطون القرآن الكريم

قال الفريابي[١]: حدّثنا سفيانُ[٢] عن يونس[٣] بن عبَيد عن الحسن[٤] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لكلّ آيةٍ ظهرٌ وبطنٌ، ولكلّ حرفٍ حدٌّ، ولكلّ حدٍّ مُطّلَعٌ»[٥].

وروى في "شرح السنّة"[٦] عن عبد الرّحمن بن عَوف[٧] رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «القرآنُ يحاجّ العِباد، له ظهرٌ وبطنٌ»[٨].

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٦٨٤، ٧/ ٣٧٩-٣٨٢.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف السين، من اسمه سفيان، ر: ٢٥١٩، ٣/ ٣٩٧-٤٠٠.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يونس، ر: ٨١٩٢، ٩/ ٤٦٣-٤٦٥.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الحاء، من اسمه: الحسن، ر: ١٢٨٣، ٢/ ٢٤٦-٢٤٨.

(٥) انظر: "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسر وآدابه، ٢/ ٣٦٦، نقلاً عن الفريابي.

(٦) "شرح السنّة": للإمام حسَين بن مسعود البَغَوي، المتوفّى ٥١٦هـ.("كشف الظنون"، ٢/ ٧٢).

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٣٣٧٠، ٣/ ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٩.

(٨) أخرجه البَغَوي في "شرح السنّة" كتاب البرّ والصلة، باب صلة الرحم وإثم مَن قطعها، ر: ٣٤٣٣، ٧/ ٢٩٠، ٢٩١، عن أبي عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ تحت العرش يومَ القيامة: القرآنُ يحاجّ العِبادَ له ظهرٌ وبطنٌ، والأمانةُ، والرّحمُ تنادي: ألا مَن وصلَني وصلَه الله! ومَن قطعني قطعه الله!».

لفظ "مُسند الفِردوس"[١]: «القرآنُ تحت العرش، له ظهرٌ وبطنٌ يحاجّ العِباد»[٢].

وأخرج الطبَراني في "الكبير" والبَغَوي فيه[٣] وفي "المَعالم"، وهذا لفظُه عن أبي الأحوَص[٤] عن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النّبي ﷺ أنّه قال: «إنّ القرآنَ أنزلَ على سبعةِ أحرُف، لكلّ آيةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكلّ حدٍّ مُطّلَعٌ»[٥]. قال العزيزي[٦] في "السّراج المنير"[٧]: "قال الشّيخ: "حديثٌ حسنٌ""[٨] ...انتهى.

---

(١) "مُسند الفِردوس" -وهو مختصر "فردوس الأخيار [الأخبار]" لأبيه-: للحافظ شهردار، المتوفّى سنة ٥٥٨هـ أسانيد كتاب الفردوس ورتبها ترتيباً حسناً. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٣٨، ٥٥٩).

(٢) انظر: "الفردوس بمأثور الخطاب" ذكر الفصول من ذوات الألف واللام، ر: ٤٦٧٣، ٣/ ٢٢٨.

(٣) أي: في "شرح السنّة" كتاب العلم، باب الخصومة في القرآن، تحت ر: ١٢٢، ١/ ١٨٠.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عَوف، ر: ٥٤٠٨، ٦/ ٢٨١، ٢٨٢.

(٥) أخرجه البَغَوي في "المعالم" المقدمة، فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، ١/ ٣٥ عن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النّبي ﷺ. وأخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب من روى عن ابن مسعود أنّ لم يكن ...إلخ، ر: ١٠١٠٧، ١٠/ ١٠٦ عن عبد الله.

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٠٦.

(٧) "السّراج المنير في شرح الجامع الصغير": لعلي بن محمد بن إبراهيم البُولاقي المصري الشّافعي، الشهير بالعزيزي، المتوفّى سنة ١٠٧٠هـ. ("إيضاح المكنون" ٤/ ٧. و"هدية العارفين" ٥/ ٦٠٦).

(٨) "السّراج المنير" حرف الهمزة، ٢/ ٧٢.

وأخرج الطبَراني[١] وأبو يعلى والبزّار[٢] وغيرهم[٣] عنه ﷺ قال: «إنّ هذا القرآنَ ليس منه حرفٌ إلّا له حدٌّ، ولكلّ حدٍّ مُطّلَعٌ»[٤].

قال الطِيبي في "شرح المشكاة"[٥] ثمّ طاهرٌ[٦] في "مجمع بِحار

---

(١) أي: في "المعجم الكبير" باب، ر: ٨٦٦٨، ٩/ ١٣٦، عن عبد الله.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٧.

(٣) أخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ من قوله: «نزل القرآنُ على سبعةِ أحرُف» ر: ٣٠٩٥، ٨/ ١٠٩، عن عبد الله عن رسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه أبو يعلى في "المسند" مسند عبد الله بن مسعود، ر: ٥١٤٦، ٤/ ٢٠٠ عن عبد الله، عن النبي ﷺ: «لو كنتُ متّخذاً من أهل الأرض خليلاً، لأتخذتُ أبا بكر بن أبي قُحافة خليلاً، ولكن صاحبَكم خليلُ الله، وإنّ القرآنَ نزل على سبعةِ أحرُف، لكلّ آيةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكلّ حدٍّ مُطّلَعٌ». وأخرجه البزّار في "المسند" مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، أبو إسحاق الهمَداني، عن أبي الأحوَص، عن عبد الله، ر: ٢٠٨١، ٥/ ٤٤١ عن عبد الله.

(٥) "الكاشف عن حقائق السنن" كتاب العلم، الفصل ٢، تحت ر: ٢٣٨، ١/ ٣٩٥: للعلاّمة حسين بن محمد الطِيبي، المتوفّى سنة ٧٤٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٧٠، ٥٧١).

(٦) محمد طاهر الفَتّني الهندي الكُجراتي، جمال الدّين: عالم بالحديث ورجاله، كان يلقّب بملِك المحدِّثين، نسبتُه إلى فَتّن (من بلاد كُجرات بالهند)، ومولده ووفاته فيها (٩٨٦هـ)، زار الحرمَين والتقى بكثيرٍ من العلماء وعاد، فانقطع للعلم، ودعا إلى مناوأة البواهير وكانوا قومه، أنكر عليهم بدعتَهم، فانفردوا به فقتلوه بالقُرب من "أُجّين" بضمّ الهمزة، ودُفن في فَتن. من كتبه: "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار"، و"تذكرة الموضوعات"، =

الأنوار"[١]: "أي: لكلّ طرفٍ من الظهر والبطن مُطّلَعٌ، بتشديد "طاء" وفتح "لام" أي: مَصعَد أو مَوضع يطّلع عليه بالترقّي إليه، فمُطّلَع الظَهر علمُ العربيّة وأسبابُ النّزول والنّاسخُ ونحوُه، ومطّلَعُ البطن تصفيةُ النّفس والرّياضةُ"[٢].

ومثله في "أشعّة اللّمعات" للشّيخ المحقِّق قال: "ومُطّلَع البطن الرّياضةُ، واتّباعُ الظاهر، والعملُ بمقتضاه، وتزكيةُ النّفس، وتصفيةُ القلب، وتجلية السرّ، فبعد حصولها يتأتّى الاطّلاعُ على بُطون القرآن وأنشد:

جمال شاهد قرآن نقاب آنگاه بكشايد   كه دار الملك ايمان رابيابيد خالى از غوغا"[٣]

أقول: وهذا أحسن مِن لفظ القاري في "المرقاة": "«له» أي: القرآن «ظهرٌ» أي: معنى ظاهر يستغني عن التأمّل، يفهمه أكثرُ النّاس الذين عندهم أدواتُ فهمِه، «وبطنٌ» أي: معنى خفي يحتاج إلى التأويل من إشاراتٍ خفيّة، لا يفهمها إلّا خواصّ المقرّبين من العلماء العامِلين، بحسب الاستعداد وحصول الإمداد"[٤] ...انتهى.

=

و"المغني" في أسماء رجال الحديث. ("النور السافر" صـ٣٢٣. و"شذرات الذهب" سنة ست وثمانين وتسعمئة، ١٠/ ٦٠١، ٦٠٢. و"الرسالة المستطرفة" صـ١٥٠، ١٥١).

(١) "مجمع البِحار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار": للشّيخ محمّد طاهر الصّديقي الفَتّني، المتوفّى سنة ٩٨١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤٩٦).

(٢) "مجمع بحار الأنوار" حرف الحاء مع الدال، ١/ ٤٥٩.

(٣) "أشعة اللمعات" كتاب العلم، الفصل ٢، ١/ ١٧٩.

(٤) "المرقاة" كتاب فضائل القرآن، الفصل ٢، تحت ر: ٢١٣٣، ٤/ ٦٤٢.

فإنّ في قوله: "يستغني عن التأمّل" تأمُّلاً ظاهراً؛ لأنّ كثيراً من الظهر مما لم يصلوا إليه إلّا بعد تأمّلٍ بالغ. وكذا قوله: "يفهمه أكثرُ النّاس"؛ فإنّ كثيراً منه مما لم يفز به إلّا أفرادُ المبرَزين من علماء الظاهر.

وكذلك قولُ الشّيخ في "الأشعّة": "الظهرُ ما اشتركَ فيه كلُّ مؤمنٍ في فهمِه والعملِ به، والبطنُ ما لا يصل إليه إلّا فهمُ الخواصّ" ...انتهى. وكذا قوله في محلّ قبله: "المرادُ بالظهر ما يفهمه أهلُ اللِّسان جميعاً، والبطنُ ما يطّلع عليه خواصُّ عِباد الله تعالى"[1] ...انتهى.

مطلب في غزارة علوم ظهر القرآن

فإنّ بين هذَين علوماً جمّةً تبقى خارجةً عن القسمَين، وقد قال العلّامةُ الباجُوري في "شرح البُردة الشّريفة" تحت قوله ﷺ

"لها مَعانٍ كمَوجِ البَحر في مدد":

"أشار بذلك إلى قول بعضِهم: أقلُّ ما قِيل في العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه: أربعةٌ وعشرون ألفِ علمٍ وثمانمئةِ علمٍ"[2] ...انتهى.

فهل ترى هذه الظواهرَ يفوز بها كلُّ عالمٍ؟ فضلاً عن كلّ مؤمنٍ؟ فضلاً عن كلّ مَن يعرف اللّسان؟ وإن أفنَى عمرَه في التأمّل ما لم يبلغ مَطلعها، فضلاً عن

---

(١) "أشعة اللمعات" كتاب العلم، الفصل ٢، ١/ ١٧٩.

(٢) "حاشية الباجوري على البُردة" صـ٦٣.

استغنائِها عن التأمّل. وفي "حاشية الإمام السُّيوطي على صحيح البخاري"[(١)] في حديث «يا أبا عمَير! ما فعل نغَير؟»[(٢)]: "ألّف ابنُ القاص[(٣)] في شرح هذا الحديث كتاباً استنبط منه أكثرَ من ستّين فائدة"[(٤)] ...انتهى.

فأنشدك اللهُ والإسلام! هذا حديثٌ ليس في أصول الدّين، ولا سيقَ في إبانة حكم، رجل من علماء الظاهر وفّقَ فيه لفهم أكثر من ستّين فائدة، هل تستغني هذه عن التأمّل أو يفوز بها كلُّ رجل؟ فما ظنّك بعلوم ظهر القرآن؟ وهذه ألوفُ مجلّداتٍ من التفاسير، منها "ياقُوت التأويل"[(٥)] للإمام حجّة الإسلام في أربعين مجلّداً، و"تفسير

---

(١) أي: "التوشيح على الجامع الصحيح": للحافظ جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل، ر: ٦٢٠٣، صـ١٠٧٩، ١٠٨٠، عن أنس قال: كان النبيُّ ﷺ أحسنَ النّاس خُلقاً، وكان لي أخٌ يقال له: أبو عمَير، قال: أحسبه فطيماً، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمَير! ما فعل النُغَير؟» نُغيرٌ كان يلعب به، فربما حضر الصّلاةُ وهو في بيتنا، فيأمر بالبَساط الذي تحته، فيُكنس ويُنضح ثمّ يقوم ونقوم خلفَه فيصلّي بنا.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٣.

(٤) "التوشيح" كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل، تحت ر: ٦٢٠٣، ٨/ ٣٧٢٤.

(٥) "ياقوت التأويل في تفسير التنزيل": للإمام حجّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المتوفّى سنة ٥٠٥هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٨٢٩).

ابن النّقيب"[١] في مئةِ مجلَّد، و"تفسير الأدفوي"[٢] في مئة وعشرين مجلَّداً، و"تفسير أبي بكر[٣] بن عبد الله" لمحض الفاتحة وخمسين آية من أوّل البقرة في مئة وأربعين مجلّداً، و"تفسير الإمام أبي الحسن الأشعَري"[٤] في ستّمئة مجلَّد، كان موجوداً إلى زمن الإمام السُّيوطي في خزانة مصر، هل تدرَك تلك العلومُ بدُون تأمّل؟ أو يفوز بها كلُّ عالمٍ ولو مبرَزاً؟ واعتقادي أنّهم إلى الآن لم يستوفوا الظهرَ، وفَوق كلِّ ذي علمٍ عليم!.

---

(١) أي: "التحرير والتحبير لأقوال أئمّة التفسير في معاني كلام السّميع البصير": للشّيخ العلاّمة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان، المعروف بابن النقيب المقدسي الحنفي، المتوفّى سنة ثمان وتسعين وستمئة. ("كشف الظنون" ١/ ٣٠٨).

(٢) أي: "الاستغناء في التفسير": للشيخ الإمام أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي، المتوفّى سنة ٣٨٨هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٢٢، و٣٦٣).

(٣) "تفسير" لأبي بكر محمد بن عبدوس بن أحمد بن الجنيد المقرئ المفسِّر الواعظ الجنيدي. مات في ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة. ("طبقات المفسِّرين" للداوودي، حرف الميم، تحت ر: ٥٣١، ٢/ ١٩٣، ١٩٤. و"كشف الظنون" ١/ ٣٦٢. و"تاريخ نيسابور" ذكر الطبقة السادسة من العلماء النيسابوريين، تحت ر: ٢٢٥٨، صـ١٠٨. و"الأنساب" للسمعاني، باب الجيم والنون، ٣/ ٣٥٩ ملتقطاً).

(٤) "تفسير أبي الحسن": لعلي بن إسماعيل الأشعري قدوة أهل السنّة، المتوفّى سنة ٣٢٠هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٣٦٢).

هذا، ثمّ نقل القاري عن زين العرب[1] نحوَ ما قدّم قال: "أو «الظهر» المعنى الجلي و«البطن» الخفي، وهو سرٌّ بين الله وبين عِباده المصطفِين، عن أبي الدّرداء ﵁: «لا يفقه الرّجلُ كلَّ الفقه، حتّى يجعلَ للقرآن وُجوهاً»"[2] ...انتهى.

قلتُ: أخرجه عن أبي الدّرداء ﵁ ابنُ سعد في "الطبقات"[3]، وأبو نعَيم في "الحلية"[4]، وابنُ عساكر في "تاريخه"[5]، وأوردَه مقاتلُ بن سليمان[6] في صدر كتابه في "وجوه القرآن"[7]

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٧٦. و"الأعلام" ٤/ ٣١٠.

(٢) "المرقاة" كتاب العلم، الفصل ٢، تحت ر: ٢٣٨، ١/ ٤٩٨.

(٣) "الطبقات" ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به من أصحاب رسول الله ﷺ ...إلخ، ذكر من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ٢/ ٢٠، عن أبي الدرداء.

(٤) "الحلية" ذكر الصحابة من المهاجرين، تحت ر: ٣٥ أبو الدرداء، ر: ٧٨٤، ١/ ٢٧١، عن أبي الدرداء: «إنّك لا تفقَه كلَّ الفقه، حتّى ترى للقرآن وجوهاً، وإنّك لا تفقَه كلَّ الفقهِ، حتّى تمقت النّاس في جنب الله، ثمّ ترجع إلى نفسِك فتكون لها أشدَّ مقتك منك للنّاس».

(٥) أي: "تاريخ الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن حسن، المعروف بابن عساكر" الدّمشقي، المتوفّى سنة إحدى وسبعين وخمسمئة، وهو في نحو ثمانين مجلّداً، ذكر تراجم الأعيان والرّواة ومروياتهم على نسق "تاريخ بغداد" للخطيب، لكنّه أعظم منه حجماً. ("كشف الظنون" ١/ ٢٦٩).

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٣٦٤.

(٧) أي: "الوجوه والنظائر": لمقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخُراساني أبو الحسن البَلخي المفسِّر، المتوفّى سنة ١٥٠هـ. ("طبقات المفسِّرين" ر: ٦٤٢، ٢/ ٣٣٠، ٣٣١. و"هدية العارفين" ٦/ ٣٦٤).

مرفوعاً بلفظ: «لا يكون الرّجلُ فقيهاً كلَّ الفقه، حتّى يرى للقرآن وُجوهاً كثيرةً»[1].

قال في "الإتقان": "قد فسّره بعضُهم بأنّ المراد: أن يرى اللّفظَ الواحدَ يحتمل مَعانٍ متعددة، فيحمله عليها إذا كانت غيرُ متضادّة، ولا يقتصر به على معنى واحد. أشار آخَرون إلى أنّ المرادَ به استعمالُ الإشارات الباطنة، وعدمُ الاقتصار على التفسير الظاهر"[2] ...انتهى.

وقال في "المرقاة": "ليس للحدّ والمطّلَع انتهاء؛ لأنّ غايتَهما طريقُ العارفين بالله تعالى، وما يكون سرّاً بين الله تعالى وبين أنبيائِه وأوليائِه"[3]، كذا حقّقه الطِيبي[4] ...انتهى.

وهذا هو التحقيق الأنيق، وفي "اللّمعات" عن الإمام التُوْرَپِشْتِي[5]: "كان رسولُ الله ﷺ هو الذي رُزق الارتقاء إلى مطّلَعِ كلِّ حدٍّ من القرآن، وقد قال بعضُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في "التاريخ" حرف العين، تحت ر: ٥٤٦٤ عويمر بن زيد بن قيس، ٤٧/ ١٧٢، ١٧٣، عن أبي الدرداء قال: «إنّك لن تفقه» ...إلخ. قال حمّاد: فقلتُ لأيوب: أرأيتَ قولَه: حتّى ترى للقرآن وُجوهاً؟ قال: فسكتَ هنَيهةً، قال: فقلتُ: أ هُو أن ترى له وُجوهاً؟ فتهاب الإقدام عليه فقال: نعم هذا هو. وأخرجه مقاتل بن سليمان في "الوجوه والنظائر" صـ١٩، عن مقاتل، يرفعه إلى النّبي ﷺ.

(٢) "الإتقان" النوع ٣٩ في معرفة الوجوه والنظائر، ١/ ٢٨٣.

(٣) "المرقاة" كتاب العلم، الفصل ٢، تحت ر: ٢٣٨، ١/ ٤٩٨.

(٤) أي: في "الكاشف" كتاب العلم، الفصل ٢، تحت ر: ٢٣٨، ١/ ٣٩٥.

(٥) هو فضل الله بن حسن التُّوْرَبِشْتِي شهاب الدّين أبو عبد الله الفقيه الحنفي، المتوفّى سنة ٦٦١هـ. من تصانيفه: "تحفة السالكين" في التصوّف فارسي، و"تحفة المرشدين في اختصار =

العلماء: إنّ عامّةَ سُنن الرّسول ﷺ راجعةٌ إلى القرآن، والعلماءُ في ذلك على طبقاتِهم ومَنازِلهم، وكان ﷺ يُدرِك مِن مَعاني الوحي ما لا يبلغه فهمُ غيرِه ...انتهى"[١].

وفي "اليواقيت والجواهر" للإمام الشَّعراني: قد وردَ في الحديث النّبوي: «إنّ لكلّ آيةٍ ظاهراً وباطناً وحَدّاً ومطّلَعاً، إلى سبعةِ أبطُن وإلى سبعين»[٢] ...انتهى.

قلتُ: وفي بالي من كلام بعض المحقِّقين: أنّ علومَ الأولياء على ما بينهم من تفاوُتٍ عظيمٍ تنتهي إلى البطن الثالث، وما وراء ذلك كلُّه مختصٌّ برسول الله ﷺ.

وقال سيّدي الحافظ أحمد السِّجِلْمَاسِيّ[٣] رَحِمَهُ اللهُ في "الإبريز الشّريف": "مَن فتحَ اللهُ بصيرتَه نظرَ إلى المعنى القديم، فوجدَه لا نهايةَ له، وهو باطنُ القرآن، وإذا نظرَ إلى الصُّورة وجدَها محصورةً بين الدَفتَين، وهو ظاهرُ القرآن، وإذا أنصتَ لقراءة القرآن، رأى المعاني القديمة راكدةً في ظلّ الألفاظ لا يخفى عليه ذلك، كما لا يخفى عليه المحسوساتُ بحاسّة البصر"[٤] ...انتهى.

=

تحفة السالكين" و"مطلب الناسك في علم المناسك" و"المعتمَد في المعتقد" و"الميسر" في شرح "مصابيح السنّة" للبَغَوي. ("هدية العارفين" ٥/ ٦٥٣، ٦٥٤).

(١) "اللمعات" كتاب العلم، الفصل ٢، تحت ر: ٢٣٨، ١/ ٢٨٦.

(٢) لكن وجدناه في "الطبقات الكبرى" مقدّمة، الجزء ١، صـ٦.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ١٤٤.

(٤) "الإبريز" مقدّمة المؤلف، الفصل ٣، مميزات كلام الله سبحانه، ١/ ١١٩، ١٢٠ ملتقطاً.

وهذا تصديقُ قول سيّدي عبد الوهّاب الشَّعراني: أنّ الفهمَ لا يتخلّف عن النّطق، وقال الحافظُ أيضاً: "قلتُ: -أي: لسيّدي عبد العزيز[١] ﷺ- هل لمعرفة هذا الباطن مِن سبب؟ فقال ﷺ: لا يدرَك إلّا بالكشف، لكن مَن عرفَ السُّريانيةَ وأسرارَ الحروف، أعانَه ذلك على فهم باطن القرآن عَوناً كثيراً، وعَلم ما في عالَم الأرواح، وما في هذه الدّار، وما في الدّار الآخِرة، وما في السّماوات، وما في الأرضِين، وما في العرش وغير ذلك، وعلمَ أنّ مَعاني القرآن العزيز التي يشير إليها لا نهايةَ لها، فعلمَ معنى قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]"[٢] ...انتهى.

بيان قطرةٍ مِن بِحار عِلوم النّبي ﷺ

وقال أيضاً عن شيخِه السيّد ﷺ: "لو فُسّر القرآنُ بمعناه الحقيقي، عُلم من باطنِه ما كانت عليه الأرواحُ قبل دخولها في الأشباح، وما ستكون عليه بعد المفارَقة، وعُلم منه كيف تُستخرَج سائرُ العلوم من القرآن العزيز، التي تدرِكها علومُ الخلائق من أهل السّماوات والأرضِين، وكيف تؤخَذ الشّريعةُ بل وجميعُ الشّرائع منه؟ وجميعُ

(١) الولي الكامل، الغوث الحافل، الصوفي الباهر، نجم العرفان الزاهر، صاحب الإشارات العلية، والعبارات السَنيّة، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والأسرار الربانية، قطب السالكين، وحامل لواء العارفين، شيخنا وسيدنا ومولانا سيّدي عبد العزيز بن سيدنا ومولانا مسعود الدبّاغ. وُلد ﷺ بفاس، وكان ﷺ أميّاً، لا يقرأ ولا يكتب. وكانت وفاة مولانا عبد العزيز ﷺ سنة إحدى وثلاثين وألف عن ستة وثلاثين عاماً. ("جامع كرامات العَلية في طبقات السّادة الشّاذلية" الفصل ٢ فيما يتعلّق بتراجمهم ومناقبهم، ر: ٤٤، صـ١٣٩-١٤١ ملتقطاً).

(٢) "الإبريز" الباب ٢، ١/ ٣٥٤، ٣٥٥.

ما أشرنا إليه من أجزاء العلم السّابقة من معرفة العواقب والعلوم المتعلّقة بأحوال الكونَين والثقَلَين، ومعرفة سائر اللُّغات وغير ذلك، وكلُّ ذلك قطرةٌ من البحر الذي في باطنه ﷺ"[١] ...انتهى.

وقال ﵁ قبل هذا ذاكراً بعضَ ما حصلَ له ﷺ، من علوم باطن القرآن بجزءٍ واحدٍ من سبعةِ أجزاء، حرفٌ واحدٌ من الأحرُف السّبعة ما نصُّه: "وأقوى الأرواح في ذلك روحُه ﷺ؛ فإنّها لم يحجب عنها شيءٌ من العالَم، فهي مطّلعةٌ على عرشِه وعُلوه وسُفله، ودنياه وآخرته، وناره وجنّته؛ لأنّ جميعَ ذلك خُلق لأجلِه ﷺ، فتمييزُه ﷺ خارقٌ لهذه العوالم بأسرِها، فعنده تمييزٌ في أجرام السّماوات من أين خُلقت، وإلى أين تصير في جِرم كلّ سماء، وعنده تمييزٌ في ملائكةِ كلّ سماء، وأين خُلقوا، ومتى خُلقوا، ولمَ خُلقوا، وإلى أين يصيرون، ويميّز اختلافَ مَراتبهم، ومنتهَى درجاتِهم، وعنده ﷺ تمييزٌ في الحُجب السّبعين، وفي ملائكةِ كلِّ حجابٍ على الصّفة السّابقة، وعنده ﷺ تمييزٌ في الأجرام النيّرة، التي في العالَم العُلوي مثل النُّجوم والشّمس والقمر واللَّوح والقلَم والبَرزَخ والأرواح التي فيه على الوصف السّابق، وكذا عنده ﷺ تمييزٌ في الأرضِين السّبع، وفي مخلوقات كلّ أرض، وما في البَرّ والبَحر من ذلك، فيميّز جميعَ ذلك على الصّفة السّابقة، وكذا عنده ﷺ تمييزٌ في الجِنان ودرجاتِها، وعددِ سُكّانها ومَقاماتِهم فيها، وكذا ما بقيَ من العوالم، وليس في هذا مُزاحَمةٌ للعلم القديم الأزَليّ الذي لا نهايةَ لمعلوماته؛ وذلك لأنّ ما في العلم القديم

(١) "الإبريز" الباب ١، مطلب: قراءة الفاتحة فوق السبعة، ١/ ٢٢٠ ملتقطاً وبتصرّف.

لم ينحصر في هذا العالَمَ؛ فإنّ أسرارَ الرَّبوبية وأوصاف الأُلوهيّة التي لا نهايةَ لها، ليست من هذا العالَمَ في شيءٍ"[١] ...انتهى. وهذا هو الذي كُنّا حقّقناه، ولله الحمد!.

أقول: وليس هذا من هذا السيّد العالم بالله، بل من الله وكلام الله؛ لأنّ جميعَ ما ذكر داخلٌ في الشّيء، وقد نزلَ القرآنُ تبياناً لكلِّ شيء، وتفصيلُ كلِّ شيء، ما فرّط فيه من شيء، تفصيلُ الكتاب لا ريبَ فيه، ومعلومٌ أنّه لا يُرى لهذه البِحار الزّواخر من العلوم عينٌ ولا أثرٌ عند أهل الرَّسم والأثر، فإذَن ما هي إلّا من بُطون الكتاب الكريم، كما تقدّم[٢] من كلام الإمام أبي تراب النَّخشبي، فلا مَحيدَ عن الإيمان ببُطون القرآن، وإن لم يرد التصريحُ بها في الآثار، فكيف وقد وردَ واشتهرَ اشتهارَ الشّمس في رابعة النَّهار، وكذا لا توقف له على أن نعلمَ معنى الأحرُف السّبعة التي نزلَ بها القرآنُ؛ فإنّ الباطنَ ثابتٌ للقرآن بالقرآن ثبوتاً لا مَردَّ له، وقد ذكرنا لفظَ الحديث، إنّ لكلّ آيةٍ ظهراً وبطناً، سَواءٌ كان نُزولُه على حرفٍ أو أحرُف، وسَواءٌ ظهرَ لنا المرادُ بالأحرُف، كما اقتحمَ بيانه أقوام أو لا، كما اضطرَّ إلى الاعتراف به أعلام[٣]، وصحّحه

---

(١) "الإبريز" الباب ١، ١/ ١٥٣، ١٥٤.

(٢) أي: "الدولة المكيّة" النظر ٥، صـ١٧١.

(٣) انظر: "إتحاف السادة المتقين" كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب ٤ في فهم القرآن وتفسير بالرأي، ٤/ ٥٢٧، ٥٢٨.

المُناوي في "التيسير" قال: "اختلفَ فيه على نحو أربعين قولاً، والمختار: أنّ هذا من متشابهِ الحديث، الذي لا يدرَك معناه"[١] ...انتهى.

الردّ على "غاية المأمول"

وبما قرّرنا تبيّن -ولله الحمد- جهلُ "الرّسالة" المفتراة، إذ أوردتْ حديثَ «أنزل القرآنُ على سبعة أحرُف، لكلّ حرفٍ منها ظهرٌ وبطنٌ» سؤالاً على نفسها، قالت: "فلمَ لا يجوز أن يكونَ علمُ المغيّبات الخمس، الذي منه تعيينُ وقت السّاعة، مندرِجاً في بُطون الأحرُف؛ فإنّ المذكورَ -أي: هذا الفقير- يدّعِي ذلك"[٢] ...انتهى.

أقول: وهذه فريةٌ أخرى على الفقير من تلك المفتراة؛ فإنّي لم أجزم قطّ بدُخول تعيين وقت السّاعة، وسيأتيك[٣] كلامِي فيه متناً وشرحاً، بل هذا كتابي[٤] بين عينَيك! لم أذكر فيه حديثَ البُطون أصلاً، فضلاً عن ادّعاءِ شمولها لعلم السّاعة.

ثمّ "الرسالة" حاوَلت الجوابَ بأربعة وُجوه:

الأوّل: ما تقدّم عنها[٥] من قبل أيضاً، وحاصلُه أنّ القرآنَ متناهٍ، فلا يكون

---

(١) "التيسير" حرف الهمزة، تحت ر: ٢٧٢٤، ٢/ ٥٠٩ ملتقطاً.

(٢) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣٤.

(٣) أي: في "الدولة المكيّة" القسم ١، النظر ٦، صـ٢٢٨- ٢٣١.

(٤) المراد به "الدولة المكية".

(٥) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٥، صـ١٦٨.

تفصيلاً لغير المتناهي، فلا يتيقّن بشموله جميعَ المغيّبات الخمس تفصيلاً"[١].

وقد علمتَ ردَّه، إنّا لا ندّعي بل لا نُجيز إحاطةَ علم المخلوق بغير المتناهي بالفعل، وإنّ تفاصيلَ ما كان وما يكون من أوّل يومٍ إلى اليوم الآخِر شيءٌ معيّنٌ محصور، لا يتوقّف اشتمالُه على اشتمال غير المتناهي تفصيلاً.

والثاني: "اختلف العلماءُ في المراد من الأحرُف على أربعين قولاً، منها: إنّ الحديث مشكلٌ -قال-: فمع هذا الاختلاف كيف يتمّ الاستدلالُ؟ على أنّ الأحرُف المذكورة فيها بيانُ المغيّبات الخمس على الوجه التفصيلي"[٢] انتهى.

وقد علمتَ أنّه كلامُ مَن لم يبلغ العنقود، ولم يعرف المقصود، فلا توقّف لدعوانا على إدراك المراد بتلك الحروف، بل ولا على خبر نزولِه على سبعةِ أحرُف، بل ولا على نزولِه على أحرُف، ولا تمسّكنا بهذا الحديث، بل ولا ذكرتُه في كتابي، والآن إذ ذكرتُه ذكرتُه بلفظ "لكلّ آيةٍ ظهرٌ وبطنٌ"؛ ليعلمَ مَن لا يعلم أنّ البطونَ للآيات، ولا غرضَ لنا يتعلّق بالبحث عن مراد الحروف. وبالجملة أين المفرُّ عن القرآن؟ وقد نطقَ بأنّه لكلّ شيءٍ تبيان، فوجب الإيمانُ به والإذعان، كان المرادُ بالأحرُف ما كان!.

والثالث: "لو قلنا بأنّ بُطونَ الأحرُف فيها بيانُ المغيّبات الخمس، ولو بطريق الرَّمز والإشارة، وإنّه ﷺ اطّلع على ذلك" لكُنّا قائلين بثبوت التناقُض بين ذلك

---

(١) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣٠، ٣٣١ ملتقطاً.

(٢) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣٥، ٣٣٦ ملتقطاً وبتصرّف.

وبين الآيات التي تلَوناها الدالّة دلالةً صريحةً، على حصر علم المغيّبات الخمس في ذات الله تعالى، والاختلافُ والتناقُض في كلام الله تعالى مُحال"[١].

أقول أوّلاً: قد بيّنا في "الرّسالة"[٢] وُجوهَ الجمع عن الأئمّة الجلّة وبالأدلّة القاطعة، بحيث لا يزعم بعده توهُّم التناقُض في كلام الله ﷻ، إلّا أحدُ شخصَين: مَن سمعَ ولم يعقل، فكان من الذين سمعُوا وهُم لا يسمعون، ومَن عقلَ ولم يقبل، فكان من الذين يعرفون ثمّ يُنكِرون، وقد سمعَ هذا البيانَ منّي السيّدُ الذي نسبتْ إليه الوهابيةُ هذه "الرّسالةَ" المفتراة، فإنّه سمعَ القِسمَ الأوّل من كتابي تماماً، وشأنُه أرفع من أن يكونَ أحدَ الشّخصَين، فما هو إلّا من الوهابية أُولى الخِداع والمَين!.

وثانياً: ما ذكرت "الرّسالةُ"[٣] من الآيات ليس في شيءٍ منها الحجرُ على إعلام العليم الخبير ﷻ، فوهم التناقُض شيءٌ كبير.

وثالثاً: مما ذكرت "الرّسالةُ"[٤] من الآيات قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فلو دلّت على سلب الإعلام، لزمَ أنّ اللهَ تعالى لم يعلِّم نبيَّه ﷺ شيئاً من الغيوب، وهذا إنكارٌ للنبوّة كما تقدّم[٥]، وقد

---

(١) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣٦ ملتقطاً.

(٢) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٦، صـ١٨٩- ١٩٨.

(٣) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، صـ٣٠٤، ٣٠٥.

(٤) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، صـ٣٠٤.

(٥) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ١، صـ١١٠، ١١١.

حقَّقنا[1] في كتابنا، أنّ حديث «مفاتيحُ الغيب خمسٌ»[2] لا دلالةَ له على حصر الغيب في الخمس، وإن فُرض فقد حصلَ له ﷺ، بل لكثيرٍ من عِبيده وغِلمانه علمٌ كثيرٌ من الخمس، كما بيّنا في الكتاب[3]، واعترفتْ به "الرّسالةُ"[4] نفسُها كما سيأتي[5]، فلو أُريدَ سلبُ الإعلام عموماً، لم يكن محيدٌ عن التناقُض -والعياذُ بالله تعالى-، وإن أُريدَ سلبُ العموم لم يتناقض ولم يضرّنا؛ فإنّ ما كان وما يكون بالمعنى الذي ذكرنا[6]، ليس إلّا بعضاً يسيراً نزراً قليلاً من الغيوب بل ومِن الخمس، كما سنحقِّقه[7] بتوفيقه تعالى!.

ورابعاً: من التلبيس قولُ "الرّسالة": إنّ الآياتِ التي تلتْها تدلّ صراحةً على حصر الخمس، فإنّها ذكرتْ أربعَ آياتٍ تخصّ بالسّاعة، وليس في شيءٍ منها الحجرُ على

---

(١) أي: في "الدولة" القسم ١، النظر ٦، صـ١٩٠- ١٩٢.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التفسير، سورة الرعد، باب قوله: ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨] ﴿وَغِيضَ﴾ [هود: ٤٤]، ر: ٤٦٩٧ صـ٨١٠، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغَيب خمسٌ لا يعلمها إلّا الله: (١) لا يعلم ما في غدٍ إلّا الله، (٢) ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلّا الله، (٣) ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحدٌ إلّا الله، (٤) ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، (٥) ولا يعلم متى تقوم السّاعةُ إلّا الله».

(٣) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ١، صـ١٠٨، ١٠٩.

(٤) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٥، صـ٣٦٧، ٣٦٨.

(٥) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٦، صـ٢٠٧.

(٦) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٤، صـ١٤٦، ١٤٧.

(٧) أي: في "إنباء الحي"، صـ١٦٤-١٦٦.

إعلام الله تعالى فيما بعد كما سترى، وتلتْ كريمةً: ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لُقمان: ٣٤] وقد ذكرنا في الكتاب أن لا دلالةَ لها صريحةً على الحصر، إنّما الحصرُ في آية المفاتيح وحدَها، وقد علمتَ الجوابَ عنه آنفاً، ويأتيك[1] أنّ حصرَ العلم في الله ﷻ لا يَنفيه عن عِباده بإعلامه تعالى، وإلّا لزمَ التناقُض قطعاً -والعياذُ بالله تعالى-؛ فإنّ آيةَ المفاتيح إن خصّت بالخمس فلا خصوصَ في قوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النّمل: ٦٥] فيلزم عموماً سلبُ الإعلام، وهو مناقضٌ للقرآن والإيمان، فوجب الرّجوعُ إلى ما حقّقنا، وظهرَ أن لا دلالةَ لشيءٍ منها على النّفي العامّ للإعلام، فطاحَ زعمُ لُزوم التناقُض في كلام الملِك العلّام.

وخامساً: "الرّسالة" هي التي تركتْ آياتِ الله تتناقَض كما تقدّم بيانُه، فتكون مِصداقاً للمثل السّائر "رمتْني بدائِها وانسلّتْ"، وكلُّ ذلك أمارة أنّ "الرّسالة" مفتراةٌ أو حُرّفت.

والرّابع: "إنّ كلامَ الأئمّة صريحٌ في أنّ القرآنَ فيه من العلوم ما لا يعلمه إلّا الله تعالى، قال السُّيوطي[2]: "هل المتشابهُ مما يمكن الاطّلاعُ على علمه، أو لا يعلمه إلّا الله؟ على الأوّل طائفةٌ يسيرة، وهو روايةٌ عن ابن عبّاس -أي: ضعيفةٌ لما يأتي-

---

(١) أي: في "إنباء الحي"، صـ١٤٩، ١٥٠.

(٢) أي: في "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، فصل، ٢/ ٤، ٥.

والأكثرون من الصّحابة والتابعين وأتباعهم ومَن بعدهم، خصوصاً أهل السنّة ذهبوا إلى الثاني، وهو أصحُّ الرّوايات عن ابن عبّاس رضي الله عنهما"[١] انتهى مختصراً.

أقول أوّلاً: أسقطت "الرّسالةُ" من كلام "الإتقان" بعد قوله: "طائفة يسيرة" قولَه: "منهم مجاهِد"[٢].

وثانياً: حذفتْ بعد قوله: "وهو روايةٌ عن ابن عبّاس" قولَه: "فأخرجَ ابنُ المنذِر من طريق مجاهدٍ عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] أنا ممن يعلم تأويلَه. وأخرجَ عبدُ بن حمَيد عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قال: يعلمون تأويلَه ويقولون: آمنّا به. وأخرجَ ابنُ أبي حاتم عن الضَحّاك قال: الرّاسخون في العِلم يعلمون تأويلَه، لو لم يعلموا تأويلَه لم يعلموا ناسخَه من منسوخِه، ولا حلالَه من حرامِه، ولا مُحكَمَه من متشابهِه"[٣] انتهى.

فلو اكتفتْ من أثر ابن عبّاس بقوله: "وهو رواية" واندرجَ إسقاطُ أثر مجاهدٍ في إسقاط قولِه: "منهم مجاهد"، فحذفُ أثرِ الضحّاك خيانةٌ أخرى لا شكّ.

---

(١) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) لكنه ثابتٌ في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا.

(٣) أي: في "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، فصل، ٢/ ٤، ٥.

وثالثاً: أسقطتْ بعده قولَ "الإتقان": "واختارَ هذا القولَ النَّوويُّ وقال في "شرح مسلم"[١]: "إنّه الأصحّ؛ لأنّه يبعد أن يخاطبَ اللهُ تعالى عِبادَه بما لا سبيلَ لأحدٍ إلى معرفته"[٢].

ورابعاً: أسقطتْ بعد هذا قولَه: "وقال ابنُ الحاجب[٣]: إنّه الظاهر"[٤].

وخامساً: ادّعتْ أنّ تلك الرّوايةَ عن ابن عبّاس ضعيفةٌ، وأحالتْه على ما يأتي -أي: قولَ "الإتقان" لخلافِه: "أصحُّ الرّوايات"[٥]- وهي حوالةٌ غير رائجة؛ فإنّ أصحَّ الرّوايات لا يدلّ على ضعف تلك، ولا على صحّة هذه، فرُبما يكون بمعنى أقلّ ضَعفاً من بين ضِعاف، ورُبما يكون بمعنى أقوى صحّةً من بين صِحاح، بل هو الأظهَر لفظاً، ولتتذكّر "الرّسالةُ" هنا قَولها (ص١٨) المتقدِّم في صفات الله تعالى: "من المقرَّر في علم العربيّة، أنّ معنى أفعَل التفضيل: أنّ المفضَّلَ يُشارِك المفضَّل عليه، مع اختصاصٍ بزيادةٍ في المعنى الذي اشتقّ من مصدره أفعل التفضيل"[٦] انتهى.

---

(١) أي: "المنهاج في شرح مسلم بن الحَجّاج" كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ...إلخ، الجزء ١٦، صـ٢١٨: للإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النَّوَوي الشّافعي، المتوفّى سنة ٦٧٦هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٤٠).

(٢) أي: في "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، فصل، ٢/ ٥.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٢٦.

(٤) أي: في "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، فصل، ٢/ ٥.

(٥) أي: في "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، فصل، ٢/ ٥.

(٦) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٤، صـ٣٦١.

وقال الترمذي في "عِلله الكُبرى"[١] في حديث عَمرو بن عَوف المزني[٢]: "«أنّ رسولَ الله ﷺ كبّرَ في العيدَين، في الأُولى سبعاً قبل القراءة، وفي الآخِرة خمساً قبل القراءة» سألتُ محمّداً عن هذا الحديث فقال: ليس في هذا الباب أصحُّ منه"[٣] انتهى.

محمّد: هو البُخاري.

قال ابنُ القَطّان[٤] في "كتاب الوَهم والإيهام"[٥]: "هذا ليس بصريحٍ في التصحيح، فقوله: هو أصحُّ شيءٍ في الباب، يعني أشبَه ما في الباب وأقلّ ضَعفاً"[٦] انتهى.

المتشابهات معلومةٌ للنّبي ﷺ

وسادساً: قال الإمام الهُمام فخر الملّة والإسلام علي البَزدوي[٧] ﵀ في

---

(١) أي: "كتاب العلل": لمحمد بن عيسى سورة بن موسى بن الضحّاك السلمي، الإمام الحافظ أبو عيسى الضرير الشهير بالترمذي، المتوفّى سنة ٢٧٩هـ. ("هدية العارفين" ٦/ ١٧).

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عمرو، ر: ٥٢٦١، ٦/ ١٩٢ ملتقطاً.

(٣) "علل الترمذي" أبواب الصّلاة، في التكبير في العيدين، ر: ١٥٣، صـ٩٣.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٦٦.

(٥) أي: "بيان الوهم والإيهام" في الحديث: للشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن القطّان الفاسي، المتوفّى سنة ثمان وعشرين وستمئة. ("كشف الظنون" ١/ ٢٤٨).

(٦) "بيان الوهم والإيهام" القسم ١: بيان الوهم وهو ما يرجع ...إلخ، باب: ذكر أحاديث أوردها ولم أجد لها ذكراً ...إلخ، تحت ر: ٢٦٢، ١/ ٢٦٠ بتصرّف.

(٧) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٥٥، ٥٥٦.

"أصوله"[١] أواخِر بحث السنّة، قبَيل باب شرائع من قَبلنا: "أنّ الرّسولَ ﷺ أسبقُ النّاسِ في العلم، حتّى وضّح له ما خفي على غيره من المتشابه، فمُحالٌ أن يخفَى عليه مَعاني النّص"[٢] انتهى بلفظه الشّريف.

وقال الإمامُ عبد العزيز البخاري[٣] رحمه الله تعالى في شرحه "كشف الأسرار"[٤]: "الشّيخ[٥] رحمه الله تعالى ذكرَ هاهنا أنّ المتشابهَ وضّح للرّسول ﷺ دُون غيره، وهكذا ذكر شمسُ الأئمّة[٦] رحمه الله، وهو يتراءى مخالفاً لظاهر الكتاب؛ لأنّ الوقفَ إن وجبَ على قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ كما هو مختارُ السَّلَف والشيخَين، فذلك يقتضي أن لا يعلمَه الرّسولُ كما لا يعلمه غيرُه من العِباد، وإن كان الوقفُ على قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ -كما هو مختارُ الخلَف- يلزم أن لا يكونَ الرّسولُ ﷺ مخصوصاً بعلمه، بل الرّاسخون يعلمونه أيضاً، فأمّا أن يعلمَه الرّسولُ ولا يعلمه غيرُه، فمخالفٌ لما دلَّ عليه النصُّ من كلّ وجه.

---

(١) أي: "كنز الوصول إلى معرفة الأصول": للإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي، المتوفّى سنة٤٨٢هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٤٥. و"هدية العارفين" ٥/ ٥٥٥).

(٢) "كنز الوصول" باب تقسيم السنّة في حقّ النبي ﷺ، صـ٢٣٠.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٦٩. و"معجم المؤلّفين" ٢/ ١٥٨.

(٤) "كشف الأسرار": للشيخ الإمام علاء الدّين عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي، المتوفّى سنة ثلاثين وسبعمئة. ("كشف الظنون" ١/ ١٤٥).

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٠٠.

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٦١.

وأجيب عنه بأنّ معنى الآية على تقدير الوقف على "إلّا الله"، وما يعلم أحدٌ تأويلَه بدُون تعليم الله إلّا الله، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النّمل: ٦٥] أي: لا يعلم بدُون تعليم الله إلّا الله، فيكون "إلّا" حينئذٍ بمعنى "غير"، وإذا كان كذلك جازَ أن يكونَ الرّسولُ مخصوصاً بالتعليم بدُون إذنٍ بالبيان لغيره، فيبقى غير معلومٍ في حقّ غيره.

واعترض بأنّ الآيةَ تقتضي حصرَ العلم على الله ﷻ، وإذا صار الرّسولُ ﷺ عالماً بالمتشابهات النّازلة قبل نُزول هذه الآية بالتعليم، لا يستقيم الحصر، وكان ينبغي أن يقولَ: "وما يعلم تأويلَه إلّا الله ورسولُه". وأجيب عنه بأنّه يجوز أن يكونَ التعليمُ حاصلاً بعد نُزول هذه الآية، فلا يكون الرّسولُ عليه السلام عالماً بالمتشابه قبل نُزولها، فيستقيم الحصرُ بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، وبأنّ الآيةَ دلّت على حصر العلم على الله ﷻ وعلى مَن علّمه اللهُ بالتأويل الذي ذكر. ألا ترى أنّ تلك الآيةَ تُوجِب حصرَ علم الغيب على الله تعالى، ثمّ إنّه لا يمنع أن يعلمَ غيرُ الله بتعليمه، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجنّ: ٢٦، ٢٧] فكذا هاهنا"[1] انتهى. فانظر إلى تلك الكلمات المشرِقة الزّاهرة، تنفعك في جميع هذه المباحث الدّائرة، فأمعِن النّظر، وأنعِم الفِكر، يسدِّد فهمك، ويَبدو وهمك، إن أراد اللهُ علمَك.

(١) "كشف الأسرار" باب تقسيم السنّة في حقّ النبي ﷺ، ٣/ ٣٩٠، ٣٩١.

قال سيّدي عبد الغني النابلُسي قدّس سرّه في كتابه في العقائد الإسلاميّة "المَطالب الوَفية": "في المتشابهات كاليد والعَين ما بقي إلّا الإيمان والتسليم والإذعان لجميع ذلك، من غير حملٍ على الظاهر المفهوم لنا من اللّفظ، ولا تأويلَ له عمّا أريدَ منه من المعنى الحقيقي، الذي يعلمه اللهُ تعالى ويعلمه رسولُه ﷺ" انتهى.

قال العلّامةُ المدقِّق صاحبُ "الدر المختار" في "إفاضة الأنوار"[1] على متن "المنار": "المتشابهُ انقطعَ رَجاءُ معرفة المراد منه في حقّنا دُون الرّسول ﷺ"[2] انتهى. وفي "نور الأنوار"[3]: "متشابهاتُ القرآن سرٌّ بين الله ورسولِه ﷺ، لا يعلمها أحدٌ غيرُه"[4] انتهى. وقال الفاضِلُ محمد الأزميري[5] في حاشية[6] "مِرقاة الوُصول إلى مرآة

(١) "إفاضة الأنوار في شرح المنار": للعلاء الحصكفي محمد بن علي الدِمشقي، توفّي سنة ١٠٨٨هـ. ("إيضاح المكنون" ٤/ ٣٧٠. و"هدية العارفين" ٦/ ٢٣٢).

(٢) "إفاضة الأنوار" التقسيم ٢ في وجوه البيان، مطلب في مراتب هذه الأقسام، المتشابه، صـ١١٣ ملتقطاً.

(٣) "نور الأنوار على منار الأنوار": للشيخ أحمد الصديقي الهندي المعروف بـ"مُلّا جِيوَنْ" الحنفي، المتوفّى بدهلي سنة ١١٣٠هـ. ("إيضاح المكنون" ٤/ ٣٧٠).

(٤) "نور الأنوار" مبحث المتشابه، صـ٩١ ملتقطاً.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٢٥٦.

(٦) "حاشية على المرآة": لمحمد بن ولي بن رسول القيرشهري ثمّ الأزميري المفتي بها، المتوفّى سنة ١١٦٥هـ. ("هدية العارفين" ٦/ ٢٥٦).

الأصول": "أمّا النبيُّ ﷺ فهو يعلم المتشابهَ بإعلام الله تعالى، فالمناسبُ أن يقولَ: إنّه لا نقضَ بالنّبي ﷺ؛ إذ لا نزاعَ فيه، فلا يجري الدّليلُ في حقِّه ﷺ"(١) انتهى.

وقال القاضي البَيضاوي في "أنوار التنزيل" في فواتح السُّوَر: "وقيل: إنّه سرٌّ استأثره اللهُ بعلمِه، وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرِهم من الصّحابة ما يقرب منه، ولعلّهم أرادوا أنّها أسرارٌ بين الله تعالى ورسولِه ، ورُموزٌ لم يقصد(٢) بها إفهامُ غيرِه؛ إذ يبعد الخطابُ بما لا يفيد"(٣) انتهى.

---

(١) "حاشية على مرآة الأصول" ١/ ٤١٥ بتصرّف.

(٢) قال العلاّمة الخَفاجي: "إنّما أوّل بها ذكر اقتداء بالإمام وانتصاراً لمذهب الشّافعي ﵁ في المتشابه، وإن اللهَ والرّاسخين يعلمونه كما سيأتي تحقيقُه في آل عمران [أي: في "عناية القاضي" آل عمران، ٣/ ٤، ٥]، والذي اختصّ اللهُ تعالى به من علم الغيب هو علمُه تفصيلاً ذاتاً وزماناً من غير واسطة أصلاً، فلا ينافيه علمُ بعض الأولياء والأنبياء ﵈ له بواسطةِ ذلك أو إلهام من الله" [أي: في "عناية القاضي" البقرة، ١/ ١٧٧] انتهى.

أقول: رحم اللهُ العلاّمةَ! تكلّم على ما في ذِهنه من الخلاف، ولم ينظر إلى كلام القاضي مصرّح بقصر العلم على النّبي ﷺ، ومصرّح أنّه لم يقصد منها إفهامَ غيره، فأيّ مساسٍ لهذا بمذهب المسوغين للرّاسخين؟ بل هو قطعاً بيانُ المذهب الأوّل كما لا يخفى، والله تعالى أعلم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٣) "أنوار التنزيل" البقرة، تحت الآية: ١، ١/ ٢٨.

قال الخَفاجي: "وفي بعض النُّسخ استأثره اللهُ بعلمه، والضميرُ للرّسول ﷺ و"الباء" داخلةٌ على المقصور، أي: أكرمَه اللهُ بعلمِه دُون غيرِه، وهذا القولُ ارتضاه كثيرٌ من السَّلَف والمحقِّقين"[1] انتهى مختصراً.

وفي "فواتح الرَّحموت شرح مسلَّم الثبوت"[2] للمولى ملِك العلماء بحر العلوم: "الإمامان فخر الإسلام وشمس الأئمّة خصّصا المسألةَ بما عَدا رسولِ الله ﷺ، وهو الأليَق والأصوَب، كيف لا والخطابُ بما لا يفهمه المخاطَبُ لا يليق بجنابِه تعالى"[3].

قولٌ آخَر في المتشابهات

وسابعاً: في "تحرير الأصول"[4] للإمام ابن الهُمام[5] وشرحه "التقرير والتحبير"[6]

---

(١) أي: في "عناية القاضي" البقرة، ١/ ١٧٧.

(٢) "فواتح الرَّحموت شرح مسلَّم الثبوت": لعبد العلي محمد بن نظام الدّين محمد الأنصاري الهندي، توفّي سنة ١٢٢٥هـ بـ"مَدراس". ("إيضاح المكنون" ٤/ ٣٢١).

(٣) "فواتح الرحموت" الأصل ١ الكتاب القرآن، صـ٣٢٠.

(٤) "التحرير" في أصول الفقه: للعلاّمة كمال الدّين محمد بن عبد الواحد، الشّهير بابن هُمام الحنفي، المتوفّى سنة إحدى وستّين وثمانمئة. ("كشف الظنّون" ١/ ٣٠٨).

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٦٠.

(٦) "التقرير والتحبير في شرح التحرير" في الأصول: للفاضل محمد بن محمد بن أمير الحاجّ الحَلَبي (الحنفي المتوفّى سنة ٨٧٩هـ). ("كشف الظنون" ١/ ٣٠٨، ٣٧٩).

للإمام ابن أمير الحاج[١] ﵀: "الشّافعيةُ (والأكثرُ على إمكانِ درك) المتشابه المتفَّق على أنّه متشابهٌ في الدّنيا (خلافاً للحنفيّة)"[٢] انتهى.

وفيه[٣] وفي "كشف البَزدوي" و"التحقيق على الحُسامي"[٤] للإمام البخاري: "ذهب أكثرُ المتأخّرين إلى أنّ الرّاسخَ يعلم تأويلَ المتشابه"[٥]، زاد في "الكشف": "قالوا: هل يجوز أن يقالَ: إنّ رسولَ الله ﷺ لم يكن يعرف المتشابهَ، وإذا جاز أن يعرفَه مع قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ﴾ جازَ أن يعرفَه الربّانيُّون من الصّحابة ﵃"[٦] انتهى.

وفي "فواتح الرَّحموت شرح مسلَّم الثبوت" من بيان المتشابه: "(لا يدرك) المراد أصلاً لا بالعقل ولا بالنقل، بل إن عُلم عُلم بمشاهَدةٍ مَوهُوبةٍ منه تعالى، كالحروف في أوائل (السُّوَر واليد والعَين والنُّزول)"[٧] انتهى.

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٦٥. و"كشف الظنون" ٢/ ٧٠٩.

(٢) "التقرير" التقسيم ٣، ١/ ٢١٢.

(٣) أي: في "التقرير" التقسيم ٣، ١/ ٢١٢.

(٤) أي: "التحقيق شرح المنتخب في أصول المذهب": لعبد العزيز بن أحمد البخاري، توفّي سنة ٧٣٠هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٦٨١).

(٥) "كتاب التحقيق" صـ٢١.

(٦) "كشف الأسرار" الدليل ١: الكتاب، المتشابه وتعريفه، ١/ ١٤٩-١٥١ ملتقطاً.

(٧) "فواتح الرّحموت" الأصل ١ الكتاب القرآن، صـ٣٢٤ ملتقطاً.

وفي "الإتقان" عن مقدّمة "التحرير والتحبير" تفسير الإمام محمد بن سليمان المقدسي الشّهير بابن النّقيب الحنفي(١): "اعلم أنّ علومَ القرآن ثلاثةُ أقسام:

الأوّل: علمٌ لم يُطلِع اللهُ عليه أحداً من خَلقه، وهو ما استأثرَ به من علوم أسرارِ كتابِه، من معرفة كُنه ذاتِه، و-معرفةُ حقائق أسمائه وصفاته، وتفاصيل علوم- غيوبه التي لا يعلمها إلّا هو، وهذا لا يجوز لأحدٍ الكلامُ فيه بوجهٍ من الوجوه إجماعاً.

الثاني: ما أطلَعَ اللهُ تعالى عليه نبيَّه ﷺ من أسرار الكتاب، واختصّه به، وهذا لا يجوز الكلامُ فيه إلّا له ﷺ، أو لمن أذنَ له، وأوائلُ السُّوَر من هذا القسم، وقيل: من القسم الأوّل.

الثالث: علومٌ علّمها اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ مما أودعَ كتابَه من المعاني الجليَّة والخفيَّة، وأمرَه بتعليمها. وهذا ينقسم إلى قسمَين:

منه: ما لا يجوز الكلامُ فيه إلّا بطريق السّمع، وهو أسبابُ النُزول، والنّاسخُ والمنسوخ، والقراءاتُ، واللُّغات، وقصص الأمم الماضية، وأخبارُ ما هو كائنٌ من الحوادث، والحشر، والمعاد.

ومنه: ما يؤخَذ بطريقِ النّظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، وهو قسمان:

قسمٌ اختلفوا في جوازه: وهو تأويلُ الآيات المتشابهات في الصّفات.

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١١١.

وقسمٌ اتّفقوا عليه: وهو استنباطُ الأحكام الأصليَّة والفَرعيّة والإعرابيَّة؛ لأنّ مبناها على الأقيِسة؛ وكذلك فنونُ البلاغة، وضُروب المواعظ والحِكم والإرشادات، لا يمتنع استنباطُها منه، واستخراجُها لمن له أهليّةُ ذلك"[١] انتهى.

قد صرّح في "الإتقان" أنّ "أوائلَ السُّوَر من المتشابهات، واختار أنّها من الأسرار التي لا يعلمها إلّا الله تعالى، واستشهد بقول الشَّعبي[٢]: إنّ لكلّ كتابٍ سرّاً، وإنّ سرَّ هذا القرآن فَواتحُ السُّوَر"[٣].

أقول: وأنت تعلم أنّه إنّما يدلّ على عدم الإعلام العامّ، لا العدمِ العامَّ للإعلام، والرُّموز التي تجري في مُكاتبات المحبّ والمحبوب تسمّى أسراراً، أي: لا يطّلع عليها غيرُهما، لا أنّ المحبوبَ خُوطِب بها لا يفهمه، كما تقدّم[٤] عن "الأنوار" وعن "نور الأنوار" وعن "الفواتح".

ثمّ قال السُّيوطي: "وخاضَ في معناها آخَرون"[٥]، وأكثرَ من النّقول عن ابن عبّاس ﵄ تنوف على عشرة، وبه يُضعَف تضعيفُ تلك الرّواية عنه، وكذا أورد الرّواياتِ عن ابن مسعودٍ وناس من الصّحابة ﵃، وعن الحَسن وسعيدِ بن جبَير

(١) "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٦٣، ٣٦٤ ملتقطاً.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٥٧.

(٣) "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، ٢/ ١٥ بتصرّف.

(٤) انظر: صـ ١٥٠، و١٥٢.

(٥) أي: في "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، ٢/ ١٥.

وعكرمة[١] وقَتادة[٢] والضحّاك ومحمد بن كعب القرظي[٣] والرّبيع بن أنس[٤] وسُفيان وغيرهم[٥]، وقد تقدّم[٦] ذكرُ مجاهدٍ، فكيف يُنسَب هؤلاء جميعاً -من الصّحابة والتابعين وتابعِيهم مع مَن تقدّم[٧] في الوجوه السّابقة من الأئمّة والكُبراء، كأئمّة الشّافعية النَّوَوي والبَيضاوي، وإمام المالكيّة ابن الحاجب، وأئمّة الحنفيّة فخر الإسلام، وشمس الأئمّة، وصاحب "الكشف"، وسائر مَن نقلنا عنهم من أجلّة العلماء وجُمهور المتأخّرين، والإمام الهُمام عالم قريش الإمام الشّافعي والأكثرون- إلى أنّهم غفلوا عن مذهب أهل السنّة، واختارُوا قولَ البدعة؟! والعِياذ بالله تعالى!!.

مطلبٌ نفيس يحلّ جميعَ ما عقدوا

وثامناً: إنّما قال جُمهور السَّلَف: لا يعلمها إلّا اللهُ تعالى، ولم يقولوا: لم يعلِّمها اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ، والآن اسمع معنى قولهم عن الإمام السُّيوطي عن الإمام

---

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عكراش وعكرمة، ر: ٤٨١٢، ٥/ ٦٣٠-٦٣٢، ٦٣٦.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف القاف، من اسمه قتادة، ر: ٥٧٠٦، ٦/ ٤٨٢-٤٨٥.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه محمد، ر: ٦٥٠٩، ٧/ ٣٩٧، ٣٩٨.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الراء، من اسمه ربيح والربيع، ر: ١٩٤٤، ٣/ ٦٤، ٦٥.

(٥) "الإتقان" النوع ٤٣ في المحكم والمتشابه، ٢/ ١٥-٢١.

(٦) انظر: صـ ١٤٥.

(٧) انظر: صـ ١٤٦- ١٤٨.

بدر الدّين الزّركشي[1] ﷺ، قال في "الإتقان" أواخِر النَّوع الثامن والسبعين ٧٨: "قد أخرج ابنُ جرير وغيرُه من طُرق، عن ابن عبّاس ﷺ قال: «التفسير أربعةُ أوجُهٍ: (١) وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، (٢) وتفسيرٌ لا يُعذَر أحدٌ بجهالته، (٣) وتفسيرٌ يعلمه العلماءُ، (٤) وتفسيرٌ لا يعلمه إلّا الله تعالى»[2]، ثمّ رواه مرفوعاً بسندٍ ضعيفٍ بلفظ: «أُنزل القرآنُ على أربعة أحرُف: (١) حلالٌ وحرامٌ لا يُعذَر أحدٌ بجهالته، (٢) وتفسيرٌ تفسِّره العربُ، (٣) وتفسيرٌ تفسِّره العلماءُ، (٤) ومتشابهٌ لا يعلمه إلّا اللهُ تعالى، ومَن ادّعى علمَه سِوى الله فهو كاذِبٌ»[3].

قال الزّركشي في "البُرهان"[4] في قول ابن عبُاس ﷺ: "هذا التقسيمُ صحيح، فأمّا الذي تعرفه العربُ: (١) فاللّغةُ والإعراب، (٢) وأمّا ما لا يُعذَر أحدٌ بجَهله، فهو ما يتبادر الأفهامُ إلى معرفة معناه من النّصوص، المتضمّنةُ شرائعَ الأحكام ودلائلَ التوحيد، وكلُّ لفظٍ أفاد معنى واحداً جليّاً يُعلم أنّه مرادُ الله، فهذا القِسم لا يلتبس تأويلُه، (٣) وأمّا ما لا يعلمُه إلّا اللهُ تعالى، فهو ما يجري مجرَى

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٣٩، ١٤٠.

(٢) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" خطبة الكتاب، القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن، ر: ٦١، ١/ ٥٤.

(٣) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" خطبة الكتاب، القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن، ر: ٦٢، ١/ ٥٤.

(٤) "البرهان في علوم القرآن" النوع ٤١ معرفة تفسيره وتأويله، الجزء ٢، صـ١٦٤-١٦٦: للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المتوفّى سنة ٧٩٤هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٢٣٤).

الغيوب نحو الآي المتضمّنة لقيام السّاعة، وتفسير الرّوح، والحروف المقّطعة، وكلّ متشابهٍ في القرآن عند أهل الحقّ، فلا مساغَ لاجتهادٍ في تفسيره، ولا طريقَ إلى ذلك إلّا بالتوقيف، بنصٍّ من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمّة على تأويله، (٤) وأمّا ما يعلمه العلماءُ فاستنباطُ الأحكام"[١] انتهى مختصراً.

بل قد نصَّ عليه عالمُ قريشٍ سيّدُنا الإمام المطّلبي الشّافعي رضي الله عنه في "مختصر البويطي"[٢]: إنّه لا يحلّ تفسيرُ المتشابه إلّا بهذه التوقيفات، وزاد الخبر عن أحدٍ من الصّحابة، كما في "الإتقان"[٣].

فانظر كيف جعلوا الطريقَ إلى علمِ ما لا يعلمه إلّا الله تعالى، وُرود بيانٍ منه تعالى أو من نبيِّه ﷺ! أمّا الإجماعُ فكاشفٌ لا مُثبِت، وليس لهم أن يجتهدوا فيما لا مساغَ فيه للاجتهاد، فإن كان معنى "لا يعلمه إلّا اللهُ تعالى" نفيَ الإعلام، فكيف يجتمع بيانُ الله تعالى وعدمُ إعلامه، هل هو إلّا جمعُ النقيضَين، وكيف يصحّ بيانُ نبيِّه ﷺ شيئاً لم يأته فيه إعلامُ ربّه، فيكون قولاً باستقلاله ﷺ بالعلم من دُون عطاءِ ربِّه عز وجل، وهذا كفرٌ، وكيف يمكن إجماعُ الأمّة من دُون مستندٍ من الله ورسولِه حيث لا مَدخلَ للرّأي، فتدخل الأمّةُ جميعاً في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، وقد أجارَهُم اللهُ

---

(١) "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) "مختصر البويطي": لمحمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي أبو عبد الله الإمام الشافعي، توفّي بمصر سنة ٢٠٤هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥١٢، و"هدية العارفين" ٦/ ٦)

(٣) "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٦٥.

تعالى عن الاجتماع على ضلالةٍ، وأيضاً إذ قد أجمعُوا -والإجماعُ حجّة- حصل الإعلامُ، مع أنّ المفروضَ أنّ اللهَ تعالى لم يرد الإعلامَ به، فوجب القولُ بأنّ المرادَ لا يعلمه أحدٌ بعقلِه وفكرِه وقياسِه ونظرِه، إلّا بإعلام الله ﷻ، كما هو شأنُ الغيوب قاطبةً، فاتّضح المرام، وزالت الأوهام، والحمد لله الملِك العلّام!.

وتاسعاً: ظهر لك مما نقلناه[1] عن الإمام السُّيوطي، أنّ روايةَ ابن جرِير مرفوعاً «أُنزل القرآنُ على أربعة أحرُف» ...إلخ، ضعيفةٌ، ولكن أرادت "الرّسالةُ" السِّترَ عليها، ومِن سترِها أن حذفتْ (ص١٣) من قول السّيوطي: "أخرجَ ابنُ جرير"[2] كي لا يرجع أحدٌ إلى ابن جرير، فيظهر عجرُها وبجرُها، وقد تبرأ ابنُ جرير من عهدتها قبل إيرادها، فقال: "في إسنادِه نظرٌ"[3].

وبمجرّد ما رأيتُ في كلام السّيوطي لفظةَ: "بسندٍ ضعيف" ألقى اللهُ تعالى في رَوعي أنّها تكون روايةَ الكلبي[4] عن أبي صالح[5]، فراجعتُ "تفسير ابن جرِير" فإذا هي كذلك، ولله الحمد!. وأبو صالح لم يسلم عن غوائل الجرح، وحالُ الكلبي

---

(١) انظر: صـ١٥٧.

(٢) أي: في "غاية المأمول"، هذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي لديّنا، فالباب ١، الوجه ٣، صـ٣٤٠.

(٣) أي: في "جامع البيان" خطبة الكتاب، القول في الوجوه التي من قبلها يُوصل، ١/ ٥٤.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه محمد، ر: ٦١٢٤، ٧/ ١٦٦- ١٦٨.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الباء الموحدة، من اسمه باب وباذام، ر: ٦٧٦، ١/ ٤٣٢.

مكشوفٌ معروف، وقد قال شيخُ الإسلام ابن حجر: "إذا ضمّ إليهما ثالثُهما السُّدِّي الصّغير[١] أنّها سلسلةُ الكذب"[٢]، وقد صحَّ عن علي بن المِديني[٣]: "قال: سمعتُ يحيى[٤] بن سعيد يذكر عن سُفيان قال: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كلُّ ما حدّثتُك كذبٌ"[٥]، وقال الإمامُ البخاري: "قال علي: ثنا يحيى عن سفيان: قال لي الكلبي: كلُّ ما حدّثتُك عن أبي صالح فهو كذبٌ"[٦] انتهى.

وهذا السندُ -كما ترى- في غاية الصحّة والجلالة، فلا شكَّ في ثبوته عن الكلبي، فإن كان كاذِباً فذاك، وإن كان صادقاً فيه فقد كذب، وأيّاً مّا كان سقط كلُّه، فكيف يحلّ للعالم أن يدلِّسَ مثل هذه؟ ويعارِض بها عموماتِ القرآن العظيم، نسأل اللهَ العفوَ والعافية!.

وعاشراً: الإنسانُ إذا أخطأ طريقَ النّظر، يأتي بشيءٍ كهشيم المحتظر، كان الكلامُ أنّ القرآنَ الكريم تبيانٌ لكلّ شيء، ومن الشّيء مكتوباتُ اللّوح، فيكون تبياناً لها جميعاً، وفيها ما كان وما يكون، فاحتالت "الرّسالةُ" للخُروج عنه بما سمعتْ أنّ

---

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه محمد، ر: ٦٥٣٦، ٧/ ٤١١، ٤١٢.

(٢) أي: في "العجاب في بيان الأسباب" مقدّمة المؤلف، صـ٥٩ بتصرّف.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه علي، ر: ٤٩٠٧، ٥/ ٤١٠-٧١٥.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يحيى، ر: ٧٨٣٦، ٩/ ٢٣٤-٢٣٧.

(٥) أي: في "تهذيب التهذيب" حرف الباء الموحدة، من اسمه باب وباذام، تحت ر: ٦٧٦، ١/ ٤٣٣ بتصرّف.

(٦) أي: في "التاريخ الكبير" باب النّاس، تحت ر: ٢٨٣، ١/ ١٠١ بتصرّف.

القرآنَ متناهٍ، فكيف يحيط بغير المتناهي تفصيلاً؟ وإذا لم يفصّل كلّه كيف يتيقّن بدخول الخمس؟ وإن فُرض فلا نسلِّم أنّ النبيَّ ﷺ يعلم جميعَ ما في القرآن، ألا ترى إلى ما قالوا في المتشابهات، هذا حاصلُ كلِّ ما أطالَ به هاهنا.

والكلُّ نداءٌ من بعيد؛ فإنّ القرآنَ إن اشتملت بُطونُه على كُنهِ الذات والصّفات وجميع الغيوب المعلومة لله ﷻ -وبالجملة على غير المتناهي على ما مرّ[1] عن ابن النّقيب، وسيأتي[2] تأييدُه-، فلا شكَّ أنّ في القرآن إذَن ما لا يعلم أحدٌ من خَلق الله تعالى، وإن شئتَ أضِف إليه المتشابهاتِ أيضاً، وإن لم تكفِك فزِد من غيرها أيضاً ما استطعتَ، وبعد كلِّ هذا كان ماذا؟ إنّما حصلَ أنّ بعضَ القرآن غيرُ معلوم، ولكن أين المفرّ مما شهدَ به القرآنُ أنّه بيّن لنبيِّه ﷺ كلَّ ما كتبَ في اللَّوح، فيجب حينئذٍ أنّ جميعَ ذلك مندرِجٌ في القدر المعلوم منه، علمت المتشابهات أو لم تعلم.

وبالجملة إنّما كان على "الرّسالة" أن تُثبِتَ أنّ بعضَ الكائنات من أوّل يومٍ إلى اليوم الآخِر، ليس ذكرُه إلّا في المتشابهات، والمتشابهاتُ غيرُ معلومة، فيلزم عدمُ إحاطة العلم بذلك الكائن، ولكنّها لم تُثبِت هذا ولن تُثبِتَ، ولا تستطيع أن تُثبِتَ، فماذا ينفعها إخراجُ المتشابهات من إحاطة علم سيّد الكائنات، عليه وعلى آله أفضلُ الصّلوات وأكملُ التحيات.

---

(١) انظر: صـ ١٥٤.

(٢) انظر: صـ ١٧٧.

وقد تبيّنَ لك بهذا سقوطُ ما احتجّت (ص١٣) به، من قول المرسي[١] في "تفسيره"[٢]: "أنّه جمعَ القرآنُ علومَ الأوّلِين والآخِرين، بحيث لم يحِط بها على الحقيقة إلّا المتكلِّم به، ثمّ رسولُ الله ﷺ خلا ما استأثر به ﷻ"[٣] انتهى.

فإنّ ما استأثر به ﷻ يجب أن يكونَ ما عدا ما بيّن له، وهو الذي أودعَه في اللَّوح المحفوظ، لما ألقَينا عليك أنّ العلومَ الإلهيّة المتعلّقة بكلّ ذرّةٍ ذرّةٍ غيرُ متناهية، فضلاً عن المتعلّق بجميع الأوّلِين والآخِرين، واللَّوح إنّما أودعَ فيه كلّ شيء، والشيءُ الموجود والوجودُ لا يحوي قطّ غيرَ المتناهي بالفعل. وأضعَف منه استنادُها (ص١٣) بقول القاضي أبي بكر[٤] بن العربي في "قانون التأويل"[٥]: "علومُ القرآن خمسون علماً وأربعُمئة علمٍ وسبعةُ آلافِ علمٍ وسبعون ألفِ علمٍ، على عددِ كَلِم القرآن مضروبة

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٠٠.

(٢) أي: "ري الظمآن في تفسير القرآن" لشرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل المرسي الأندلسي الشافعي، المتوفّى بعريش سنة ٦٥٥هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ٣٨١).

(٣) أي: في "غاية المأمول"، هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، فالباب ١، الوجه ٣، صـ٣٤٠، ٣٤١.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٧٢.

(٥) "قانون التأويل" ذكر الحكمة العظمى في خلق الكلام وتسخير القلم، صـ٥٤٠: للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله الأشبيلي المالكي، المعروف بابن العربي، المتوفّى سنة ٥٤٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٨١. و"هدية العارفين" ٦/ ٧٢).

في أربعة؛ إذ لكلّ كلمةٍ ظهرٌ وبطنٌ وحدٌّ ومطّلَعٌ، وهذا مطلقٌ دون اعتبار تركيبٍ وما بينها من روابط، وهذا ما لا يُحصى ولا يعلمه إلّا الله تعالى"[١] انتهى.

فإنّ الجوابَ عنه بوجهَين: **الأوّل:** ما بيّنا[٢] بكلام الإمام الشّافعي ثمّ الزّركشي ثمّ السُّيوطي، من معنى لا يعلمه إلّا الله تعالى، والآخَر ما علمتَ آنفاً، أنّ المستأثَرَ به غيرُ المبيَّن قطعاً، فلا يكون شيئاً مما كان ويكون إلى اليوم الآخِر، وبالجملة إنّما علّة "الرّسالة" إنّها لم تفهَم مدّعانا، فكانت كمَن أراد أن يناضلَ صاحباً له فاستدبره، وجهلَ يَرمي قبالةَ وجهِه، فسِهامُه لا تزداد من صاحبه إلّا بُعداً، كلّا بل إنّما سِهامها تُصيب سَنامها، كما سترى بتوفيقه تعالى، نسأل اللهَ العفوَ والعافية!.

أمّا تفسير البَيهقي قولَ عبد الله بن مسعود ﵁: «مَن أراد العلمَ فعلَيه بالقرآن؛ فإنّ فيه خبرَ الأوّلين والآخِرين» بقولِه: "يعني أصول العِلم"[٣] احتجّت به "الرَسالةُ" (ص١٣) على "كون القرآن الكريم مشتمِلاً على علومٍ لا تحصر، وأنّ ذلك على وجه التفصيل في البعض، والإجمالِ في البعض"[٤].

---

(١) أي: في "غاية المأمول"، هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، فالباب ١، الوجه ٣، صـ٣٤١.

(٢) انظر: صـ١٥٦، ١٥٧.

(٣) انظر: "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبَطة من القرآن، ٢/ ٢٤٤، نقلاً عن البَيهقي.

(٤) أي: في "غاية المأمول" هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، فالباب ١، الوجه ٣، صـ٣٤١، ٣٤٢ ملتقطاً.

وقد علمتَ أنّ ما ادّعتْه من لَغو الكلام لا تعلّقَ[1] له بالمقام؛ فإنّ الإجمالَ والتبيانَ لا يجتمعان، وهو تبيانٌ لكلّ شيءٍ، فلا يكون فيه شيءٌ مما ثبتَ في اللَّوح منزوَياً تحت ذَيل الإجمال، بل إن كان ففي علومٍ أُخَر، غير أنّه يريد التشبّثَ بتخصيص البَيهقي بـ"الأصول"، ولا يكون إلّا لعدم اشتماله على الفُروع، أو عدم استيعابه إيّاها، ومعلومٌ أنّ علمَ الفُروع محتاجٌ إليه، بل الحاجةُ إليه أتَمّ وأعَمّ، فلو كانت مستوعبةً في القرآن تفصيلاً، لما كان لتخصيص الأصول وجهٌ، فإذَن هي داخلةٌ في الإجمال، مندمجةٌ تحت الأصول، فلم يكن القرآنُ تبياناً لكلّ شيء، هذا تبيينُ[2] ما أبهم، أو إعلامُ[3] ما لم يُعلَم.

تحقيقٌ أنيقٌ في معنى قول البَيهقي: إنّ في القرآن أصولُ العلم

وأنا أقول وبالله التوفيق! استمع لتحقيقٍ أنيقٍ تنشرح له الصُّدور، وتنكشف به السُّتور، بتوفيق العزيز الغَفور: المرادُ بالعلم الفُنونُ، أو إدراكُ الأعيان الخارجيّة الماضيّة والآتية. والأصلُ ما يبتني عليه غيرُه، والقانونُ، والدّليل كما في "التلويح"[4]، والكثيرُ الغالب، كما في "الإحياء".

---

(١) أي: لا علاقةَ له بالمقام.

(٢) إن كان هذا مراده.

(٣) إن لم يبلغه فكره.

(٤) "التلويح إلى كشف حقائق التنقيح" ١/٢٨، ٢٩: للعلاّمة سعد الدّين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، المتوفّى ٧٩٢هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٠٠، ٤٠١).

أقول: والحكمُ الأَولى كقولنا: "الأصل في الأشياء الإباحةُ"، "والأصلُ في الإبضاع التحريمُ". والمطلوبُ الأَولى كقولهم: "الأصل في اليمين البِرُّ"، "والأصلُ في الطهارة الماءُ". والعارِض الأوّلُ كقولهم: "الأصل البَكارةُ"، "والأصلُ في بني آدم الإفلاس". وما لو خلى الشّيء وطبعه لكان عليه، كقولك: "الأصل في الأجسام السُّكون، أمّا الحركةُ فلِفَقد حيِّزٍ أو لِقَسرٍ، ولو من النّفس المتعلّقة كالحركة الإراديّة".

ومعلومٌ أنّ العلمَ بحال شيءٍ فرعُ العلمِ به لابتنائه عليه، والكثيرُ الغالب في علم المخلوق بأحوال شيء، العلمُ بأحواله الموجودة بالفعل، وأيضاً منها لوازمُ الوجود، ومنها العوارضُ الأَوليّة ولو مفارقات، ومنها مقتضياتُ الطباع، ورُبما تكون الحالُ الممكنة فرع استعدادٍ موجود، وأيضاً لو لم يتّصف الموجودُ بحال موجودةٍ لم يمكن اتّصافُها بحالٍ ممكنةٍ؛ فإنّ الممكنَ لا إمكانَ لخُلوّه عن حال، والواجبُ لا إمكانَ فيه لحال، فظهرَ أنّ أصولَ العلم في إدراك الأعيان، إدراكُ ذواتها وأحوالها الموجودة، والعلمُ بحال شيءٍ، لا على أنّه حالُ الشيء، ليس في شيءٍ من العلم بالشّيء، فانحصر المرادُ في ثلاثة:

(١) أصول الفُنون كأصول الفقه والحديث والعربيّة وغيرها، (٢) أو علم ذوات الأشياء (٣) أو علم الذّوات وحالاتها الموجودة بالفعل. والمرادُ بالقرآن ظهرُه فحسب، أو مع البطن. وتخصيص الأصول، إمّا لأنّها هي المبينة في القرآن العظيم دُون الفُروع، فيكون في الفُروع عمومُ السَّلب، وفي الأصول الإيجابُ الجزئي، سَواء تحقّق في الإيجاب الكلّي أو مع السّلب الجزئي، وإمّا لأنّها هي المستوعبةُ في الكتاب العزيز دون الفُروع، فيكون في الفُروع سَلبُ العموم أعمَّ من عموم السَّلب وجزئيةِ

الإيجاب، وفي الأصول الإيجابُ الكلّي، فهذه إثنا عشر ١٢ وجهاً في كلٍّ من الثلاثة أربعةُ أوجُهٍ، غير أنّ الشقّ الأوّل، أعني إرادةَ أصول الفُنون باطلةٌ بوجهَين.

الأوّل: إنّ الكلامَ في أنّ في القرآن خبَرَ الأوّلين والآخِرين، كعادٍ وثَمودٍ وخُروج يأجُوج ومأجُوج.

والثاني: إنّ هذه الإرادةَ لا تستقيم بوُجوهها الأربعة؛ فإنّ ظهرَ القرآن الكريم لم يستوعب جميعَ الأصول، ولا خلا عن جميع الفُروع، وبطنُ القرآن غيبٌ، والغَيبُ لا يحكَم عليه بشيءٍ لم يثبُت، فيكون تقوُّلاً على الله تعالى، وعمومُ سَلب الفُروع باطلٌ عَيناً، ولم يرِد دليلٌ بسَلب عمومِها، والحوادثُ المحتاجة إلى الحكم الشّرعي تنتهي بانتهاء الدّنيا بل قبلَه على القول، بأنّ الكفّارَ غيرُ مخاطَبين بالفُروع، ومعنى عدم تناهِيها: أنّها لا تنتهي دون الدّنيا على أنّ عدمَ تناهي الأفراد، لا يستلزم عدمَ تناهي الأحكام المتعلّقة بها؛ فإنّ الأحكامَ الكلّية قوانينُ منسحبةٌ على جُزئياتٍ غير متناهيةٍ في احتمال العقل، كقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النِّساء: ١١] يشتمل ما إذا كان الابنُ واحداً والبنتُ من واحدةٍ إلى ما شئت، أو بالعكس، أو بخلط أيّ عددٍ كان في البنِين أو البنات، مع سائر الأعداد في الفريق الآخَر، فهي صُوَرٌ غيرُ متناهية.

وقد تبيّن حكمُ كلٍّ منها بهذا القانون الكريم بياناً لا خفاءَ فيه أصلاً، وكذا الشقّ الثاني، أعني علمَ الذوات لمثل ما مرّ من الوجهَين؛ فإنّ المفهومَ من خبر الأوّلِين والآخِرين بيانُ أحوالهم، لا مجرّد تعداد ذَواتهم، وإن أريدت الحقيقةُ فهي واحدةٌ في النّاس الأوّلِين والآخِرين، وأيضاً الظهرُ لم يستوعب الذواتَ، ولا خلا عن بيان

الأحوال، و لم يرد دليلٌ بعدم استيعاب البطن جميعَ الأحوال الموجودة، والنفيُ بتعميم الممكنة لا يضرّنا كما ستسمع، وإذَن نكتفي في منع إرادته بالوجه الأوّل.

فثبت أنّ المرادَ هو الشقُّ الثالث، أي: علم الذّوات وأحوالها الموجودةِ، والجمع في الأوّلِين والآخِرين لتغليب ذوي العقول، كما في قوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]، والفروعُ حينئذٍ هي الأحوال الممكنة، التي لم تخرج من العدم، ولا يجوز إرادةُ الظهر وحدَه؛ فإنّه لم يستوعب الذواتَ ولا الأحوالَ الموجودة، ولم يخلُ عن بيان بعض الأحوال الممكنة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النِّساء: ٦٦] ثمّ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ [النِّساء: ٦٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٣]، ثمّ قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤]، ثمّ قال تعالى: ﴿إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٧٥] ...الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ الله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] ...إلى غير ذلك من الآيات.

وإذَن عمومُ السَّلب في البطن أفسَد، وسَلبُ العموم صحيح؛ لأنّ الأحوالَ الممكنة -كما قدّمنا[١]- غيرُ متناهيةٍ، فتبيّنَ ببيانٍ أجلَى من الشّمس -ولله الحمد!- أنّ المرادَ من الترديد الأوّل: الشقُّ الثالث، ومن الثاني: القرآنُ الكريم ظهراً وبَطناً، ومن الثالث: تخصيصُ الأصول للاستيعاب، والمعنى أنّ القرآنَ الكريم بظهرِه وبطنِه محتوٍ على بيان جميع الذّوات والحالات الموجودة من الأوّل إلى الآخِر، وهي أصولُ العلم بالأوّلِين والآخِرين، ولم يستوعب الفُروع، أعني بيانَ جميع الأحوال الممكنة المعدومة المفروضة الغير المتناهية؛ إذ البيانُ لا يحوي ما لا يتناهى بالفعل، هكذا ينبغي التحقيق، واللهُ ﷻ وليُّ التوفيق!.

ثمّ تمسّكت (ص١٣) "الرسالةُ" لما ادّعت من الإجمال في بعض بأنّه -أي: الإمام السُّيوطي- "لما ذكر اشتمالَه -أي: القرآن الكريم- على علوم الأوائل مثل الطبّ، والجَدل، والهيأة، والهَندسة، والجبر، والمقابلة، والنّجامة وغير ذلك، ذكر أنّه أشارَ إلى الطبّ بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: ٦٧]، و﴿فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ﴾ [النَّحل: ٦٩]، وإلى الجَدل بما احتوى عليه من البراهين، والهيأة بذكر ﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، والهَندسة ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسَلات: ٣٠]، والنّجامة ﴿أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]، والخياطة ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، والحدادة ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، والنجّارة ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [هود: ٣٧]، والغزل ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النَّحل: ٩٢]، والنَّسج ﴿كَمَثَلِ

---

(١) انظر: صـ ١٦٥.

الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، والفلّاحة ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]، والغوص ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ [النحل: ١٤]، والصياغة ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً﴾ [الأعراف: ١٤٨] ...وهكذا؛ فإنّه لا يخفى أنّ الجُملَ المذكورة ليس فيها تفاصيلُ تلك العلوم"[١].

أقول: لقد أبعدَ النّجعة! لِمَ لا يقول: إنّ القرآنَ الكريم أجملَ ضرورياتِ الدّين، وأركانَ الإسلام ومهمّاتِ مسائل الحلال والحرام، فما قدر علوم الأوائل؛ فإنّ جُمل ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]، و﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]، ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ما تُغني عن التفاصيل المحتاج إليها في الصّلاة والزّكاة والحجّ والنكاح والبيع، المصنَّفُ فيها ألوفُ ألوفِ مجلّداتٍ كِبار، وهذا أقلّهنّ سعةً مناسِك الحجّ.

قال الذّهبي[٢] في "الميزان"[٣] في ترجمة محمد بن شُجاع الثلجي[٤] تلميذ الإمام

---

(١) أي: في "غاية المأمول"، هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، فالباب ١، الوجه ٣، صـ٣٤٢-٣٤٤ ملتقطاً.

(٢)انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٢٣، ١٢٤.

(٣) "ميزان الاعتدال في نقد الرّجال": لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد الذهبي الحافظ، المتوفّى سنة ٧٤٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٧٣١).

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٥.

حَسن[١] بن زياد، تلميذ سيّدنا الإمام الأعظم ﷺ: "قال الحاكمُ[٢]: رأيتُ عند محمد بن أحمد بن موسى القُمي[٣]، عن أبيه[٤]، عن محمد بن شُجاع "كتاب المناسك"[٥] في نيفٍ وستّين جزءاً كِباراً دِقاقاً"[٦] انتهى.

والحلُّ أنّ ما ذُكر لا يتعلّق شيءٌ منه بالبُطون، ولا ندّعي أنّ في الظهر تفصيلُ كلّ شيء، والعجبُ أنّ "الرّسالة" التقطت هذا مما لخّص الإمامُ السُّيوطي من كلام ابن أبي الفضل المرسي في أكثر من ورقةٍ، فأخذت من أوّله ما تقدّم[٧] من قوله: "خلا ما استأثر سبحانه"، وتركت ما كان متّصلاً به من قوله: "ثمّ ورثَ عنه مُعظَم ذلك ساداتُ الصّحابة وأعلامُهم ﷺ، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس، حتّى قال: «لو ضاعَ لي عقالُ بعيرٍ، لوجدتُه في كتاب الله»، ثمّ ورثَ عنهم التابعون

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٢٢٠.

(٢) أي: في "معرفة علوم الحديث" النوع ٤٧: معرفة المتشابه في قبائل الرواة وبلداتهم، صـ٣٠٢.

(٣) انظر ترجمته: "تاريخ الإسلام" الطبقة ٣٧، ر: ١٦، ٨/ ١٩٦.

(٤) هو أحمد بن موسى بن يزداد التيمي القاضي والد محمد.

("الجواهر المضية في طبقات الحنفية" الجزء ١، صـ١٢٨).

(٥) "كتاب المناسك": لمحمد بن شجاع الثلجي أبو شجاع البغدادي من فقهاء الحنفية، وُلد سنة ١٨١ وتوفّي سنة ٢٦٦هـ. ("هدية العارفين" ٦/ ١٥).

(٦) "ميزان الاعتدال" حرف الميم، المحمدون، تحت ر: ٧٦٦٤، ١/ ٥٧٨.

(٧) انظر: صـ ١٦٢.

بإحسانٍ، ثمّ تقاصرت الهِمم وفترت العَزائم"[١] ...إلخ، لتقطعه عمّا ورثَه ابنُ عبّاس وأعلامُ الصّحابة عن المصطفى ﷺ مما جمعَ القرآنُ من علوم الأوّلِين والآخِرين، فإذا قطعتَ النَّهرَ عمّا يستقى منه تحوّله فيما بعد إلى ما تريد كما سمعت، هذا كان شيئاً خفياً، لكنّها أخذت من أواخر كلام المرسي هذه الجُمل، وأسقطت ما ختم هو به كلامُه، وهو قولُه: "وفيه من أسماء الآلات، وضُروب المأكولات، والمشروبات، والمنكوحات، وجميع ما وقعَ ويقع في الكائنات، ما يحقّق معنى قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]"[٢] انتهى.

فهذا شيءٌ مكشوفٌ رأتْ أنّه ينقض كلَّ ما غزلتْ، فأسقطتْه من الطِرس وانسلتْ، نسأل اللهَ العفوَ والعافية!.

مَعاني القرآن الكريم غيرُ متناهيةٍ بالفعل

تنبيه: قدّمنا[٣] عن القاري ما يُشعِر بتناهي مَعاني القرآن، وبيّنا ثَمّه أنّ الذي حداه عليه لا حاجةَ إليه، وما تقدّم في قول نفسه[٤]: "لا ينتهي غرائبُه"، وقوله: "ليس للحدّ والمطّلَع انتهاء"[٥].

---

(١) "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبَطة من القرآن، ٢/ ٢٤٥.

(٢) "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبَطة من القرآن، ٢/ ٢٤٨.

(٣) أي: في فصل في العموم ومعنى قول أمير المؤمنين ...إلخ، صـ١١١.

(٤) أي: في فصل في العموم ومعنى قول أمير المؤمنين ...إلخ، صـ١٠٩.

(٥) انظر: صـ ١٣٥.

وعن "الأشعّة"[١]: "لا تنتهي مَعانيه". وعن "شرح الهَمزيّة"[٢]: "العلومُ المستنبطة منه لا حدَّ لها ولا نهاية". وعن "الإبريز": مَعاني القرآن لا نهايةَ لها يحتمل التأويلَ. نعم قولُ "الإبريز"[٣]: "المعنى القديم لا نهايةَ له". والنصُّ الصّريح المفسَّر ما في "التأويلات النجميّة"[٤] للإمام نجم الدّين[٥] ﵁ في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ [لقمان: ٢٧]: "أي: لو أنّ ما في الأرض من الأشجار أقلامٌ، والبحرُ يصير مِداداً، وبمقدار ما يقابله يتفق القِرطاس، ويكلّف الكتاب حتّى تنكسرَ الأقلامُ، وتفنَى البِحار، وتستوفي القَراطيس، ويفنى عمرُ الكتاب، ما نفدت مَعاني كلام الله تعالى؛ لأنّ هذه الأشياءَ وإن كثرتْ فهي متناهيةٌ، ومَعاني كلامِه لا تتناهى؛ لأنّها قديمةٌ، والمحصورُ لا يفي بما لا حصرَ له"[٦] انتهى.

---

(١) أي: في فصل في العموم ومعنى قول أمير المؤمنين ...إلخ، صـ١١٠.

(٢) أي: في فصل في العموم ومعنى قول أمير المؤمنين ...إلخ، صـ١١٠.

(٣) انظر: صـ١٣٦.

(٤) لم نعثر على ترجمته.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٧٦.

(٦) "التأويلات النَّجمية" لقمان، تحت الآية: ٢٧، ٣/ ق٢٤٦.

وفي "روح البيان"[١] بعد نقله: "وفي الآية إشارةٌ إلى قِدم القرآن؛ فإنّ عدمَ التناهي من خاصيّة القديم"[٢] انتهى. وفي "تبصير الرّحمن"[٣] للعارف بالله سيّدي علي المهايمي[٤] ﷺ: ﴿قُلْ﴾ "القرآن يشتمل على ما لا يتناهى من العلوم؛ فإنّه ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي: لكتابة ما يُفهَم منها، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾؛ لكونه متناهياً ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ أي: مفهوماتُها؛ لكونها غيرَ متناهيةٍ، فلا تنفد بنفاد المتناهي، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: بحرٍ آخَر مثله، ﴿مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] فإنّ ضمَّ المتناهي إلى متناهٍ آخَر، لا يجعله غيرَ متناهٍ؛ ليوازيَ به غيرَ المتناهي"[٥] انتهى.

أقول: ولا ينافيه ما قال في "التفسير الكبير": "إنّ التنصيصَ على ما لا نهايةَ له مُحالٌ"[٦]، وما قدّمنا[٧] أنّ البيانَ لا يحوي غيرَ المتناهي؛ فإنّ التنصيصَ والبيانَ هو

---

(١) "روح البيان في تفسير القرآن": للشيخ إسماعيل حقي ابن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الجلوتي، المتوفّى سنة ١١٣٧هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ٣٦٩).

(٢) "روح البيان" لقمان، تحت الآية: ٢٧، ٧/ ٩٥.

(٣) "تبصير الرحمن وتيسير المنّان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن": علي بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل علاء الدين المهايمي الدَّكني الهندي الحنفي الفقيه الصُّوفي، وُلد سنة ٧٧٦ وتوفّي سنة ٨٣٥هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ٥٨٤).

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٨٤.

(٥) "تبصير الرحمن" الكهف، تحت الآية: ١٠٩، ١/ ٤٥٧ ملتقطاً.

(٦) "التفسير الكبير" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٨ ملتقطاً.

(٧) انظر: صـ١٦٨.

الإظهارُ، ولا يكون أبداً إلّا قدرَ المتناهي، وإن لم ينتهِ على حدٍّ لا يعدوه، فإيّاك أن تتعجبَّ!؛ فإنّ شأنَ القديم أن لا يتناهَى، وإيّاك أن تتفكّرَ!؛ فإنّ شأنَ القديم أن لا يعقل «تفكّروا في خَلق الله، ولا تتفكّروا في الله، فتهلكوا!»[١] رواه أبو الشيخ عن أبي ذرٍ وعن ابن عبّاس، والطبَرانيُّ في "الأوسَط[٢]"[٣]، وابنُ[٤] عَدي[٥]، والبَيهقي في "الشُّعب"[٦] عن ابن عُمر رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ.

أمّا قوله ﷺ: «أوتيتُ القرآن ومثله معه» **فأقول:** هذا بحسب ما تبلغه أفهامُ النّاس، يظهر لك هذا بنظر الحديث تماماً، روى أبو داود، وابنُ ماجه، وغيرُهما[٧] عن

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في "العظَمة" باب الأمر بالتفكّر في آيات الله ﷻ ...إلخ، ر: ٤، ١/ ٢١٥، عن أبي ذر رضي الله عنه. ور: ٥، ١/٢١٦، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: "المعجم الأوسط" في الحديث: للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ، المتوفّى سنة ٣٦٠هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٩٧).

(٣) أخرجه الطبَراني في "الأوسَط" باب الميم، من اسمه محمد، ر: ٦٣١٩، ٤/ ٣٨٣، عن ابن عمر.

(٤) أخرجه ابن عدي في "الكامل" أسامٍ شتى ممن ابتداء أساميهم واو، تحت ر: ٢٠١٧، وازع بن نافع العقيلي الجزري، ٨/ ٣٨٥، عن ابن عمر.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٦٦.

(٦) أخرجه البَيهقي في "شعب الإيمان" الأوّل من شعب الإيمان: وهو باب في الإيمان بالله ﷻ، فصل في الإشارة إلى أطراف الأدّلة ...إلخ، ر: ١٢٠، ١/ ١٠٧، عن ابن عمر.

(٧) انظر: "مسند الإمام أحمد" مسند الشاميين، حديث المقدام بن معديكرب، ر: ١٧١٧٤، ٦/ ٩١، عن المقدام بن معديكرب الكندي.

المقدام بن مَعدِيكرَب[١] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا إنّي أوتيتُ القرآن ومثله معه، ألا يُوشك رجلٌ شبعانٌ على أريكته متكئاً يقول: عليكم بهذا القرآن! فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه! وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه! وإنّما حرّم رسولُ الله كما حرّم اللهُ!»[٢] زاد أبو داود: «ألا! لا يحلّ لكم الحمار الأهلي! ولا كلّ ذي نابٍ من السِّباع!»[٣] ...الحديث.

ولأحمد[٤] والأربعةِ[٥] إلّا النَّسائي، والبَيهقي في "الدّلائل"[٦] عن أبي رافع[٧] مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا أُلفينّ أحدكم متكئاً على أريكته،

---

(١) انظر ترجمته: "أُسد الغابة" باب الميم والفاء والقاف، ر: ٥٠٧٧، ٥/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في "السنن" المقدّمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، ر: ١٢، صـ١٢، عن المقدام بن معديكرب الكندي.

(٣) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، ر: ٤٦٠٤، صـ٦٥١، عن المقدام بن مَعديكرب.

(٤) أي: في "المسند" حديث أبي رافع رضي الله عنه، ر: ٢٣٩٢٢، ٩/ ٢٢٨، عن أبي رافع عن النّبي ﷺ.

(٥) أخرجه الترمذي في "السُّنن" أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقالَ عند حديث رسول الله ﷺ، ر: ٢٦٦٣، صـ٦٠٤، عن أبي رافع. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ حسنٌ [صحيحٌ]. وأخرجه أبو داود في "السنن" كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، ر: ٤٦٠٥، صـ٦٥١، عن أبي رافع. وأخرجه ابن ماجه في "السنن" المقدّمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على ما عارضه، ر: ١٣، صـ١٣، عن أبي رافع.

(٦) "دلائل النبوّة": لأبي بكر أحمد بن الحسين البَيهقي، المتوفّى سنة ٤٥٨هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٥٨٠).

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الراء، ر: ٥٨٧٤، ٦/ ١٠٢، ١٠٣.

يأتيه الأمرُ من أمرِي مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري! ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه!»[١].

فهذا على ما يجدونه في كتاب الله، وإلّا فليس ما حرّم رسولُ الله ﷺ زائداً على ما حرّم الله، بل كلُّ أحكامِه ﷺ أحكامُ الله ﷻ في كتابه، لم يخرج عنها قطّ، وقد قال الإمامُ الشّافعي رضي الله عنه كما في "الإتقان": "كلُّ ما حكمَ به رسولُ الله ﷺ فهو مما فهمَه من القرآن"[٢].

وقال أيضاً رضي الله عنه: "جميعُ ما تقول الأمّةُ شرحٌ للسنّة، وجميعُ السنّة شرحٌ للقرآن"[٣]. وقد أخرج الطبَراني في "الأوسَط" عن أمّ المؤمنين الصّديقة رضي الله عنها عن النّبي ﷺ: «إنّي لا أحلُّ إلّا ما أحلَّ اللهُ في كتابه، ولا أحرِّم إلّا ما حرّم اللهُ في كتابه»[٤] وأخرجه الشّافعي[٥] أيضاً في "الأم"[٦].

---

(١) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوّة" جُماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده ...إلخ، باب ما جاء في إخباره بشعبان على أريكته ...إلخ، ٦/ ٥٤٩، عن أبي رافع عن النبي ﷺ.

(٢) "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبَطة من القرآن، ٢/ ٢٤٤.

(٣) "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبَطة من القرآن، ٢/ ٢٤٤.

(٤) "المعجم الأوسط" باب الميم، من اسمه محمد، ر: ٥٧٤١، ٤/ ٢٠٩، عن عائشة.

(٥) أخرجه الإمام الشّافعي في "الأم" كتاب الصّلاة، باب المريض، ١/ ٩٩، ١٠٠، عن عبَيد بن عمير اللَّيثي.

(٦) أي: "كتاب الأم": للإمام محمد بن إدريس الشافعي، المتوفّى سنة ٢٠٤هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٤٧).

أمّا ما في "أفضل القُرى" للإمام ابن حجر المكّي بعدما قدّمنا[1] من قوله: "وسعَ علمُه ﷺ علومَ العالَمين الإنس والملائكة والجنّ؛ لأنّ اللهَ تعالى أطلعَه على العالَم، فعلمَ علمَ الأوّلين والآخِرين ما كان وما يكون كما مرّ، وحسبك في ذلك القرآنُ الذي أوتيَه ﷺ ومثله معه، كما صحّ عنه ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ويلزم من إحاطتِه ﷺ بالعلوم القرآنيّة ومثلها الذي أوتيه أيضاً، أنّه ﷺ أحاطَ بعلوم الأوّلين والآخِرين، وإنّ علومَهم مندرجةٌ ومنغمرةٌ في علومه ﷺ"[2] انتهى.

فأقول: أراد الإحاطةَ بالبُطون المحتوية على علوم الأوّلين والآخِرين، أمّا ما فيه من علم كُنهِ الله تعالى، وكُنهِ صفاتِه وسائرِ علومه الغَيبيّة الغير المتناهية، على ما قدّمنا[3] عن الإمام ابن النّقيب، فليس من علم الأوّلين والآخِرين في شيء، هكذا ينبغي أن يُفهمَ هذا المقام! والله تعالى أعلم.

تنبيهٌ آخَر يتعلّق بفوائدِ حديثِ يا أبا عمير

ما ذكرت[4] عن "التوشيح" أنّ أبا العبّاس[5] ذكر في حديث: «يا أبا عمَير! ما فعل النغَير؟» نيفاً وستّين فائدة، راجعتُ فيه "فتح الباري" فرأيتُه، ذكر عنه:"أنّ

---

(١) أي: "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٥، صـ١٥٩.

(٢) أي: في "المنح المكية" صـ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) انظر: صـ ١٥٤، ١٥٥.

(٤) انظر: صـ ١٣٢.

(٥) أي: ابن القاص.

بعضَ النّاس عابَ على أهل الحديث، أنّهم يَروُون أشياءَ لا فائدةَ فيها، ومثل ذلك بحديث أبي عمَير هذا، قال: وما درَى أنّ في هذا الحديث من وُجوه الفقه وفنون الأدب، والفائدة ستّين وجهاً، ثمّ ساقَها مبسوطةً"[١] ولخّص الحافظُ كلامَه، فإذا فيه إحدى وخمسون فائدةً من هذا الحديث، وعقدَ فصلاً في فوائدَ تتبع طُرق الحديث، ذكر فيه خمساً فصارت ستّةً وخمسين، فالله أعلم.

هل أراد الفقيهُ الطبَري[٢] ستّين تقريباً أو أسقطَ الحافظُ بعضَ كلامِه؟ ثمّ إنّ الحافظَ زاد عن ابن بطّال[٣] وغيرِه اثنتَي عشرةَ فائدةً، فصارت الآن ثمانياً وستّين[٤].

أقول: لكن أكثرَها مستخرجٌ مما ذكر في الحديث من قصّة زيارتِه ﷺ أمَّ سليم[٥]، وصلاتِه في بيتها جماعةً، ووقعَ في خاطري أنّ هذه الفوائدَ لا تخفى ولا تُنكَر، ولا أظنّ العائب قصدها، إنّما قصده إلى روايتهم قولِه ﷺ للصّبي: «يا أبا عمَير! ما فعل النغير؟» فظنّ أنّه محضُ مفاكَهةٍ ومزاح لا حكمَ تحته، ولا فائدةَ في روايته، وحاشا! رسول الله ﷺ أن يكونَ شيءٌ من أقواله وأفعاله وحركاته

---

(١) "فتح الباري" كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، تحت ر: ٦٢٠٣، ١٠/ ٦٥٨.

(٢) أي: ابن القاص.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٥٢. و"الأعلام" ٤/ ٢٨٥.

(٤) "فتح الباري" كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، تحت ر: ٦٢٠٣، ١٠/ ٦٥٨-٦٦١.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف السين، ر: ٧٤٧٩- أم سليم بنت ملحان، ٧/ ٣٣٣، ٣٣٤.

وسكناته خالياً عن فوائد جمّة وحِكمٍ مهمّة، فكان ينبغي الاعتناءُ بفوائد تُعطيها هذه الألفاظُ الكريمة، ولقد أصاب الإمامُ الترمذي في "الشّمائل"[١] والإمام النَّوَوي في "شرح مسلم"[٢] إذ لم يلما إلّا بالفوائد المستنبطة من هذه الجملة، فجعلتُ ألخِّص ما ذكر ابنُ القاص، فوجدتُ فيه مما يتعلّق بها ثماني عشرة، ومما زاد الحافظُ ثمانياً، غير أنّه لم يتمّ له عندي ثنتان، وزادني الإمامُ النَّوَوي أربعاً، واستفدتُ واحدةً من كلام الإمام ابن حجر المكّي في "شرح الشّمائل"[٣]، وأفاض الملِكُ القدير على قلبِ عبَيده الأفقَر الحقير إحدى عشرةَ فتمّت أربعين، وأرجو المزيدَ إن شاء الله المجيد! فعند ذلك أردتُ أن أعملَ فيها عند الفراغ من هذا الذي أنا فيه، رسالةً أسمِّيها -إن شاء الله تعالى- "مُنبِت الخير في فوائدِ حديثِ يا أبا عمَير" (١٣٣٣هـ)، ليكونَ الجزءُ الأوّل دالًّا على تاريخ التصنيف، ومن الله تعالى توفيقُ كلِّ خيرٍ مُنيف!.

---

(١) أي: "شمائل النّبي [الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية]" باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله ﷺ، تحت ر: ٢٣٦، صـ١٣٩: لأبي عيسى محمد بن سورة، الإمام الترمذي، المتوفّى سنة ٢٧٩هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٨٧).

(٢) "شرح صحيح مسلم" كتاب الآداب، باب جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الصغير، الجزء ١٤، صـ١٢٩.

(٣) "شرح شمائل": للشيخ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر المكّي الهيتمي، المتوفّى سنة ٩٧٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٨٧).


أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر



فصل

في تقريب العموم إلى الفُهوم وأمثلة

اتّساع الصّغير اليسير للكبير الكثير


لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

فصلٌ

في تقريب العموم إلى الفُهوم وأمثلة اتّساع الصّغير اليسير للكبير الكثير

الآن أريد -إن شاء العزيزُ المجيد- أن أذكرَ لك ما يقرِّب العمومَ إلى الفُهوم، ويصوِّر اتّساعَ الصّغير اليسير الكبير الكثير.

فأقول: (١) انظر إلى إنسانِ عينِك، ما هو إلّا نقطةٌ سَوداء، يرتسم فيه صُورُ السّماء والشّمس والجِبال والأشجار والصّحراء، كلُّ ذلك في آنٍ واحد، ومعلومٌ أنّ صورةَ الانطباع بقدر الاتّساع، فصورةُ السّماء في النّقطة السَّوداء لا تكون إلّا على قدر النّقطة، وقِس عليه حتّى حبّة خَردَلٍ وما دُونها، ثمّ تتراكُم هذه الصُّورِ الصِّغار اللّطاف، ومع ذلك صاحبُ العين حيث هو ناظرٌ من باطنِها يميّز في الآن الواحد بين السّماء والشّمس والجِبال والأشجار والصّحراء والخَردَل، تمييزاً واضحاً بالغاً بيّناً لا خفاءَ فيه، ويرى كلاًّ على قدرِه لا يلتبس عليه شيءٌ منها، ولا يعجزه هُجومُها وتراكُمُها، والقولُ بالانطباع هو الذي اختاره أئمّتُنا، كما بيّنتُه في كتابي "حياة الموات في بيان سماع الأموات"[1].

وغيرُه الناظرُ من خارجها إن نظرَ إلى إنسانِ عينِه لم يرَ إلّا نقطةً سوداء، فيها عكوس دقائق متراكمةٌ، لا يميّز كثيراً من كِبارها بعضها من بعض، فضلاً عن الذي كأنّه جزءٌ لا يتجزّئ، والذي يميّز منها لا يراه إلّا على القدر المنطبع في النّقطة، لا على ما له من القدر في نفس الأمر.

---

(١) هذه الرسالة مطبوعة مع مجموعة فتاواه المسمّاة بـ"العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" كتاب الصّلاة، باب الجنائز، ٩/ ٨٥٥.

فالكلماتُ القرآنيّة إنسانُ عينِ الإيمان، ومعانيها المندمجة فيها تلك الصُّورُ، وقد اجتمع فيها جميعُ ما كان وما يكون، وخُلَّص عِباد الله ناظرون من باطنها، فيميّزون كلَّ شيءٍ ويرَونه على ما هو عليه في الواقع، وأنتم أيّها القاصِرون المنكِرون! ناظرون من خارجها، فلا ترَون إلّا نُقوشاً سَوداء على قطعة بياض، فيها عدةُ مَعانٍ غير صافية ولا كافية، فهذا أقرَب مثالٍ ألقَى اللهُ تعالى في رَوعي، أرجو أنّك تعرف به الفرقَ بينك وبين أولياء الله تعالى في فهم القرآن، ولله الحمد!. فكيف بمَن نزل عليه القرآنُ ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ﷺ؛ فإنّ النواظرَ من الباطن تختلف قوّةً فيما بينها بما لا يحصى.

(٢) حبّةُ بذرٍ لا تكون قدرَ ظُفرٍ تنفلق عن دوحةٍ كبيرة، طولُها مئةُ ذراع، وأغصانُها مظلّةٌ على مئةِ ذراعٍ في مئة، فيها ألوفٌ من الأفنان، في كلّ فنٍ ألوفٌ من الأوراق، وذلك كالتمر الهندي، وقد كان كلُّ ذلك في بطن الحبّة، فمَن فتح اللهُ عينَه حتّى رأى باطنَها قبل انفِلاقها، لرأى فيها الدّوحةَ بجُذوعها وأفنانها وأوراقها، وأثمارها، والناظرُ من خارجها لا يرى الحبّةَ أيضاً ولا نصفَها ولا رُبعَها، بل ولا كلَّ قشرها، إنّما يرى منه نصفَ سطحِه الظاهر المواجِه له، فهل يستوي الأعمَى والبصير؟! أم هل تستوي الظلماتُ والنّور؟!.

صاحبُ الكشف يرى في المِداد صُورَ كلِّ ما ستكتب منه

(٣) في "اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر": "صاحبُ الكشف يرى في المِداد من الصُّور كذا وكذا صورةً، فإذا جاء وقتُ الكتابة والرَّسم، وكُتبَ من ذلك

المِداد، لم يزِد حَرفاً عمّا قال المكاشِفُ ولم ينقص، ذكره الشيخُ[1] ﷺ في الباب الثالث والسبعين وثلاثمئة ٣٧٣"[2].

(٤) في "الإبريز الشّريف": "سمعتُه ﷺ أنّ الجَنين إذا سقطَ من بطن أمِّه، يراه العارفُ الكامل في تلك الحالة، على الحالة التي يبلغ إليها عمرُه، وينتهي إليها أجلُه، ويرى فيه جميعَ ما يُدرِكه من خيرٍ أو شرٍّ، حتّى أنّ مَن شاهَده مشاهدةَ العارف، ونسخ جميعَ ما شاهَده، وطرحَ النّسخةَ عنده، وجعل يقابلها مع ما يظهر في الذات، ويشاهِد فيها كلَّ ساعةٍ ولحظة، وجدَهما لا يختلفان أبداً في شيءٍ من الأشياء، والله تعالى أعلم"[3].

(٥) أجمعوا أنّ الإنسانَ نسخةٌ جامعةٌ لجميع الأكوان، وأنّه العالَمُ الصّغيرُ، فيه كلُّ ما في العالَم الكبير، فمَن نظر باطنَه وعرفَه حقَّ معرفتِه، قرأ في نسخته كلَّ ما رقم في صفحات الوجود، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصّلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وللعلماء بالله -منهم الشيخُ الإمام صدر الملّة والدّين القَونوي[4]

---

(١) أي: في "الفتوحات المكية" الباب ٣٧٣ في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكمي ...إلخ، ٣/ ٤٤٢.

(٢) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٦٣ في بيان أنّ الأرواح مخلوقة وأنّها من أمر الله، الجزء ٢، صـ٥٥٣ ملتقطاً.

(٣) "الإبريز" الباب ٧ في تفسيره ﷺ لبعض ...إلخ، ٢/ ٢٠٧ ملتقطاً .

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٠٤، ١٠٥.

ﷺ صاحبُ "إعجاز البيان في تفسير أمّ القرآن"[١]- هاهنا كلامٌ يرى العجبَ مَن يُطالعه بحُسن الأدب!.

تيسير الشيء الكثير في زمن اليسير

(٦) ومن ذلك تيسيرُ الشّيء العظيم الخطير الكبير الكثير في الزّمن القليل النزر اليسير، وحسبُك فيه إسراءُ نبيّك محمّدٍ ﷺ في بعض ليلةٍ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، إلى السّماوات العُلى، إلى سِدرة المنتهى، إلى مقام مستوَى، إلى العرش الأعلى، إلى منقطع الجهة، وأين وإلى، حيث دنَى فتدلّى، فكان قابَ قوسَين أو أدنَى.

ومعلومٌ أنّ من الأرض إلى السّماء الدّنيا مسيرةُ خمسِمئةِ سنةٍ، وكذا من كلِّ سماءٍ إلى ما يليها، وكذا ثخنُ كلِّ سماء، فهذه مسيرةُ أربعةَ عشرَ ألفَ سنةٍ ذَهاباً وإياباً، والذي من السّماء السّابعة إلى منتهى السِّدرة، ومنه إلى مستوَى، ومنه إلى العرش ما لا يعلمه إلّا الله تعالى، وإن نظرنا إلى حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما في "شِفاء الصُّدور" للإمام أبي الرّبيع، يرفعه إلى النّبي ﷺ: «ثمّ زجّ بي في النّور زجّاً، فخرقَ بي سبعون ألفَ حجاب، ليس فيها حجابٌ يُشبِه الآخَر، وانقطع عنّي حسُّ كلِّ ملَكٍ وإنسيّ»[٢] ...الحديث.

---

(١) "إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أمّ القرآن": للشيخ العلّامة صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي، المتوفّى سنة ٦٧٢هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٥٠).

(٢) انظر: "المواهب اللدُنية" المقصد ٥ الإسراء والمعراج، ٣/ ٨٤، نقلاً عن "شفاء الصدور" لأبي الربيع.

وفي أخرى قبل هذا حيث كان[1] معه ﷺ جبريلُ، وكان يتلقّاه ملَكٌ حاجبُ حجابٍ من حاجبٍ آخَر، حجابٌ من ذهب، وآخَر من لُؤلُؤ، ما نصُّه: «فلم أزَل كذلك من حجابٍ إلى حجابٍ، حتّى جاوزتُ سبعين حجاباً، غلظُ كلِّ حجابٍ مسيرةُ خمسِمئةِ عام، فقال لي: تقدّم يا محمد! فمضيتُ، فانطلق بي الملَكُ، ثمّ دلّى لي رَفرَف أخضر» ...الحديث. وفي أخرى: «سبعُمئةِ حجاب».

وجمع بينهما العلّامةُ البرهان النّعماني[2] تلميذُ الحافظ ابن حجر العَسقلاني، بأنّ السبعينَ بالنّسبة إلى السّماوات السّبع، والسّبعُمئة باعتبار عالَم الكرسي وما حوى، والسبعين ألفاً باعتبار عوالم العرش وما حوى، وبسطَ الكلام على ذلك وقال: "لا يستبعد وُقوعُ هذا في بعض ليلةٍ".

---

(١) قال العلامة الزرقاني رحمه الله في "شرح المواهب" [المقصد ٥ في تخصيصه بخصائص المعراج والإسراء، ٨/ ٦٤] وجود الملائكة عند الحجب معلولٌ بما تفيده الأحاديثُ، أنّ سدرةَ المنتهى لم يجاوزها أحدٌ إلّا المصطفى ﷺ، به جزم النَّوَوي". [أي: في "شرح صحيح مسلم" كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السّماوات وفرض الصلوات، الجزء ٢، صـ٢١٤] انتهى.

أقول: وجود الملائكة عند العرش حافين حولَه معلومٌ قطعاً، وحمَلةُ العرش ثمانيةٌ أو ثمانيةُ صفوفٍ معلومون قطعاً، فليس المعنى إلّا أنّها لم يتجاوزها من أهل السّماوات والأرض أحدٌ غيرُه ﷺ، ثمّ ليس في الحديث مخالفةُ عقلٍ ولا نقلٍ فلا حسّ، فقُصاراه الضعفُ، والضعيفُ مقبولٌ في الفضائل، ولذا أوردَه أبو الحسن علي بن غالب، والنّعماني والقَسطلاني وغيرُهم رحمهم الله ساكتين عن تكذيبه، فقول الشّامي من غير بيّنة لا يركن إليه، والله تعالى أعلم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٢) انظر ترجمته: "الأعلام" ١/ ٥٣.

فإذا كانت الحجبُ بعد السّماوات سبعين ألفاً وسبعمئة وسبعين، ومسيرةُ ما بين كلّ اثنَين خمسُمئة سنةٍ، كانت المسافةُ فوق السّماوات إلى العرش ذَهاباً وإياباً مسيرةَ سبعين ألفَ ألفِ سنةٍ وسبعَمئةٍ وسبعين ألفَ سنة، ثمّ لم يكن ذَهابُه ﷺ مجرّدُ مُرور، بل طالَع وشاهَد السّماواتِ وما فيها، والكرسيَّ وما فيه، والعرشَ وما فيه، والجنّةَ وما فيها، والنّارَ وما فيها، بحيث أدركَ حقائقَها وعرفَ دقائقَها، وأتمّ اللهُ تعالى إجابةَ دعائه: "اللّهم أرني حقائق الأشياء"، وأوصلَ قدمَه إلى كلّ ما وصلَ إليه نظرُ الخليل الجليل -عليه وعليه الصّلاةُ بالتبجيل-، ولو لم يكن ثَمّ مسافةٌ لكان مطالعةُ كلّ ذلك يحتاج إلى ألفِ ألفِ سنةٍ أو أكثر، فالذي يسّر له جميعَ هذا في عدةِ ساعاتٍ لطيفة، حتّى أصبحَ في المسجد الحرام، كأنّه لم يذهب إلّا إلى بعض قُرى الحرم، كيف يستكثَر عليه أن يجمعَ لحبيبه علمَ ما كان وما يكون في بُطون كتابه الكريم؟! بل في الفاتحة، بل في التسمية، بل في حرفٍ واحد، فإن لم تعقل هذا فأنبئني كيف عقلتَ قطعَ تلك المسافة التي أحاطت بالعالَم إلى منقطع المكان في نحو ثلاثِ ساعات؟ وإن شككتَ فيما فوق السّماوات فليس لك أن تستريبَ في مسيرةِ أربعةَ عشرَ ألفَ سنة! فإن آمنتَ بهذا ولم تعقله، فكلامُ الله أحقُّ أن لا تزِنَه بميزان عقلِك النّاقص القاصِر السّقيم؛ فإنّ هذا فعلُه، وذلك صفتُه، لا هو ولا غيرُه!.

معجزة النّبي ﷺ

إنّه أخبر في مجلسٍ واحد بأحوال المخلوقات كلِّها من مبدأ إلى المنتهى.

(٧) ومن ذلك ما تقدّم في الكتاب[١] من حديث البخاري عن الفاروق الأعظم ﵁ قال: «قام فينا النبيُّ ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدءِ الخَلق حتّى دخل أهلُ الجنّة مَنازلَهم، وأهلُ النّار مَنازلَهم، حفظَ ذلك مَن حفظه، ونسيَه مَن نسيَه»[٢].

قال العلماءُ العَسقلاني والعَيني[٣] والقَسطلاني[٤] والقاري[٥]، واللفظُ للحافظ فإنّه أتمّ: "دلّ ذلك على أنّه أخبرَ في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات، منذ ابتدأت إلى أن تفنَى، إلى أن تبعث، فشمل ذلك الأخبار عن المبدأ والمعاش والمَعاد، وفي تيسير إيراد ذلك كلِّه في مجلسٍ واحد من خوارق العادة أمرٌ عظيم، ويقرب ذلك مع كون معجزاتِه ﷺ لا مريةَ في كثرتها، أنّه ﷺ أُعطيَ جوامع الكلِم" -قال-: "ولحديث الباب شاهدٌ من حديث حذَيفة ﵁ سيأتي في

---

(١) أي: في "الدولة المكية" النظر ٥، صـ١٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ر: ٣١٩٢، صـ٥٣٢، عن عمر ﵁.

(٣) أي: في "عمدة القاري" كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، تحت ر: ٣١٩٢، ١٠/ ٥٤٤.

(٤) أي: في "إرشاد الساري" كتاب بدء الخَلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، تحت ر: ٣١٩٢، ٧/ ١٢٧.

(٥) أي: في "المرقاة" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء ﵈، الفصل ١، تحت ر: ٥٦٩٩، ٩/ ٦٧٢.

كتاب القدر[١] -إن شاء الله تعالى-، ومن حديث أبي زَيد الأنصاري[٢] أخرجه أحمدُ ومسلمٌ[٣] قال: «صلّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبح، فصعد المنبرَ فخطبَنا حتّى حضرت الظهرُ، ثمّ نزل فصلّى بنا الظهرَ، ثمّ صعد المنبرَ فخطبَنا ثمّ صلّى العصر، كذلك حتّى غابت الشّمس، فحدّثنا بما كان وبما هو كائنٌ، فأعلَمنا أحفَظنا»[٤] لفظ أحمد. وأخرجه من حديث أبي سعيد[٥] مختصراً ومطوّلاً[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ر: ٦٦٠٤، صـ١١٤١، عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والميم، ر: ٣٨٥٤- عَمرو بن أخطب، ٤/ ١٧٧، ١٧٨.

(٣) أي: في "الصحيح" كتاب الفتن وإشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ر: ٧٢٦٧، صـ١٢٥٢، عن عَمرو بن أخطب.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند الأنصار، حديث أبي زيد عَمرو بن أخطب، ر: ٢٢٩٥١، ٨/ ٤٤٥، عن أبي زيد الأنصاري.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين والراء، سعد بن مالك الخدري، ر: ٢٠٣٦، ٢/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١٥٨٧، ٤/ ١٢٢، ١٢٣، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ العصر ذات يوم بنهار، ثمّ قام فخطبَنا إلى أن غابت الشمس، فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلّا حدّثناه، حفظ ذلك مَن حفظ، ونسيَ ذلك مَن نسي، وكان فيما قال: «يا أيّها الناس! إنّ الدنيا خضرةٌ حلوةٌ، وإنّ الله مستخلفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون فاتّقوا الدنيا! واتّقوا النساء! ألا إنّ لكلّ غادرٍ لواءً يومَ القيامة بقدر غدرته، يُنصب عند اسْتِه يجزى به، ولا غادرَ أعظمُ من أمير عامّة». ثمّ ذكر الأخلاق فقال: «يكون الرجلُ سريعَ الغضب، قريبَ الفيئة، فهذه بهذه ويكون بطيءَ =

وأخرجه الترمذي من حديثه مطوَّلاً بلفظ: «صلّى بنا رسولُ الله ﷺ يوماً صلاةَ العصر، ثمّ قام يحدِّثنا، فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام السّاعة، إلّا أخبرنا به»[1] ثمّ

=

الغضب، بطيءَ الفيئة، فهذه بهذه، فخيرُهم بطيءُ الغضب سريعُ الفيئة، وشرُّهم سريعُ الغضب بطيءُ الفيئة». قال: «وإنّ الغضبَ جمرةٌ في قلبِ ابن آدَم تتوقّد، ألم ترَوا إلى حُمرةِ عينَيه وانتفاخِ أوداجه، فإذا وجد أحدَكم ذلك فليجلس!» -أو قال-: «فليلصق بالأرض». قال: ثمّ ذكر المطالبة فقال: «يكون الرجلُ حسنَ الطلب سيئَ القضاء، فهذه بهذه، ويكون حسنَ القضاء سيئَ الطلب، فهذه بهذه، فخيرُهم الحسنُ الطلب الحسنُ القضاء، وشرُّهم السيئُ الطلب السيئُ القضاء». ثمّ قال: «إنّ الناسَ خُلقوا على طبقات، فيُولد الرجلُ مؤمناً، ويعيش مؤمناً، ويموت مؤمناً، ويُولد الرجلُ كافراً، ويعيش كافراً، ويموت كافراً، ويُولد الرجلُ مؤمناً، ويعيش مؤمناً ويموت كافراً، ويُولد الرجلُ كافراً، ويعيش كافراً، ويموت مؤمناً». ثمّ قال في حديثه: «وما شيءٌ أفضلُ من كلمة عدل تقال عند سلطانٍ جائر، فلا يمنعنّ أحدَكم اتقاءُ النّاس أن يتكلّمَ بالحقّ إذا رآه أو شهده». ثمّ بكى أبو سعيد فقال: قد واللهِ! منعنا ذلك. قال: «وإنّكم تتمّون سبعين أمّةً أنتم خيرُها وأكرمُها على الله». ثمّ دنت الشمسُ أن تغربَ فقال: «وإنّ ما بقي من الدنيا فيما مضى منها، مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه».

(١) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب الفِتن عن رسول الله ﷺ، باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، ر: ٢١٩١، صـ٥٠٤، عن أبي سعيد الخدري.

ساق الحديثَ وقال[١]: "حسنٌ، وفي الباب عن حذَيفة وأبي زيد بن أخطَب وأبي مريم[٢] والمغيرة بن شُعبة"[٣] رضي الله تعالى عنهم انتهى[٤].

كتابان في يدِه صلى الله تعالى عليه وسلم فيهما أسماءُ جميع أهل الجنّة وجميع أهل النّار

(٨) قال الحافظ: "ومثلُ هذا من جهةٍ أخرى ما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عَمرو بن العاص[٥] رضي الله تعالى عنهما قال: خرج علينا رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي يدِه كتابان، فقال للذي في يدِه اليُمنى: «هذا كتابٌ من ربِّ العالمين، فيه أسماءُ أهل الجنّة، وأسماءُ آبائِهم وقبائلِهم، ثمّ أجملَ على آخِرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، ثمّ قال للذي في شماله مثلَه في أهل النّار -وقال في آخر الحديث- فقال: بيدِيه فنبذهما، ثمّ قال: «فرغ ربُّكم من العِباد، فريق في الجنّة وفريق في السّعير»[٦] وإسنادُه حسنٌ، ووجه

---

(١) أي: في "السُنن" أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، باب ما أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، تحت ر: ٢١٩١، صـ٥٠٤.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الميم والألف، ر: ٤٥٩٤، ٥/ ٢٢.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الميم والغين، المغيرة بن شعبة، ر: ٥٠٧١، ٥/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) "فتح الباري" كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، تحت ر: ٣١٩٢، ٦/ ٣٢٥، ٣٢٦ ملتقطاً وبتصرّف.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٣٠٩٢، ٣/ ٣٤٥-٣٤٨.

(٦) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب القدر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، باب ما جاء أنّ الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، ر: ٢١٤١، صـ٤٩٢، عن عبد الله بن عمرو. [قال أبو عيسى]: وفي الباب عن ابن عمر. [وقال أبو عيسى]: وهذا حديثٌ حسنٌ غريب صحيحٌ.

الشّبه بينهما أنّ الأوّلَ فيه تيسيرُ القول لكثيرٍ في الزّمن القليل، وهذا فيه تيسيرُ الجرم الواسع(١) في الظرف الضيّق، وظاهر قوله: "فنبذهما" بعد قوله: "وفي يدِه كتابان"، إنّهما كانا مرئيَين لهم، والله تعالى أعلم"(٢).

نيفٌ وعشرون روايةً في بسط الزّمان اليسير حتّى وسع الشيء الكثير

(٩) روى الإمام أحمد(٣) والبخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «خُفّف عن داود القرآنُ، فكان يأمر بدوابّه فتُسرج، فيقرأ القرآنَ قبل أن تسرَج دوابُّه»(٤). قال القاري: "قال التوربشتي ﷺ: يريد بالقرآن الزَّبور؛ وإنّما قاله القرآنَ لأنّ(٥) قصدَ إعجازِه من طريق القراءة، وقد دلّ الحديثُ على أنّ اللهَ تعالى يطوي

---

(١) قلت: وهذا شيءٌ لا تتصوّره بهذا الإجمال، وسنعود إلى تفصيله [انظر: صـ ١٩٦- ٢١٥.] بعون العزيز المتعال،. انتهى منه [أي: من الإمام أحمد رضا] حفظه ربّه تعالى.

(٢) "فتح الباري" كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، تحت ر: ٣١٩٢، ٦/ ٣٢٥.

(٣) أي: في "المسند" مسند أبي هريرة ﷺ، ر: ٨١٦٦، ٣/ ١٩١، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في "الجامع" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [النساء: ١٦٣]، ر: ٣٤١٧، صـ٥٧٤، عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) أقول: هذا أحسن مما في "فتح الباري": "إنّما سمّاه قرآناً للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوُقوع المعجزة بالقرآن، أشار إليه صاحب "المصابيح" ["فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، تحت باب قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [النساء: ١٦٣] ...إلخ، ٦/ ٥١٠] انتهى. فإنّ =

الزّمانَ لمن يشاء مِن عبادِه كما يطوي المكانَ لهم، وهذا بابٌ لا سبيلَ إلى إدراكه إلّا بالفيض الربّاني. قلتُ: حاصلُه: أنّه من خَرق العادة على اختلافٍ في أنّه بسطُ الزّمان أو طَيُ اللّسان، والأوّلُ أظهَر؛ وقد حصل لنبيِّنا ﷺ في ليلة الإسراء هذا المعنى على الوجه الأكمَل، في المبني من الجمع بين طَي المكان وبسط الزّمان، بحسب السّمع واللِّسان في قليلٍ من الآن"[1].

أقول: شأنُ الإسراء الشّريف ليس من طَي المكان؛ فإنّ فيه يبقى المكانُ كثوبٍ مَطويٍّ يصغر حجمُه، ولا يرى تفاصيله، وما كان الإسراءُ إلّا لنُريَه من آياتنا الكُبرى، إنّه هو السّميعُ البصير، فليس فيه إلّا بسطُ الزّمان على أنّه مع القول به، كيف يحكم بطَي المكان؟؛ فإنّ في أحدِهما كفاية هذا.

وقال الحافظ: "قيل: المرادُ الزَّبور، وقيل: التَّوراة، وإنّما تردّدوا بين الزّبور والتوراة؛ لأنّ الزّبورَ كلَّه مَواعظ، وكانوا يتلقّون الأحكامَ من التَّوراة. قال قَتادة: كنّا نتحدّث أنّ الزّبورَ مئةٌ وخمسون سورةً كلُّها مَواعظ وثناء، ليس فيه حلالٌ ولا حرامٌ ولا فرائضُ ولا حدود، بل كان اعتمادُه على التّوراة، أخرجه ابن أبي حاتم[2]

=

المعجزة هاهنا من النّبي عليه السلام، والكتاب محلُ المعجزة لا مصدرُه، أمّا القرآنُ الكريم معجز بنفسه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(١) أي: في "المرقاة" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم السلام، الفصل ١، تحت ر: ٥٧١٨، ٩/ ٧٠٦.

(٢) أي: في "تفسيره" الإسراء، تحت الآية: ٥٥، ر: ١٣٣١٥، ٧/ ٢٣٣٥، عن قتادة رضي الله تعالى عنه.

وغيرُه[١]"[٢] انتهى.

أقول: وعلى إرادة التَّوراة المعجزةُ أتمُّ وأعظَم! ففي "المعالم": "قال الربيعُ بن أنس: نزلت التَّوراةُ وهي وقرُ سبعين بعيراً يقرأ الجزءُ منه في سنة، لم يقرأها إلّا أربعةُ نفرٍ: مُوسى ويُوشَع وعزَيرٌ وعيسى عليهم السلام"[٣] انتهى.

فإن قلتَ: تمامُ هذا الأثر ينافي إرادةَ التَّوراة هنا!.

قلتُ: قال "الخازِن"[٤]: "المرادُ بقوله: "لم يقرأها" يعني لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه إلّا هؤلاء الأربعةُ"[٥] انتهى. وليس في هذا الحديث أنّه عليه السلام كان يقرؤها عن ظهر قلبه.

(١٠) قال القاري: "ولأتّباعه ﷺ أيضاً وقع حظٌّ من هذا الشّأن على ما حكي أنّ عليّاً -كرّم اللهُ تعالى وجهَه- كان يبتدئ القرآنَ من ابتداء قصدِ رُكوبه مع تحقّق المباني، وتفهّم المعاني، ويختمُه حين وضعَ قدمَه في ركابه الثاني"[٦] انتهى.

---

(١) أخرجه الطبَري في "جامع البيان" الإسراء، تحت الآية: ٥٥، ر: ١٦٨٨٧، الجزء ١٥، صـ١٢٩، عن قَتادة.

(٢) أي: في "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، تحت باب قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [الإسراء: ٥٥] ...إلخ، ٦/ ٥١٠، ٥١١ ملتقطاً.

(٣) "المعالم" الأعراف، تحت الآية: ١٤٥، ٣/ ٢٨١.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٧٥.

(٥) "الخازن" الأعراف، ٢/ ١٣٩.

(٦) أي: في "المرقاة" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم السلام، الفصل ١، تحت ر: ٥٧١٨، ٩/ ٧٠٦.

قلتُ: والرّوايةُ في حفظِي أنّه ﷺ كان يضع قدمَه اليُسرى في الرّكاب ويشرع القرآنَ، فلا تصل قدمُه اليُمنى إلى الرّكاب إلّا وقد ختمَ القرآن[١].

(١١) وذكر في "أشعّة اللمعات" روايةً أخرى عنه ﷺ: "أنّه كان يختم القرآنَ من الملتزَم إلى الباب"[٢].

(١٢) قال الإمام النَّوَوي -رحمه الله تعالى وقدّسنا بسرّه-: "أكثر ما بلغَنا من ذلك، مَن كان يقرأ أربعَ ختماتٍ باللَّيل وأربعاً بالنّهار"[٣].

(١٣) قال الإمام العَيني في "عمدة القاري" بعد نقلِه كلامَ النَّوَوي: "ولقد رأيتُ رجلاً حافظاً قرأ ثلاثَ ختماتٍ في الوتر، في كلّ ركعةٍ ختمةً في ليلة القدر"[٤].

(١٤) قال الإمامُ القَسطلاني في "إرشاد السّاري" بعد نقلِه أيضاً كلامَ النَّوَوي: "ولقد رأيتُ أبا الطاهر[٥] بالقُدس الشّريف سنةَ سبعٍ وستّين وثمانمئةٍ،

---

(١) انظر: "شواهد النبوّة" الركن ٦ في بيان كرامات أصحاب النّبي ﷺ، صـ١٩٧.

(٢) "أشعة اللمعات" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم السلام، الفصل ١، ٤/ ٤٨٢.

(٣) أي: في "الأذكار من كلام سيّد الأبرار" كتاب تلاوة القران، فصل في الكلام عن ختم القرآن في مدة معينة، صـ١٨٩، ١٩٠ بتصرّف.

(٤) "عمدة القاري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [الإسراء: ٥٥]، تحت ر: ٣٤١٧، ١١/ ١٥٨.

(٥) لم نعثر على ترجمته.

وسمعتُ عنه إذ ذاك، أنّه كان يقرأ فيهما -أي: في اللّيل والنّهار- أكثرَ من عشرِ ختمات"[١].

(١٥) ثمّ قال: "بل قال لي شيخُ الإسلام البرهان بن أبي شريف[٢] -أدام اللهُ النفعَ بعلومه- عنه: أنّه كان يقرأ خمسَ عشرةَ ختمةً في اليوم والليلة، وهذا بابٌ لا سبيلَ إلى إدراكِه إلّا بالفَيض الربّاني"[٣] انتهى.

أقول: والظاهر أنّ ضميرَ "عنه" إلى الشيخ أبي طاهر القُدسي ﷺ، فيكون بياناً لقوله: "أكثرَ من عشر ختمات"، وقد يحتمل رجوعُه إلى شيخ الإسلام البُرهان، أي: كان يحكي عن نفسه، وعليه درجَ العارفُ بالله سيّدي عبد الغني النّابلُسي في "الحديقة النديّة" إذ قال: "قال القَسطلاني: أخبرني شيخُ الإسلام البرهان بن أبي شريف: أنّه كان يقرأ خمسةَ عشرَ ختمةً في اليوم والليلة"[٤] انتهى. والله تعالى أعلم.

---

(١) "إرشاد الساري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [الإسراء: ٥٥]، تحت ر: ٣٤١٧، ٧/ ٤١٤.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين"، ٥/ ٢٤.

(٣) "إرشاد الساري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [الإسراء: ٥٥]، تحت ر: ٣٤١٧، ٧/ ٤١٤.

(٤) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٣، ١/ ٢٢٧.

(١٦) ثمّ قال، أعني العارفَ النّابلُسي: "وفي "الإرشاد"[١]: "أنّ النّجمَ الإصبهاني[٢] رأى رجلاً من اليمن ختمَ في شَوطٍ أو أسبوع. وهذا لا يتسهّل إلّا بفيضٍ ربّاني ومددٍ رَحماني"[٣].

(١٧) ثمّ قال: "وأخبرني بعضُ الثِقات: أنّ شيخَنا العارف عبد الوهّاب الشَّعراني ختمَ بين المغرب والعشاء ختمتَين"[٤].

(١٨) وفي "نفحات الأُنس"[٥] لسيّدي مولانا الجامي[٦] -قُدّس سرُّه السّامي-:

---

(١) أي: "الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز" الباب ٤ في فضل تلاوة القرآن، وأهله العاملين به، صـ١٨٥، ١٨٦: للإمام أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، المتوفّى سنة ٧٧١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١١٤).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن محمد بن علي الإمام القدوة، شيخ الحرم نجم الدّين الإصبهاني الشّافعي المجاوِر، وُلد سنة ثلاث وأربعين وستّمئة. وصحب أبا العبّاس المرسي تلميذ الشّاذلي، وتفقّه وبرع في الأصول، ودخل في طريق الحبّ صحبة الشيخ عماد الدّين الحزامي. وكان شيخًا مهيبًا منقبضًا عن النّاس. مات سنة ستين ومئتَين بنيسابور.

("الوافي بالوفيات" عبد الله بن محمد، ١٧/ ٣٢٢).

(٣) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٣، ١/ ٢٢٧.

(٤) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٣، ١/ ٢٢٧.

(٥) "نفحات الأُنس من حضرات القُدس" فارسي: لمولانا نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي، المتوفّى سنة ٨٩٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٧٦٨).

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٣٣.

عن الشيخ سعيد الدّين الفَرغاني[١] في "شرح التائيّة"[٢] قال: "سمعتُ الشيخ الثقة طلحةَ بن عبد الله بن طلحة التستري العراقي[٣] سنةَ ستِّمئةٍ وخمسٍ وستّين، يَروي عن الشّيخ عِماد الدّين محمد[٤] ابن شيخ الشّيوخ شهاب الحقّ والدّين السُّهَرْوَرِدِي[٥] ﷺ قال: كنتُ

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين"، ٦/ ١١١، ١١٢.

(٢) أي: "منتهى المدارك في شرح تائية ابن الفارض" باب المعرفة: الحقيقة الجامعة، ٢/ ١٧٥، ١٧٦: لسعيد الدين محمد بن أحمد الشهير بسعيد الفرغاني الصوفي، توفّي سنة ٦٩٩هـ. ("هدية العارفين" ٦/ ١١١، ١١٢).

(٣) لم نعثر على ترجمته.

(٤) هو محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله، عماد الدّين أبو جعفر ابن الشيخ شِهاب الدّين، السُّهروَردي، البغدادي، الصُّوفي. المتوفّى ٦٥٥ هـ. وسمع من: أبي الفرَج ابن الجَوزي، وعبد الوهّاب ابن سكينة. وسمع بدِمشق من: بهاء الدّين القاسم ابن الحافظ. روى عنه: الدّمياطي، وحفيده أبو القاسم عبد المحمود بن عبد الرحمن بن محمد ابن السهروردي، وغيرهما. وكان كبير القدر. ("تاريخ الإسلام" الطبقة ٦٦، ١٥/ ٧٨٨).

(٥) هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عمويه البكري شهاب الدّين أبو حفص السُهروَردي البغدادي الفقيه الشّافعي الصُّوفي، وُلد سنة ٥٣٩هـ وتوفّي ببغداد سنة ٦٣٢هـ. له من الكتب: "أدلّة العيان والبرهان" و"إرشاد المريدين واتّحاد الطالبين" و"بهجة الأبرار في المناقب الغوثية" و"الرّحيق المختوم لذوي العقول والفهوم" و"الرّسالة العاصمية" ذكر فيه ما شاهَده في مَسيره إلى ما وراء النّهر، و"رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية" و"عوارف المعارف" في التصوّف، و"مناسك الحجّ" و"بغية البيان في تفسير القرآن" وغير ذلك. ("هدية العارفين" ٥/ ٦٢٦).

في حجّةٍ مع أبي، فبَينا أنا أطُوف إذ رأيتُ رجلاً مغربيّاً يطوف والنّاسُ يتبرّكون به، فذكروني له أنّ هذا ولدُ الشيخ شهاب الدّين، فرحّب بي وقبّل رأسي، ودعا لي بالخير -ولم أزَل أرَى بركاتِ ذلك الدّعاء في نفسي، وأرجو أن تكونَ بركاتُه في الآخرة أيضاً معي-، فسألتُ النّاسَ عنه، قالوا: هذا الشيخ موسى السّدراني[1] أي: من أكابر أصحاب سيّدي أبي مَدين المغربي[2] ﷺ، فلمّا فرغتُ من الطواف أتيتُ أبي وأخبرتُه: أنّي رأيتُ الشيخ موسى ودعا لي، ففرحَ به والدي فرحاً كثيراً، ثمّ أخذ النّاسُ في مناقب الشّيخ موسى وذكروا[3] منها، أنّ له في كلّ يومٍ وليلةٍ سبعين ألفَ ختمةٍ فسكتَ أبي"[4].

(١٩) قال: "إذ قال[5] رجلٌ من كِبار أصحاب أبي، وحلف بالله أنّهم لصادِقون فيما يقولون عنه، كنتُ سمعتُ هذا من قبل، فكان في قلبي شيءٌ منه، حتّى

---

(١) أبو موسى السِّدراني، صوفي مشهور، من المغرب. وفي تلامذة الأصمعي رجلٌ يعرف بالسِّدري، بصريّ، وهو نسبة لمن يطحن ورق السدر ويبيعه. وكان من أكبر أصحاب الشيخ أبي مدَين المغربي ﷺ. ("نفحات الأُنس" الشيخ موسى السِّدراني، صـ٣٦٧ تعريباً، و"تاج العروس" باب الراء، فصل السين من باب الراء، ٣/ ٢٦٣).

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٣) ذكر هذه في "روح البيان" أيضاً من سورة الإسراء ["روح البيان" الإسراء، تحت الآية: ١-٧، ٥/ ١٢٥]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٤) "نفحات الأنس" صـ٣٦٧، ٣٦٨.

(٥) ذكر هذه في "سبع سنابل" أيضاً ["سبع سنابل" السنبلة ٦، صـ١٥٣]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] عفي عنه.

أدركتُ الشيخَ موسى ليلةً في الطواف، فتبعتُه فرأيتُه قبل الرُّكن الأسوَد، ثمّ بدأ من أوّل الفاتحة، وجعل يتلو وهو يمشي في طوافه كمشية النّاس فيه، تلاوةً مرتَّلةً كنتُ أفهمُها حرفاً حرفاً، فلمّا وصل من الحجر إلى باب الكعبة الشّريفة -وليس بينهما إلّا نحوُ أربعِ خطواتٍ- أتمّ ختمةً بحيث سمعتُها حرفاً حرفاً، فصدّقه أبي وجميعُ أصحابه"[١] انتهى مترجماً، ويأتي تمامُه إن شاء الله تعالى[٢].

وقد نقلَها القاري في "المرقاة" مختصراً، فقال: "وقد نقل مولانا نور الدّين عبد الرّحمن الجامي -قدّس اللهُ سرَّه السّامي- في كتابه "نفحات الأُنس في حضرات القُدس" عن بعض المشايخ، أنّه قرأ القرآنَ من حين استلمَ الحجرَ الأسوَد إلى وصول مُحاذاة باب الكعبة الشّريفة، وسمعَه ابنُ الشّيخ شهاب الدِّين السُّهْرَوَرْدِي منه كلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً من أوّله إلى آخِره، قدّس اللهُ تعالى أسرارَهم ونفعنا ببركة أنوارهم"[٣] انتهى.

أقول: آمين وإيّانا جميعاً! وفي نسبة السّماع إلى ابن الشّيخ قدس سره سهوٌ، إنّما السّامعُ رجلٌ من كِبار أصحاب الشّيخ، وابنُ الشيخ راوِيه كما سمعت.

---

(١) "نفحات الأنس" صـ٦٥٣، ٦٥٤.

(٢) انظر: صـ٢٠٣- ٢٠٥.

(٣) "المرقاة" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم السلام، الفصل ١، تحت ر: ٥٧١٨، ٩/ ٧٠٦.

(٢٠) وفي "ميزان الشّريعة الكُبرى" للإمام العارف بالله سيّدي عبد الوهّاب الشَّعراني -قدّس سرّه الربّاني-: "قد أخبرني سيّدي علي المرصفي[١] رحمه الله تعالى: أنّه قرأ في يومٍ وليلةٍ ثلاثَمئةِ ألفِ ختمٍ، وستّين ألفَ ختمٍ، هذا كلامُه لي رضي الله عنه"[٢] انتهى.

وتابَعه سيّدي الأستاذُ عبد الغني النّابلُسي رحمه الله تعالى، فقال في "الحديقة" بعد ما تقدّم: "وأخبرَنا الشيخُ علي المرصفي: أنّه قرأ في أيّامِ سُلوكِه في يومٍ وليلةٍ ثلاثَمئةِ ألفِ ختمٍ، وستّين ألفَ ختمٍ، كلّ درجة ألفَ ختم"[٣]. أقول: بل أكثر؛ إذ لا بدّ من استثناء أوقاتِ الصّلوات الخمس.

ثمّ قال قدس سره: "ولا يستبعد هذا على أولياء الله تعالى، الذين غلبت رُوحانيّتُهم على جِسمانيّتهم، والرُّوح من أمر الله، وأمرُ الله كلمحٍ بالبصر كما أخبر تعالى، وعرضُ كلماتِ القرآن كلِّها مع مَعانيها في لسان الولي كلمحٍ بالبصر ما هو ببعيد، واللهُ على كلّ شيءٍ قدير"[٤] انتهى.

أقول: وذكرُ لمحِ البصر تقريبٌ؛ لأنّه حركة، والحركةُ تستدعي زماناً، وأمرُ الله لا يلبث، إنّما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون، كيف لمحُ البصر؟ لا يكون أسرَع من أن تقولَ، أي: تتكلّم بحرفٍ واحدٍ مفتوحاً غير ممدود، وقد نصَّ أهلُ الهيأة أنّ التكلّمَ

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٩٣.

(٢) "الميزان الشريعة الكبرى" فصل في بيان ما اطلعت عليه من كتب الشريعة ...إلخ، الجزء ١، صـ٧٩.

(٣) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٣، ١/ ٢٢٧.

(٤) المرجع السابق.

بحرفٍ واحدٍ هكذا، لا يتأتّى إلّا في عشرين ثالثةً، فتكون ثانيةً بثلاثةِ أحرُفٍ مثل نَصَرَ، فدقيقةٌ بمئةٍ وثمانين حرفاً، ودرجةٌ أي: أربعُ دقائق بسبعِمئةٍ وعشرين حَرفاً، فأنّى يقع ذلك من ألفِ ختمةٍ للقرآن العظيم عن أوّله إلى آخِره! فسبحان القديرِ على ما يشاء! وسبحان الله مِن قومٍ يستكثرون على كلام ربّهم جمعَ علومِ ما كان وما يكون.

فائدةٌ أخرى

وظهرتْ بكلام هذا العارف فائدةٌ أخرى: أنّ قراءتَهم هذه -نفعنا اللهُ تعالى ببركاتهم في الدّارَين- لم تكن هذرمةً ولا هذا كهذا الشِّعر، ونثراً كنثر الدقل، بل مع فهم المعاني، فكما قرأ في يومٍ وليلةٍ ثلاثَمئةِ ألفٍ وستّين ألفَ ختمةٍ، كذلك مرّ هذه المرّات على معانيه في أقلّ من أربع وعشرين ساعةً، اعلم أنّ اللهَ على كلّ شيءٍ قدير!.

(٢١) قال العارف الجامي -قدّس سرّه السّامي- في تتمة الرّواية المذكورة: "قال الشّيخ عماد الدّين محمد ﷺ: فسألوا والدي عن هذا المعنى، فقال: هذا من بسط الزّمان الذي يقع لبعض أولياء الله تعالى. ثمّ حكى، يعني سيّدنا الشيخ شهاب الحقّ والدّين السُّهْرَوَردي ﷺ لتصديق هذه القضية: أنّه كان لشيخ الشُّيوخ ابن سُكَينة[1]

---

(١) هو الشيخ، الإمام، العالم، الفقيه، المحدِّث، شيخ الإسلام، مفخر العراق، ضياء الدّين، أبو أحمد عبد الوهّاب ابن الشيخ الأمين أبي منصور علي بن علي بن عبيد الله ابن سُكَينة البغدادي، الصُّوفي، الشّافعي. وسُكينة: هي والدة أبيه. مولده في شعبان، سنة تسع عشرة وخمس مئة. قال ابن النجّار: شيخنا ابن سُكينة شيخ العراق في الحديث، والزهد، وحسن السمت، وموافقة السنّة والسلَف، وكانت أوقاته محفوظة، لا تمضي له ساعة إلّا في تلاوة، أو ذكر، أو تهجّد، أو تسميع، لا يخرج من بيته إلّا لحضور جمعةٍ أو عيدٍ أو جنازة، ولا يحضر دُور =

ﷺ مريدٌ صائغٌ، وكانت وظيفتُه أن يذهبَ بسجّادات الصُّوفية إلى المسجد الجامع ويبسطها، فإذا صلّيت الجمعةُ جاء بها إلى الخانقاه[1]، ففي جمعةٍ جمعَ السجّاداتِ وشدَّها ليذهب بها إلى الجامع، وذهب إلى دجلةٍ يغتسل للجمعة، فنزع ثيابَه ووضعَها على السّاحل وغطسَ في الماء، فلمّا رفعَ رأسَه إذا هو لا يرى دجلةً بل محلّ آخَر، فسأل فقيل: هذا مصر، فتعجّب وخرجَ من الماء، ودخلَ مصرَ فوقفَ على دكّانِ صائغٍ لم يكن معه إلّا مئزرٌ يستر عورته، فتفرّس فيه صاحبُ الدكّان أنّه من الصّاغة فاختبرَه، فوجدَه يُجيد هذه الصّنعةَ، فأكرمَه وذهبَ به إلى بيته وأنكحَه بنتَه، فأولدَها ثلاثةَ بنين في سبع سنين، فذاتَ يومٍ مرَّ بماءٍ فغطسَ فيه، فلمّا رفعَ رأسَه وجدَ نفسَه في دجلةٍ في الموضَع الذي كان انغمسَ فيه قبل هذا بسبعةِ أعوام، ورأى ثيابَه موضُوعةً على السّاحل كما كان وضع، فلبسَها وأتى الخانقاه، فوجد السجّادات كما هي، وقال له بعضُ الأصحاب: هلُمّ أسرِع فإنّ بعضَ القوم قد بكروا إلى الجامع، فذهب بالسجّادات إلى المسجد وصلّى، ثمّ رجعَ إلى الخانقاه وذهبَ إلى بيته متعجّباً متعجّلاً، فقالت له أهلُه: أين الذين أمرتَنا أن نشويَ لهم السّمكَ؟ فقد شوَيتُ، فأتى بأولئك الأضياف وأكلُوا السّمكَ، ثمّ حضرَ عند شيخِه

=

أبناء الدّنيا في هناءٍ ولا عزاء، يديم الصَّوم غالباً، ويحبّ الصّالحين، ويعظّم العلماء، ويتواضع للنّاس. قال الإمام أبو شامّة: وفي سنة سبع وست مئة توفّي ابنُ سُكينة، وحضره أربابُ الدولة، وكان يوماً مشهوداً، ثمّ قال: وكان من الأبدال. ("سير أعلام النبلاء" ٥٥٨٠- ابن السُكينة، ١٣/ ٢٧٥- ٢٧٧ملتقطاً).

(١) أي: زاوية أهل الطريقة عند أهل الشّام، وتكية المشايخ عند أهل العراق. [الميمني]

ابن سكينة ﵁ وقصّ عليه القصص، وذكر شأنَ أولادِه بمصر، فأمرَه الشيخُ أن يأتيَ بهم، فذهب إلى مصر وجاء بهم، فلمّا رأى الشيخُ صدّق ما حكي له، سأله ماذا كانت تُوَسوِس به نفسُك في ذلك اليوم؟ قال قد كان في نفسي خلجانٌ من قوله ﷻ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فقال الشيخُ: كانت هذه رحمةً من الله تعالى بك؛ إذ رفعَ إشكالَك وصحّح إيمانَك، بأنّ اللهَ على كلّ شيءٍ قدير، إنّ اللهَ تعالى يبسط زماناً لمن يشاء من عِباده، مع قصره لقومٍ آخَرين، ويقبض زماناً لمن يشاء، فيجعل الأمدَّ الطويلَ قصيراً، واللهُ القادر على ما يشاء"[١].

(٢٢) قال ﵀: "ويقرب من هذا ما حكى الشّيخُ ﵁ في "الفُتوحات"[٢]: إنّ جَوهريّاً أخذ من بيته خميراً، وذهبَ به إلى الفرن ليخبزَ له، وقد كان أجنبَ فذهبَ إلى شاطئ النِّيل، وانغمسَ في الماء فغاب عن نفسه، ورأى كما يرى النّائمُ في الحلم أنّه في بغداد، وتزوّج ثَمّه وأولَد، وكان مع عِرسه ستُّ سنين، ثمّ رجع إلى نفسه فرآه في الماء، فأتمّ غسلَه ولبسَ ثوبَه، وأتى بالفرن وأخذ الخبزَ، ورجع إلى بيته وحكى هذا لزوجته، فلمّا مضت شُهور أتت العِرس الأخرى من بغداد مع الأولاد، تسأل عن بيت الجَوهري، فلمّا التقيا عرفَها والأولاد، وسُئلت المرأةُ متى تزوّجك؟ قالت: منذ ستّ سنين"[٣] انتهى. كلُّه مترجماً من كلام الجامي ﵀ في "النّفحات" الشّريفة بالفارسيّة.

---

(١) "نفحات الأنس" صـ٦٥٣- ٦٥٥.

(٢) "الفتوحات المكية" الباب ٧٣ في معرفة عدد ما يحصل ...إلخ، السؤال ٦٢: ما أمر الساعة ...إلخ، ٢/ ٨٢.

(٣) "نفحات الأنس" صـ٣٦٩.

(٢٣) في الكتاب المبارَك "سبع سنابل"[١] لسيّدنا السيّد عبد الواحد البلجَرامي[٢] -قدّس سرّه السّامي- عن السيّد الشيخ أبي الحسن

(١) هذا كتابٌ نفيسٌ عجيب، ومصنِّفه السيّد عبد الواحد ابن السيّد إبراهيم ابن السيّد قطب الدين، من أحفاد السيّد الإمام زيد الشّهيد ﵁، كان من أكابر العلماء وسادات الأولياء، من رجال القرن العاشر. ترجمتُه في "مآثر الكرام" للسيّد غلام علي. وفي "منتخب التواريخ" للشيخ عبد القادر، وفي "نفائس المآثر" للسيّد علاء الدَّولة القزويني وغيرها، وله تصانيف جليلة. "ورأى الشيخ كليم الله الجشتي الجهان آبادي ﵁ في المدينة الكريمة في واقعة أنّه والسيّد صبغة الله البُروجي ﵄ حاضران في مجلس رسول الله ﷺ مع جمع من الصّحابة الكرام والأولياء العِظام ﵃، وفيهم رجلٌ يكلّمه النبيُّ ﷺ مبتسماً ويلاطفه كثيراً، قال: فسألت السيّدَ صبغة الله: مَن هذا؟ الذي يلطف به النبيُّ ﷺ بهذا القدر؟ قال: هذا السيّد عبد الواحد البلجرامي، وسببُ مزيد احترامه أنّ كتابَه "سبع سنابل" وقع موقع القبول في حضرة الرّسالة ﷺ" انتهى. رحمه الله تعالى جدّ مشايخنا الكِرام -قدّست أسرارُهم-. توفّي إلى حضرة القدس ليلةَ الجمعة لثلاث خلت من شهر رمضان سنة ١٠١٧هـ ["مآثر الكرام" ر: ١٢ مير عبد الواحد ﵁، صـ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] حفظه ربه تعالى.

(٢) الشيخ العالم الصالح عبد الواحد بن إبراهيم بن قطب الدين الحسيني الواسطي البلكَرامي، أحد العلماء المبرزين في المعارف الإلهيّة، وُلد ونشأ بقرية ساندي، وكان صاحبَ الفضائل العلية والكرامات الجلية والأذواق الصحيحة والمواجيد الصادقة، في بداية أمره أخذ الطريقة عن الشيخ صفي الدّين عبد الصمد السّائي بوري إلى أن توفّي الشيخ صفي الدين، ثمّ لازَم صاحبه الشيخ حسين بن محمد السكندره، والتزم أذكارَ الطريقة وأشغالها حتّى بلغ رتبة المشيخة، ثمّ سكن بقَنَّوج ولذلك اشتهر بالقنَّوجي، وفي آخر عمره دخل بلكَرام وتزوّج
=

الخَرقاني[1] ﵁ أنّه قال: "ذاتَ ليلةٍ أخذوني عنّي، فوردتْ عليَّ وارِداتٌ طوال، فإذا رَدّوني إليَّ لم يكن جفّ وُضُوئي"[2].

(٢٤) وفيها قال ﵁: "من أصحابي مَن يختم القرآنَ حرفاً حرفاً مئةَ مرّةٍ في أقلّ من ساعة، قال: وقد وقعَ له هذا مراراً"[3].

(٢٥) وفيها: "أنّ رجلاً من أصحاب الجنَيد[4] -رضي الله تعالى عنه وعنهم- ذهبَ إلى دجلةٍ ليغتسلَ، فنزع ثيابَه وانغمس، فلمّا رفعَ وجدَه في الهند، وتزوّج هناك وأولَد ومكثَ سنين كثيرةً، ثمّ غطس في الماء مرّةً، فوجدَ نفسَه في دجلةٍ والثياب موضوعة كما هي، فلبسَ وأتى الخانقاه، فرأى الأصحابَ هُم في وضوء تلك الصّلاة بعد، فلمّا قصّ الأمرَ على الجنَيد ﵁ أرسل الشيخُ مَن أتى بعِياله من الهند، فدفعَهم إليه".

=

ومات بها. له: "شرح بسيط على نزهة الأرواح" و"شرح قصة الإخوة الأربعة" و"شرح مصطلحات ديوان الحافظ" وأشهر مصنفاته: "سبع سنابل" وهو مصنَّف لطيف. ومن بدائع تأليفاته: "شرح كافية ابن الحاجب" إلى بحث غير المنصرف على لسان الحقائق والتصوّف. توفّي ليلة الجمعة ثالث رمضان سنة ١٠١٧هـ. ("مآثر الكرام" ر: ١٢ مير عبد الواحد ﵀، صـ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦ ملتقطاً وتعريباً).

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٥١.

(٢) "سبع سنابل" السنبلة ٦، صـ١٥٢، ١٥٣.

(٣) "سبع سنابل" السنبلة ٦، صـ١٥٣.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٢١٣.

ثمّ بسطَ ﷺ الكلامَ في طَي المكان وأقسامِ الأمكِنة الخمسة -إلى أن قال-:

"وعن هذا يقولون: إنّ كلَّ ما في العالَم، مذكورٌ في القرآن المجيد، وكلّ ما في القرآن المجيد، في فاتحة الكتاب، وكلّ ما في فاتحة الكتاب، في بسم الله الرّحمن الرحيم، وكلّ ما في بسم الله، في بائها، وكلّ ما في بائها، في نقطتها. قال: وليستْ نقطةُ مِدادٍ توضَع على القرطاس، بل هي شيءٌ لا طولَ له ولا عرض، ولا عُمق ولا بُعد ولا مسافة، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا يَسار، ولا خَلف ولا قدّام، وهي النّقطةُ التي قالوا: إنّ العلمَ نقطةٌ كثرها الجهال"[1].

(٢٦) ثمّ ذكر المعارفَ المتعلّقةَ بهذَين الزّمان والمكان القدسيَين، إلى أن استشهدَ بالآيات فقال: "إن كنتَ في ريبٍ من هذا فاسمع من القرآن، أنّه وصفَ يومَ القيامة في مَوضع بقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقال في مَوضعٍ آخر: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النَّحل: ٧٧].

ثمّ ذكر أنّ على عهد السّلطان هُمايُون[2] ملِك الهند، كان في بلدة شمس آباد رجلٌ سيمياوي يُري النّاسَ العجائب، فيوماً ذهبَ إليه الشيخُ أحمد الفرملي[3] والشيخُ أحمد[4] المعروف بالأستاذ وكان من العلماء، فسألاه أن يُريَهما عجباً، فأجلسَهما في بيتٍ

---

(١) "سبع سنابل" السنبلة ٦، صـ١٥٣-١٥٨.

(٢) انظر ترجمته: "نزهة الخواطر" حرف الهاء، ر: ٥٧٦، الجزء ٤، صـ٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) لم نعثر على ترجمته.

(٤) لم نعثر على ترجمته.

وصنعَ خصّاً من العُشب، وأقامَه في زاويةٍ من البيت، وقال للفرملي: ادخل الخصَّ، فلمّا وضعَ قدمَه فيه ذهبَ عن خاطره ما كان فيه، ووقعَ في خَلَده أنّه خرج من بيته بعزم كُجْرَاتْ، فجعلَ يقطع المراحلَ وينزل المنازِلَ حتّى وصلَ بعد مدّةٍ إلى كُجْرَاتْ، ورأى بُستاناً فاجتنى منه ثماراً، إذا هو بالنّاطور يصيح عليه ويقول: إنّه للسّلطان، كيف جنَيتَ بدُون إذنٍ؟! إلى أن قبضَ عليه، وأتى به إلى السّلطان وشكا، فلمّا رأى السّلطانُ الشيخَ أحمد تفرّسَ فيه أنّه من ناسٍ أشرافٍ، فزَبر النّاطورُ وزجرَه زَجراً شديداً، وقال للشّيخ مَن أنت؟ ومِن أين؟ قال يا ملِك! أنا رجلٌ فرمليٌّ وطني قَنَّوجْ، خرجتُ أريدُ التوظّفَ عند الملِك، قال الملِكُ: مرحباً! قبلناك! وأعطاه فرسَين ونفَقةً ومنزلاً للسُكنى، فلبث الشيخُ هناك سنين وتزوّج وأولَد، وكان يستصحبه السّلطانُ إذا خرج للصَّيد أو للعب الصَولجان، حتّى مضتْ عليه خمسون سنةً، وكبرَ وهَرم، فبَينا هو كذلك إذ رأى خصّاً فدخلَه وخَطا بضعَ خطواتٍ، وقد خرجَ من الخصّ فإذا هو بالشّيخ أحمد الأستاذ، فعانَقه وسأله: متى جئتَ كُجْرَاتْ؟ قال الأستاذُ: أين كُجْراتْ؟ إنّما نحن في شمس آباد في بيت السيمياوي، وأنت السّاعةَ دخلتَ الخصَّ ورجعتَ، فالآن تذكّر الفرمليُّ مجيئَه إلى الرّجل وسؤاله العجبَ، ثمّ رأى نفسَه فإذا هو في عنفوان الشّباب كما كان، فقصّ على الأستاذ ما مضَى عليه، وبقي مدّةَ عمره في العجب"[1] انتهى مترجماً من الفارسيّة.

---

(١) "سبع سنابل" السنبلة ٦، صـ١٥٨-١٦٠.

(٢٧) في "الإبريز الشّريف": "سألتُه ﷺ عن رجلٍ نزل البحرَ ثمّ خرجَ بعد ساعةٍ؟ فقال له صاحبُه: أبطأت عليَّ حتّى خفتُ فواتَ الجمعة، قال: إنّي جئتُ من مصر، ولي فيها نحوُ كذا وكذا شهراً، وقد تزوّجتُ وولدي فيها، فقلتُ: كيف يمكن هذا، والسّاعةُ التي مرّت عليهما واحدةٌ؟! فكيف تكون على هذا ساعةٌ، وعلى الآخَر عدةُ شُهور؟! فإنّ الشمسَ التي في الأُفق تكون بها السّاعةُ والشَّهرُ واحدة، هذا من أشكَل ما بلغَنا من كرامات الأولياء، وليس طَي الزّمان كطَي المكان؛ فإنّ طَي الزّمان فيه المحذورُ السّابق، وطَي المكان محضُ كرامةٍ لا محذورَ فيه، والحكايةُ المذكورة ذكرَها غيرُ واحد، فقال ﷺ: إنّ اللهَ تعالى لا يعجزه شيءٌ، فهو يقدر على أن يجعلَ لصاحب الحكاية زماناً آخَر، وقَوماً آخَرين حالَ كونه في البحر، ويحجبه عن مشاهَدة البحر وهو فيه، كما حجبَ تعالى مَن شاء عن مشاهَدة الملَك وهو معه دائماً، وإذا حجبَه عن البحر أشهدَه ذلك الزّمانَ وأولئك القوم، ويمثّلهم تعالى بما شاء بأهل مصر أو بغيرهم، حتّى يحصل المرادُ من الحكاية، ثمّ يُذهِب تعالى ذلك الزّمانَ وأولئك القومَ، وإنّما يفعل تعالى هذا ونحوَه لشيءٍ وقع لصاحب الحكاية، فقلتُ: صدقتُم رضي الله

تعالى عنكم! كذلك قالوا: إنّه كان ينكِر بعضَ[1] ما وقع للأولياء مع كثرة خدمته لهم"[2] انتهى.

أقول: والذي غيّب الرّجلَ عن هذا الزّمان وأشهدَه زماناً آخَر، قادرٌ على أن يُشرِكَ به في هذا امرأةً فتغيب عن زمانها وتشهد هذا الزّمان، ويجتمعان فيتزوّجان فيلِدان، ولا يكون هذا محضُ تخيّل؛ فإنّ مجيءَ الأولاد شاهدٌ بحقيقة حقيقته، والله على كلّ شيءٍ قدير!.

هذا، ثمّ قال: "قال ﷺ: وقد رأيتُ أنا ما هو أغرَب من هذه، وهو أنّي رأيتُ شخصاً عند الضُّحى وهو لم يتزوّج بعد، فلمّا كان عند الظُهر رجعتُ إلى الموضَع وجدتُ الشّخصَ قد مات، ووجدتُ ابنَه قد قام مقامَه في صنعته، والابنُ قد بلغ، فأبوه لم يتزوّج عند الضُّحى، ثمّ تزوّج بعدها ووُلدَ له وبلغَ ولدُه قبلَ الظهر، قال: فقلتُ: هؤلاء من الجنّ أم من الإنس؟ فقال ﷺ: ليسوا من الجنّ ولا من الإنس، ولله عوالم لا تحصى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثر: ٣١]"[3] ...انتهى.

---

(١) هذه الحكاية غير السابقة، فهنا عدة شُهور، وثَمّ ستُّ سنين، وهنا وُلد واحد، وثَمة ثلاثة بنين، وهنا معه صاحبٌ له ينتظره على الشط، وثَمّ أصحابه الخانقاه، وهنا كان في نفسه إنكار على بعض الكرامات، وثَمة خدشة من حجّة الآية الكريمة. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) "الإبريز" الباب ٧ في تفسيره ﷺ ...إلخ، ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦ ملتقطاً.

(٣) "الإبريز" الباب ٧ في تفسيره ﷺ ...إلخ، ٢/ ٢٠٦.

أقول: ولم أفرزه فيما نحن فيه بالعَدّ؛ لأنّ مدّةَ الحمل والبُلوغ تتفاوَت باختلاف الأجناس كما هو مشاهَدٌ في الحيوانات، فإذا كانوا جنساً آخَر لا نعلمهم، فما يدرينا لعلّ هذا هو المعتادُ عندهم أن يكونَ الحملُ والولادةُ والبُلوغ في ساعةٍ، كما ورد في الحديث[1] في حقّ أهل الجنّة، والله تعالى أعلم.

(٢٨) ثمّ قال: "قال ﵁: وقد وقعَ لي عامَ أحدَ عشرَ بعد موت أمّي، ما يستغرب جرت في سنة، فرأيتُ جميعَ ما يقع لي إلى انصرام أجَلي، فرأيتُ مَن ألتقي معه من الأشياخ، ورأيتُ المرأةَ التي أتزوّجها، ومضيَ المدّة إلى ولادة ولدِي عُمر، وذبحتُ له وسبعتُ، ثمّ رأيتُ جميعَ ما يقع لي ولادةُ عُمر إلى ولادة ولدِي إدريس، وذبحتُ له وسبعت، ثمّ جميع ما يقع لي بعدَه إلى ولادة ابنتي فاطمة، ورأيتُ الفتحَ الذي وقعَ لي بعد ولادتها. وجميعُ ما أدركتُه لا يغيب عنّي شيءٌ منه، ومِن جميع ما وقعَ ويقع لي في عمري. وهذا كلُّه في سُوَيعةٍ ولستُ بنائم، حتّى تكونَ رؤيا مَنام"[2] انتهى كلامه ﵁.

(٢٩) قال سيّدي عبد الوهّاب الشّعراني -نفعنا اللهُ تعالى ببركاته في الدّارَين- آخِر كتابه الشّريف الباهِر "اليواقيت والجواهر": "قد ألّفتُه -بحمد الله تعالى- في دُون شهر، وطالعت "الفُتوحات" على عدد مَباحثه، فكنتُ أطالع على كلّ مبحث جميعَ

---

(١) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، ر: ٢٥٦٣، صـ٥٨٣، من طريق عامر الأحول، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولدَ في الجنّة، كان حملُه ووضعُه وسنّه في ساعةٍ كما يشتهي». [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ غريب".

(٢) "الإبريز" الباب ٧ في تفسيره ﵁ ...إلخ، ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧ ملتقطاً.

الكتاب لأخذ النُّقول المناسبة، وقد عدَّوا ذلك من الكرامات؛ فإنّ "الفُتوحات" عشرُ مجلّداتٍ ضخمةٍ، فعلى ذلك الحساب قد طالعتُ في كلّ يوم "الفتوحات" مرّتَين ونصفاً، مقدارُ ذلك خمسةٌ وعشرون جزءاً كلَّ يوم، وقد قدمّنا في مبحث الكرامات[1] أنّه يجب على صاحب الكرامة أن يؤمِنَ بها، كما يؤمِن بها إذا وقعت على يد غيرِه، فالمؤلّفُ أوّلُ مؤمنٍ بهذه الكرامة، فلله الحمد أوّلاً وآخِراً"[2] انتهى.

(٣٠) يقول الفقيرُ الحقير -غفرَ له المولى القدير-: قد وقعَ هاهنا لبعض فقراء الحضرة القادريّة مرّتَين، أنّه استيقظ لصلاة الصبح في أواخر الوقت، وقد احتلم، فطهّر النَّجاسةَ واستنجَى، وخلّل أسنانَه، ووضعَ له الماءُ في المغتسَل، وأراد نزعَ ثيابِه، فأخرجَ ساعتَه من جَيبه فإذا فيها إلى طلوع حاجب الشّمس عشرُ دقائق فقط؛ لأنّ ذلك الفقيرَ له معرفةٌ وافيةٌ بعلم التوقيت، فوضعَها في الأرض، ودخل المغتسَل ونزعَ ثيابَه الكثيرة؛ لأنّ الزمانَ كان شتاءً، وخُيّل إليه أنّ الوقتَ وسيع، فاغتسَل مُطمئناً، وثلّث وأَوفى السُّنن ثمّ بالَغ في تنشيف الماء من شعرِ رأسِه؛ خَوفاً من المرض لضَعفٍ بدماغه، ثمّ شدّ عليه ثيابَه وخرج ورفع السّاعةَ، فإذا الوقتُ فيها كما كان، لم تزد ثانيةً واحدة، فتوهّم أنّها وقفت بوضعها وسارت برفعها، ولعلّ الوقتَ مضَى إذ مرّت أكثر من عشر دقائق في تلك الأشغال، فنظر إلى الأُفق فإذا هو يقول: إنّ الوقتَ باقٍ ويسع السّننَ أيضاً فضلاً عن الفرض، فصلّى السننَ ثمّ الفرضَ جماعةً، فلمّا قفلَ إلى بيته قابَل السّاعةَ بساعةٍ كبرى جيّدةً

---

(١) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٥٠ في أنّ الكرامات الأولياء حق ...إلخ، الجزء ٢، صـ٤٨٨.

(٢) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٧١ في بيان أنّ الجنة والنار حق ...إلخ، الجزء ٢، صـ٦٧٦.

صحيحةً في البيت، فإذا هُما متطابقتان، ولو كانت تلك وقفتْ لاختلفتا، فحمدَ ربَّه ﷻ، وعلمَ أنّ المولى ﷻ بسطَ له زماناً أقلّ من ثانية، حتّى وسعَ أشغالاً ما كانت تتمّ إلّا في أكثر من عشر دقائق، وقعتْ له هذه الواقعةُ بعَينها مرّتَين. ومثل هذا(١) يسمّى في عُرف العلماء مَعونةً، والحمد لله ربّ العلمين، وهو المعين فنعم المُعين!.

الكلامُ وإن طال، فقد كان بياناً لسعةِ قدرةِ ذي الجلال، وإذا تصوّرتَ هذا كلَّه، خرج من قلبِك -إن شاء الله تعالى- استبعادُ أن ينزلَ اللهُ تعالى فيما بين هاتَين الدفتَين ما يفصِّل لنبيِّه ﷺ جميعَ ما كان وما يكون؛ فإنّه إذا كانت هذه الاتساعاتُ التي سمعتَ في تلك المخلوقات الفانية، فما ظنُّك بما هو قديمٌ أزَليٌّ غيرُ مخلوق؟! بل قلبُ المؤمن يتّسع؛ لما تقدّم(٢) عن أمير المؤمنين علي -كرّم اللهُ تعالى وجهه- من حمل سبعين جَملاً في علوم "باء" بسم الله، بل لما مرَّ(٣) عنه ﷺ من حمل ثمانين بعيراً في علم النّقطة التي تحتها، ولما سبقَ(٤) أنّ تحت كلِّ حرفٍ من القرآن الكريم أربعين ألفَ ألفِ

---

(١) خارق العادة إن ظهرَ لنبيٍّ قبل ظهور نبوّته فإرهاصٌ، أو بعده فمعجزةٌ، أو وليٍّ فكرامةٌ، أو أحدٍ من عوام المسلمين فمعونةٌ، أو كافرٍ وِفق مرادِه فاستدراجٌ، أو خلافه فإهانةٌ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) أي: في "الدولة المكية"، القسم الأوّل، النظر الخامس، صـ١٧١.

(٣) أي: في "الدولة المكية"، القسم الأوّل، النظر الخامس، صـ١٧٢.

(٤) أي: في "الدولة المكية"، القسم الأوّل، النظر الخامس، صـ١٧١.

ألفِ معنى بتثليث الألف، ولما مضى[١] من استخراج جميع الأحكام الشرعيّة، وجميع أقوال المجتهدين وأقوال مقلِّديهم من أيّ حرفٍ[٢] أريد، فكيف يضيق بحَمل مئةِ ألفِ جَملٍ من تفسير ما ننسخ أو بكَون ستّين ألفَ علمٍ تحت كلّ آية، أو استخراج مئتَي ألفِ علم، وسبعةٍ وأربعين ألفَ علمٍ، وتسعِمئةٍ وتسعةٍ وتسعين علماً، من الفاتحة، ثمّ البَسمَلة، ثمّ بائها، ثمّ نقطتها، أو بما نقل سيّدي العَشماوي عن جدّه السيّد عبد الله العَيدرُوس ﵁: قال: "لو شئتُ أن أصنِّفَ على حرف الألف ألفَ مجلّدٍ لفعلتُ، فإذَن كيف يستكثَر على ابنِ عبّاس وجدانُ عقالٍ يضيع في القرآن؟ أو على عليٍّ حملُ سبعين بعيراً من تفسير أمّ القرآن؟ أو على القرآن العظيم اشتمالُه على مكتوبات اللَّوح من كلّ ما كان وما يكون؟ ومُنزلُه بالحقّ هو القائلُ: فيه تفصيلُ الكتاب لا ريبَ فيه"، أي: أنّ في القرآن تفصيلَ كلّ ما كتبَ في اللّوح المحفوظ كما تقدّم[٣]، وإذا تلك علومُ آحاد الأمّة، فكيف بعلوم سيّد العالَمين، صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أي: في "الدولة المكية"، القسم الأوّل، النظر الخامس، صـ١٧٢.

(٢) وذلك لأنّ الألفَ يشتمل على علم الأحكام جميعاً؛ لأنّه منبعُ عين الشّريعة الكبرى، الناشئة عن التوحيد الهادية إلى صراط مستقيم. ثمّ هو سارٍ في جميع الحروف، كلّ الحروف ترجع إليه كما بيّنتُه في كتابي "مجتلى العَروس ومراد النُّفوس" [مقدّمة في معرفة الحكم الفقهي ...إلخ، صـ١٦] فمن هذا الوجه يصحّ استخراجُ جميع الأحكام من أيّ حرفٍ أريد. هذا ما فهمتُ ويمكن أن يكونَ كلُّ حرفٍ مشتملاً على جميع الأحكام. والله تعالى أعلم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٣) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٥، صـ١٦٦، ١٦٧.

ولا أدري حيلةَ المنكِرِ إلّا أن يجعلَ الأئمّةَ والأولياءَ كمثل الشُّعراء، ألم ترَ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون! وأنّهم يقولون ما لا يفعلون! وعند ذلك يسقط الخطابُ ولا يستحقّ الجوابَ! ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، نسألُ اللهَ العفوَ والعافيةَ!.

تعظيم شأن الكتابَين في أسماء أهل الدّارَين، تكميلٌ جميل

ما تقدّم[١] من حديث الكتابَين فيهما أسماءُ أهل الدّارَين، وقول الحافظ: "إنّ فيه تيسيرَ الجرم الواسع في الظرف الضيّق" شيءٌ مجمَل، والعامّةُ لا تتجلّى لهم جليّةُ الحال في أمثال المُحال بالإجمال، والمقامُ مقامُ التنبيه على سعةِ قدرةِ ذي الجلال، وإنّه يفعل ما يضيق دُون بعضِ بعضِ بعضِه نطاق الوهم والخيال، فلبيان هذا:

أقول: افرض مجلّداً فيه خمسُمئة ورقةٍ من قالبٍ كبير، في كلّ صفحةٍ منه خمسون سطراً على طُول صحيفتِنا هذه، يسع كلُّ سطرٍ أسماءَ عشرةٍ من أهل الجنّة مع أسماء آبائِهم وقبائلِهم بخطٍّ دقيق، مثل السّطر[٢] المرقوم على الهامِش، فهذا المجلَّد الضخيم الكبير الطويل العريض الثقيل إنّما يسع خمسَمئةِ ألفِ اسم.

---

(١) انظر: صـ١٩٢.

(٢) أبو بكر بن أبي قُحافة التيمي، عمر بن الخطاب العدوي، عثمان بن عفّان الأموي، علي بن أبي طالب الهاشمي، طلحة بن عبيد الله التيمي، الزبير بن العوام الأسدي، عبد الرّحمن بن عوف الزهري، سعد بن أبي وقاص الزهري، سعيد بن زيد العدوي، أبو عبيدة بن الجرّاح الفهري أو عامر بن عبد الله. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

عدد مَن يدخل الجنّةَ من هذه الأمّة بغير حساب

ثمّ اعلم أنّه أخرجَ الشيخان عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخل الجنّةَ من أمّتي سبعون ألفاً بغير حساب، هُم الذين لا يسترقون ولا يتطيّرون، وعلى ربّهم يتوكّلون»[1].

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ «يدخل الجنّةَ من أمّتي سبعون ألفاً، تضيء وجوهُهم إضاءةَ القمر ليلةَ البدر» ...الحديث. وفيه أنّ «عكاشة منهم»[2].

وبه يتعيّن أنّ المرادَ الذين لا حسابَ عليهم، ولهما أيضاً عن سَهل بن سعد[3] رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «ليَدخُلنَّ من أمّتي الجنّةَ سبعون ألفاً أو سبعُمئةِ ألفٍ، متماسكين آخِذاً بعضُهم ببعض، حتّى يدخلَ أوّلُهم وآخِرهم، وجوهُهم على صورة القَمر ليلةَ البدر»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الرقاق، باب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] ر: ٦٤٧٢، صـ١١٢٢، ١١٢٣، عن ابن عباس. ومسلم في "الصحيح" كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب و عذاب، ر: ٥٢٥، صـ١١١، عن عمران بن حصين.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب اللباس، باب البرود والحبر والشملة، ر: ٥٨١١، صـ١٠٢٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومسلم في "الصحيح" كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب و عذاب، ر: ٥٢٢، صـ١١١، عن أبي هريرة.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين والهاء، ر: ٢٢٩٤، ٢/ ٥٧٥، ٥٧٦.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ر: ٦٥٤٣، صـ١١٣٣، عن سهل بن سعد. ومسلمٌ في "الصحيح" كتاب الإيمان، باب الدليل على =

شرح الحديث: «ليدخلنَّ الجنّةَ من أمّتي سبعون ألفاً» عن الإمام النووي

قال الإمام النَّوَوي: "معناه أنّهم يدخلون معترضين صفّاً واحداً، فيدخل الجميعُ دفعةً واحدة، ووصفهم بالأوّلية والآخِريّة باعتبار الصّفة التي جازوا فيها الصّراط"[١] انتهى. أقول: على أنّك إذا عددتَهم من جهة إحدى عضادتي الباب مثلاً، كان مَن يليها أوّلَ، ومَن يلي الأُخرى آخِراً، فالمعنى: جميعُهم.

وأخرج الإمامُ أحمد[٢] والترمذيُّ وحسّنه[٣]، وابنُ ماجه في "سُننه"[٤] والطبَرانيُّ في "الكبير"[٥]، وابنُ حِبّان في "صحيحه[٦]"[٧]،

=

دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب وعذاب، ر: ٥٢٦، صـ١١٢، عن سهل بن سعد.

(١) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، تحت ر: ٦٥٤٣، ١١/ ٤٦٨.

(٢) أي في "المسند" مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ر: ٢٢٣٦٦، ٨/ ٣٠٦، عن أبي أمامة.

(٣) أي في "السنن" أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه دخول سبعين ألف بغير حساب وبعض من يشفع له، ر: ٢٤٣٧، صـ٥٥٥، ٥٥٦، عن أبي أمامة. [قال أبو عيسى]: "هذا حديث حسن غريب".

(٤) "السنن" كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، ر: ٤٢٨٦، صـ٧٣١، ٧٣٢، عن أبي أُمامة.

(٥) "المعجم الكبير" باب محمد بن زياد الألهاني عن أبي أمامة، ر: ٧٥٢٠، ٨/ ١١٠، عن أبي أمامة.

(٦) "الصحيح": لأبي حاتم محمد بن حِبّان البستي، المتوفّى سنة ٣٥٤هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٩٩).

(٧) "الصحيح" كتاب التاريخ، باب فضل الأمّة، ذكر الإخبار عن عدد من يدخل ...إلخ،

=

والدّارقُطني[١] في "الضُّعفاء"[٢]، والضياءُ[٣] في "صحيحه المختارة"[٤] عن أبي أُمامة الباهلي[٥].

والبَغَويُّ[٦] عن أبي سعيد الزُرَقِي[٧] كالطبَراني[٨]، وابنُ عساكر[٩]

=

ر: ٧٢٠٢، صـ١٢٦٤، عن أبي أمامة الباهلي.

(١) لم نجده في "الضعفاء" ولكن وجدناه في "الصفات" أحاديث صفة الوجه وبحث لابن خزَيمة في توضيح معنى حديث: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه» ر: ٥٠، صـ٣٧، عن أبي أمامة.

(٢) "الضعفاء": لعلي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقُطني الشّافعي (ت٣٨٥هـ). ("الأعلام" ٤/ ٣١٤) .

(٣) لم نجده في "المختارة" ولكن وجدناه في "صفة الجنة" ذكر من يدخل الجنّة من أمّة محمد ﷺ اللهمّ اجعلنا منهم، ر: ١٩٨، صـ١٧٦، عن أبي أمامة.

(٤) "المختارة" في الحديث: للحافظ ضياء الدّين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي، المتوفّى سنة ٦٤٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥١٥).

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الصاد مع الخاء والدال، ر: ٢٤٩٧، ٣/ ١٥، ١٦ .

(٦) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ١ في فضائل نبينا محمد ﷺ ...إلخ، الفصل ٣ في فضائل متفرقة ...إلخ، ر: ٣٢٠٩٩، ١١/ ٢٠٢، نقلاً عن البَغَوي عن أبي سعيد الزُّرَقي.

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين والعين، ر: ٢٠٢٣، سعد بن عُمارة الزُّرَقي، ٢/ ٤٤٧ .

(٨) "المعجم الكبير" من يكنّى أبا سعد، أبو سعد الخير الأنصاري، ر: ٧٧١، ٢٢/ ٣٠٥، عن أبي سعد الأنصاري.

(٩) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ١ في فضائل نبينا

=

عن أبي سعد الخير[١].

وأحمدُ[٢] كالطبَراني[٣] وأبي نعَيم[٤] عن أبي أيّوب الأنصاري[٥]، وكابن عساكر[٦] عن حذَيفة بن اليمان. والطبَرانيُّ[٧] عن ثَوبان[٨] مولى رسولِ الله ﷺ،

=

محمد ﷺ ...إلخ، الفصل ٣ في فضائل متفرقة ...إلخ، ر: ٣٢١٠١، ١١/ ٢٠٢، نقلاً عن ابن عساكر عن أبي سعيد الخير.

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف السين، ر: ٥٩٥١، أبو سعد الخير، ٦/ ١٣٣، ١٣٤.

(٢) أي: في "المسند" مسند الأنصار، حديث أبي أيوب الأنصاري، ر: ٢٣٥٦٤، ٩/ ١٣٢، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣) "المعجم الكبير" مسند خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري، أبو رهم السماعي عن أبي أيوب الأنصاري، ر: ٣٨٨٢، ٤/ ١٢٧، عن أبي أيوب.

(٤) أي في "الحلية" ذكر أهل الصفة، خالد بن زيد، ر: ١٢٦٦، ١/ ٤٤٤، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الخاء، ر: ١٣٦١، خالد بن زيد بن كليب، ٢/ ١٢١-١٢٣.

(٦) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ١ في فضائل نبينا محمد ﷺ ...إلخ، الفصل ٣ في فضائل متفرقة ...إلخ، ر: ٣٢١٠٦، ١١/ ٢٠٢، ٢٠٣، نقلاً عن ابن عساكر عن حذيفة.

(٧) "المعجم الكبير" باب الثاء، من غرائب مسند ثوبان رضي الله عنه ...إلخ، ر: ١٤١٣، ٢/ ٩٢، عن ثوبان. ور: ٣١٢، ١٥/ ١٢٧، عن عتبة بن عبد السلمي.

(٨) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الثاء والواو، ر:٦٢٤، ثوبان بن بجدد، ١/ ٤٨٠ ملتقطاً.

وعن عتبة بن عبدٍ السُّلَميّ[١] رضي الله عنهم.

وهذا حديثُ أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «وعدَني ربّي أن يُدخلَ الجنّةَ من أمّتي سبعين ألفاً، لا حسابَ عليهم ولا عذاب، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً وثلاثُ حثياتٍ من حثيات ربّي» فهؤلاء أربعةُ آلافِ ألفٍ وتسعُمئة ألفٍ وسبعون ألفاً، ولا يعلم عددُ الحثيات إلّا الله تعالى.

قال القاري في قوله: «ثلاث حثيات»: "قال الأشرَف[٢]، يحتمل النّصبَ عطفاً على قوله: «سبعين ألفاً» والرّفعَ عطفاً على قوله: «سبعون ألفاً»: والرفعُ أظهَر في المبالَغة؛ إذ التقديرُ مع كلّ ألفٍ سبعون ألفاً، وثلاثُ حثياتٍ بخلاف النّصب"[٣] انتهى.

أقول: لا مَدخلَ هاهنا للرّأي، ولا للمبالَغة والادّعاء، ولا لكَون "سبعون" أقرَب، بل المرجعُ فيه الرّوايةُ، فإن ثبت النّصبُ أو لم يثبت شيء، ليس لنا أن نبالغَ ونقول: مع كلِّ ألفٍ ثلاثُ حثياتٍ، وإن ثبت الرّفعُ كان الفضلُ أكثر وللأمّة أنفَع، لكن لم تكن فيه مبالغة؛ فإنّ رحمةَ الله سبحانه أوسَع، وجاهُ هذا النّبي الكريم -عليه وعلى آله

---

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين مع التاء، ر:٣٥٥٢، عتبة بن عبدٍ السُّلَمي، ٣/ ٥٥٦. و"تهذيب التهذيب" حرف العين: من اسمه عُتْبة، ر: ٤٥٧٠، ٥/ ٤٦١، ٤٦٢ ملتقطاً.

(٢) انظر ترجمته: "كشف الظنون" ٢/ ٥٧١.

(٣) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحساب والقصاص والميزان، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٥٦، ٩/ ٥٠٠.

أفضلُ الصّلاة والتسليم- عند ربِّه أعلى وأرفَع، ولو شاء اللهُ أدخلَ الخَلقَ كلَّهم الجنّةَ بكفٍ واحدةٍ، كما قاله أميرُ المؤمنين الفاروق رضي الله عنه، وصدّقه فيه رسولُ الله ﷺ[١].

ولفظُ حديث أبي سعيد الزُرَقِي وحديث أبي سعد الخير: «إنّ الله تعالى وعدَني أن يُدخِلَ الجنّةَ من أمّتي سبعين ألفاً بغير حساب، ويشفع كلُّ ألفٍ لسبعين ألفاً، ثمّ يحثي ربّي ثلاثَ حثياتٍ بكفَّيه» يحتمل أيضاً الوجهَين كما لا يخفى، وإن كان الأسبَقُ إلى الذهن مما يميل إلى الوجه الأوّل، والله تعالى أعلم.

وأخرج الإمامُ أحمد[٢] والإمامُ[٣] الحكيم الترمذي[٤] وأبو يعلى[٥] والدَّيلمي عن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «أُعطيتُ سبعين ألفاً من أمّتي يَدخلون الجنّةَ

---

(١) انظر: "المصنّف" باب الرخص والشدائد، ر: ٢٠٥٥٦، ١١/ ٢٨٦، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله عز وجل وعدَني أن يُدخِلَ الجنّةَ من أمّتي أربعَ مئةِ ألفٍ، قال: فقال أبو بكر: زِدنا يا رسولَ الله! فقال النبيُّ ﷺ وهكذا وجمع كفَيه، قال زِدنا يا رسولَ الله! قال وهكذا وجمع كفَيه، فقال عمرُ حسبُك يا أبا بكر! فقال أبو بكر دَعني يا عمر ما عليك أن يُدخِلَنا اللهُ الجنّةَ كلّنا! فقال عمر: إنّ اللهَ إن شاء أدخلَ خلقَه الجنّةَ بكفٍّ واحدةٍ، فقال النبيُّ ﷺ صدقَ عمرُ».

(٢) أي في: "المسند" مسند أبي بكر الصديق، ر: ٢٢، ١/ ٢٤، عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ سبعين ألفاً يدخلون الجنّةَ بغير حساب» ...إلخ، قال أبو بكر رضي الله عنه: فرأيتُ أنّ ذلك آتٍ على أهل القُرى، ومصيبٌ من حافات البَوادي.

(٣) أي في: "نوادر الأصول" الأصل ٦١ في سجود الشكر، ر: ٤٤٢، صـ١٩٠.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٤.

(٥) أي في: "المسند" مسند أبي بكر رضي الله عنه، ر: ١١٢، ١/ ٤٤، عن أبي بكر.

بغير حساب، وجوهُهم كالقمر ليلةَ البدر، وقلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحد، فاستزدتُ ربّي فزادني مع كلّ واحدٍ سبعين ألفاً».

وأخرج الإمامان المذكوران[١] والطبَراني[٢] عن عبد الرّحمن بن أبي بكر[٣] رضي الله تعالى عنهما عن النّبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنّ ربّي تعالى أعطاني سبعين ألفاً من أمّتي يَدخلون الجنّةَ بغير حساب»، قال عمرُ: يا رسولَ الله! هلا استزدتَه؟ قال: «قد استزدتُه فأعطاني مع كلّ رجلٍ سبعين ألفاً» قال هلا استزدتَه؟ قال: «قد استزدتُه، فأعطاني هكذا، وبسط باعَيه».

وأخرج ابنُ سعد في "الطبَقات"[٤] عن عَمرو بن عمَير[٥]، والطبَرانيُّ في

---

(١) أي: الإمام أحمد في "المسند" حديث عبد الرحمن بن أبي بكر، ر: ١٧٠٦، ١/٤١٩، عن عبد الرحمن بن أبي بكر. والحكيم الترمذي في "النوادر" الأصل ٦١ في سجود الشكر، ر: ٤٤١، صـ١٩٠.

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ١ في فضائل نبيّنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ...إلخ، الفصل ٣ في فضائل متفرقة ...إلخ، ر: ٣٢١٠٢، ١١/ ٢٠٢، نقلاً عن الطبَراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٣٣٤٤، عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، ٣/ ٤٦٢-٤٦٤ ملتقطاً.

(٤) "الطبقات الكبرى" تسمية من نزل البصرة من أصحاب رسول صلى الله تعالى عليه وسلم ...إلخ، عمرو بن عمير، ٥/ ١٥٢.

(٥) عمرو بن عمير، اختلف في اسمه، فقيل: عمرو بن عمير، وقيل: عمير بن عمرو، وقيل: عامر بن عمير، وذكره ابن إسحاق، فيمن بايع بالعقبة. ("أسد الغابة" باب العين والميم، ٣٩٩٧- عَمرو بن عمير، ٤/ ٢٤٥، ٢٤٦).

"الكبير"[١] عن عامر بن عمَير النّميري[٢]، والبَيهقيُّ في "البعث والنُّشور" عن عَمرو بن حَزم[٣] رضي الله تعالى عنهم عن النّبي ﷺ: «وعدَني ربّي أن يُدخِلَ من أمّتي الجنّة سبعين ألفاً بغير حساب، هُم الذين لا يسترقون، ولا يتطيّرون، ولا يكتَوُون، وعلى ربّهم يتوكّلون، قلتُ: أي ربِّ زِدني! قال: لكَ بكلِّ واحدٍ من السّبعين ألفاً سبعون ألفاً، قلتُ: أي ربِّ! إنّهم لا يكملون، قال: إذَن نكمّلهم لك من الأعراب».

فسّر العلاّمةُ الزّرقاني[٤] في "شرح المواهِب"[٥] "الأمّةَ" بأمّته الإجابة.

فإن قلتَ: ما حاجةُ التفسير بهذا؟؛ فإنّ الكفّارَ لا خلاقَ لهم!

أقول: بل حاجةٌ ظاهرة؛ فإنّ أمّةَ الإجابة على الإطلاق هُم أهلُ السنّة خاصّة، وهُم المخصوصون بهذه النِّعمة الكُبرى. انظر "المرقاة"[٦] للقاري.

---

(١) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ١، الفصل ٣ في فضائل متفرقة... إلخ، ر: ٣٢١٠٤، ١١/ ٢٠٢ نقلاً عن الطبراني عن عامر بن عمير.

(٢) لم نعثر على ترجمته.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والميم، ر: ٣٩٠٥، عمرو بن حزم الأنصاري، ٤/ ٢٠٢، ٢٠٣ ملتقطاً.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٢٤٤.

(٥) "شرح الزرقاني على المواهب" المقصد ٤، القسم ٣ ما اختص به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختص به ﷺ من الفضائل والكرامات، خصائص أمته ﷺ، ٧/ ٥٠٨.

(٦) "المرقاة" كتاب المناقب والفضائل، باب ثواب هذه الأمة، ١٠/ ٦٤٨.

ورواه البزّارُ في "مُسنده" عن أنس ﵁ عن النّبي ﷺ وذكر قولَه: «هُم الذين لا يسترقون»[١] في آخر الحديث، فحسِبَ العلّامةُ الزّرقاني في "شرح المواهِب" أنّ الضميرَ لـ"الكُلّ"، فقال: "ومرّ[٢] في حديث ابن عبّاس ﵄ وصفُ السبعين ألفاً بذلك أيضاً، فيكون الكلُّ مَوصوفِين به"[٣] ...انتهى.

أقول: وليس بلازم، بل الضميرُ لـ"الأصول"، أعني السبعين ألفاً المذكورِين أوّلاً، الذين يستتبع -بحمد الله تعالى- كلٌّ منهم سبعين ألفاً، كما أوضحتْه الرّوايةُ قبلَها، فلا دلالةَ فيه على إقناط مَن ليس بهذا الوصف من الدّخول فيهم برحمة الله تعالى، وشفاعتهم وفضل رحمتِه بهم!.

هذا، وأتى مثلُه في حديث أبي أُمامة ﵁ أيضاً عند البَيهقي في "الأسماء والصّفات" رواه من طريق إسماعيل بن عيّاش[٤] عن محمد بن زِياد[٥] قال: سمعتُ

---

(١) أخرجه البزّار في "المسند" مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ر: ٦٣٩٨، الجزء ٣ و١٠، صـ٦٣، ٦٥، عن أنس.

(٢) أي: في "شرح الزرقاني على المواهب" المقصد ٤، القسم ٣ ما اختص به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختصّ به ﷺ من الفضائل والكرامات، خصائص أمته ﷺ، ٧/ ٥٠٦، ٥٠٧.

(٣) "شرح الزرقاني على المواهب" المقصد ٤، القسم ٣ ما اختص به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختص به ﷺ من الفضائل والكرامات، خصائص أمته ﷺ، ٧/ ٥٠٨.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف: من اسمه إسماعيل، ر: ٥١١، ١/ ٣٣١-٣٣٤.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه محمد، ر: ٦١١٠، ٧/ ١٥٧، ١٥٨. و"سير أعلام النبلاء" ر: ١٠٥٣، محمد بن زياد، ٥/ ٤١٦.

أبا أُمامة ﷺ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «وعدَني ربّي أن يُدخِلَ الجنّةَ من أمّتي سبعين ألفاً، مع كلّ واحدٍ سبعين ألفاً وثلاثَ حثياتٍ من حثياتِ ربّي»[١] ...انتهى.

وفي بعض النُّسخ "مع كلّ ألفٍ"، ونسخةُ "واحد" تعيّن عطفَ الحثيات على السبعين ألفاً الأوّل، وعلّقه البَغَوي في "المعالم" من سورة الحجّ عن آخَرين من الصّحابة ﷺ فقال: "رُوي عن عمران بن حصِين[٢] وأبي سعيد الخُدري وغيرهما ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَدخل من أمّتي سبعون ألفاً الجنّةَ بغير حساب» فقال عمرُ ﷺ: سبعون ألفاً! قال: «نعم، ومع كلّ واحدٍ سبعون ألفاً»"[٣] ...الحديث.

فهؤلاء -ولله الحمد- أربعةُ آلافِ ألفِ ألفٍ وتسعُمئةِ ألفِ ألفٍ وسبعون ألفاً، ومعلومٌ أنّ العددَ في أمثال المقام لا ينفي الزائدَ، بل الأكثر قاضٍ على الأقلّ؛ لاشتماله عليه أيضاً، ألا ترى أنّك إن قلتَ: في الدّار عشرةٌ، وكان فيها مئةٌ، فأنتَ صادقٌ ولا يحلّ العكسُ؛ على أنّ ربّه تعالى كان يَزيده ﷺ ولا ينقصه، فيمكن أن وعدَه أوّلاً سبعين ألفاً، ثمّ مع كلّ ألفٍ سبعين ألفاً، ثمّ جعلَ مع كلّ واحدٍ سبعين ألفاً، ثمّ زاده ما عبّر عنه بثلاث حثياتٍ، ثمّ أتمّه بما أشير إليه «بسط باعَيه»، فله الحمد أوّلاً وآخِراً، وعلى حبيبِه الصّلاةُ والسّلامُ أبداً متوافراً!.

(١) "كتاب الأسماء والصفات" باب ما ذكر في اليمين والكف، ٢/ ٦٢، عن أبا أمامة ﷺ.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والميم، ر: ٤٠٤٨، عمران بن الحصين، ٤/ ٢٦٩، ٢٧٠.

(٣) "معالم التنزيل" الحج، تحت الآية: ٢، ٣/ ٢٧٤ ملتقطاً.

فهذا العددُ المرقوم من أهل الجنّة الذين يدخلونها بغير حساب، يحتاج كتابةُ أسمائهم بالوجه المعلوم إلى ثمانِمئةٍ وتسعةِ آلافِ مجلّدٍ من تلك المجلّداتِ الكِبار الضّخام، فما ظنُّك بما في الحثيات؟! فما ظنّك بسائر أهل الجنّة؟!

عدد السُّعداء من بني آدم

وقد قال الإمامُ عبد الوهّاب الشَّعراني قِدِّسَ سِرُّهُ في المبحث الثاني والثلاثين٣٢ من "اليواقيت والجواهر": "قد أخبرني أخي[1] أفضلُ الدّين[2] رحمه الله تعالى: أنّ اللهَ تعالى أطلعَه على عدد السُّعداء الذين كانوا في ظَهر آدَم عليه الصلاة والسلام، دُون الأشقياء، قال: وعُدتُهم ما تحصل من ضرب تسعِمئةِ ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ ألفٍ تسع مرّات، وتسعِمئةٍ وتسعةٍ وتسعين ألفاً، ونصف ذلك، وثُلث ذلك، مضروبُ جميعِه في الأصول التي ذكرناها، فما يحصل من ذلك فهو عددُ مَن كان في ظهر آدَم من السُّعداء، لا يزيدون واحداً ولا ينقصون، وهو حسابٌ لا يتعقّله العقلُ، وإنّما طريقُه الكشفُ"[3] ...انتهى.

وحاصله: أن ترسمَ ثلاثةَ أصفارٍ، ثمّ رقم تسعمئة وتسعة وتسعين، ثمّ ثلاثة وعشرين صفراً، ثمّ رقم تسعة، كلُّها ثلاثون رقماً، فهذه الأصولُ تُضيف إليها نصفَها وثُلثَها تكن مجموعةً أخرى، فيها أحدٌ وثلاثون رقماً، صفران ثمّ رقم ثمانيةَ عشرَ ألفاً

---

(١) يريد أخاه في الله تعالى؛ لأنّهما معاً من كِبار أصحاب الخَوّاص -رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم- آمين!. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٢) لم نعثر على ترجمته.

(٣) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣٢: في ثبوت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم ...إلخ، الجزء ٢، صـ٣٣٧.

وثلاثُمئةٍ، وخمسةَ عشرَ ثمّ أحدٌ وعشرون صفراً، ثمّ رقم مئة وخمسة وستّين، ثمّ تضرب المجموعةُ في الأصول، يكن أحداً وستّين رقماً خمسة أصفارٍ، ثمّ رقوم خمسة وثمانين وستّة وستّين وتسعة وعشرين وثمانيةَ عشرَ، ثمّ تسعةَ عشرَ صفراً، ثمّ رقم اثنَين وثلاثين ألفاً وتسعمئة، وسبعة وستّين ثمّ عشرون صفراً، ثمّ رقم ألف وأربعمئة، وخمسة وثمانين، وهذا صورُها بالأرقام الهنديّة:

الأصول ٩٩٩٠٠٠ ٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

نصفها ٤٩٩٥٠٠ ٤٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

ثلثها ٣٣٣٠٠٠ ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

مجموعها ١٨٣١٥٠٠ ١٦٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

مسطح الأصول والمجموعة، وهو عددُ أهل الجنّة من بني آدم، عليه وعليهم الصّلاة والسّلام.

١٤٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٣٢٩٦٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠١٨٢٩٦٦٨٥٠٠٠٠٠

فعلى هذا تحتاج في ضبط أسمائهم من تلك المجلَّدات الضّخام إلى ما يكتب هكذا بالأرقام.

٢٩٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٦٥٩٣٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٣٦٥٩٣٣٧

هي خمسةٌ وخمسون رقماً، أي: مرتبة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ثماني عشرة مرّة، وقد جمعهم الله ﷻ في كتاب صغير الحجم حمله المصطفى ﷺ بكف واحدة.

النّسبة بين أعداد السُّعداء والأشقياء

وإذا كان هذا عددُ السُّعداء، فما أكثرَ عددُ الأشقياء؛ فإنّ السعيدَ واحدٌ من مئة، بل واحدٌ من ألف، بل شَعرةٌ بَيضاء في بدن ثَورٍ أسوَد، كما ورد بكلّ ذلك صحاحُ الأحاديث(١)، وتكلّموا في وُجوه الجمع، وظهرَ لي على قول -والله تعالى أعلم- أنّ السعيدَ من بني آدم واحدٌ من مئة، وإذا ضُمّ معهم يأجُوج ومأجُوج فواحدٌ من ألف، وإذا ضُمّ معهم الجنُّ فشَعرةٌ في بدن ثَور.

فأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «أوّلُ مَن يُدعَى يومَ القيامة آدَمُ عليه السلام فتراءى ذريته فيقال: هذا أبوكم آدَم، فيقول: لبَّيك وسعدَيك! فيقول: أَخرِج بعثَ جهنّم من ذرّيتك! فيقول: يا ربّ! كم أُخرِج؟ فيقول: أَخرِج من كلّ مئةٍ تسعةً وتسعين» فقالوا: يا رسولَ الله! إذا أُخذَ منّا من كلّ مئةٍ تسعةً وتسعون، فماذا يبقى منّا؟ قال: «إنّ أمّتي في الأمَم كالشَّعرة البيضاء في الثَّور الأسوَد»(٢).

وأخرج أحمدُ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللهَ عز وجل يبعث يومَ القيامة مُنادياً ينادي: يا آدَم! إنّ اللهَ يأمرُك أن تبعثَ بعثاً من ذرّيتك إلى النّار! فيقول آدمُ: يا ربّ! ومِن كم؟ قال: فيقال له: مِن كلّ مئةٍ تسعةً وتسعين»(٣) ...الحديث.

---

(١) كما أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، ر: ٦٥٣٠، صـ١١٣١، عن أبي سعيد.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الرقاق، باب الحشر، ر: ٦٥٢٩، صـ١١٣١، عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند عبد الله بن مسعود، ر: ٣٦٧٧، ٢/ ٣٤، ٣٥، عن عبد الله.

وأخرج البَغَوي في "المعالم" بسندِه من طريق: "وكيع[١] عن الأعمَش[٢] عن أبي صالح[٣] عن أبي سعيد الخُدري ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول اللهُ ﷻ يومَ القيامة: يا آدَم! قُم فابعثْ بعثَ النّار من ولدِك! فيقول: لبَّيك وسعدَيك والخيرُ في يدَيك! يا ربِّ وما بعثُ النّار؟ فيقول: مِن كلّ ألفٍ تسعُمئةٍ وتسعين» قال: فيقولون: أيُّنا ذاك الواحد؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «تسعُمئةٍ وتسعون من يأجُوج ومأجُوج، ومنكم واحدٌ»"[٤].

وأخرج أحمدُ[٥] والبخاري[٦] ومسلم[٧] وأبناءُ جرير[٨] وأبي حاتم[٩] ومَردوَيه[١٠]،

---

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الواو، من اسمه وكيع، ر: ٧٦٩٥، ٩/ ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٥.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف السين: من اسمه سليمان، ر: ٢٦٩، ٣/ ٥٠٦-٥٠٩.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الذال: من اسمه ذكوان، ر:١٩٠٣، ٣/ ٤٢.

(٤) "المعالم" الحج، تحت الآية: ٢، ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤ ملتقطاً.

(٥) أي: في "المسند" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١٢٨٤، ٤/ ٦٦، عن أبي سعيد الخدري.

(٦) أي: في "الصحيح" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج ...إلخ، ر: ٣٣٤٨، صـ٥٥٨، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٧) أي: في "الصحيح" كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النار ...إلخ، ر: ٥٣٢، صـ١١٣، عن أبي سعيد.

(٨) أي: في "جامع البيان" الحج، تحت الآية: ٢، ر: ١٨٨٣٣، ١٠/ ١٤٨.

(٩) أي: في "تفسيره" الحج، تحت الآية: ١، ر: ١٣٧٧٠، الجزء ٨، صـ٢٤٧٣، بطريق أبي سعيد الخدري.

(١٠) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٤، ٥، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

والبَيهقيُّ في "الأسماء والصِّفات"[١] عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدَم! فيقول: لبَّيك وسعدَيك والخيرُ كلُّه في يدَيك! قال: أَخرِج بعثَ النّار! قال: وما بعثُ النّار؟ قال: مِن كلِّ ألفٍ تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعين، فعنده يشيب الصّغيرُ» ...الحديث.

وأخرجَ مسلمٌ عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ، وذكر الحديثَ في خروجِ الدجّال ونزولِ عيسى عليه السلام، ثمّ قيامِ السّاعة -إلى أن قال ﷺ-: «ثمّ ينفخ فيه أُخرى، فإذا هُم قيامٌ ينظرون، ثمّ يقال: يا أيّها النّاس! هلُمّ إلى ربّكم، وقِفُوهُم إنّهم مسؤولُون، فيقال: أَخرِجوا بعثَ النّار، فيقال: مِن كم؟ فيقال: مِن كلّ ألفٍ تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعين» قال: «فذلك يومٌ يجعل الولدان شِيباً، وذلك يومٌ يكشف عن ساق»[٢].

وأخرجَ سعيدُ[٣] بن منصور[٤] وأحمدُ[٥] وعبدُ بن حمَيد[٦] والترمذيُّ

---

(١) "كتاب الأسماء والصفات" جُماع أبواب إثبات صفة الكلام، باب، ١/ ٣٤٨، ٣٤٩، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) "صحيح مسلم" كتاب الفتن وأشراط السعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ...إلخ، ر: ٧٣٨١، صـ١٢٧٤، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة المروزي ويقال الخراساني، وتوفّي سنة ٢٢٩هـ. من تصانيفه: "تفسير القرآن" و"السنن" في الحديث. ("هدية العارفين" ٥/ ٣١٩).

(٤) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٤، نقلاً عن سعيد بن منصور.

(٥) أي: في "المسند" مسند البصريين، حديث عمران بن حصين، ر: ١٩٩٢٢، ٧/ ٢١١.

(٦) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٤، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

وصحّحه[١]، والنَّسائيُّ[٢] وأبناء جرِير[٣] والمنذر[٤] وأبي حاتم[٥] ومَردوَيه[٦]، والحاكمُ وصحّحه[٧] عن عمران بن حصِين ﵄ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «يقول اللهُ لآدَم: ابعثْ بعثَ النّار، قال: يا ربِّ! وما بعثُ النّار؟ قال: تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعون في النّار، وواحدٌ إلى الجنّة» فأنشأ المسلمون يَبكون، فقال رسولُ الله ﷺ: «قارِبوا وسدِّدوا؛ فإنّها لم تكن نبوّةٌ قطّ إلّا كان بين يدَيها جاهلية» قال: «فيؤخَذ العددُ من الجاهليّة، فإن تمّت وإلّا كملت من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلّا كمثل الرّقمة في ذراع الدّابة، أو كالشامّة في جنب البعير» ...الحديث.

---

(١) أي: في "الجامع" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج، ر: ٣١٦٨، صـ٧١٦، ٧١٧. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٢) أي: في "السنن الكبرى" كتاب التفسير، سورة الحج، ر: ١١٢٧٧، ١٠/ ١٨٩.

(٣) أي: في "جامع البيان" سورة الحج، تحت الآية: ١، ٢ ر: ١٨٨٣١، الجزء ١٧، صـ١٤٧، عن عمران بن حصين.

(٤) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٤، نقلاً عن ابن المنذر.

(٥) أي: في "تفسيره" الحج، تحت الآية: ١، ر: ١٣٧٦٧، الجزء ٨، صـ٢٤٧٢، عن عمران بن حصين.

(٦) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٤، ٥، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٧) أي: في "المستدرَك" كتاب الإيمان، ر: ٧٨، ١/ ٣٧، ٣٨، عن عمران بن حصين. [قال الحاكم]: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه، و[قال الذهبي]: صحيح الإسناد سمع الحسن من عمران.

وفي لفظٍ للترمذي وغيره: «اعملوا وأبشِروا! فوالذي نفسُ محمّدٍ بيدِه! إنّكم لمع خَليقتَين ما كانتا مع شيءٍ إلّا كثرتاه: يأجُوج ومأجُوج، ومَن مات من بني آدَم وبني إبليس»[١] ...الحديث.

وأخرجَ البزّارُ[٢] وابنُ جرِير[٣] وابنُ أبي حاتم[٤] والحاكمُ وصحّحه، وابنُ مَردوَيه[٥] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ: «يقول الله: يا آدَم! قُم فابعثْ بعثَ النّار، فيقول: يا ربّ مِن كم؟ فيقول: مِن كلِّ ألفٍ تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعين» وفيه ذكر "الخَليقتَين والشّامّة"، وفي آخره: «وإنّما أمّتي جزءٌ من ألف جزءٍ»[٦].

وأخرجَه الطبَراني[٧] وابنُ مَردوَيه[٨] بوجهٍ آخَر عنه رضي الله عنه وهو ضعيف.

---

(١) أي: في "الجامع" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج، ر: ٣١٦٩، صـ٧١٧.

(٢) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٥، ٦، نقلاً عن البزّار.

(٣) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٥، ٦، نقلاً عن ابن جرير.

(٤) أي: في "تفسيره" الحج، تحت الآية: ١، ر: ١٣٧٦٩، الجزء٨، صـ٢٤٧٢، ٢٤٧٣، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٥، ٦، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٦) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب الأهوال، ر: ٨٦٩٧، ٨/ ٣١١٢، ٣١١٣، عن ابن عباس رضي الله عنهما. [قال الحاكم:] "هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه". [وقال الذهبي:] "صحيح".

(٧) أي: في "المعجم الكبير" أحاديث عبد الله بن عباس، عكرمة عن ابن عباس، ر: ١٢٠٣٤، ١١/ ٢٨٩، ٢٩٠، عن ابن عباس.

(٨) انظر: "الدر المنثور" المزمل، تحت الآية: ١٧، ٨/ ٣٢١، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

وأخرج عبدُ بن حُمَيد[١] وعبدُ[٢] الرزّاق[٣] وبنُو جرِير[٤] والمنذر[٥] وأبي حاتم[٦] وحِبّان[٧] ومَردوَيه[٨]، والحاكمُ وصحّحه عن أنس ﵁، فذكر العددَ مثلَه، وذكر الشامّةَ وقال: «وإنّ معكم لَخَليقتَين ما كانتا في شيءٍ إلّا أكثرتاه: يأجُوج ومأجُوج، ومَن هلكَ مِن كفَرة الإنس»[٩].

وأخرجه ابنُ مَردوَيه عن أبي موسى وطلحة[١٠] بن الصّقر عن

---

(١) أي: في "المنتخب" مسند أنس بن مالك، ر: ١١٨٧، صـ٣٥٨، عن أنس بن مالك.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٥٧.

(٣) أي: في "تفسيره" الحج، ر:١٨٩٥، ٢/ ٣٩٦، عن أنس.

(٤) أي: في "جامع البيان" سورة الحج، تحت الآية: ١، ٢، ر: ١٨٨٣٤، الجزء ١٧، صـ١٤٩، عن أنس.

(٥) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٥، نقلاً عن ابن المنذر.

(٦) أي: في "تفسيره" سورة الحج، تحت الآية: ١، ر: ١٣٧٦٨، الجزء ٨، صـ٢٤٧٢، بطريق أنس.

(٧) أي: في "الصحيح" كتاب التاريخ، باب إخباره عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم، ذكر الإخبار عن وصف قلة أهل الجنة ...إلخ، ر: ٧٣١٠، صـ١٢٨٢، عن أنس بن مالك.

(٨) انظر: "الدر المنثور" الحج، تحت الآية: ١، ٢، ٦/ ٥، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٩) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب الأهوال، ر: ٨٦٩٢، ٨/ ٣١١١، عن أنس ﵁. [قال الحاكم]: هذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط الشيخَين ولم يخرجاه.

(١٠) هو الشيخ، الثقة، الخير، الصّالح، بقية السلَف، طلحة بن علي بن الصقر أبو القاسم البغدادي، الكتّاني. وُلد سنة ستّ وثلاثين وثلاث مئة. وسمع من: أبي بكر النجاد، والشّافعي، وأبي علي بن الصواف، وأحمد بن ثابت الواسطي، وعدة. حدّث عنه: أبو بكر الخطيب، وقال: كان ثقةً =

أبي الدَّرداء[١] ﵄، وابنُ جرِير عن الحسن مرسَلاً، كلُّهم عن النّبي ﷺ، وفيه العددُ المذكور، وفي مرسَل الحَسن بعد ذكر «الخَليقتَين يأجُوج ومأجُوج»، «وهُم أهلُ النّار، وتكمل العدةُ من المنافقين»[٢].

وأخرج ابنُ المنذر عن ابن مسعود ﵁ قال: «إذا كان يومُ القيامة، فإنّ ربَّنا يدعو آدَم فيقول: يا آدَم! أَخرِج بعثَ النّار! فيقول: أي ربِّ! لا علمَ لي إلّا ما علّمتَني! فيقول اللهُ تعالى: أَخرِج بعثَ النّار مِن كلِّ ألفٍ تسعَمئةٍ وتسعةٍ وتسعين»[٣] ...الحديث.

فانظر في الأحاديث الثلاثة الأُوَل الآتية بـ"واحدٍ من مئة"، قال فيها: "مِن ذرّيتك" أو "مِن ولدِك" بخلاف البقية. وانظر إلى حديثَي أبي سعيد الخُدري ﵁ قال في الواحد من مئةٍ "من ذريتك"، وإذا روى واحداً من ألفٍ لم يقله، وانظر إلى حديث

=

صالحاً، وأبو بكر البَيهقي وعبد العزيز الكتّاني، وأبو القاسم المصيصي، وأبو القاسم بن بيان الرزاز، وآخَرون. مات: في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، عن ست وثمانين سنة.

("سير أعلام النبلاء" ٤٠٨٥ - طلحة بن علي، ١١/ ٢٥٩).

(١) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف العين المهملة، ر: ٦١٣٢، ٤/ ٦٢١، ٦٢٢. و"أُسد الغابة" حرف العين، باب العين والواو، ر: ٤١٤٢، ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة الحج، تحت الآية: ١، ٢، ر: ١٨٨٣٢، الجزء ١٧، صـ١٤٨، عن الحسن [البصري].

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة المزمل، تحت الآية: ١٧، ٨/ ٣٢١، نقلاً عن ابن المنذر عن ابن المسعود.

عبد الله بن مسعود ﷺ فيه: الواحد من مئةٍ، ولفظُ "ذريتك"، وليس في أثره الآتي بـ"واحدٍ من ألف".

نَسَبُ يأجُوج ومأجُوج

وهذا كما أشرتُ إليه مبنيٌّ على أنّ يأجُوج ومأجُوج ليسوا من ذريةِ آدَم على الوجه المعهود، وذلك أنّهم اختلفوا، هل هُم من ولدِ آدَم؟ قال وهبٌ[1] وغيرُه: نعم، ذكره الحافظُ في "الفتح"[2].

أقول: ووهبٌ هو الذي يقول في حديثه: "فيهم مشابَهةٌ من الإنس، وهُم أشباهُ البهائم" ...إلخ، رواه عنه محمدُ بن إسحاق[3]، وأبناءُ جرِير والمنذر

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الواو: من اسمه وهب، ر: ٧٧٦٧، ٩/ ١٨٣، ١٨٤.

(٢) "فتح الباري" كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ١٣/ ١٢٣.

(٣) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله المطّلبي، نزيل العراق. رأى أنساً، وابن المسيّب، وأبا سلمة بن عبد الرحمن. **وروى عن:** أبيه، وعمّيه عبد الرحمن، وموسى، والأعرج، والزهري، وابن المنكدر، ومكحول، وحميد الطويل، وعطاء بن أبي رباح، وخلق كثير. **وعنه:** يحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن أبي حبيب، والحمّادان، وشعبة، والسفيانان، وجماعة. وقال المفضّل الغلابي: سألتُ ابن مَعين عنه، فقال: "كان ثقة، وكان حسن الحديث"، فقلت: إنّهم يزعمون أنّه رأى ابن المسيبّ فقال: "إنّه لقديم". وقال علي بن المديني: "مدار حديث رسول الله ﷺ على ستّة فذكرهم، ثمّ قال: فصار علم الستّة عند اثني عشر فذكر ابنَ إسحاق فيهم". وقال ابن المديني: سمعت سفيان قال: قال ابن شهاب: وسئل عن مغازيه فقال: "هذا أعلَم النّاس بها". وقال البخاري: "رأيتُ علي بن عبد الله يحتجّ بحديث ابن إسحاق"، وقال البخاري أيضاً: "محمد بن =

وأبي حاتم[١] ومَردوَيه[٢] وعدي[٣] وعساكر[٤] والنجّار[٥] عن حذَيفة ﷺ عن النّبي ﷺ: «هُم ثلاثةُ أصنافٍ: صِنفٌ منهم أمثالُ الأرز شجر بالشّام، طولُ الشّجرة عشرون ومئةُ ذراعٍ في السّماء، وصنفٌ منهم طولُه وعرضُه سَواءٌ عشرون ومئةُ ذراعٍ، وهؤلاء لا يقوم لهم جبلٌ ولا حديد، وصِنفٌ منهم يفترش إحدى أذنَيه ويلتحف بالأخرى»[٦] ...الحديث.

وقال كعبٌ[٧]: "هُم من ولد آدم من غير حوّاء، وذلك أنّ آدَم نامَ فاحتلم فامتزجت نطفتُه بالتراب، فخلقَ منها يأجُوج ومأجُوج"[٨].

=

إسحاق ينبغي أن يكون له ألف حديثٍ ينفرد بها". وقال العجلي: مدنيّ ثقة. وقال ابن عيَينة: سمعت شعبة يقول: "محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث". وكان خرج من المدينة قديماً فأتى الكوفة والجزيرة والرَّي وبغداد فأقام بها حتّى مات بها سنة ١٥١هـ.

("تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه محمد، ر: ٥٩٢٩، ٧/ ٣٥-٤١ ملتقطاً).

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، ٤٥٨، نقلاً عن ابن أبي حاتم عن حذيفة.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، ٤٥٨، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن حذيفة.

(٣) أي: في "الكامل" من ابتداء اسمه ميم، من اسمه محمد، تحت ر: ١٦٥٣، ٧/ ٣٦٦، عن حذيفة.

(٤) أي: في "تاريخه" مقدمة المصنف، باب مختصر في ذكر يأجُوج ومأجُوج، ر: ٤٧٥، ٢/ ٢٣٣، عن حذيفة.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٩٨.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، ٤٥٨، نقلاً عن ابن النجّار عن حذيفة.

(٧) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الكاف: من اسمه كعب، ر: ٥٨٤٢، ٦/ ٥٧٨، ٥٧٩.

(٨) "فتح الباري" كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ١٣/ ١٢٣.

أقول: ويصلح هذا توفيقاً فيجوز أن يقالَ: إنّهم من ولد آدَم؛ لأنّهم خُلقوا من مائِه، ويجوز أن ينفَى؛ لأنّ الولدَ ما كان من صاحبة، قال تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

فلا ينافي ما ورد عن عبد الله[١] بن عبّاس[٢] وعبد الله بن عَمرو[٣] وعبد الله بن سلام[٤] وعبد الله بن عُمر[٥] رضي الله عنهم وعن قَتادة وخالد الأشج[٦]: «إنّهم من ولدِ آدَم».

(١) انظر ترجمته: "أُسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٣٠٣٧، ٣/ ٢٩١-٢٩٥ ملتقطاً.

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" أحاديث عبد الله بن عباس، عكرمة عن ابن عباس، ر: ١٢٠٣٤، ١١/ ٢٨٩، ٢٩٠، عن ابن عباس.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في "المسند" أحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص، الأفراد عن عبد الله بن عمرو، ر: ٢٣٩٦، ٤/ ٣٩، عن عبد الله بن عَمرو.

(٤) انظر ترجمته: "أُسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٢٩٨٦، ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٥، نقلاً عن عبد الله بن عمر.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، نقلاً عن ابن المنذر عن خالد الأشج.

بل[1] أخرجَ ابنا حمَيد[2] والمنذر[3]، والطبَرانيُّ[4] والبَيهقيُّ في "البعث"[5]، وابنا مَردوَيه[6] وعساكر[7] عن ابن عُمر، والطبَراني[8] وابنُ مَردوَيه[9] عن ابن عبّاس

---

(١) لا يصحّ في المرفوع منها شيءٌ، ولا عن صحابي لا يأخذ عن الإسرائيليات، والحافظ لما ذكر هذا القول، قال: جزم به وهب وغيره، ولم يعزه لصحابي ﷺ، مع أنّ الحافظَ يريد نصرتَه، فالله تعالى أعلم. ثمّ لو صحّ لم يضرّ ما عليه جماهيرُ العلماء، كما علمتَ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، نقلاً عن عبد بن حمَيد عن ابن عمر.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، نقلاً عن ابن المنذر عن ابن عمر.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، نقلاً عن الطبَراني عن ابن عمر.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، نقلاً عن البَيهقي في "البعث" عن ابن عمر.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن ابن عمر.

(٧) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٧، نقلاً عن ابن عساكر عن ابن عمر.

(٨) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" أحاديث عبد الله بن عباس، عكرمة عن ابن عباس، ر: ١٢٠٣٤، ١١/ ٢٨٩، ٢٩٠، بطريق عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنّ رسول الله ﷺ قرأ ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ [المزمل: ١٧] قال: «ذلك يوم القيامة، وذلك يوم يقول الله -جل ذكرُه- لآدم: قُم فابعث من ذرّيتك بعثاً إلى النار! فقال: مِن كَم يا ربّ؟ قال: مِن ألفٍ تسعمئة وتسعة وتسعين، وينجو واحد» فاشتد ذلك على المسلمين، وعرف ذلك رسولُ الله ﷺ، ثمّ قال رسولُ الله ﷺ حين أبصرَ ذلك في وجوههم: «إنّ بني آدم كثير، وإنّ يأجُوج ومأجُوج من ولد آدم، وإنّه لا يموت منهم رجلٌ حتّى يرثَه لصلبه ألفَ رجلٍ، وفيهم وفي أشباهِهم جُنّةٌ لكم».

(٩) انظر: "الدر المنثور" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٤، ٥/ ٤٥٨، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن ابن عباس.

ﷺ عن النّبي ﷺ، وهذا حديثُ ابن عُمر رفعَه: «أنّ يأجُوج ومأجُوج من ولدِ آدَم، لا يموت رجلٌ منهم إلّا تركَ من ذرّيتِه ألفاً فصاعداً، وإنّ من ورائِهم ثلاثَ أمم: (١) تأويل، (٢) وتاريس، (٣) ومنسك».

ولا يرد أنّ النبيَّ لا يحتلم!؛ فإنّ المنفيَ عنهم عليهم السلام أن يتمثّل لهم الشّيطانُ في المنام فيرَوا جِماعاً، أمّا ما كان من امتلاء أَوعيةٍ واندفاعِ فُضلةٍ، فما مثلُه إلّا كمِثل البَول، هذا معنى ما في "الفتح"[١]، وهذا القولُ قد اعتمدَه شيخُ الإسلام الإمامُ النَّوَوي في "فتاواه" فقال: "يأجُوج ومأجُوج من أولاد آدَم، لا من حوّاء، عند جَماهير العلماء، فيكونون إخوانُنا لأب"[٢] ...انتهى.

اعتمد في "الفتح": "أنّهم بنُو يافث بن نُوح عليه السلام، قال: وإلّا فأين كانوا حين الطُّوفان"[٣] انتهى. أقول أوّلاً: كَونهم من نطفة آدَم عليه السلام لا يُوجِب وجودَهم عند الطَوَفان، وما يدرينا لعلَّ الله خمرَها مُدَداً متطاولة، حتّى خلقَهم منها بعد الطُّوفان!.

وثانياً: يمكن أن يكونَ زوجان منهم أسلَما فحُملا في الفُلك المشحون، وأغرِق الباقون، ثمّ اللهُ بثَّ منهما ما شاء، والإسلامُ غير محجورٍ عليهم بمعنى أنّه لا يُسلِم إلّا نادرٌ منهم.

(١) "فتح الباري" كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ١٣/ ١٢٣.

(٢) "فتاوى الإمام النَّوَوي" كتاب الوقف وغيره، يأجوج ومأجوج، صـ١٦٩، ١٧٠ بتصرّفٍ.

(٣) "فتح الباري" كتاب الفِتن، باب يأجُوج ومأجُوج، ١٣/ ١٢٣ ملتقطاً بتصرّفٍ.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم عن أمير المؤمنين علي -كرّم الله تعالى وجهه-: «إنّ يأجُوج ومأجُوج يغدون كلَّ يومٍ على السدّ فيلحَسُونه، وقد جعلوه مثلَ قشر البَيض، فيقولون: نرجع غداً ونفتحه، فيُصبِحون وقد عادَ إلى ما كان عليه قبل أن يلحسَ، فلا يزالون كذلك حتّى يولَد فيهم مولودٌ مسلِمٌ، فإذا غدَوا يَلحَسون قال لهم: قُولوا "بسم الله" فإذا قالوا: "بسم الله" فأرادوا أن يرجعوا حين يُمسون فيقولون: نرجع غداً فنفتحه، فيقول: قُولوا: "إن شاء الله" فيقولون: "إن شاء الله" فيُصبِحون وهو مثل قشر البيض»[1] ...الحديث.

وروى نحوَه ابنُ مَردوَيه عن حذيفة رضي الله عنه وفيه: «فيُصبِحون وهو أقوَى منه بالأمس، حتّى يُسلِمَ رجلٌ منهم حين يريد اللهُ أن يبلِّغَ أمرَه، فيقول المؤمنُ: غداً نفتحه إن شاء الله تعالى»[2] ...الحديث.

ثمّ نقل الحافظُ ما قدمّنا[3] عن الإمام النَّوَوي ثمّ قال: "ولم نَر هذا عن أحدٍ من السَّلَف إلّا عن كعب الأحبار، ويردّه الحديثُ المرفوع: «أنّهم من ذرية نُوح، ونُوح من ذرّية حوّاء قطعاً»"[4] انتهى.

(١) "تفسير ابن ابي حاتم" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٨، ر: ١٢٩٨٨، ٧/ ٢٣٩٠ ملتقطاً.

(٢) انظر: "فتح الباري" كتاب الفِتن، باب يأجُوج ومأجُوج، ١٣/ ١٢٧، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن حذيفة.

(٣) انظر: صـ٢٤٠.

(٤) "فتح الباري" كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ١٣/ ١٢٤.

أقول: النَّوَوي قال فيه العلماءُ: لم يأت بعدَه مَن يُدانيه في الحديث، أي: فضلاً عمَّن يساوِيه، فلا يعارض نقلُه بعدم رؤية الحافظ، ومَن علمَ قاضٍ، على مَن لم يعلم.

ويريد بالحديث المرفوع ما قدّم قبلَه بأسطُر عن أبي هريرة رفعَه: «وُلد لنُوح سامٌ وحامٌ ويافثٌ، فوُلد لسام العرِبُ وفارس والرّوم، ووُلد لحام القبطُ والبَربَر والسُّودان، ووُلد ليافث يأجُوج ومأجُوج والتُرك والصقالبة»، قال: وفي سنده ضعفٌ[1] انتهى. والحديث رواه البزّار[2] والحاكم[3].

أقول: ويكفينا قولُ الحافظ: "في سنده ضعفٌ"، ثمّ هو مخالفٌ للصِّحاح ولحديث أبي هريرة نفسه، أخرج أحمدُ[4] والحاكمُ وقال: صحيحٌ وأقرّوه، عن سمُرة[5] رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم: «وُلد لنُوح ثلاثةٌ: (١) سامٌ (٢) وحامٌ (٣) ويافثٌ أبو الرّوم»[6].

وأخرجَ الطبَراني في "الكبير" عنه وعن عمران بن حُصَين رضي الله عنهما بسندٍ صحيح عن النّبي صلى الله عليه وسلم: «وُلد لنُوح ثلاثةٌ: فسامٌ أبو العرب، وحامٌ أبو الحبشة، ويافثٌ

(١) "فتح الباري" كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ١٣/ ١٢٤.

(٢) أي: في "المسند" مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ر: ٧٨٢٠، الجزء ١٤ صـ٢٤٥، عن أبي هريرة.

(٣) أي: في"المستدرك" كتاب الفتن والملاحم، ر: ٨٤٢٩، ٨/ ٢٩٩٥، ٢٩٩٦، عن سعيد بن المسيّب.

(٤) أي في "المسند" مسند البصريين، حديث سمرة بن جندب، ر: ٢٠١٣٤، ٧/ ٢٥٤ عن سمرة.

(٥) انظر ترجمته: "أُسد الغابة" باب السين والميم، ر:٢٢٤٢، سمرة بن جندب، ٢/ ٥٥٤، ٥٥٥.

(٦) أي في "المستدرك" كتاب التواريخ المتقدمين، ر: ٤٠٠٦، ٤/ ١٤٩٩، عن سمرة بن جندب. [قال الحاكم:] هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه، و[قال الذهبي]: صحيح.

أبو الرّوم»[1]. وأخرجَ ابنُ مَردوَيه[2] عن أبي هريرة ﷺ عن النّبي ﷺ قال: «وُلد لنُوح ثلاثةٌ: (١) فسامٌ أبو العرب، (٢) وحامٌ أبو الحبش، (٣) ويافثٌ أبو الرّوم».

فكيف يُردّ بمثل هذا قولُ جماهير العلماء، فهذا ما ظهرَ لي في الجمع بين العددَين: "واحدٌ من مئةٍ" و"واحدٌ من ألف"، وهو أحسَن -إن شاء الله تعالى- مما ذكر الحافظُ من وجوه الجمع، لا نطيل الكلامَ بإيرادها، وذكر ما عليها، وبعد اللتيا والتي كيفما كان الأمرُ، لا شكَّ في تحقيق نسبةِ واحدٍ وألف؛ لأنّ العددَ لا ينفي الزائدَ.

قاله[3] الكرماني[4] ثمّ العَيني[5]: قال الحافظُ في "الفتح": "مقتضاه تقديمُ حديث أبي هريرة على حديث أبي سعيد؛ فإنّه يشتمل على زيادة؛ فإنّ حديث

---

(١) "المعجم الكبير" ما روى الحسن عن عمران بن حصين، قتادة عن الحسن عن عمران، ر: ٣٠٩، ١٨/ ١٤٥، ١٤٦، وسَمُرة بن جندب.

(٢) انظر "الدر المنثور" الصافات، تحت الآية: ٧٥، ٧/ ٩٩، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن أبي هريرة.

(٣) أي: في "الكواكب الدراري" كتاب الرقاق، باب قول الله ﷻ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، تحت ر: ٦١٤٣، ٢٣/ ٣٨، ٣٩.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٣٧، ١٣٨.

(٥) أي: في "عمدة القاري" كتاب الرقاق، باب قول الله ﷻ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، تحت ر: ٦٥٣٠، ١٥/ ٦٠٤.

أبي سعيد يدلّ على أنّ نصيبَ أهل الجنّة من كلّ ألفٍ واحدٌ، وحديثُ أبي هريرة يدلّ على أنّه عشرةٌ، فالحكمُ للزّائد"[1] انتهى.

أقول: رحم اللهُ الحافظَ! بل مقتضاه عكسُ ذلك؛ فإنّ سَوق الكلام ليس لبيان نصيبِ الجنّة، بل لبيانِ بعث النّار، وقضيةُ حديثِ أبي هريرة: أنّهم تسعُمئةٍ وتسعون من ألف، وحديثِ أبي سعيد: إنّهم تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعون، فالحكمُ للزائد على أنّ حديثَ أبي هريرة إن فُرض دلالتُه على أنّ النّاجين عشرةٌ، فلا تكون إلّا بمفهوم، ومنطوقُ حديث أبي سعيد: إنّ الهالكين تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعون، والمفهومُ لا يعارض المنطوق.

عددُ أهل النّار من ولد آدَم

فعلى هذا يضرب ما مرّ[2] من عدد السُّعداء في ٩٩٩، يكن عدد الأشقياء، ويكون بالأرقام هكذا:

١٤٨٣٥١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٣٢٩٣٤٠٣٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠١٨٢٧٨٣٨٨٣١٥٠٠٠٠٠٠

أربعٌ وستّون مرتبةً، فيها تسعةٌ وثلاثون صِفراً وخمسةٌ وعشرون رقماً، وعدد ما يحتاج لهم من تلك المجلَّدات هكذا:

٢٩٦٧٠٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٦٥٨٦٨٠٦٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٣٦٥٥٦٧٧٦٦٣

ثمانٍ وخمسون مرتبةً، فيها ستّةٌ وثلاثون صفراً، واثنان وعشرون رقماً، وهي مرتبةُ ألفِ ألفِ ألف ...إلخ، تسعَ عشرةَ. وقد جمعَها المولى ؓ في كتابٍ صغيرٍ حملَه

---

(١) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب قول الله ﷻ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، تحت ر: ٦٥٣٠، ١١/ ٤٤١ بتصرّف.

(٢) انظر صـ٢٢٧، ٢٢٨.

المصطفى ﷺ بيَساره، هذا على العدد المبين، وإذا نظرنا نسبةَ شَعرةٍ واحدةٍ إلى شَعراتِ بدنِ الثَّور، لم يمكن لنا التعبيرُ عنها، ولذا قال سيّدي أفضلُ الدّين ﷺ: "إنّ اللهَ تعالى أطلعَه على عدد السُّعداء دون الأشقياء"[١].

وفي "اليواقيت" عن الباب ٣٦٥ من "الفُتوحات[٢] الشّريفة": "قد شاهدتُ في واقعة نبيّنا محمّدٍ ﷺ وشاهدتُ جميع الأنبياء من آدم إلى محمّدٍ ﷺ، وأشهدَني اللهُ تعالى جميعَ المؤمنين بهم، حتّى ما بقي منهم أحدٌ، لا مَن كان، ولا مَن يكون إلى يوم القيامة، وعرفتُ خاصَّهم وعامَّهم، وعرفتُ جميعَ السُّعداء الذين كانوا في ظَهر آدَم وعددَهم، فلا يخفى عليَّ الآن منهم أحدٌ من أهل الجنّة وأهل النّار، لكن لم يُعطِني اللهُ تعالى معرفةَ عددِ أهل النّار لكثرتهم، فلا يعلم عددَهم إلّا اللهُ تعالى"[٣] ...إلخ.

لا جرمَ أن قال الشيخُ ﷺ في الباب ٣١٥ بعد ذكر حديث الكتابَين في أسماء أهل الدّارَين: "ولو أخذ المخلوقُ يكتب هذه الأسماءَ على ما هي عليه في هذَين

---

(١) انظر: "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣٢: في ثبوت رسالة نبينا ﷺ ...إلخ، الجزء ٢، صـ٣٣٧.

(٢) "الفتوحات" الباب ٣٦٥ في معرفة منزل أسرار ...إلخ، ٣/ ٣١٥.

(٣) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣٣ في بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما ...إلخ، الجزء ٢، صـ٣٥٠ ملتقطاً.

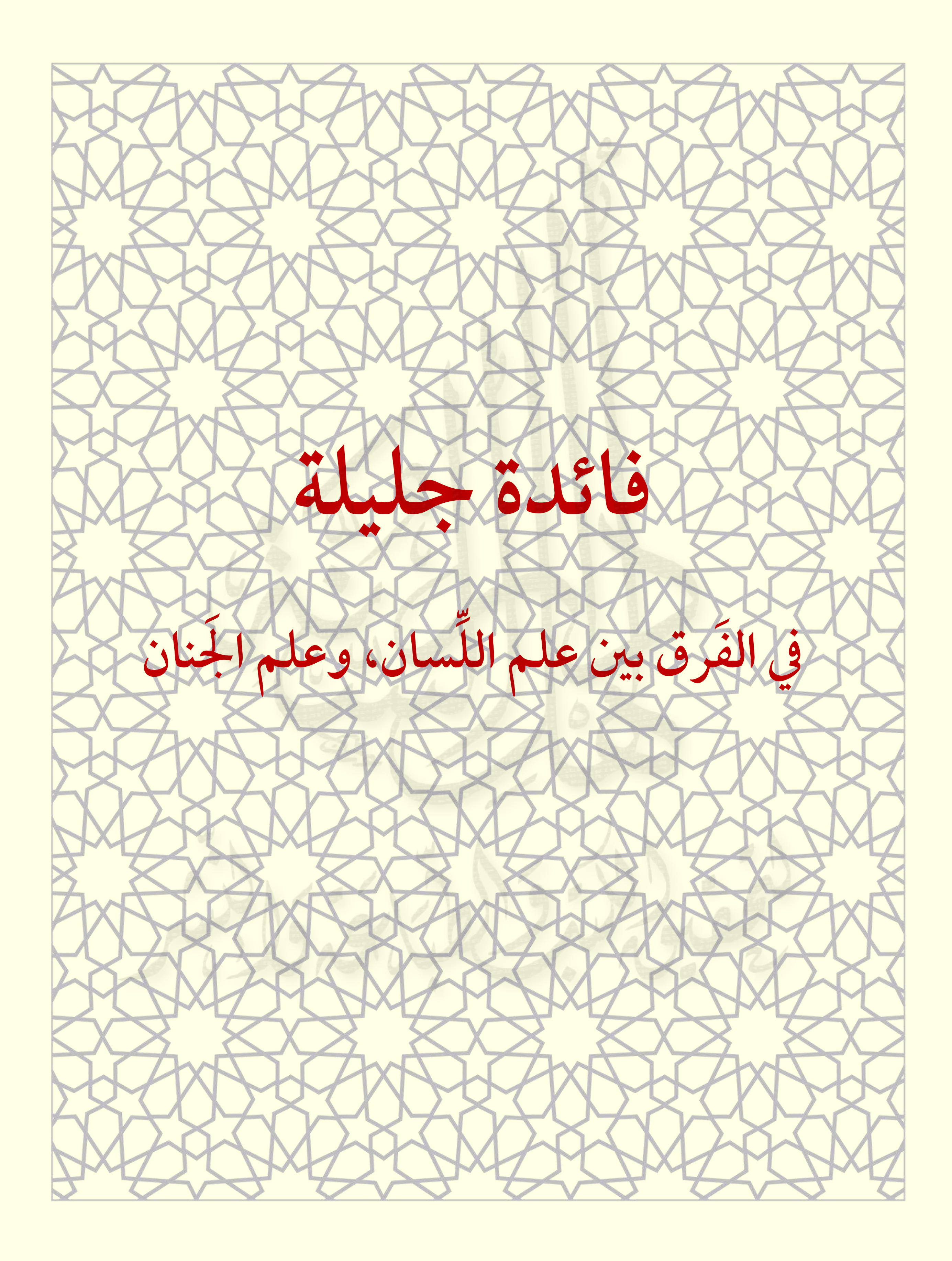
الكتابَين، لما قامَ بذلك كلُّ ورقٍ في العالَم" -قال-: "ومِن[1] هنا يعرف كتابةُ الله تعالى من كتابة المخلوقين"[2] انتهى.

فالآنَ آنَ أن تتصوّرَ عظمَ شأنِ ذَينك الكتابَين الإلهيَّين، وتعرف معنى تيسير الجرم العظيم الكبير في الظرف الضيّق الصّغير، وتعلم حقّاً أنّ اللهَ على كلّ شيءٍ قدير، وكأنّي بِك قائلاً ما هذا الإطناب! والإتيانُ بأمورٍ أعجاب! فسحة القدرة أمرٌ مقرَّرٌ من غير نكير! وقد علمَ مَن أسلَم أنّ اللهَ على كلّ شيءٍ قدير!.



(١) وذكر ﷺ بعده حكايةً نفيسةً في غاية النفاسة، إذ قال: "وقد حكي عن بعض البله من أهل الحاج، أنّه لقيَ رجلاً وهو يطوف طواف الوداع، فأخذ ذلك الرجل يمازح هذا الأبله [فقال له]: هل أخذتَ من الله [تعالى] برأتَك من النّار؟ فقال: لا، وهل أخذ النّاسُ ذلك؟ قال له: نعم، فبكَى الأبلهُ ودخل الحجر، وتعلّق بأستار الكعبة وجعل يبكي، ويطلب من الله [تعالى] أن يعطيَه كتابَه يعتقه من النّار، فجعل النّاسُ وأصحابُه يَلومونه ويعرفونه، أنّ فلاناً مزحَ معك وهو لا يصدِّقهم، بل بقيَ مستمرّاً على ذلك، فبينما هو كذلك إذ سقطت عليه ورقةٌ من الجوّ من جهة الميزاب، فيها مكتوبٌ عتقه من النار. فسرّ بها وأوقف الناسَ عليها، وكان من آية ذلك الكتاب أنّه يقرأ من كلّ ناحيةٍ على السَّواء، لا يتغيّر كلّما قلبت الورقةُ انقلبت الكتابة لانقلابها، فعلم النّاسُ أنّه من عند الله ﷻ" انتهى. ثمّ ذكر حكايةً تناسبها وقعت في زمانه لامرأةٍ من الصّالحات [أي: في "الفتوحات" الباب ٣١٥ في معرفة منزل ...إلخ، ٣/ ٦٠ ملتقطاً وبتصرّفٍ]. نفعنا الله تعالى ببركاتهم في الدنيا والآخرة. آمين منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) أي: في "الفتوحات" الباب ٣١٥ في معرفة منزل ...إلخ، ٣/ ٦٠ بتصرّفٍ.



فائدة جليلة

فِي الفَرق بين علم اللِّسان، وعلم الجَنان


أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

فائدة جليلة

في الفَرق بين علم اللِّسان، وعلم الجَنان

أقول: نعم، ولكن يا أخي! العلمُ عِلمان: علمٌ باللِّسان، وعلمٌ في الجَنان، ولا أريد بالأوّل مَن يُظهِر الإقرار ويُبطن الإنكار -والعياذُ بالله العزيز الغفّار!-؛ فإنّ ذلك دَيدَن المنافقين الفُجّار، بل الأمرُ أنّ من العلم ما يأخذ بمَجامع القلب ويسكن في الفُؤاد، ويطمئنّ به الصّدرُ، وينصبغ به السِرُّ، فكلّما فتّشتَ لم يزد إلّا انشراحاً، ولم تر إلّا قبولاً وارتِياحاً، وذلك هو العلمُ في الجَنان، ومنه ما يحمل عليه القلب وهو له مُنازع، فيُطيع غير طائعٍ، ورُبما يرى الطواعيةَ عند الإجمال؛ لأنّه يحمله على أهوَن الأحوال، فإذا فصلت ظهر عوارُه، وبدا إنكارُه، فإن قبلَ قبلَ من قِبيل "يد لا تستطيع أن تعضها فقبّلها"، وإن عدلَ عدلَ بسبيل "كلمةٌ لا تقدر أن تردَّها فأَوِّلها"، وذلك هو العلمُ باللِّسان، كما روى الحاكمُ في "المستدرَك" عن أمّ المؤمنين الصّديقة رضي الله عنها: «لما أُسريَ بالنّبي ﷺ إلى المسجد الأقصَى، أصبحَ يحدِّث الناسُ بذلك فارتدّ ناسٌ كانوا آمَنوا، وسعَى رجالٌ من المشركين إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فقالوا: هلُمّ إلى صاحبك يزعم أنّه أسريَ به اللّيلةَ إلى بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئِن قال ذلك لقد صدقَ، قالوا: أتصدِّقه أنّه ذهبَ إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبحَ؟ فقال: نعم، إنّي لأصدِّقه فيما هو أبعَد من ذلك، أصدِّقه في خبر السّماء في غدوةٍ أو رَوحةٍ. فلذلك سمّي الصدّيقُ»[1] انتهى.

---

(١) "المستدرك" كتاب المعرفة الصحابة رضي الله عنهم، أبو بكر بن أبي قُحافة رضي الله عنه، ر: ٤٤٥٨، ٥/ ١٦٨٣، عن عائشة رضي الله عنها. [قال الحاكم]: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخَين ولم يخرجاه.

وكما حكيَ أنّ إبليس تمثّل بَشَراً لعابدٍ جاهِل، فأراه قارُورةً صغيرةً جدّاً وسأله: هل يقدر اللهُ تعالى أن يُدخِلَ فيها السّماواتِ والأرض؟ فنظرَ وفكّر، ثمّ نظرَ وفكَر، ثمّ قال: هذا شيءٌ لا يقدر. ثمّ مرَّ به عالمٌ فأراه القارورةَ وسأل، فقال العالم: اخْسَأ، فلا أظنّك إلّا شيطاناً! إنّ اللهَ تعالى إن شاء أدخَلَ العرشَ وما حواه في سمِّ الخياط، أي: يتجلّى على العالم باسم القابض فيجعله أصغَر من السمّ، أو يتجلّى على السمّ باسم الباسط، فيجعله أوسَع من العالَم، أفتَرى الذين ارتدّوا أو ذلك العابدَ الجاهل، لم يكونوا مؤمنين بأنّ اللهَ على كلّ شيءٍ قدير؟ بلى! ولكن كان يَهون عليهم الإجمالُ، فإذا جاءَهم بعضُ تفاصيل لا تبلغها عقولُهم هالَهم وهابوا، فأنكَروا أو ارتابوا.

وإخواننا -حماهُم الله عن هذا- لكن شأنَهم إنّك إذا تلَوتَ عليهم في القرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّحل: ٨٩] قالوا: آمَنّا! وإذا رَويتَ لهم قولَه ﷺ: «تجلّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ»[1] قالوا: صدّقنا! وإذا ذكرتَ لهم بعضَ ما في

---

(١) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، ر: ٣٢٣٥، صـ٧٣٥، عن مُعاذ بن جبل قال: احتبسَ عنّا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ من صلاة الصبح حتّى كدنا نتراءى عين الشّمس، فخرج سريعاً فثوّبَ بالصّلاة، فصلّى رسولُ الله ﷺ وتجوّز في صلاته، فلمّا سلّم دعا بصَوته فقال لنا: «على مصافِكم كما أنتم!» ثمّ انفتلَ إلينا فقال: «أمّا إنّي سأحدِّثكم ما حبسني عنكم الغداة: أنّي قمتُ من اللّيل فتوضأتُ فصلّيتُ ما قُدّر لي، فنعستُ في صلاتي فاستثقلتُ، فإذا أنا بربّي ﷻ في أحسنِ صورة، فقال: يا محمّد! قلتُ: ربِّ لبّيك! قال: فيمَ يختصم الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا أدري ربِّ! قالها ثلاثاً، قال: فرأيتُه وضعَ كفَّه بين كتفَي، قد وجدتُ بردَ أناملِه بين ثديَّ، فتجلّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ» ...الحديث.

هذا الإجمال من تفاصيل تهولهم؛ إذ لم تمارِسها عقولُهم، كعِلم ما كان ويكون، قامُوا يؤوِّلون، بل لو قيل لهم: "كان ابنُ عبّاس يجد في القرآن ما ضاعَ من عقالٍ" لا يقبلون، فلولا أنّ في قلوبهم بقايا استبعادٍ للتفصيل، واستكثارٌ له على الملِك الجليل، لما احتاجوا إلى التأويل، بل قالوا كالصدّيق: لا يعز على ربّنا ما تقولون، وأنّا بأكثر من هذا مصدِّقون، فيا أخي! لأجل هذا أكثرتُ من إيراد ما يرِد إلى التصديق، ويُورد مَنهل القبول والتحقيق؛ فإنّ السّمعَ إذا تكرّر عليه القرعُ، قلّ نُفورُ القلب وهانَ عليه القبول، واللهُ يقول الحقَّ ويهدي إلى السّبيل، وحسبُنا اللهُ ونعم الوكيل!.

فائدة جليلة تكفي المؤمنَ في هذا البحث

فإن قالوا: لا نستكثر على الله، بل على محمدٍ ﷺ؛ إذ الإحاطةُ بعلم جميع ما في اللَّوح من عبدٍ على بُعدٍ عظيم!.

أقول: مرّةً ترَون إلى القرآن العظيم، فلا تنظرون إلّا قرطاساً وحِبراً، وأخرى ترَون إلى محمّدٍ ﷺ فلا تُبصِرون إلّا شَعراً وبشَراً، وهذا قال سيّدُنا العارف بالله الإمام الأجلّ محمّد البَلخي الرّومي[1] -قدّس سرّه الشّريف- في "المثنوي"[2] المنيف:

تو ز قرآن اى پسر ظاهر مبين ديو آدم را نه بيند غير طين

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٠٤.

(٢) "مثنوي": لملّا جلال الدين محمد بن محمد البخلي ثمّ القونوي، المتوفّى سنة ٦٧٢هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤٨٧. و"هدية العارفين" ٦/ ١٠٤).

ظاهر قرآن جو شخص آدمى است كه نقوشش ظاهر وجانش خفى است[١]

يقول: يا بُنيّ! لا تقصر نظرَك على ظاهر القرآن؛ فإنّ ظاهرَه كبدن الإنسان، نُقوشه في انجلاء، وروحُه في اختفاء، قال: وإيّاك أن تكونَ كإبليس اللَّعين؛ فإنّه لم ير مِن آدم إلّا الطِين، فقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ [الإسراء: ٦١]، و﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ولو نظر إلى باطنِه المشارِ إليه بقوله ﷻ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] لأهرع إلى السُّجود، ولم يُمكنه الجُمود، على النّار والطين، فاحذرْ أن تكونَ من الشّياطِين، ولعمر الله! لو تجلّى عليكم من نُور باطن محمّدٍ ﷺ مثل رأس إبرةٍ، لاستصغرتم علمَ جميع ما كان وما يكون عندما يستأهله من الخبرة، ولا محيدَ لكم عن أحدِ هذَين؛ فإنّ ربَّه يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وهو ﷺ يقول: «تجلّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ».

فما العدولُ إلى التأويل والتحويل إلّا لاستكثاره على قدرةِ ربِّه -تعالى وتكرّم-، أو على أهليّةِ محمّدٍ ﷺ، وكلُّ ذلك داءٌ سرّيٌ من سرِّ قولِه: ﴿خَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فالله الله! احفظوا دينكم وأبعدُوا الشّياطين، هذا نُصحِي لكم في الدِّين، إن كنتم تحبّون النّاصحين، والحمد لله ربّ العالمين!.

(١) أي: "مثنوي مولوي روم" المكتب ٣، الجزء ٣، صـ١١١.

مطلب: صَرف العنان إلى قول الخصوص

وإذا قد شيّدنا أركانَ العموم، وقرّبناه إلى الفُهوم، بحمد ربّنا وهّاب العلوم، فلنتوجّه إلى زعم الخلاف، ونبيِّن ما فيه من الاعتِساف، وينقسم لنا الكلام، هاهنا على أقسام، فنبيِّن بحَول الله تعالى:

أوّلاً: ما تعرف به المخالف ممن لم يخالف، وذلك أنّ كلَّ مَن خصّ شيئاً بالبيان، يزعم النّاسُ أنّه بالتخصيص دانٍ، وليس كما زعموا.

وثانياً: إنّ الذين خصّصوا قد عمّوا من حيث لم يعلموا.

وثالثاً: إنّ ما حملَهم على تخصيص العامّ وهمٌ باطلٌ ما له من قيام.

ورابعاً: إنّ كلَّ ما أتَوا به من خصوصٍ مصنوع، لا يُسمِن ولا يُغني من جُوع، محذورُهم حاصلٌ بعد التخصيص، ما لهم عنه من محيص.

وخامساً: كشفُ شُبه الخُصوم، التي كادُوا بها العُموم، واقتادَوا بها النّصوصَ إلى مَضايق الخصوص، وعند ذلك تخضع للحقّ الرّؤوس، وتبتهج بالعلم النُّفوس، قائلةً: لا عطرَ بعد عَروس، نورِد ذلك في الفُصول ، فبعَون الله وتوفيقِه نقول:

فصل: لا قائلَ بالخصوص إلّا بعض المتأخّرين

يرى القاصِرون أنّ عامّةَ الأئمّة على تخصيص الآيات الكريمة المتلوَة في عموم علوم القرآن العظيم.

أقول: وما هو إلّا من بعض الظنّ، ولو أخذوا الفَطانةَ بأيدِيهم، لعلِموا أنْ ليس القائلُ بالتخصيص إلّا أقلّ قليل، أمّا الصّحابةُ ﷺ فلم يرِد عنهم في تفسير الآيات ما يفيد الخصوصَ، إنّما الواردُ عن ابن مسعود ﷺ ما هو في العموم كأنصّ نصوص، وأمّا مَن

بعدَهم من التابعين وتبعهم وأئمّةِ السَّلَف الصّالحين، فلم أرَ عنهم التصريحَ قطّ، بأنّ الآياتِ ليست على عمومها، إنّما قُصارَى ما أتى عنهم، إنّهم ذكروا في تفسيرها أشياء خاصَّةً، وليس هذا في شيءٍ من التنصيص على التخصيص؛ فإنّ لذكر خاصٍّ من عامٍّ، أو قليلٍ من كثيرٍ، مَناشئَ عديدةً سديدةً مفيدة، نذكر منها ما يفتح اللهُ تعالى الآن.

مطلب: مَناشِئ تخصيصِ شيءٍ بالذِّكر

فأقول: منها: حفظُ العموم كقوله تعالى: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] مع أنّ مريمَ البتولَ أفضلُ من أكثر رجالِ زمانِها أيضاً، لكن منهم مَن هو أفضلُ منها، كزَكريّا ويحيَى وابنها -صلّى الله تعالى عليهم وعليها وسلَّم-. وكقوله ﷺ: «الحسنُ والحسَين سيّدَا شبابِ أهلِ الجنّة»(١) مع أنّهما سيّدا أُلوفٍ مؤلّفةٍ من كُهول أهل الجنّة، لكن منهم مَن هو أفضلُ منهما، كالخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم.

ومنها: الاقتصارُ على ما لا مُنازعَ فيه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣]، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾ [الانفطار: ١٩].

(١) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ر: ٣٧٦٨، صـ٨٥٦، عن أبي سعيد الخدري. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ صحيحٌ حسن.

ومنها: الردُّ على مَن خالَف في هذا الخصوص: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ [النّجم: ٤٩] ردّاً على مَن كان يعبدها، ومنه قولُه ﷺ: «خمسٌ لا يعلمهنّ إلّا الله»[1] على ما يأتيك[2] تحقيقُه إن شاء الله تعالى.

ومنها: زيادةُ الاعتناء به فينصّ عليه بخصوصِه؛ لأنّ لذكر الشّيء خاصّاً مزيةً على ذكره في ضمن العموم: ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] مع قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفُرقان: ١].

ومنها: مناسبةُ المقام: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصّلت: ٤٠] ومنه قولُ المفسِّرين في أمثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧] ﴿سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم، وقد أكثرَ منه ابنُ جرير والجلالان.

ومنها: الاقتصارُ على ما للسّامعين سبيلٌ إلى اختياره: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

ومنها: ما ذكر ما يحض المخاطبين على القبول: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [النّمل: ٩١].

ومنها: إبانةُ شرف المذكور: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قرَيش: ٣].

ومنها: الإشارةُ إلى علّة الحُكم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" حديث بُريدة الأسلمي، ر: ٢٣٠٤٧، ٩/ ١٧، ١٨، عن عبد الله.

(٢) أي: في "الدولة المكية" النظر ٦، صـ١٨٩ – ٢٣٨.

ومنها: الاقتصارُ على قدر الحاجة في الردّ كقول موسى عليه السلام لفرعَون وملأِه: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعراء: ٢٦].

ومنها: الاقتصارُ على الشّاهد؛ ليستدلَّ على الغائب: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الصافات: ٥].

ومنها: الاقتصارُ على الأظهَر من دُون إرادة الإيصال منه إلى الأخفَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ [الأنعام: ٣٨] ...الآية. قال في "الكبير": "خصَّ ما في الأرض بالذِكر دُون ما في السّماء احتجاجاً بالأظهَر"[١].

ومنها: التنبيهُ على بعض صفاتٍ جليلة: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرّحمن: ١٧] ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ومنها: الاكتِفاءُ: ﴿ربّ المشارِق﴾ [المعارج: ٤٠] أي: والمغارِب.

ومنها: قطعُ طمع الباطل للمُبطِل: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشُّعراء: ٤٧، ٤٨] كَيلا يقول اللعينُ فرعونُ كنَمرُود: "أنا هو".

ومنها: دفعُ وَهمِ الخلاف: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً﴾ [البقرة: ١٣٣].

ومنها: الاقتصارُ على الأشراف الأفاضِل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [النّاس: ١-٣]، وقال ﷺ: «أنا سيّدُ ولدِ آدم»[٢] مع أنّه سيّدُ العالَمِين.

---

(١) "التفسير الكبير" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب تفضيل نبيّنا ﷺ على جميع الخلائق،

=

ومنها: التعميمُ بالتخصيص، أي: ذكرُ خاصٍّ يستلزم العامّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨].

ومنها: الاقتصارُ على مَبلغ علمِ المخاطَب: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشُّعراء: ١٣٢].

ومنها: على أكبرهِم المخاطب: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشُّعراء: ١٣٣].

ومنها: سهولةُ التناوُل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

قال في "رغائب الفُرقان": "خصَّ الآياتِ الأرضيّة بالذِكر؛ لقُربها من الحواسّ"[1].

ومنها: الاقتصارُ على التامّ الخالص: ﴿رَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ﴾ [التَوبة: ٦١] مع أنّه ﷺ رحمةٌ للعالَمين، هذا نيفٌ وعشرون، ولئِن بقيتُ أفيضُ في هذا النَّوع، لخشيتُ الخروجَ عن القصد!.

القرآن ذو وُجوهٍ، وحجّةٌ بجميع وُجوهِه

وقد علمَ ناظرُو التفاسير لا سيّما المأثوراتِ، أنّهم يذكرون في تفسير آيةٍ أقوالاً كثيرةً لا تضادَ بينها، بل الآيةُ تشمل الكلَّ، فيظنّ الجاهلُ أنّ هذا اختلافٌ فيما بينهم، وليس كذلك، بل كلٌّ اقتصرَ على ذكرِ بعضٍ ما تتناوله الآيةُ من دُون أن يريدَ الحصرَ فيه، و هذا فاشٍ كثير، لا يحتاج إلى تنظير.

=

ر: ٥٩٤٠، صـ١٠٠٨، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيّدُ ولدِ آدَم يومَ القيامة، وأوّلُ مَن ينشقّ عنه القبرُ، وأوّلُ شافعٍ وأوّلُ مشفَّع».

(١) أي: في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" الذاريات، ٦/ ١٨٧.

قال الإمامُ الزّركشي في "البُرهان"[١]، ثمّ السُّيوطي في "الإتقان": "رُبما يحكى عنهم -أي: عن مفسِّري الصّحابة والتابعين بإحسانٍ رضي الله تعالى عنهم- عباراتٌ مختلفةُ الألفاظ، فيظنّ مَن لا فهمَ عنده أنّ ذلك اختلافٌ محقَّق، فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كلُّ واحدٍ منهم ذَكر معنى الآية؛ لكَونه أظهَر عنده، أو أليَق بحال السّائل، وقد يكون بعضُهم يخبر عن الشّيء بلازِمه ونظيرِه، والآخَر بمقصودِه وثمرتِه، والكلُّ يؤولُ إلى معنى واحدٍ غالباً"[٢] انتهى.

أقول: ومِن نظائره نفسُ هذا الكلام، فلم يرِد حصرُ الحامل في كونِه أظهَر أو أليَق بحال السّائل، ولا هُو محصورٌ فيهما كما تبيّنَ لك مما بيّنا، وهو عيانٌ لمن تتبّع هذا، ولأجل ذلك أوجَب المحقّقُون في أمثالِه حملَ الآية على كلِّ ذلك.

قالا[٣]: "فإن تنافي اجتماعُهما، ولم يمكن إرادتُهما باللّفظ الواحد، كالقُرء للحَيض والطُهر، اجتهدَ في المراد منهما بالأمارات الدالّة عليه، فما ظنُّه فهو مرادُ الله تعالى في حقّه، وإن لم يظهر له شيءٌ، فهل يتخيّر في الحمل على أيّهما شاء؟ أو يأخذ بالأغلَظ حكماً أو بالأخفّ أقوال؟ وإن لم يتنافيا وجبَ الحملُ عليهما عند المحقِّقين، ويكون ذلك أبلَغ في الإعجاز والفَصاحة، إلّا أن يدلَّ دليلٌ على إرادة أحدِهما"[٤] انتهى.

---

(١) "البرهان" النوع ٤١: معرفة تفسيره وتأويله، ٢/ ١٥٩، ١٦٠.

(٢) "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٥٦.

(٣) "البرهان" النوع ٤١: معرفة تفسيره وتأويله، ٢/ ١٦٧، ١٦٨.

(٤) "الإتقان" النوع ٧٨ في معرفة شروط المفسّر وآدابه، ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣.

وتقدّم[١] حديثُ أبي الدّرداء رضي الله عنه: «لا يفقه الرّجلُ كلَّ الفقه حتّى يرَى للقرآن وُجوهاً كثيرة»[٢]. وإنّ مقاتلاً ذكرَه مرفوعاً، وإنّ السُّيوطي نقل تفسيرَه: "أن يرَى اللّفظَ الواحدَ يحتمل مَعاني متعددةً فيحمله عليها، إذا كانت غيرَ متضادةٍ، ولا يقتصر به على معنى واحدٍ" انتهى.

فلو أراد القائلون القصرَ بطل الحملُ على الكلّ، خلافاً لما أطبقَ عليه المحقِّقُون. وقد أخرجَ سعيدُ بن منصور في "سُننه" وابنُ المنذر[٣] والبَيهقي[٤] في "كتاب الرُّؤية"[٥] عن سُفيان[٦] قال: "ليس في تفسير القرآن اختلافٌ، إنّما هو كلامٌ جامعٌ يراد به هذا وهذا"[٧]. قال السُّيوطي: "وقد جعلَ بعضُهم ذلك من أنواع

(١) أي: في فصل في العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٣٤.

(٢) "المرقاة" كتاب العلم، الفصل ٢، تحت ر: ٢٣٨، ١/ ٤٩٨.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الفاتحة، تحت الآية: ٦، ١/ ٤٠، نقلاً عن ابن المنذر عن سفيان.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الفاتحة، تحت الآية: ٦، ١/ ٤٠، نقلاً عن البَيهقي في "كتاب الرُّؤية" عن سفيان.

(٥) "كتاب الرؤية" للإمام البَيهقي، المتوفّى سنة ٤٥٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٦٣).

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣١٨.

(٧) أي: في "التفسير من سنن سعيد بن منصور" فضائل القرآن، سورة يونس، ر: ١٠٦١، ٥/ ٣١٢.
٥/ ٣١٢.

معجزات القرآن؛ حيث كانت الكلمةُ الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقلّ، ولا يوجَد ذلك في كلام البَشَر"[1] انتهى.

فهذا وجهٌ عامّ، وقد اندفعَ به ما ارتكبت "الرّسالةُ" في الجواب عن كريمة: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] حيث نقلتْ (ص٥): عن ابن جرير حملَ الكتاب على اللَّوح المحفوظ، ثمّ قالت (ص٦): "وعليه فلا تعلُّقَ للآيةِ بما نحن بصددِه، فتنبّه له"[2] انتهى.

ولم تدرِ أنْ لو أخل أمثال الأقوال في الاحتجاج بالقرآن على أحدِ وُجوهه، لزمَ -والعياذُ بالله- سقوطُ أكثر الكتاب العزيز عن درجة الاحتجاج، فليتَ شعري! ماذا أتت به حتّى أوصت بالتنبّه له، ثمّ نقلت متّصلاً به قولَ الإمام الرّازي: "في المراد بالكتاب قولان: الكتابُ المحفوظ والقرآنُ، وهذا أظهَر" -إلى أن قال-: "فوجبَ أن يكونَ المرادُ من الكتاب في هذه الآية القرآنُ"[3] انتهى. فتنبّه له ولنعُد إلى الكلام! هذا وجهٌ.

وأقول ثانياً: في خصوص ما نحن فيه، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

---

(١) "الإتقان" النوع ٣٩ في معرفة الوجوه والنظائر، ١/ ٢٨٣.

(٢) أي: في "غاية المأمول" هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة التي لدينا، فالباب ١، الوجه ٢، صـ٣١١.

(٣) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣١١، ٣١٢ ملتقطاً.

أخرجَ ابنُ أبي حاتم[١] وعبدُ بن حمَيد وابنُ المنذر عن مجاهدٍ في قوله: ﴿تَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: قال: "ما أُمروا به وما نُهوا عنه"[٢].

وأخرجَ ابنُ أبي حاتم أيضاً عنه قال: "لما ألقَى موسى الألواحَ بقيَ الهُدى والرّحمةُ، وذهب التفصيلُ"[٣]، فانظر كيف فسّرَ تفصيلَ كلِّ شيءٍ بالأوامر والنّواهي، كما فسّرَ به في حقّ القرآن أيضاً، رواه عنه ابنا جرِير[٤] والمنذر في قوله تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩]، فلو كان مرادُه الحصرَ لكان معنى قولِه: "ذهب التفصيل" أنّه "لما ألقَى موسى الألواحَ، ذهب الأمرُ والنّهي" وهذا لا يتوهّمه عاقل، وإذا ذهبَ الأمرُ والنّهيُ فأيُّ هُدى بقي؟!

بل المرادُ قطعاً ذكرُ خاصٍّ من بين عامّ؛ لأنّه أهَمّ؛ أو للاعتناء به؛ أو لأنّه مَبلغ علمِ أكثرِ النّاس؛ أو لأنّه أكبَر ما يعنيهم؛ أو تقريباً إلى أفهامِهم؛ أو اقتصاراً على الأوضَح الأظهَر ...إلى غير ذلك من وُجوه التخصيص بالذِّكر، فالذاهبُ تفصيلُ ما كان وما يكون، والباقي الأمرُ والنّهيُ، واللهُ هو الصّادقُ في قوله: ﴿تَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ومَن أصدَقُ من الله قيلاً!.

---

(١) أي: في "تفسيره" الأنعام، تحت الآية: ١٥٤، ر: ٨١١٦، الجزء ٤، صـ١٤٢٤، بطريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قوله: ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: "ما أُمروا به وما نُهوا عنه".

(٢) أخرجه مجاهدٌ في "تفسيره" سورة الأنعام، صـ٣٤٣، عن مجاهد.

(٣) أي: في "تفسيره" الأنعام، تحت الآية: ١٥٤، ر: ٨١١٥، الجزء ٤، صـ١٤٢٤، عن مجاهد.

(٤) أي: في "جامع البيان" الأعراف، تحت الآية: ١٥٠، ر: ١١٧٥٩، الجزء ٩، صـ٩٠، عن سعيد بن جبير.

بل الذَّهاب أيضاً عن الظَهر، أي: ذهبَ ستّةُ أسباعِ العبارات الحاملة لتفصيل ما كان وما يكون، وبقيَ السّبعُ الحامِل للأحكام والشّرائع، ولا ينافي ذلك بقاءَ التفصيل المذكور في بُطون التّوراة، كما هو موجودٌ في بُطون القرآن الكريم.

أخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عبّاس ﷺ قال: «أُعطي موسى التّوراة في سبعةِ ألواحٍ من زَبَرجَد، فيها تبيانٌ لكلّ شيءٍ وموعظةٌ، فلمّا جاء بها فرأى بني إسرائيلَ عكوفاً على عبادة العِجل، رمَى بالتّوراة من يدِه فتحطمت، فرفع اللهُ تعالى منها ستّةَ أسباعٍ وبقيَ سبع»[١].

في التّوراة بيانُ ما يكون إلى يوم القيامة

وأخرج الطبَراني في "الكبير"، والبَيهقي في "دلائل النبوّة"[٢] عن محمد بن يزيد الثَقَفي[٣] قال: "اصطحبَ قيسُ بنُ خرشة[٤] وكعبُ الأحبار، حتّى إذا بلغا صفّين وقفَ كعبٌ ثمّ نظرَ ساعةً ثمّ قال: «ليهراقنّ بهذه البقعة من دماءِ المسلمين شيءٌ لا يهراق ببقعةٍ من الأرض مثله» فقال قيسٌ: ما يدريك؟؛ فإنّ هذا من الغَيب الذي

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" الأعراف، تحت الآية: ١٤٥، ر: ٨٩٥٧، الجزء ٥، صـ١٥٦٣، عن ابن عبّاس. اللفظ لـ"الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٥، ٣/ ٥٤٩.

(٢) "دلائل النبوة" جماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده ...إلخ، باب ما روي في إخباره قيس بن خرشة ...إلخ، ٦/ ٤٧٦، عن يزيد بن أبي زياد الثَقَفي.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب الكمال" باب الميم، من اسمه محمد، ر: ٦٢٨٩، ١٧/ ٣٤٤، ٣٤٥.

(٤) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب القاف والياء، ر: ٤٣٤٢، قيس بن خرشة القَيْسيّ، ٤/ ٣٩٩.

استأثر اللهُ تعالى به! فقال كعبٌ: «ما مِن الأرض شِبرٌ إلّا مكتوبٌ في التَّوراة الذي أنزلَ اللهُ على موسى، ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة»[١].

قلتُ: وقد ماتَ كعبٌ قبل وقعةِ صفّين في خلافة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

مطلب: كان عند كعب الأحبار علمُ ما يكون إلى يوم القيامة

وأخرج ابنُ جرير عن كعبٍ أنّه "قال لعُمر رضي الله عنه: "يا أميرَ المؤمنين! لولا آيةٌ في كتاب الله تعالى، لأنبأتُك بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة" قال: وما هي؟ قال: قولُ الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾"[٢] [الرَّعد: ٣٩].

أقول: دلّ ذلك على أنّه من البُطون؛ لأنّ الفهمَ قد يُخطِئ، أمّا كتابُ الله فلا يتبدّل، لا مُبدِّلَ لكلمته، وهو السّميعُ العليم.

وثالثاً: لو أرادوا القصرَ لتَناقضوا وناقضوا أنفسَهم؛ وذلك لأنّ الآياتِ هنا خمسٌ: في الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، في يونس: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]، في يوسف: ﴿وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، في النّحل:

---

(١) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب القاف، من اسمه قيس، قيس بن خرشة القيسي، ر: ٨٧٨، ١٨/ ٣٤٥، ٣٤٦، عن محمد بن أبي زياد الثقفي.

(٢) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" الرعد، تحت الآية: ٣٩، ر: ١٥٥٣٦، الجزء ١٣، صـ٢٢٠، عن إبراهيم عن كعب الأحبار.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩]، في الإسراء: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢].

فأبو السعود في كتابه "إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم" قال في الآية الثالثة: "ما يحتاج إليه في الدِّين"(١). وفي الرّابعة: "﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يتعلّق بأمور الدِّين"(٢) وأنت تعلم أنْ ليس كلُّ متعلّقٍ بالدِّين محتاجاً إليه في الدِّين. وفي الثانية: "ما كتبَ وأثبت من الحقائق والشّرائع"(٣). وفي الأُولى: "أي: ما تركنا في القرآن شيئاً من الأشياء المهمّة"(٤). وفي الخامسة: "﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ تفتقرون إليه في المعاش والمَعاد سِوى ما ذكرَ مِن جعل اللّيل والنّهار آيتَين، وما يتبعه من المَنافع الدِينيّة والدُنيوية، فصّلناه تفصيلاً، بيّناه في القرآن الكريم بياناً بليغاً لا التباسَ معه، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾"(٥) انتهى. فالكلُّ متفاوتٌ لا سيّما الطرفَين فعلى طرفَي نقيضٍ.

والخازِنُ في "لُباب التأويل" قال في الآية الثانية: "يعني: وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام"(٦). وفي الرّابعة: "﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور

---

(١) "الإرشاد" سورة يوسف، تحت الآية: ١١١، ٤/ ١٨٦.

(٢) "الإرشاد" سورة النحل، تحت الآية: ٨٩، ٤/ ٣٧٢.

(٣) "الإرشاد" سورة يونس، تحت الآية: ٣٧، ٣/ ٥٠٠.

(٤) "الإرشاد" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٣/ ٤٤.

(٥) "الإرشاد" سورة الإسراء، تحت الآية: ١٢، ٤/ ٤١٠ ملتقطاً.

(٦) "لُباب التأويل" يونس، تحت الآية: ٣٧، ٢/ ٣١٦.

الدِّين"[١]. وفي الثالثة: "﴿تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه من الحلال والحرام والحدود والأحكام والقصص والمَواعظ والأمثال وغير ذلك مما يحتاج إليه العِبادُ في أمرِ دِينهم ودُنياهم"[٢]. وفي الخامسة: "﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ تفتقرون إليه من أمرِ دِينكم ودُنياكم، قد بيّناه بياناً شافياً واضحاً غيرَ ملتبِس"[٣] وفي الأُولى ما قدمّنا سابقاً: "أنّ القرآنَ مشتملٌ على جميع الأحوال"[٤].

والجلالُ السُّيوطي في الرّابعة: "﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه النّاسُ من أمرِ الشّريعة"[٥]. وفي الثالثة: "﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدِّين"[٦]. وفي الثانية: "ما كتبه كتبه اللهُ تعالى من الأحكام وغيرها"[٧]. وفي الخامسة: "كلّ شيءٍ يحتاج إليه"[٨].

---

(١) "لُباب التأويل" النحل، تحت الآية: ٨٩، ٣/ ١٣٩.

(٢) "لُباب التأويل" يوسف، تحت الآية: ١١١، ٣/ ٥١.

(٣) "لُباب التأويل" الإسراء، تحت الآية: ١٢، ٣/ ١٦٨.

(٤) "لُباب التأويل" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٢/ ١٥.

(٥) أي: في "تفسير الجلالَين" النحل، تحت الآية: ٨٩، صـ٢٢٤.

(٦) أي: في "تفسير الجلالين" يوسف، تحت الآية: ١١١، صـ٢٠٠.

(٧) أي: في "تفسير الجلالين" يونس، تحت الآية: ٣٧، صـ١٧٤.

(٨) أي: في "تفسير الجلالين" الإسراء، تحت الآية: ١٢، صـ٢٣١.

و"الجملُ" في الرّابعة أقرَّ المتن[١]، وقال في الخامسة: "﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه، أي: في الدِّين والدُّنيا فصّلناه حقّاً على الوجه الذي لا مزيدَ عليه"[٢]. وفي الثانية: "ما كتبه اللهُ، أي: في اللَّوح المحفوظ"[٣].

والكَرخي[٤] مثلَه فإنّه نقلَ الكلامَين في الرّابعة والخامسة عنه.

و"الكشّافُ"[٥] قال في الثانية: "ما كتب وفرضَ من الأحكام والشّرائع[٦].

وفي الثالثة: "﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه، أي: في الدِّين"[٧]. وفي الرّابعة: "﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدِّين"[٨]. وفي الخامسة: نحوَ[٩] ما يأتي[١٠] لـ"البَيضاوي" و"المدارِك" مثله

---

(١) أي: في "الفُتوحات الإلهيّة" النحل، ٤/ ٢٦١.

(٢) أي: في "الفُتوحات الإلهيّة" الإسراء، ٤/ ٣٠١ ملتقطاً.

(٣) أي: في "الفتوحات الإلهيّة" يونس، ٣/ ٣٦٠.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٢٠٧.

(٥) "الكشّاف عن حقائق التنزيل": للإمام العلّامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمَخشري الزَّمَخشري الخوارزمي، المتوفّى سنة ٥٣٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤٠٣).

(٦) "الكشّاف" يونس، تحت الآية: ٣٧، ٢/ ٣٣٠.

(٧) "الكشّاف" يوسف، تحت الآية: ١١١، ٢/ ٤٨١.

(٨) "الكشّاف" النحل، تحت الآية: ٨٩، ٢/ ٥٨٦.

(٩) "الكشّاف" الإسراء، تحت الآية: ١٢، ٢/ ٦١٠.

(١٠) انظر: صـ٢٦٧.

في الكلّ. وقال في الأُولى: "﴿الْكِتَابِ﴾: القرآنُ، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أيُّ شيءٍ يحتاجون إليه، فهو مشتملٌ على ما تعبّدنا به، عبارةً وإشارةً ودلالةً واقتضاءً"[1] انتهى. فهذا بالإطلاق في شيءٍ يحتاجون إليه مثل الخامسة، وإن قيّد بما بعده فمثل الثالثة.

و"البَيضاوي" في الأُولى[2] والثالثة: "ما يحتاج إليه في الدِّين"[3]. وفي الرّابعة: الرّابعة: "﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدِّين"[4]. وفي الخامسة: "﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ تفتقرون إليه في أمر الدِّين والدُّنيا، بيّناه بياناً غيرَ ملتبسٍ"[5].

وتفاوت ألفاظهم التي ذكرنا لا يخفى على الذَّكي، ولا شكَّ أنّ بعضَها أشمَل من بعض، فلو أرادُوا القصرَ لزمَ التناقُض، ولو قيل: اقتصروا في البعض وهو الأكثَر على بعض المتناولات، فما المانعُ عنه في الكلّ، فاعرفْ وافهمْ، والله تعالى أعلَم.

فصل: قائلو الخصوصِ قد اعترفوا بالعُموم، وإن لم ينتبهوا له

ظهرَ لك -ولله الحمد- أنّ نسبةَ القَول بالتخصيص، إنّما تصحّ إلى مَن أفصَح بنفي العموم، وما هُم إلّا قليلٌ من المتأخّرين، كالواحدي والإمام الرّازي، وما النيشافوري إلا ملخِّص كلامِه، كما هو موضوعُ كتابه، فيما عدا الأوقافِ والقراءات والتأويل.

---

(١) "المدارِك" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ١/ ٣٦٣.

(٢) "أنوار التنزيل" الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ١/ ٤٨٨.

(٣) "أنوار التنزيل" يوسف، تحت الآية: ١١١، ٢/ ١٩٤.

(٤) "أنوار التنزيل" النحل، تحت الآية: ٨٩، ٢/ ٢٧٦.

(٥) "أنوار التنزيل" الإسراء، تحت الآية: ١٢، ٢/ ٢٩٤.

وأنا أقول: أجرَى اللهُ سبحانه على لسانهم ما لو فتّشوه لعَرفوا، إنّهم بالعموم قد اعترفوا، وذلك أنّ الإمامَ الرّازي ﵀ حطَّ كلامَه على أنّ المرادَ تبيانُ كلِّ شيءٍ يتّصل بالدِّين وتفصيلُه، فقال تحت الرّابعة: "علومُ الدِّين: الأصولُ والفُروعُ"[1] وإيّاه أفادَ تحت الأُولى. وقال في الثالثة: "سائرُ ما يتّصل بالدِّين"[2]، وقد فصّل العلومَ الدِينيّة تحت الآية الثانية فقال: "تحقيقُ الكلام أنّ العلومَ دِينيّةٌ أو ليست دِينيةً، والأوّلُ أرفَع حالاً، والدِينيّةُ: علمُ العقائد والأعمال، أمّا علمُ العقائد فمعرفةُ الله تعالى وملائكتِه وكتبِه ورُسُلِه واليومِ الآخِر، أمّا معرفةُ الله تعالى فمعرفةُ ذاتِه، وصفاتِ جلالِه، وصفاتِ إكرامِه، ومعرفةِ أفعالِه، وأحكامِه، وأسمائِه. وعلمُ الأعمال: إمّا علمُ الفِقه، وإمّا علمُ تصفيةِ الباطن"[3] ...انتهى ما قسّم. وقد اندرجَ -ولله الحمد- فيما ذكرَ علمُ كلِّ موجودٍ مما كان أو يكون.

مطلب: علمُ كلِّ شيءٍ مطلقاً من علم الدِّين وبيانُ أقوال الخلفاء الأربعة فيه ﵃

ففي كلِّ ذرّةٍ ذرّةٍ آياتٌ باهرةٌ على وجودِه -عزّ اسمُه- وعلى علمِه وعلى قدرتِه وعلى حكمتِه، وكلُّ شيءٍ في العالَم مَظهرٌ لصفةٍ من صفاتِه، أو اسمٍ من أسمائِه -جلّت آياتُه-، ففي علمِ كلِّ شيءٍ علومٌ جمّةٌ من علومِ ذاتِه وصفاتِه وأسمائِه وأفعالِه،

---

(١) أي: في "التفسير الكبير" النحل، تحت الآية: ٨٩، ٧/ ٢٥٨ بتصرّف.

(٢) أي: في "التفسير الكبير" يوسف، تحت الآية: ١١١، ٦/ ٥٢٣.

(٣) أي: في "التفسير الكبير" يونس، تحت الآية: ٣٧، ٦/ ٢٥٣ ملتقطاً.

وقد اعترفتم أنّ هذا من الدِّين، وهو كذلك قطعاً لمن علمَ شيئاً ما لا لذاتِه، أو لذاتِه أو غير ذلك من صفاتِه مما لا وجهَ له إلى الله تعالى؛ بل لأنّه شيءٌ، أي: مشيءٌ لخالِقه ﷻ، والفَرقُ بالدِينيّة وغيرها إنّما هو في اللّحاظ الأوّل، وهو لحاظ الغافِلين.

أمّا العارفُ فلا ينظر إلى شيءٍ إلّا بوجهِه الذي هو مرآةٌ به لخالقِه وصفاته، وأسمائه وأفعالِه، وذلك قولُ سادتِنا أمراء المؤمنين: الفاروق الأعظَم، والغني ذِي النّورَين، والمولى المرتضَى رضي الله تعالى عنهم: "ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ اللهَ معه، ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ اللهَ فيه، ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ اللهَ بعدَه"، أمّا قولُ أفضَلهم وأكمَلهم أمير المؤمنين الصدّيق رضي الله تعالى عنه: "ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ اللهَ قبلَه". فأدخَلُ في المقصود؛ فإنّه لم يأتِ على شيءٍ إلّا من جانب الحضرة الإلهيّة.

وقد قال الإمامُ الرّازي نفسُه في صدرِ "تفسيرِه الكبير": "لا ذرّةَ من ذرّاتِ العالَمِ الأعلى والأسفَل إلّا وتلك الذرّةُ شاهدةٌ بكمال ألهيّته، وبعزّةِ عزّتِه، وبجلالِ صمَديّته، كما قيل:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنّه واحد"[1] ...إلخ

وكفانا قولُ ربّنا: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصّلت: ٥٣].

وقولُه -جلّ ذكرُه-: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

---

(١) "التفسير الكبير" الفاتحة، تحت الآية: ٦، ١/ ٢٦.

وقولُه -تعالى شأنه-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقولُه -عزّ مجدُه-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْـمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

والقرآنُ الكريم مشحونٌ بأمثال الآيات في تذكير الآيات في صُنوف المخلوقات، وقد قال الرّازي تحت هذه الآية: "كلُّ مَن كان أكثَر توغُّلاً في بِحار مخلوقاتِ الله تعالى، كان أكثر علماً بجلال الله تعالى وعظمته"(١) ...انتهى.

قلتُ: وهذا هو سرُّ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْـمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

فثبت أنّ علمَ كلِّ شيءٍ بهذا الوجه من الدِّين، وقد اعترفتم أنّ القرآنَ محتوٍ على كلِّ علمٍ يتّصل بالدِّين، فوجبَ أن يكونَ محتوياً على علمِ كلِّ شيءٍ، ويكون تفصيلَ كلِّ شيءٍ، ويكون تبياناً لكلّ شيءٍ، كما قد قال وهو الصّادقُ المصدوق في كلّ ما قال، ولله الحمد!.

---

(١) "التفسير الكبير" البقرة، تحت الآية: ١٦٤، ٢/ ١٥٤.

علمُ كلِّ ذرّةٍ محتاجٌ إليه في الدِّين، لا يُغني علمُ شيءٍ عن علمِ شيءٍ

ثمّ أقول: بل له ﷺ في كلّ ذرّةٍ، وكلِّ حالةٍ، لكلِّ ذرّةٍ حكمةٌ تخصّها؛ فإنّ كلَّ ذرّةٍ مختصّةٌ بمكانٍ ليس لغيرها، وتخصيصُ هذا بهذا وذاك بذاك ليس جزافاً، حاش لله! بل لا بدَّ له من حكمةٍ بالغةٍ خاصّةٍ لا توجَد في غيرها، وكذلك القولُ في الأحوال المعتورة في الأزمِنة المختلفة. وكذلك كلُّ شَعرةٍ في بدنِ كلِّ حيوانٍ، وكلُّ ورقةٍ في كلّ شجرةٍ تخالف الأخرى، طُولاً أو عَرضاً أو ثخناً أو لَوناً ...إلى غير ذلك من الأوصاف، ولا أقلّ من الاختلاف في محالها من البدن والشّجر، وكلُّ ذلك لحكمةٍ تخصّها يتوقّف معرفتُها على معرفةِ ذلك الشّخص بخصوصِه وأحوالِه الخاصّة به، مع سائر الأشخاص وأحوالها المخصوصة بها، وقِس عليه كلَّ حادثةٍ، فليس علمُ شيءٍ من الذرّات والشَّعرات والوَرقات، وبالجملة شيءٌ من الحادثات مُغنياً عن علمِ غيره، ومَن لم يعرف بعضَها فقد انتقصَ من علمِه بالله تعالى وبصفاتِه وأسمائِه وحِكمِه وأفعالِه بذلك القدر، فعلمُ كلِّ ذرّةٍ وشَعرةٍ ووَرقةٍ وحالةٍ وحادثةٍ تحتاج إليه في الدِّين، وهذا أخصُّ ما أتَوا به من العبارات، وقد ثبتَ -بحمد الله تعالى- تناولُه علمَ كلّ ما كان وما يكون، فثبتَ أنّ القائلين بالخصوص قائلون بالعموم من حيث لا يَشعرون، ذلك من فضلِ الله علينا وعلى النّاس ولكن أكثرَ النّاسِ لا يشكرون! ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النّمل: ١٩]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. والحمد لله ربّ العالمين! وصلّى الله تعالى على حبيبه وآله أجمعين.

تنبيه: يجب التنبّهُ له

الحمد لله! مجرّد هذا البيان يُغنيك عن كلِّ بُرهان، ولو لم يكن في كتابي إلّا هذا الذي ألهَمَني ربّي، لكان ناهِيك وحسبِي! ومَن مضَى ولم يقع هذا في فكرِه، فهو معذورٌ في أمرِه، أمّا الآن، مَن يسمع هذا التبيان، ثمّ يجمد على الخصوص، وتحويلِ معنى النّصوص، فإنّه يُقِرّ أنّ القرآنَ عارٍ من ألوفِ آلافِ ألوفِ مؤلّفةٍ من العلوم الدِينيّة المهمّة المحتاج إليها في الدِّين، فإذَن كيف يصحّ له التصديقُ بقوله تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩]، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وإنّه يُقِرّ أنّ محمّداً ﷺ حجبَ عن ألوفِ مؤلّفةٍ لا تعد ولا تحصَى من مَعارف ربِّه الحاضرة الموجودة في الدّنيا، فأنّى يصحّ لذاك القائلِ التخلُّص من لُزوم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا[1] لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] -معاذ الله!- للنّبي ﷺ؛ فإنّ الغفلةَ صادقةٌ على عدم العلم، قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦] أي: "لا نعلم ما هي؟"[2] انتهى "مَعالِم". وهذا أن لا يرضَى بشيءٍ

---

(١) ليس المرادُ آيات الكتاب لقوله تعالى قبلَه: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾، والغفلةُ عن أيّةِ آيةٍ كانت نقصاً، والعلم بالبعض ثابتٌ لأكثر النّاس، فكان المشركون إذا رأَوا ريحاناً مونقاً أو شيئاً معجباً قالوا: سبحان الله! ولئن سألتَهم مَن خلقَ السّماوات والأرض وسخّر الشّمسَ والقمرَ؟ ليقولنّ: الله. فافهم! منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) "المعالم" الأنعام، تحت الآية: ١٥٦، ٢/ ١٤٣.

منهما أحدٌ من المسلمين، فالحذر الحذر! خُذ حذرَك ولا تكن من الغافلين! وحسبُنا الله ونعمَ الوكيل، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العلي العظيم!.

فائدة جليلة

فيما حمل بعضُ المتأخّرين على التخصيص

أقول: بل يظهر لي -والله تعالى أعلم- أنّ هؤلاء المتأخّرين مالوا إلى التخصيص على دَيدَنهم في التقريب إلى فهم العوام؛ فإنّه شيءٌ عهدناه عنهم في غيرما مقام، في التفسير والكلام.

ألا ترى أنّهم لما ابتلوا بالمشبّهة وسَرى كلامُهم في العوام، ومالت نُفوسٌ إلى التفتيش والاقتحام، صرفوا أذهانَهم إلى تأويل المتشابهات حفظاً لِدينهم عن تلك الترهات، مع علمِهم بأنّ مذهبَ السَّلَف الصّالح هو الإيمانُ بلا تكييف، وتفويضُ العلم إلى الخبير اللّطيف ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

يفترض التنبّهُ على هذا

وكذلك لما قالت المعتزلةُ بحُدوث القرآن الكريم -والعياذُ بالله تعالى- واحتجّوا بأمثال قولِه ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [الزخرف: ٣] وقولِه تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، ولم يقدروا أن يُرشِدوا العامّةَ إلى الفَرق بين المتجلّي وكسوةِ التجلّي؛ لأنّه وراءَ طَور عقولِهم، عبّروا عنهما بكلامَين: لفظيٍّ ونفسيٍّ، وإنّ اللّفظيَّ حادثٌ مع علمِهم بأنّه قولٌ مستحدَثٌ لا أثرَ له في السَّلَف الصّالح، وأنّه موافِقةٌ للمعتزلة على مرادِهم؛ فإنّهم لا يقولون بالنّفسي، إنّما يزعمون حدوثَ هذا اللّفظي، فلو كان هذا حقّاً لم يقع

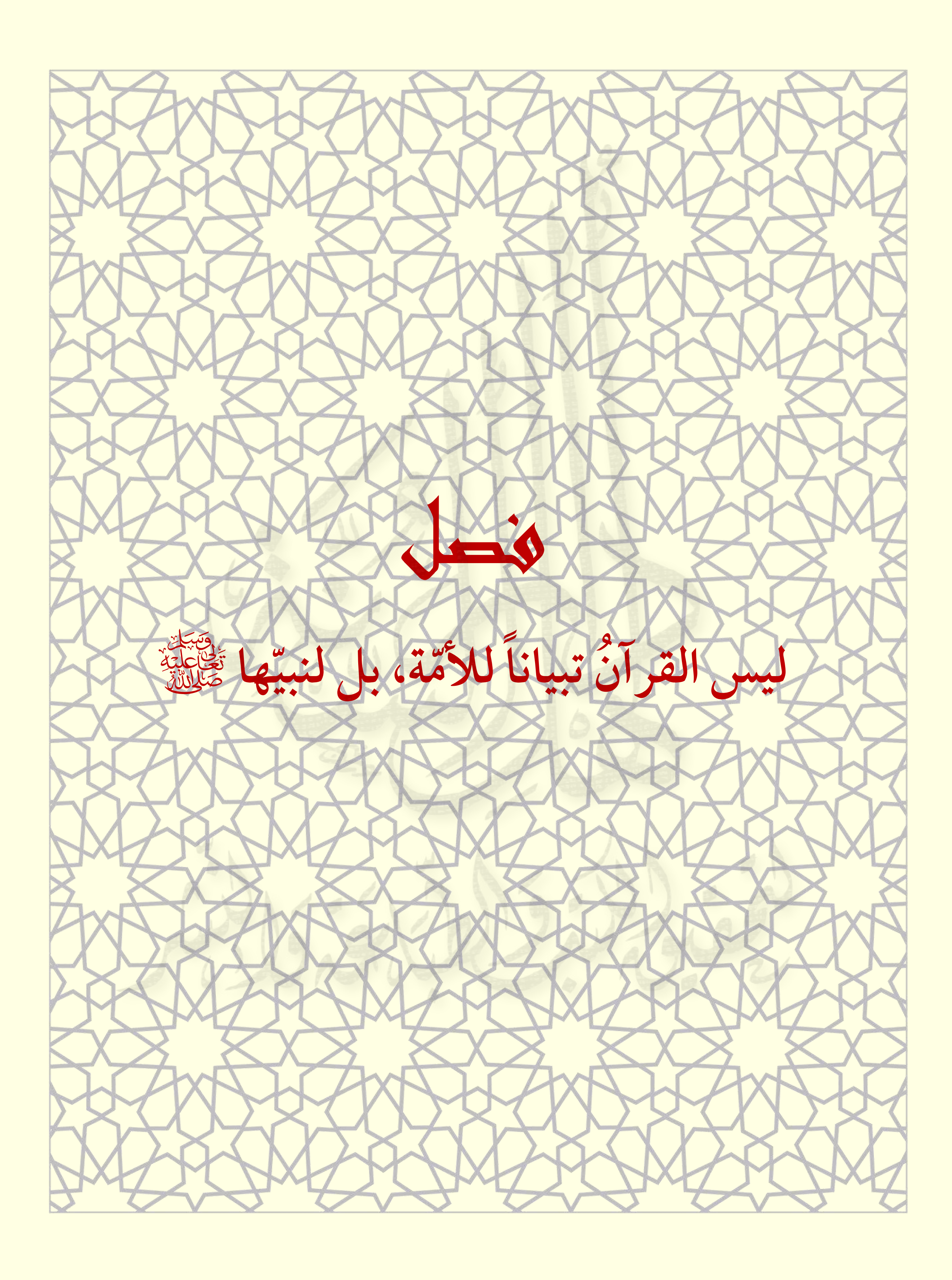
تكفيرُهم من الصّحابة والتابعين وأئمّة الدّين، ولم يحلّ للأئمّة مثل سَيف السنّة أحمد وغيره بذلُ المهج على إنكار قولٍ صحيح، ومعلومٌ ما قام على الإمام البخاري لما أشِيع منه "أنّ اللفظيَّ بالقرآن مخلوقٌ" وقد تبرّأ منه، فهذا كلُّه دليلٌ قاطعٌ على بُطلان هذا التقسيم، بل اللهُ واحدٌ، وكلامُه واحدٌ، وليس شيءٌ من القرآن مخلوقاً، كما بيّنه الإمامُ العارف بالله تعالى سيّدي عبد الغني النّابلُسي في "المَطالب الوفيّة"[١]، وذكرتُ طرفاً منه في كتابي "المعتمَد المستنَد"[٢]، ثمّ أفردتُ فيه رسالةً كافيةً كافلةً -بتوفيق الله تعالى- سمّيتُها "أنوار المنّان في توحيد القرآن"، يجب الاعتناءُ بها على كلِّ مسلمٍ، ففيها حفظُ الدِّين، وإبانةُ الحقّ المبين، والحمد لله ربّ العالمين!.

كذلك لما رأَوا أنّ اشتمالَ القرآن، على كلّ كائنٍ وما كان، مما لا تتصوّره عامّةُ الأذهان، صرفُوا وهلَهم، إلى ما يسهل الأمرُ لهم، فتارةً قالوا: "المرادُ ما يحتاج إليه من أمور الدُّنيا والدِّين"، وتارةً قصرُوا على "ما يتّصل بالدِّين المتين"، وأُخرى خصّوا بـ"الأصولِ والفُروعِ العقائدَ والأعمالَ"، وأُخرى قالوا: "ما أُمروا به ونُهوا عنه من عند ذي الجلال"، ثمّ احتالوا بالإحالة على السنّة والإجماع والقياس، مع علمهم بأنّ ذلك ردٌّ لشمس الظهيرة إلى نبراس، ثمّ لم يتركوا الحقَّ، وإنّما هوّنوا اللفظَ على السّامع، فعبّروا بما إذا نقرَ ونقح، رجعَ إلى الحقّ النّاصع كما علمتَ، ولله الحمد وإليه الصمد، وبه يزول اللَّوم عن كلمات القَوم، فعليك بذاك، واللهُ يتولّى هُدايَ وهُداك!.

---

(١) "المطالب الوفية" قـ٧٦-٧٨، و١٠٦، ١٠٧.

(٢) "المعتمد المستند" تحقيق شريف نفيس في كلام الله تعالى وأنّه واحد ...إلخ، صـ٥٨.



فصل

ليس القرآنُ تبياناً للأمّة، بل لنبيّها ﷺ


أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

فصل

ليس القرآنُ تبياناً للأمّة، بل لنبيِّها ﷺ

اعلمْ يا أخي! -حماني اللهُ وحماك، وإلى تعظيم كلامِه ونبيِّه هَداني وهداك! أنّ علّةَ مَن كان يدّعي منهم الخصوصَ حقيقةً ويَنفي العمومَ، حملُهم الآياتِ على أنفسِهم(١)، أي: قدر ما تبلغ إليه أفهامُهم من مَعاني كلام الله ﷻ، هو الموصوفُ بأنّه لم يفرّط فيه من شيءٍ، وأنّه تفصيلُ كلِّ شيءٍ، وأنّه تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، ثمّ لا يرَون فيه إلّا ما نسبتُه إلى كلِّ شيءٍ كنسبةِ حبّةِ رَملٍ إلى رِمال القفار بل أقلّ، أو أدنَى بَلَلٍ إلى أُلوف آلافٍ من البِحار بل أذَلّ، فيضطربون ويضطرّون إلى تقييدات، ويذهبون كلَّ مذهبٍ في التضييقات، يَرومون الخلاص، ولاتَ حينَ مَناصٍ كما سترى -بتوفيق الله العليّ الأعلى-، فأخطئوا من وجهَين: (١) ظنُّ التبيان المحيط لهم، وإنّما هو لمحمدٍ ﷺ، (٢) ثمّ التماسُه في قدر ما لهم من ظاهر الظهر، وإنّما هو في بُطونه المحجوبة عنها أنظارُ الأمم، إلّا مَن شاء تعالى، وعلّمه المصطفى مِن علمِه الأخفى، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ

---

(١) ورحم الله النيشابوري حيث لم يجزم به، وإنّما ترجّى في غير مترجَى، فقال: "لعلّ التبيانَ إنّما هو للعلماء خاصّة، والهُدى لجميع الخَلق" ...إلخ ["غرائب القرآن" النَّحل، الجزء ٨، صـ٥٣] منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

﴿الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤]. ولو تأمّلوا القرآنَ الكريم وأحوالَ سَلَف الأمّة وأقوالهم، لأيقنوا أنّ القرآنَ العظيم ليس تبيانَ كلِّ شيءٍ لهم.

فأقول وبالله التوفيق: **(١)** قال الله تعالى ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل: ٤٤]. فلو كان تبياناً لهم، لما احتاجوا إلى بيان المبين وتحصيل الحاصل، ولا إلى التفكُّر بعد ذلك؛ فإنّ التبيانَ لا يُبقي خفاءً يحوج إلى آخر، وفكر وبها عثر، وقد قال العلّامةُ سعدُ التفتازاني في "حاشيته على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب"[١]: "تبيانُ المبين مُحال"[٢] انتهى.

وقال -عزّ اسمُه-: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]، أخرج البخاري ومسلمٌ[٣] والترمذي[٤] والنَّسائي[٥] وكثيرون عن ابن عبّاس ﵄:

(١) "حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب": للعلّامة سعد الدّين التفتازاني، المتوفّى سنة ٧٩٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٦٨٤).

(٢) "حاشية التفتازاني على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب" مسائل المباح، ٢/ ٣٢٨.

(٣) أي: في "الصحيح" كتاب الصّلاة، باب الاستماع للقراءة، ر: ١٠٠٤، صـ١٨٨، عن ابن عبّاس.

(٤) أي: في "السنن" أبواب التفسير، [باب] ومن سورة القيامة، ر: ٣٣٢٩، صـ٧٦٠، عن ابن عباس. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٥) أي: في "السنن" كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، ر: ٩٣١، الجزء ٢، صـ١٦٠، ١٦١، عن ابن عبّاس.

«﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ علينا أن نبيّنه بلسانك[1]»[2].

أقول: مِن لطائف إشاراتِ القرآن الكريم، لما ذكرَ كونَه تبياناً لكلّ شيءٍ، قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾، ولما أمرَ نبيَّه ﷺ بالتبيين قال: ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إنّ القرآنَ نزل ليبيّنَ كلَّ شيءٍ لحبيبه ﷺ، ولم يؤمُر منه بالتبيين للنّاس، إلّا قدرَ ما أمرَ بتبليغه لهم.

ورضي اللهُ تعالى عن سيّدي الإمام الأجلّ صدر الدّين القونوي -قدّس سرّه القوي- إذ قال في "إعجاز البيان في تفسير القرآن": "فليس يخرج شيءٌ من حُكم

---

(١) **أقول**: وبه ضعفَ قولُ مَن قال كالبَيضاوي: "بيانُ ما أشكل عليك من مَعانيه، وهو دليلٌ على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب" ...انتهى [أي: في "أنوار التنزيل" القيامة، تحت الآية: ١٩، ٣/ ٤٧٣]، على أنّه لا يخالفنا فلَسنا نقول: "إنّ كلَّ آيةٍ تبيانٌ لكلّ شيء"، فجاز أن يشكلَ عليه ﷺ بعض ما في آية، ثمّ تنزل أخرى فتبينه كما قال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [النِّساء: ١٥] فلا يبيّن السبيل. فلمّا نزلت الحدودُ قال ﷺ: «خذوا عنّي، خذوا عنّي، قد جعل الله لهنّ سبيلاً» الحديث المروي لمسلم [أي: في "الصحيح" كتاب الحدود، باب حد الزنى، ر: ٤٤١٤، صـ٧٤٩] والأربعة [أي: أبو داود في "السنن" كتاب الحدود، باب في الرجم، ر: ٤٤١٥، صـ٦٢١، والترمذي في "السنن" أبواب الحدود، باب ما جاء في الرجم على الثيب، ر: ١٤٣٤، صـ٣٤٨، وابن ماجه في "السنن" كتاب الحدود، باب حد الزنا، ر: ٢٥٥٠، صـ٤٣٣] إلّا النَّسائي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، حتّى إذا تمّ نزولُ القرآن أتمّ اللهُ له البيانَ، كما سيأتي آنفاً في الكتاب [أي: "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٥، صـ١٧٦، ١٧٧] منه [من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التفسير، باب ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، ر: ٤٩٢٩، صـ٨٧٨، عن ابن عباس.

مقامِه وقبضتِه ﷺ، ولكن سرَّ قولِه تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: ٤٤] ولم يقل: "ما نزّل إليك"، ولا "كلّ ما أنزِل عليك" وغير ذلك من الإشارات الإلهيّة، والحكمُ منعٌ من التصريح بها هنالك"[١] انتهى.

وفي "الإبريز الشّريف": "هو ﷺ لم يعطِ لأمّته الشّريفة القرآنَ إلّا بقدر ما يطيقونه ويعرفونه من الأمور الظاهرة التي يفهمونها، ولم يعطِهم القرآنَ بجميع أسرارِه وأنوارِه، وأنوارِ الأسماء التي فيه، ولو كان أعطاهم ذلك بأنوارِه، لما عصَى أحدٌ من أمّته الشّريفة، ولَكانوا كلُّهم أقطاباً"[٢] ...انتهى.

وفيه أيضاً: "سمعتُه رضي الله تعالى عنه يقول: إنّ الأسرارَ والأنوارَ التي في القرآن، والمقامات التي انطوَى عليها، والأحوال التي اشتمل عليها، لا يطيق تحمّلَها إلّا ذاتُ النّبي ﷺ، وذلك لقوّةٍ خصّ اللهُ بها الذاتَ الشّريفة"[٣] ...انتهى.

الآيات القُرآنيّة

فوا عجبا! ممن يسمع قولَه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩]، فيجعله "نزّلنا إليكم الكتابَ تبياناً لكلّ شيء".

(٢) قال عزّ جلاله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦]، أخرج الإمامُ الحكيم الترمذي عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النّبي ﷺ قال: «أتاني جبريلُ آنفاً فقال: إنّا لله

---

(١) "إعجاز البيان" مقدمة المؤلف، صـ١١ ملتقطاً.

(٢) "الإبريز" الباب ٦ في ذكر شيخ التربية، حملة القرآن شيخهم النبي ﷺ، ٢/ ١٧٨.

(٣) "الإبريز" الباب ١ في الأحاديث التي سئل عنها، ١/ ٣٠٢ ملتقطاً وبتصرّف.

وإنّا إليه راجعون! قلتُ: أجَل، إنّا لله وإنّا إليه راجعون! فممَّ ذلك يا جبريل؟ قال: إنّ أمّتَك مفتتنةٌ بعدك بقليلٍ من الدّهر غير كثير، قلتُ: فتنةُ كفرٍ أو فتنةُ ضلالةٍ؟ قال: كلُّ ذلك سيكون، قلتُ: ومِن أين ذاك وأنا تاركٌ فيهم كتابَ الله؟ قال: بكتاب الله يضلّون»[١].

وعن هذا ترى الفِرقَ الضالّة، كالمعتزلة، والقَدريّة، والجَبَريّة، والخوارج، والرّافضة، والمجسِّمة والمشبِّهة والوهابيّة وغيرهم، يتعلّقون في ضلالاتهم بآياتِ الكلام المجيد، ولو كان تبيانَ كلِّ شيءٍ للنّاس، لما ساغت بدعةٌ! وانحصر النّاسُ في مؤمنٍ وكافرٍ، لا يقبل القرآنَ جهاراً.

ولذا أرشدَ الإمامان النّاصحان أمير المؤمنين عمر الفاروق وعلي المرتضى ﵄ أن يؤخذَ المبتدعون بالأحاديث، ولا يجادَلون بالقرآن؛ لأنّه ذُو وُجوهٍ.

أخرج الدّارمي وغيرُه[٢] عن عُمر ﵁ قال: «إنّه سيأتيكم ناسٌ يجادِلونكم

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" الأصل ١٦٥، ر: ٩٠٨، الجزء ٤، صـ١٨١، ١٨٢، عن عمر بن الخطاب ﵁.

(٢) مثل نصر المقدسي في "الحجّة" [أي: في "مختصر الحجّة على تارك المحجة" جُماع أبواب النهي عن الكلام والأهواء والبِدع، باب مناظرة من هذه سبيله، ر: ٦٥٤، صـ٦٤٧] واللالكائي في "السنّة" [أي: في "شرح السنة" باب سياق ذكر من رسم بالإمامة في السنة، سياق ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل البدع ... إلخ، ر: ٢٠٢، ١/ ١٣٩] وابن عبد البرّ في "العلم" [أي: في "جامع بيان العلم وفضله" باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه، ر: ١٩٢٧، ٢/ ١٠١٠] وابن أبي زمنين في "أصول السنّة" [باب في الحض على لزوم السنة واتباع =

بشُبهات القرآن، فخُذوهُم بالسُّنن؛ فإنّ أصحابَ السُّنن أعلَمُ بكتاب الله»[١] ورواه اللالكائي[٢] في "السنّة[٣]"[٤] والأصبهاني[٥] في "الحجّة[٦]"[٧] عن علي ﷺ بمعناه[٨].

=

الأئمّة، ر: ٧، صـ٥٠] والدارقُطني والأصبهاني في "الحجّة" [فصل في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدالهم ...إلخ تحت ر: ١٦٩، ١/ ٣١٣] وابن النجّار [انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ١ في الإيمان والإسلام من قسم الأفعال، الباب ٢ في الاعتصام بالكتاب والسنّة، ر: ١٦٣٠، ١/ ١٩٤، نقلاً عن ابن النجّار] منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، ر: ١١٩، ١/ ٦٢، عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٣٩٢.

(٣) أي: "شرح السنة": للحافظ أبي القاسم هبة الله الطبري اللالكائي، المتوفّى سنة ٤١٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٧٢).

(٤) أخرجه اللالكائي في "شرح السنة" باب سياق ذكر من رسم بالإمامة في السنة، سياق ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل البدع ...إلخ، ر: ٢٠٣، ١/ ١٣٩، عن علي ﷺ.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ١٧٣.

(٦) "الحجّة في بيان المحجة": للشيخ الإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، المتوفّى سنة ٥٣٥هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٩٢).

(٧) أخرجه الأصبهاني في "الحجّة" فصل في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدالهم ...إلخ، تحت ر: ١٦٩، ١/ ٣١٣، عن علي ﷺ.

(٨) لفظه: «سيأتي قومٌ يجادلونكم، فخُذوهم بالسُّنن؛ فإنّ أصحابَ السُّنن أعلَم بكتاب الله». منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

وأخرج ابنُ سعد في "الطبَقات" من طريق عكرمة عن ابن عبّاس ﵄ أنّ عليَّ بن أبي طالب -كرّم الله تعالى وجهَه- أرسلَه إلى الخوارج فقال: «اذهبْ إليهم فخاصِمهم! ولا تحاجِجهم بالقرآن!؛ فإنّه ذُو وُجوه، ولكن خاصِمهم بالسُنّة!»[١].

وأخرج أيضاً من طريق عمران بن مناح[٢] أنّ ابن عبّاس ﵄ قال: «فأنا أعلَمُ بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل! قال صدقتَ، ولكن القرآنَ حمّالٌ ذُو وُجوهٍ، تقول ويقولون، ولكن حاجِّهم بالسُنّة؛ فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً» فخرجَ إليهم فحاجَّهم بالسُنّة، فلم يبقَ بأيدِيهم حجّةٌ[٣].

---

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات" الطبقة ٥ في من قبض رسول الله ﷺ ...إلخ، ر: ٩١، ١/ ١٨٠، ١٨١، عن عكرمة عن ابن عبّاس.

(٢) لعلّه موسى بن عمران بن مناح، كما قال الإمام زين الدّين العراقي: "قلتُ: ووجدتُ عن أبي محمد يربوع أنّه قال: قال لي أبو علي الغساني: هو موسى بن عمران بن مناح، وكذا ذكره الدارقُطني في "العِلل" وصحّح له حديثاً، وهو من رواية إسماعيل بن أسد عن موسى بن عمران بن مناح عن أبان بن عثمان". وقال الإمام ابن حجر العَسقلاني: " موسى بن عمران بن مناح عن أبان بن عثمان، ليس بمشهور. قلت: ذكره ابن حِبّان في "الثِقات" هكذا، وذكر في الطبقة أيضاً". ("ذيل ميزان الاعتدال"حرف الميم، ر: ٧٠٩، صـ١٩٨. و"تعجيل المنفعة" حرف الميم، ذكر بقية حرف الميم، ر: ١٠٨٢، ٢/ ٢٩١ملتقطاً).

(٣) أخرجه ابن سعد في "الطبقات" الطبقة ٥ في من قبض رسول الله ﷺ ...إلخ، ر: ٩٢، ١/ ١٨١، عن ابن عباس.

وأخرجَه ابنُ زمنين[١] في "أصول السُنّة"[٢] عن يحيى بن أُسَيد[٣] مختصراً، أنّ علي بن أبي طالب ﵁ أرسلَ عبدَ الله بن عبّاس ﵄ إلى أقوامٍ خرجوا، فقال له: «إن خاصَمُوك بالقرآن، فخاصِمهم بالسُنّة!»[٤].

(٣) قال المولى ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ -إلى قوله تعالى-: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٧-٣٩].

قال صاحبُنا في هذا البحث الإمامُ الرّازي والفاضلُ النيسابوري[٥]: "قال أهلُ التحقيق: قولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يدلّ على أنّ مَن كان غيرَ عارفٍ بالتأويلات، وقعَ في الكُفر والبدعة؛ لأنّ ظواهرَ النّصوص قد يُوجَد فيها ما تكون متعارضةً، فإذا لم يعرف الإنسانُ وجهَ التأويل فيها، وقع في قلبه أنّ هذا الكتابَ ليس

---

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٣٨٧٥، ابن أبي زَمَنين، ١١/ ٩٥، ٩٦.

(٢) "أصول السنّة": لابن أبي زَمَنِين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري، الأندلسي، الإلبيري، شيخ قُرطبة. توفّي سنة ٣٩٩هـ. ("سير أعلام النبلاء" ر: ٣٨٧٥، ابن أبي زَمَنين، ١١/ ٩٦).

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الياء والثاء والحاء، ر: ٥٥٠٩، يحيى بن أسيد، ٥/ ٤٣٦.

(٤) أخرجه ابن زمنين في "أصول السنة"، في الحض على لزوم السنّة واتباع الأئمّة، ر: ٩، صـ٥٣، علي ﵁.

(٥) أي: في "غرائب القرآن" يونس، تحت الآية: ٣٩، الجزء ٦، صـ٤٣٧.

بحقّ، أمّا إذا عرفَ وجهَ التأويل طبّقَ التنزيلَ على التأويل، فيصير ذلك نوراً على نور، يهدي اللهُ لنُوره مَن يشاء"[1] انتهى.

وظاهرٌ أنّ تعارُضَ الظواهر لا يتأتّى مع التبيان، وقد عرضَ لصاحب التأويل أيضاً، ولذا احتاج إلى التأويل، وأن يطبّقَ عليه التنزيلُ.

الأحاديث النبَويّة

(٤) قدمّنا[2] في بيان عدمِ تناهي علوم القرآن الكريم حديثَ المقدام رضي الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ألا إنّي أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه»[3] ...الحديث. فإذا كان القرآنُ تبيانَ كلِّ شيءٍ للنّاس، فما هذا المثل وما معنى قولِه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه؟: وإنّ ما حرّم رسولُ الله كما حرّم اللهُ[4]. وما تعديدُ بعض أحكامٍ لا توجَد في القرآن، وذلك قولُه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدَه: «ألا لا يحلّ لكم الحمارُ الأهلي، ولا كلُّ ذي نابٍ من السّباع، ولا لقطةُ مُعاهِدٍ إلّا أن يستغنيَ عنها

---

(١) "التفسير الكبير" يونس، تحت الآية: ٣٩، ٦/ ٢٥٦.

(٢) أي: في فصل العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٧٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند الشاميين، حديث المقدام بن معديكرب، ر: ١٧١٧٤، ٦/ ٩١، عن المقدام بن معديكرب الكندي.

(٤) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ر: ٢٦٦٤، صـ٦٠٤، ٦٠٥، عن المقدام بن معديكرب. واللفظ لـ"كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ١ في الإيمان والإسلام ...إلخ، الباب ٢: في الاعتصام بالكتاب والسنّة، ر: ٨٧٣، ١/ ١٠٠. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ".

صاحبُها، ومَن نزل بقومٍ فعليهم أن يقرُوه، فإن لم يقرُوه فله أن يعقبَهم بمثل قراه»[١]

وتقدّم ثَمّه[٢] حديثُ أبي رافع رضي الله عنه في معناه.

ولأبي داود عن العرباض بن سارية[٣] رضي الله عنه قال: قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيحسب أحدُكم متكِئاً على أريكته، يظنّ أنّ اللهَ لم يحرّم إلّا ما في هذا القرآن، ألا وإنّي واللهِ! قد أمرتُ، ووعظتُ، ونهَيتُ عن أشياء، إنّها لمثل القرآن أو أكثر، وإنّ اللهَ لم يحلّ لكم أن تدخلوا بيوتَ أهل الكتاب إلّا بإذن، ولا ضرب نسائِهم، ولا أكل ثمارِهم، إذا أعطوكم الذي عليهم»[٤].

فائدة

أقوال بالرّأي من الصّحابة والتابعين

(٥) وله كابن ماجه عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما: «العلمُ ثلاثةٌ: (١) آيةٌ محكمةٌ (٢) أو سُنّةٌ قائمةٌ (٣) أو فريضةٌ عادلةٌ، وما كان سِوى ذلك فهو فضلٌ»[٥]. فلو كان القرآنُ تبيانَ كلِّ شيءٍ لهم، لانحصرَ العلمُ في الأوّل.

---

(١) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، ر: ٤٦٠٤، صـ٦٥١، عن المقدام بن معديكرب.

(٢) أي: في فصل العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٧٥.

(٣) أي: في فصل العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٧٥، ١٧٦.

(٤) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والراء، ر: ٣٦٣٠، عِرباض بن سارية السَّلمي، ٤/ ١٩.

(٥) أخرجه ابن ماجه في "السنن" مقدّمة المؤلف، باب اجتناب الرأي والقياس، ر: ٥٤، صـ١٩، عن عبد الله بن عمرو. واللفظ لـ"كنز العمال" حرف العين، كتاب العلم، الباب ١، ر: ٢٨٦٥٥، ١٠/ ٥٨.

(٦) أخرج الأئمّةُ الستّة عن النعمان بن بشير[1] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الحلالُ بيّنٌ، والحرامُ بيّنٌ، وبينَهما مشتبهاتٌ لا يعلمهُنّ كثيرٌ من النّاس»[2] ...الحديث.

فلو كان تبيانَ كلِّ شيءٍ لهم، لكان كلُّ شيءٍ بيّناً عندهم، ولم يبقَ محلٌّ للمشتبَهات.

(٧) روى أحمدُ وابنُ ماجه[3] عن عبد الله بن عَمرو ﷺ: «إنّما نزل كتابُ الله يصدِّق بعضُه بعضاً، فلا تكذِّبوا بعضَه ببعض، فما علمتُم منه فقُولوا، وما جهلتُم فكِلُوه إلى عالمه»[4].

---

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب النون والظاء والعين، ر: ٥٢٣٧، النعمان بن بشير، ٥/ ٣١٠، ٣١١.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ر: ٥٢، صـ١٢، بطريق زكرياء، عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير، يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثيرٌ من الناس، فمَن اتقى المشبّهات استبرأ لِدِينه وعِرضه، ومَن وقعَ في الشبهات كراعٍ يرعى حولَ الحمى، يوشك أن يواقعَه، ألا وإنّ لكلّ ملِكٍ حمى، ألا إنّ حمَى الله محارمُه، ألا وإنّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلُح الجسدُ كلّه، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلّه، ألا وهي القلب». واللفظ لـ"صحيح مسلم" كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ر: ٤٠٩٤، صـ٦٩٨ . وأخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات، ر: ١٢٠٥، صـ٢٩٤، عن النعمان ابن بشير. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ".

(٣) أي: في "السنن" مقدّمة المؤلف، باب في القدر، ر: ٨٥، صـ٢٥، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، بغير هذا اللفظ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند عبد الله بن عَمرو بن العاص، ر: ٦٧٥٣، ٢/ ٦١١، عن عَمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه.

ولأحمد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الأمورُ ثلاثةٌ: (١) أمرٌ بيّنٌ رُشدُه فاتّبعه، (٢) وأمرٌ بيّنٌ غيُّه فاجتنبه، (٣) وأمرٌ اختُلفَ فيه فكِلْه إلى الله عز وجل»[١] ونحوُه للدَّيلمي[٢] عن مُعاذ رضي الله عنه.

(٨) الدّارمي عن عبَيد الله بن أبي جعفر[٣] مرسَلاً عن النّبي صلى الله عليه وسلم: «أجرأُكم على الفُتيا، أجرأُكم على النّار»[٤].

سعيدُ بن منصور عن سعيد[٥] بن المسيَّب رضي الله عنه مرسَلاً قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أجرأُكم على قَسَم الجدّ، أجرأُكم على النّار»[٦]... ولو تبيّنَ لهم كلُّ شيءٍ ففيمَ الجراءةُ؟!.

---

(١) "الزهد" أخبار عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ر: ١٧٠٧، صـ٢٤٠ ملتقطاً.

(٢) ولفظه عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم: «علم القرآن على ثلاثةِ أجزاء: حلالٌ فاتّبعه، وحرامٌ فاجتنبه، ومتشابه يشكل عليك فكلّه إلى عالمه» ["الفردوس بمأثور الخطاب" باب العين، ر: ٤١٠٣، ٣/ ٤١] منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين: من اسمه عبيد الله مصغّراً، ر: ٤٤٠٦، ٥/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٤) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، ر: ١٥٧، ١/ ٦٩، عن عبيد الله بن أبي جعفر.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف السين: من اسمه سعيد، ر: ٢٤٧٠، ٣/ ٣٧٢-٣٧٤.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في "السنن" كتاب الفرائض، باب قول عمر في الجدّ، ر: ٥٥، ١/ ٦٦، عن سعيد بن المسيب.

(٩) أخرج الدّارمي[١] وأبو داود والترمذي[٢] عن مُعاذ بن جبل ﵁، أنّ رسولَ الله ﷺ لما بعثَه إلى اليمن قال: «كيف تقضِي إذا عُرِضَ لك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد[٣] في كتاب الله؟» قال: فبسُنّةِ رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم تجد في سُنّة رسولِ الله؟» قال: أجتهدُ رأيي ولا آلُو، قال: فضربَ رسولُ الله ﷺ على صدرِه وقال: «الحمد لله الذي وفّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله!»[٤].

(١٠) الطبَراني في "الأوسَط" عن أبي هريرة ﵁ عن النّبي ﷺ: «السُنّةُ سُنّتان: (١) سُنّةٌ في فريضة، (٢) وسُنّةٌ في غير فريضة. السُنّة التي في الفريضة أصلُها

---

(١) أي: في "السنن" المقدّمة، باب الفتيا وما فيه من الشدّة، ر: ١٦٨، ١/ ٧١، ٧٢، عن معاذ بن جبل. واللفظ لـ"مصابيح السنّة" كتاب الإمارة والقضاء، باب العمل في القضاء والخوف منه، ر: ٢٨١٤، ٣/ ٢٣.

(٢) أي: في "السنن" أبواب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، ر: ١٣٢٧، صـ٣٢١، عن معاذ بن جبل. واللفظ لـ"مصابيح السنّة" كتاب الإمارة والقضاء، باب العمل في القضاء والخوف منه، ر: ٢٨١٤، ٣/ ٢٣.

(٣) لفظ الدارمي في الموضعَين: «فإن لم يكن» أي: في علمك، فالمعنى واحد. منه [من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٤) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب القضاء، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ر: ٣٥٩٢، صـ٥١٦، عن معاذ بن جبل.

في كتاب الله تعالى، أخذُها هُدى، وتركُها ضلالة. والسُنّةُ التي أصلُها ليس في كتاب الله تعالى، الأخذُ بها فضيلة، وتركُها ليس بخطيئةٍ»[١].

(١١) أخرج الطبَراني في "الأوسَط" بسندٍ صحيحٍ عن الوليد بن صالح[٢] عن محمد بن الحنفية[٣]، والطبَراني[٤] أيضاً وأبو سعيد[٥] في "القَضاة"[٦] عن عكرمة عن ابن عبّاس، وابنُ عبد البرّ في "كتاب العِلم"، والدارقُطني[٧] في "غرائب مالك"[٨]،

---

(١) أخرجه الطبَراني في "المعجم الأوسط" باب العين، من اسمه علي، ر: ٤٠١١، ٣/ ١٠٨، عن أبي هريرة.

(٢) انظر ترجمته: "التاريخ الكبير" باب الواو، تحت ر: ٢٥٠٧، ٨/ ١٤٥. وابن حِبّان في "الثِقات" باب الواو، تحت ر: ٥٨٨٣، ٥/ ٤٩١.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه محمد، ر: ٦٤٠٩، ٧/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٤) أي: في "المعجم الكبير" باب العين، عكرمة عن ابن عباس، ر: ١٢٠٤٢، ١١/ ٢٩٤، ٢٩٥، عن ابن عباس.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٥٠، ٥١.

(٦) "كتاب القضاء": لمحمد بن علي بن عمرو بن مهدي النقاش الحافظ أبو سعيد الأصبهاني الحنبلي المحدّث، المتوفّى سنة ٤١٤هـ. ("هدية العارفين" ٦/ ٥٠، ٥١).

(٧) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٢ في الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، فصل في حقوق القرآن، ر: ٤١٨٥، ٢/ ١٤٨، نقلاً عن الدارقُطني في "غرائب المالك".

(٨) "غرائب مالك": لعلي بن أبي محمد الحسن الحافظ أبي القاسم الدِمشقي الشّافعي، المعروف بابن عساكر، المتوفّى سنة ٥٧١ هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ٥٦٢).

والخطيبُ[١] في "رُواة مالك"[٢] عن سعيد بن المسيّب ﵁، وثلاثتُهم عن أمير المؤمنين علي -كرّم اللهُ تعالى وجهَه-، وهذا لفظُ "العِلم": قال: قلتُ: يا رسولَ الله! الأمرُ ينزل بنا لم ينزل فيه قرآنٌ، ولم تمضِ فيه منك سُنّةٌ! قال: «أجمعوا له العالمين!» أو قال: «العابدين من المؤمنين، فاجعلُوه شُورى بينكم! ولا تقضوا فيه برأيٍ واحدٍ»[٣]، ولفظُ الطبَراني: قال: «تشاوَرُوا الفقهاءَ والعابدين، ولا تمضوا فيه رأيَ خاصّة»[٤].

ورواه الدّارمي من حديث أبي سلَمة مرسَلاً، أنّ النبيَّ ﷺ سُئل عن الأمر يحدث ليس في كتابٍ ولا سُنّة، فقال: «ينظر فيه العابدون من المؤمنين!»[٥].

---

(١) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٢ في الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، فصل في حقوق القرآن، ر: ٤١٨٥، ٢/ ١٤٨، نقلاً عن الخطيب في "رُواة المالك".

(٢) أي: "كتاب رواة مالك بن أنس": لأحمد بن علي بن ثابت الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي، توفّي سنة ٤٦٣هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ٦٧).

(٣) أخرجه ابن عبد البرّ في "جامع بيان العلم وفضله" باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة، ر: ١٦١١، ٢/ ٨٥٢، عن علي بن أبي طالب.

(٤) أخرجه الطبَراني في "المعجم الأوسط" باب الألف، من اسمه أحمد، ر: ١٦١٨، ١/ ٤٤١، عن علي.

(٥) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، ر: ١١٧، ١/ ٦١، عن أبي سلَمة.

(١٢) الدارقُطني[١] والبَيهقي وابنُ عساكر[٢] عن أبي العوام البصري[٣] قال: كتبَ عمرُ ﵁ إلى أبي موسى الأشعَري ﵁: «الفهمُ الفهمُ فيما أُدليَ إليك! مما ليس في قرآنٍ ولا سُنّة، ثمّ قايِس الأمورَ عند ذلك، واعرفْ الأمثالَ والأشباهَ، ثمّ اعمِد إلى أحبِّها إلى الله فيما ترى، وأشْبَهِها بالحقّ»[٤].

---

(١) أي: في "السنن" كتاب الأقضية والأحكام، كتاب عمر ﵁ إلى أبي موسى الأشعري، ر: ٤٤٢٥، ٤/ ٢٤٣، ٢٤٤، عن أبي المليح الهذلي.

(٢) أي: في "التاريخ" حرف العين، عبد الله بن قيس، تحت ر:٣٤٦١، ٣٢/ ٧١، عن أبي العوام البصري.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين: من اسمه عبد العزيز، ر: ٤٢١٦، ٥/ ٢٣٨.

(٤) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الشهادات، باب لا يحلّ حكم القاضي ...إلخ، ١٠/ ١٥٠، عن أبي العوام البصري قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري ﵄: «إنّ القضاءَ فريضةٌ محكمة، وسنّةٌ متّبعة، فافهم إذا أُدليَ إليك، فإنّه لا ينفع تكلّم حقٍّ لا نفاذَ له، وآسِ بين النّاس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتّى لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك، البيّنةُ على مَن ادّعى، واليمينُ على مَن أنكر، والصُّلحُ جائزٌ بين المسلمين إلّا صُلحاً أحلّ حراماً، أو حرّم حلالاً، ومَن ادّعى حقّاً غائباً، أو بيّنة فاضربْ له أمداً ينتهي إليه، فإن جاء ببينةٍ أعطيتَه بحقّه، فإن أعجزه ذلك استحللتَ عليه القضية؛ فإنّ ذلك أبلَغ في العذر، وأجلى للعَمَى، ولا يمنعك من قضاء قضيته اليومَ فراجعت فيه لرأيك، وهدَيت فيه لرُشدك، أن تراجعَ الحقّ؛ لأنّ الحقَّ قديم، لا يبطل الحقّ شيء، ومراجعةُ الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل، والمسلمون عدولٌ بعضُهم على بعض في الشّهادة، إلّا مجلودٌ في حدّ، أو مجرَّبٌ عليه شهادةُ الزُور، أو ظنين في ولاء أو قرابة؛ فإنّ اللهَ ﷻ تولّى من العِباد السّرائر، وسترَ عليهم الحدودَ إلّا بالبيّنات والأيمان، ثمّ الفهم =

(١٣) أبو بكر بن أبي شَيبة[١] والدّارمي[٢] وابنُ جرير[٣] وابنُ عساكر[٤] عن شرَيح[٥]، وسعيدُ بن منصور[٦] والبَيهقي[٧] عن عامر الشَّعبي، وهذا حديثُ شرَيح: أنّ عمرَ بن الخطّاب ﷺ كتبَ إليه: «إذا جاءك شيءٌ في كتاب الله فاقضِ به، ولا يلفتنّك عنه الرّجال، فإن جاءك أمرٌ ليس في كتاب الله، فانظر سُنّةَ رسولِ الله ﷺ فاقضِ بها، فإن جاءك أمرٌ ليس في كتابِ الله، وليس فيه سُنّةٌ من رسولِ الله ﷺ، فانظر ما اجتمعَ عليه النّاسُ فخُذ

=

الفهم فيما أُدليَ إليك! مما ليس في قرآنٍ ولا سنّةٍ، ثمّ قايِس الأمورَ عند ذلك، واعرف الأمثالَ والأشباه، ثمّ اعمِد إلى أحبِّها إلى الله فيما ترى، وأشبَهِها بالحقّ» ...الحديث.

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٦١.

(٢) أي: في "السنن" المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، ر: ١٦٧، ١/ ٧١، عن عمر بن الخطاب.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الخاء، كتاب الخلافة مع الإمارة من قسم الأفعال، الباب ٢ في الإمارة وتوابعها من قسم الأفعال، فصل في القضاء والترهيب، أدب القضاء، ر: ١٤٤٣٥، ٥/ ٣٢٠، ٣٢١، نقلاً عن ابن جرير.

(٤) أي: في "التاريخ" حرف الشين، شريح بن الحارث بن قيس، تحت ر: ٢٧٣٣، ٢٣/ ١٩، عن عمر بن الخطاب.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الشين والراء، ر: ٢٤٢٠، شُريح بن الحارث، ٢/ ٦٢٤، ٦٢٥.

(٦) انظر: "كنز العمال" حرف الخاء، كتاب الخلافة مع الإمارة من قسم الأفعال، الباب ٢ في الإمارة وتوابعها من قسم الأفعال، فصل في القضاء والترهيب، أدب القضاء، ر: ١٤٤٤٩، ٥/ ٣٢٣، نقلاً عن سعيد بن منصور.

(٧) أي: في "السنن" كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ...إلخ، ١٠/ ١١٥، عن عمر بن الخطاب.

به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله، ولم يكن فيه سُنّةٌ من رسولِ الله ﷺ، ولم يتكلّم فيه أحدٌ قبلَك، فاخترَ أيَّ الأمرَين شئتَ: (١) إن شئتَ أن تجتهد رأيَك وتقدّم فتقدّم، (٢) وإن شئتَ أن تتأخّرَ فتأخّر، ولا أرَى التأخُّرَ إلّا خيراً لك!»[1].

وفي رواية الشَّعبي: «فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سُنّة رسولِ الله ﷺ، ولا فيما قضَى به أئمّةُ الهُدى، فأنت بالخيار: إن شئتَ تجتهد رأيَك، وإن شئتَ أن تؤامِرَني، ولا أرَى لك مُؤامَرتَك إيّايَ إلّا أسلَم لك!»[2].

(١٤) عبد الرزّاق[3] وابنُ جرِير[4] وابنُ أبي الدّنيا عن محارب بن دثار[5]، وهذه روايةُ ابن جرِير، أنّ عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قال لرجلٍ قاضٍ بدِمشق: «كيف تقضي؟» قال: بكتاب الله تعالى، قال: «فإذا جاءك ما ليس في كتاب الله تعالى؟» قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي شَيبة في "المصنَّف" كتاب البيوع والأقضية، باب في القاضي ما ينبغي أن يبدأ في قضائه، ر: ٢٢٩٩٠، ٤/ ٥٤٣، عن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب آداب القاضي، باب موضع المشاورة، ١٠/ ١١٠.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الخاء، كتاب الخلافة مع الإمارة من قسم الأفعال، الباب ٢ في الإمارة وتوابعها من قسم الأفعال، فصل في القضاء والترهيب، أدب القضاء، ر: ١٤٤٤٤، ٥/ ٣٢٢، نقلاً عن عبد الرزّاق.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الخاء، كتاب الخلافة مع الإمارة من قسم الأفعال، الباب ٢ في الإمارة وتوابعها من قسم الأفعال، فصل في القضاء والترهيب، أدب القضاء، ر: ١٤٤٤٧، ٥/ ٣٢٣، نقلاً عن ابن جرِير.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه محارب، ر: ٦٧٥٧، ٨/ ٥٧، ٥٨.

أقضِي بسنّة رسول الله ﷺ، قال: «فإذا جاءك ما ليس فيه سنّةُ رسولِ الله ﷺ؟» قال: أجتهدُ رأيي وأؤامِر جلسائي، قال: «أحسنتَ!»[1].

(١٥) الدّارمي[2] وابنُ جرِير[3] في "تهذيب الآثار"[4]، والبَيهقي[5]

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في "الإشراف في منازل الأشراف" ر: ٢٥٥، صـ٢٢١، بطريق عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، أنّ عمر قال لرجل: «ممن أنت؟» قال: أنا قاضي دِمشق، قال: «وكيف تقضي؟» قال: أقضِي بكتاب الله، قال: «فإذا جاء ما ليس في كتاب الله؟» قال: أقضِي بسنّة رسول الله ﷺ، قال: «فإذا جاء ما ليس في سنّة رسول الله؟» قال: أجتهد رأيِي وأوامِر جلسائي، فقال له عمر: «أحسنتَ!». وقال له عمرُ: «إذا جلستَ فقُل: اللّهم إنّي أسألك أن أقضيَ بعلم، وأن أفتيَ بحِلم، وأسألك العدلَ في الغضب والرّضا». قال: فسار ما شاء الله أن يسيرَ ثمّ رجع إلى عمر قال: «ما رجعك؟» قال: رأيتُ فيما يرى النّائمُ أنّ الشمسَ والقمرَ يقتتلان مع كلّ واحدٍ منهما جنودٌ من الكواكب، قال: «مع أيّهما كنتَ؟» قال: مع القمر، قال عمر: «نعوذ بالله ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] والله! لا تلي لي عملاً أبداً» قال: فيزعمون أنّ ذلك الرجلُ قتل مع مُعاويةَ.

(٢) أي في "السنن" المقدمة، باب الفُتيا وما فيه من الشدة، ر: ١٦٥، ١/ ٧١، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الخاء، كتاب الخلافة مع الإمارة من قسم الأفعال، الباب ٢، فصل في القضاء والترهيب، أدب القضاء، ر: ١٤٤٥٧، ٥/ ٣٢٤ نقلاً عن ابن جرير في "تهذيبه".

(٤) "تهذيب الآثار": لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفّى سنة ٣١٠هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤١٣).

(٥) أي في "السنن الكبرى" كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ...إلخ، ١٠/ ١١٥، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وابنُ عساكر[١] والطبَراني وابنُ عبد البَرّ[٢] بسندٍ صحيحٍ.

وبوجهٍ آخَر عبدُ الرزّاق في "المصنَّف"[٣] كلُّهم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «مَن عُرِضَ له منكم قضاءٌ بعد اليوم، فليقضِ فيه بما في كتابِ الله تعالى، فإن أتاه أمرٌ ليس في كتابِ الله، فليقضِ فيه بما قضَى رسولُ الله ﷺ، فإن أتاه أمرٌ ليس في كتاب الله تعالى، ولم يقضِ فيه رسولُ الله ﷺ، فليقضِ بما قضَى به الصّالحون، فإن أتاه أمرٌ ليس في كتابِ الله تعالى، ولم يقضِ فيه رسولُ الله ﷺ، ولم يقضِ فيه الصّالحون، فليجتهدْ رأيَه، ولا يقولنَّ أحدُكم: إنّي أخاف، وإنّي أرَى؛ فإنّ الحلالَ بيّنٌ، وإنّ الحرامَ بيّنٌ، وبين ذلك أمورٌ مشتبَهة، فدَعْ ما يُرِيبك إلى ما لا يُرِيبك!»[٤].

---

(١) أي في "التاريخ" حرف الحاء، حريث بن ظهير الكوفي، تحت ر: ١٢٥٠، ١٢/ ٣٣٢، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) أي في "جامع بيان العلم وفضله" باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص ...إلخ، ر: ١٥٩٧، ٢/ ٨٤٧، عن عبد الله.

(٣) "مصنَّف عبد الرزّاق" كتاب البيوع، باب: هل يُردّ قضاء القاضي أو يرجع عن قضائه؟ ر: ١٥٢٩٥، ٨/ ٣٠١، ٣٠٢، عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" خطبة ابن مسعود ومن كلامه، باب، ر: ٨٩٢٠، ٩/ ١٨٧، عن عبد الله بن مسعود.

(١٦) الدارمي عن الأوزاعي قال: كتب عمرُ بن عبد العزيز: "أنّه لا رأيَ لأحدٍ في كتاب الله تعالى! إنّما رأيُ الأئمّة فيما لم ينزل فيه كتابٌ، ولم تمضِ به سنّةٌ من رسول الله ﷺ"[1].

سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه

(١٧) ابنُ سعد في "الطبَقات"[2] وابنُ عبد البَرّ في "العِلم" عن محمد بن سِيرِين[3] قال: "لم يكن أحدٌ بعد النّبي ﷺ أهيبَ لما لا يُعلم من أبي بكر، ولم يكن أحدٌ بعد أبي بكر أهيبَ لما لا يُعلم من عُمر، وأنّ أبا بكرٍ نزلت به قضيةٌ، فلم يجد لها في كتاب الله تعالى أصلاً، ولا في السنّة أثراً، فقال أجتهد رأيي، فإن يكن صواباً فمِن الله تعالى ، وإن يكن خطأً فمنّي وأستغفر اللهَ!"[4].

---

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدّمة، باب ما يتقي من تفسير حديث النبي ﷺ ...إلخ، ر: ٤٣٢، ١/ ١٢٥، عن الأوزاعي.

(٢) "الطبقات" طبقات البدرين من المهاجرين الطبقة الأُولى على السابقة في الإسلام ...إلخ، ومن بني تيم بن مرّة بن كعب، تحت ر: ٤٦ أبو بكر الصديق، ذكر الغار والهجرة إلى المدينة، ٢/ ١٦٦، عن محمد بن سِيرين.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه محمد، ر: ٦١٨٧، ٧/ ٢٠٠-٢٠٢. و"هدية العارفين" ٦/ ٧.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم، ر: ١٥٥٥، ٢/ ٨٣٠، عن ابن سِيرين.

(١٨) سعيدُ بن منصور[١] وعبد الرزّاق[٢] وأبو بكر بن أبي شَيبة[٣] والدّارمي[٤] وابنا جرِير[٥] والمنذر[٦] والبَيهقي عن الشّعبي قال: سُئل أبو بكرٍ ﵁ عن الكلالة فقال: «إنّي أقول فيها برأيي، فإن كان صَواباً فمِن الله وحدَه لا شريكَ له، وإن كان خطأً فمنّي ومن الشّيطان، واللهُ منه بريء. أراه ما خلا الوالد والولد» فلمّا استخلفَ عمرُ قال: «الكلالةُ ما عدا الولد»[٧] وزِيدَ في لفظٍ: فلمّا طعنَ عمرُ ﵁ قال: «إنّي لأستحيِي من الله تعالى أن أخالفَ أبا بكرٍ، أرى أنّ الكلالةَ ما عدا الوالد والولد»[٨].

(١٩) الحاكم عن حمَيد بن عبد الرّحمن[٩] عن أبيه قال: دخلتُ على أبي بكر

---

(١) أي: في "تفسيره" النساء، تحت الآية: ١٢، ر: ٥٩١، الجزء ٣، صـ١١٨٥، عن عمر.

(٢) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب في الكلالة، ر: ١٩١٩١، ١٠/ ٣٠٤، عن الشّعبي.

(٣) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب في الكلالة، ر: ٣١٦٠٠، ٦/ ٢٩٨، عن الشعبي.

(٤) أي: في "السنن" كتاب الفرائض، باب في الكلالة، ر: ٢٩٧٢، ٢/ ٤٦٢، عن الشعبي.

(٥) أي: في "جامع البيان" النساء، تحت الآية: ١٢، ر: ٦٩٥٧، الجزء ٤، صـ٣٧٦، عن الشعبي.

(٦) أي: في "تفسيره" النساء، تحت الآية: ١٢، ر: ١٤٤٣، ٢/ ٥٩٢، عن الشعبي.

(٧) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب حجب الإخوة والأخوات من قبل الأم بالأب ...إلخ، ٦/ ٢٢٣، عن الشعبي.

(٨) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب حجب الإخوة والأخوات من كانوا بالأب ...إلخ، ٦/ ٢٢٤، عن الشعبي.

(٩) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الحاء: من اسمه حميد، ر: ١٦١١، ٢/ ٤٥٨.

ﷺ فقال: «وددتُ أنّي سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ميراث العمّة والخالة»[1].

(٢٠) الدارمي في "سُننه" عن ميمون بن مهران[2] قال: "كان أبو بكرٍ ﷺ إذا وردَ عليه الخصمُ، نظرَ في كتاب الله تعالى، فإن وَجد فيه ما يقضي بينهم قضَى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعَلمَ من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنّةً قضَى به، فإن أعياه خرجَ فسأل المسلمين وقال: «أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أنّ رسولَ الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟» فرُبما اجتمعَ إليه النفرُ كلُّهم يذكر من رسولِ الله ﷺ فيه قضاءً، فيقول أبو بكر ﷺ: «الحمد لله الذي جعل فينا مَن يحفظ على نبيّنا ﷺ» فإن أعياه أن يجدَ فيه سنّةً من رسول الله ﷺ، جمعَ رُؤوسَ النّاس وخيارَهم فاستشارَهم، فإذا اجتمعَ رأيُهم على أمرٍ قضَى به"[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب الفرائض، ر: ٧٩٩٩، ٨/ ٢٨٤٦، بطريق علوان بن داود، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر الصديق ﷺ في مرضه الذي مات فيه، أعوده فسمعته يقول: «وددتُ أنّي سألتُ النبيَّ ﷺ عن ميراث العمّة والخالة؛ فإنّ في نفسي منها حاجةً».

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه ميمون، ر: ٧٣٣١، ٨/ ٤٤٧-٤٤٩.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، ر: ١٦٠، ١٦١، ١/ ٧٠، عن ميمون بن مهران.

(٢١) ابنُ الأنباري في "المصاحِف" عن أبي مليكة[١] قال: سُئل أبو بكرٍ ﵁ عن تفسير حرفٍ من القرآن؟ فقال: «أيُّ سماءٍ تظلّني؟ وأيُّ أرضٍ تقلني؟ وأين أذهب؟ وكيف أصنَع إذا قلتُ في حرفٍ من كتاب الله تعالى بغير ما أراد تبارَك وتعالى!»[٢].

و في "مسند مسدّد"[٣]: «أيُّ سماءٍ تظلّني؟ وأيُّ أرضٍ تقلّني؟ إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أسمع!»[٤] انتهى. أي: لما ليس في سماعي عن النّبي ﷺ.

قلتُ: ولم يقل "لم أسمع"؛ ليدلَّ على نفي سماع الحال، بأن يبلغَه شيءٌ الآن عمّن سمع النبيَّ ﷺ كما مرّ[٥] آنفاً من سؤاله المسلمين.

والبَيهقى في "شعب الإيمان" عن القاسم بن محمد[٦] أنّ أبا بكرٍ الصدّيق ﵁ قال: «أيُّ سماءٍ تظلّني؟ وأيُّ أرضٍ تُقلُّني إذا قلتُ في كتاب الله برأيي!»[٧].

---

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الزاي والهاء والواو، ر: ١٧٧٢، زُهير بن عبد الله بن جُدعان، ٢/ ٣٢٦.

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٢ في الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، فصل في حقوق القرآن، ر: ٤١٤٦، ٢/ ١٤٢، نقلاً عن ابن الأنباري في "المصاحف".

(٣) أي: "المسند": لأبي الحسن مسدد بن مسرهد، المتوفّى سنة ٢٢٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٥٩).

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٢ في الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، فصل في حقوق القرآن، ر: ٤١٤٧، ٢/ ١٤٢، نقلاً عن مسدد.

(٥) انظر: صـ٢٩٩.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف القاف: من اسمه القاسم، ر: ٥٦٧٧، ٦/ ٤٦٢-٤٦٤.

(٧) أخرجه البَيهقي في "شعب الإيمان" ١٩ من شعب الإيمان وهو باب في تعظيم القرآن، فصل =

ولعبد بن حمَيد[١] عن إبراهيم النّخعي[٢]، وله[٣] ولأبي عبَيد في "فضائل القرآن" عن إبراهيم التَيمي[٤]: أنّ أبا بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه سُئل عن الأب ما هو؟ فقال: «أيُّ سماءٍ تظلّني؟! وأيُّ أرضٍ تقلني؟ إذا قلتُ في كتاب الله تعالى ما لا أعلم!»[٥].

(٢٢) الحاكم عن قبيصة بن ذؤَيب[٦] قال: "جاءت الجدّةُ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فقالت: إنّ لي حقّاً ابن ابن أو ابن ابنةٍ لي مات، قال: «ما علمتُ لكِ حقّاً في كتاب الله تعالى، ولا سمعتُ من رسولِ الله ﷺ فيه شيئاً؟ وسأسأل» فشهد المغيرةُ بنُ شعبةَ

=

في ترك التفسير بالظنّ، ر: ٢٢٧٨، ٢/ ٩٠٧، عن القاسم بن محمد.

(١) انظر: "فتح الباري" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلّف ما لا يعنيه، تحت ر: ٧٢٩٣، ١٣/ ٣١٠، نقلاً عبد بن حمَيد عن إبراهيم النَّخعي.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف: ذكر من اسمه إبراهيم، ر: ٢٩٣، ١/ ١٩٤، ١٩٥.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٢ في الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، فصل في التفسير، سورة عبس، ر: ٤٦٨٥، ٢/ ٢٣٠، نقلاً عبد بن حمَيد.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف: ذكر من اسمه إبراهيم، ر: ٢٩٢، ١/ ١٩٣، ١٩٤.

(٥) أخرجه أبو عبَيد في "فضائل القرآن" باب تأول القرآن بالرأي، وما في ذلك من الكراهة والتغليظ، صـ٣٧٥، عن إبراهيم التيمي.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف القاف: من اسمه قَبيصة، ر: ٥٧٠٠، ٦/ ٤٧٧.

ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ أعطاها السُّدس، قال: «مَن سمع ذلك معك؟» فشهدَ محمدُ بن مَسلمة[١] ﷺ، فأعطاها أبو بكرٍ ﷺ عنه السُّدس[٢].

ورواه الدّارمي عن الزُّهري مطوّلاً ولفظُه: قال: جاءت إلى أبي بكرٍ ﷺ جدّةُ أمِّ أبٍ أو أمِّ أمٍّ فقالت: إنّ ابنَ ابني أو ابنَ بنتي توفّي، وبلغني أنّ لي نصيباً، فما لي؟ فقال أبو بكرٍ ﷺ: «ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال فيها شيئاً، وسأسأل النّاسَ!»[٣].

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الميم والحاء، ر: ٤٧٦٨-محمد بن مسلمة، ٥/ ١٠٦-١٠٨.

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب الفرائض، ر: ٧٩٧٨، ٨/ ٢٨٤٠، عن قبيصة بن ذؤيب، قال: جاءت الجدّة إلى أبي بكر ﷺ بعد رسول الله ﷺ فقالت: إنّ لي حقّاً، إنّ ابن ابن أو ابن ابنة لي مات، قال: «ما علمتُ لكِ في كتاب الله حقّاً، ولا سمعتُ من رسول الله ﷺ فيه شيئاً، وسأسأل الناس» فسألهم فشهد المغيرةُ بن شعبة ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ أعطاها السُّدس، قال: «مَن سمع ذلك معك؟» فشهد محمدُ بن مسلمة، فأعطاها أبو بكر السُّدسَ. [قال الحاكم:] "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخَين، ولم يخرجاه".

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الفرائض، باب قول أبي بكر الصديق في الجدّات، ر: ٢٩٣٩، ٢/ ٤٥٦، بطريق الأشعث، عن الزهري، قال: جاءت إلى أبي بكر جدّة أمّ أب أو أمّ أمّ، فقالت: إنّ ابن ابني أو ابن ابنتي توفّي وبلغني أنّ لي نصيباً، فما لي؟ فقال أبو بكر: «ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال فيها شيئاً، وسأسألُ الناسَ» فلمّا صلّى الظهر فقال: «أيُّكم سمع رسولَ الله ﷺ قال في الجدّة شيئا؟» فقال المغيرةُ بن شعبة: أنا، قال: «ماذا؟» قال: أعطاها رسولُ الله ﷺ سُدساً، قال: «أيعلم ذاك أحدٌ غيرُك؟» فقال محمدُ بن مَسلمَة: صدق، فأعطاها أبو بكر السُّدس، فجاءت إلى عمر مثلها فقال: «ما أدري، ما سمعتُ من رسول الله

=

سيّدنا عمر الفاروق رضي الله عنه

وفيه حديثُ المغيرة بن شعبةَ ومحمدِ بن مسلمة رضي الله عنهما قال: فجاءت إلى عمرَ رضي الله عنه مثلها فقال: «ما أدري ما سمعتُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيها شيئاً، وسأسأل!» فحدّثوا بحديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما فقال عمرُ رضي الله عنه: «أيُّكما خلت به فلها السُّدس، فإن اجتمعتما فهو بينكما»[1].

(٢٣) الإسماعيلي[2] وأبو نعَيم كلاهما في "المستخرج"[3] عن أنس رضي الله عنه قال: «كنّا عند عمرَ رضي الله عنه وعليه قميصٌ، في ظهره أربعُ رقاع، فقرءوا: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهةُ قد عرفناها، فما الأب؟ ثمّ قال: نُهينا عن التكلُّف»[4].

ورواه عبدُ بن حمَيد وابنُ الأنباري في "المصاحِف"، وأبو عبَيد في "فضائله"

=

صلى الله عليه وسلم فيها شيئاً، وسأسأل الناس» فحدّثوه بحديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مَسلمة، فقال عمر: «أيُّكما خلت به فلها السُّدس، فإن اجتمعتما فهو بينكما».

(١) "سنن الدارمي" كتاب الفرائض، باب قول أبي بكر الصديق في الجدّات، ر: ٢٩٣٩، ٢/ ٤٥٦.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٧. و"معجم المؤلفين" ١/ ٨٧.

(٣) "مستخرج على البخاري": لأبي نعَيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفّى سنة ٤٣٠هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٥٠).

(٤) انظر: "فتح الباري" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلّف ما لا يعنيه، تحت ر: ٧٢٩٣، ١٣/ ٣١٠، نقلاً عن الإسماعيلي وأبي نعَيم.

وفيه: «مَه! نُهينا عن التكلُّف»[١].

ولابن حمَيد في أخرى عنه، ثمّ قال: «يا ابنَ أمّ عُمر! إنّ هذا لهو التكلُّف، وما عليك أن لا تدري ما الأبّ!»[٢].

وفي أخرى له، ثمّ رَمى عصا كانت في يده، ثمّ قال: «هذا لعمر الله التكلّفُ! اتّبعوا ما بيّنَ لكم من هذا الكتاب!»[٣].

ورواه سعيدُ بن منصور[٤] وأبناءُ سعد[٥] وجرِير والمنذر[٦] ومَردوَيه[٧]، والبَيهقي

(١) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٢ في الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، فصل في حقوق القرآن، ر: ٤١٥١، ٢/ ١٤٣، نقلاً عن عبد بن حمَيد وابن الأنباري في "المصاحف" وأبي عبيد في "فضائله".

(٢) انظر: "فتح الباري" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلّف ما لا يعنيه، تحت ر: ٧٢٩٣، ١٣/ ٣١٠، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(٣) انظر: "فتح الباري" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلّف ما لا يعنيه، تحت ر: ٧٢٩٣، ١٣/ ٣١٠، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(٤) أي: في "التفسير" فضائل القرآن، ر: ٤٣، ١/ ١٨١، عن أنس بن مالك.

(٥) أي: في "الطبقات" طبقات البدريين من المهاجرين، ومن بني عدي بن كعب بن لؤي، تحت ر: ٥٦ عمر بن الخطاب، ذكر استخلاف عمر رضي الله عنه، ٢/ ٢٧٩، عن أنس بن مالك.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة عبس، تحت الآية: ٣١، ٨/ ٤٢١، ٤٢٢، نقلاً عن ابن المنذر.

(٧) انظر: "الدر المنثور" سورة عبس، تحت الآية: ٣١، ٨/ ٤٢١، ٤٢٢، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

في "الشّعب"[١]، والخطيبُ، والحاكمُ وصحّحه[٢]، وفيه زيادة: «وما لم تعرفوا فكِلوه إلى ربِّه»[٣].

ولفظ ابن جرِير: «ما يتبيّن فعليكم به، وما لا فدَعُوه»[٤].

وفي لفظ للحاكم: فقال عمر رضي الله عنه: «دَعُونا من هذا التكلُّف، آمنّا به كلٌّ من عندِ ربِّنا»[٥].

وأخرج ابنُ مَردوَيه عن أبي وائل[٦] أنّ عمرَ سأل عن قوله تعالى: ﴿وَأَبّٗا﴾: ما الأبّ؟ ثمّ قال: «ما كُلّفنا هذا، أو ما أُمرنا بهذا»[٧].

---

(١) "شعب الإيمان" ١٩ من شعب الإيمان وهو باب في تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظنّ، ر: ٢٢٨١، ٢/ ٩٠٨، عن أنس بن مالك.

(٢) أي: في "المستدرك" كتاب التفسير، تفسير سورة عبس وتولّى، ر: ٣٨٩٧، ٤/ ١٤٥٩، عن أنس بن مالك. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخَين، ولم يخرجاه"، و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري ومسلم".

(٣) أخرجه الخطيب في "التاريخ" باب العين، ذكر من اسمه علي، تحت ر: ٦٣٤٩ علي بن عبد الله بن جعفر، ٩/ ٣٥٢، عن أنس ابن مالك.

(٤) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة عبس، تحت ر: ٣١ الجزء ٣٠، صـ٧٧، عن أنس بن مالك.

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، ر: ٣١٤٥، ٣/ ١١٧٧، عن أنس. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد على شرط الشيخَين، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري ومسلم".

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الشين: من اسمه شقران وشقيق، ر: ٢٨٩٤، ٣/ ٦٤٩، ٦٥٠.

(٧) انظر: "الدر المنثور" سورة عبس، تحت الآية: ٣١، ٨/ ٤٢٢، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

وأخرج عبدُ بن حمَيد عن عبد الرّحمن بن يزيد[١]: "أنّ رجلاً سأل عمرَ ﵁ عن قوله تعالى: ﴿وَأَبًّا﴾ فلمّا رآهُم يقولون: أقبَلَ عليهم بالدرّة"[٢].

(٢٤) عبد الرزّاق والبَيهقي وأبو الشّيخ في "كتاب الفرائض" عن سعيد بن المسيَّب عن عمر ﵁ قال: "سألتُ النبيَّ ﷺ كيف قَسم الجدّ؟" قال: «ما سُؤالك عن ذلك يا عمر! إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلمَ ذلك!» قال سعيد بن المسيَّب ﵁: "فمات عمرُ قبل أن يعلمَ ذلك ﵁"[٣].

أقول: وفيه وفيما يأتي في الكلالة، أنّه ﷺ لم يؤمَر بتبيين كلِّ الأحكام المطوية في الكتاب الكريم أيضاً، فضلاً عمّا سِواها، وأنّه أخفَى بعضَها وأجمَلَ بعضَها؛ ليجتهدوا فيُثابوا، ولله ورسوله حِكمٌ في كلِّ ما بيّنَا وأخفَيا ومنَعَا وأعطَيَا.

---

(١) هوعبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي أبو بكر الكوفي. **روى عن**: أخيه الأسود وعمّه علقمة وعن حذيفة وعثمان وابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري وعائشة والأشتر النخعي. **وعنه**: ابنه محمد وإبراهيم بن يزيد النخعي وأبو إسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر وغيرهم. قال ابن مَعين: ثقة. قال عَمرو بن علي: مات في الجماجم سنة ثلاث وثمانين قلت: وقال ابن سعد: كان ثقةً وله أحاديث كثيرة. ("تهذيب التهذيب" حرف العين: من اسمه عبد الرحمن، ر: ٤١٦٣، ٥/ ٢٠١ ملتقطاً)

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة عبس، تحت الآية: ٣١، ٨/ ٤٢٢، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الجدّ، ر : ٣٠٦٠٨، ١١/ ٢٦، نقلاً عن عبد الرزّاق، والبَيهقي، وأبي الشيخ في "الفرائض".

وأخرج عبد الرزّاق عنه ﷺ قال: «أجرأُكم على جراثيم جهنّم، أجرأُكم على الجدّ»[1].

وعبد الرزّاق عن ابن سِيرين عن عمر ﷺ قال: «أُشهِدكم أنّي لم أقضِ في الجدّ قضاءً»[2].

(٢٥) ابنُ جرِير عن عمر ﷺ قال: «لأن أكونَ أعلَم الكلالةَ، أحَبُّ إليَّ من أن يكونَ لي مثلُ قُصور الشّام»[3]. وفي لفظ له: «قُصور الرّوم»[4].

وأحمدُ عنه ﷺ: سألتُ النبيَّ ﷺ عن الكلالة فقال: «تكفيك آيةُ الصَّيف» فلأن أكونَ سألتُ النبيَّ ﷺ عنها أحَبُّ إليَّ من أن يكونَ لي حُمر النَّعم[5].

وابنُ جرِير عن مَسروق[6] قال: "سألتُ عمرَ بن الخطّاب ﷺ عن ذي قَرابةٍ لي ورث كلالة، فقال: "الكلالة الكلالة الكلالة!" وأخذ بلحيتِه ثمّ قال: والله! لأن

---

(١) أخرجه عبد الرزّق في "المصنف" كتاب الفرائض، باب فرض الجدّ، ر: ١٩٠٤٧، ١٠/ ٢٦٢، عن ابن عمر.

(٢) أخرجه عبد الرازّق في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب فرض الجدّ، ر: ١٩٠٤٦، ١٠/ ٢٦٢، عن ابن سِيرين.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الكلالة، ر: ٣٠٦٨٩، ١١/ ٣٦، نقلاً عن ابن جرِير.

(٤) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥٢، الجزء ٦، صـ٥٨، عن الأعمش.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند عمر بن الخطاب، ر: ٢٦٢، ١/ ٨٨، ٨٩، عن عمر.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه مسروق، ر: ٦٨٧٣، ٨/ ١٣٣، ١٣٤.

أعلَمها أحَبُّ إليَّ من أن يكونَ لي ما على الأرض من شيءٍ، سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ فقال: «ألم تسمع الآيةَ التي أنزلتْ في الصَّيف؟» فأعادَها ثلاثَ مرّاتٍ"[١].

ومالكٌ[٢] ومسلمٌ[٣] وابنُ جرِير والبَيهقي[٤] عن عمر قال: "ما سألتُ النبيَّ ﷺ عن شيءٍ أكثرَ ما سألتُه عن الكلالة؟ حتّى طعنَ بإصبعِه في صدري وقال: «تكفيك آيةُ الصَّيف التي في آخِر سورة النِّساء»"[٥].

وفي لفظٍ للطبَري: "ما أغلَظ لي رسولُ الله ﷺ، أو ما نازعتُ رسولَ الله ﷺ في شيءٍ ما نازعتُه في آية الكلالة، حتّى ضربَ صدري وقال: «يكفيك منها آيةُ الصيف: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النِّساء: ١٧٦]»"[٦].

---

(١) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥٥، الجزء ٦، صـ٦٠، عن مسروق.

(٢) أي: في "الموطأ" كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ر: ١١٠١، صـ٢٩١، ٢٩٢، عن عمر بن الخطاب.

(٣) أي: في "الصحيح" كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ر: ٤١٥٠، صـ٧٠٦، عن عمر بن الخطاب.

(٤) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب باب حجب الأخوة والأخوات من كانوا بالأب ...إلخ، ٦/ ٢٢٤، عن عمر بن الخطاب. وفيه زيادة: وسأقضي فيها بقضاء يعلمه مَن يقرأ ومَن لا يقرأ، وهو ما خلا الأب، كذا أحسب.

(٥) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، تحت ر: ٨٥٥٤، الجزء ٦، صـ٥٩، عن عمرَ بن الخطاب.

(٦) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٤٩، الجزء ٦، صـ٥٧، عن عمر بن الخطاب. بزيادة: وسأقضي فيها بقضاءٍ يعلمه مَن يقرأ ومَن لا يقرأ، هو
=

وابنا راهْوَيه ومَردوَيه بسندٍ صحيحٍ عن سعيد بن المسيَّب: "أنّ عمرَ سأل رسولَ الله ﷺ كيف يُورث الكلالة؟ قال: «أوَ ليس قد بيّن اللهُ ذلك، ثمّ قرأ ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾ [النِّساء: ١٢]» ...إلى آخر الآية، فكان عمرُ لم يفهَم، فقال لحفصةَ ﵂: إذا رأيتِ من رسول الله ﷺ طِيبَ نفسٍ فاسألِيه عنها، فقال: «أبوكِ ذكرَ لكِ هذا؟ ما أرَى أباكِ يعلمها أبداً!» فكان يقول: ما أراني أعملها أبداً! وقد قال رسولُ الله ﷺ ما قال"[1].

ورواه بوجهٍ آخَر عبدُ الرزّاق[2] وسعيدُ بن منصور، وابنُ مَردوَيه[3] عن طاؤوس[4]

=

ما خلا الأب، كذا أحسب". قال ابن عرفة: قال شبابة: الشكُّ من شُعبة.

(١) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الكلالة، ر: ٣٠٦٨٥، ١١/ ٣٥، ٣٦، نقلاً عن ابن راهْوَيه وابن مَردوَيه.

(٢) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض من قسم الأفعال، باب الكلالة، ر: ١٩١٩٤، ١٠/ ٣٠٥، عن طاؤوس أنّ عمر أمر حفصة أن تسألَ النبيَّ ﷺ عن الكلالة، فأمهلته حتّى إذا لبسَ ثيابَه فسألته، فأملها عليها في كتف فقال: «عمرُ أمرَك بهذا؟ ما أظنّه أن يفهمَها، أوَ لم تكفِه آيةُ الصَّيف» فأتتْ بها عمرَ فقرأها [فلمّا قرأ]: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦] قال: اللّهم مَن بيّنت له فلم تبيّن لي.

(٣) انظر: في "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ٢/ ٧٥٤، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الطاء: من اسمه طاؤوس وطخفة، ر: ٣٠٨٩، ٤/ ١٠٠، ١٠١.

وفيه قال ﷺ: «مَن أمرَكِ بهذا، أعمر؟ ما أراه يُقيمها، أوَ ما تكفيه آيةُ الصَّيف!»[١].

(٢٦) أحمدُ[٢] وأبناء ماجَه و[٣]الضُّرَيس[٤] وجرِير[٥] والمنذر[٦] عن عمر رضي الله عنه قال: «مِن آخِر ما نزلَ آيةُ الرِّبا، وإنّ رسولَ الله ﷺ قُبض قبل أن يفسِّرَها لنا، فدعوا الرِّبا والرِّيبة!»[٧].

وابنُ مَردوَيه بنحوه وفيه: «فدَعُوا ما يُريبكم إلى ما لا يُريبكم»[٨].

ورواه الدّرامي وصدرُه: «يا أيّها النّاس! أنّا لا نَدري، لعلّنا نأمُركم بأشياء لا تحلّ لكم، ولعلّنا نحرِّم عليكم أشياء هي لكم حلال! إنّ آخِر ما نزل»[٩] ...إلخ بمعناه.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ١٢، ر: ٥٨٧، ٣/ ١١٧٨، عن طاؤوس.

(٢) أي: في "المسند" مسند عمر بن الخطاب، ر: ٢٤٦، ١/ ٨٥، عن عمر رضي الله عنه.

(٣) أي: في "فضائل القرآن" باب فيما نزل من القرآن بمكّة، وما نزل بالمدينة، ر: ٢٣، صـ٣٦، عن عمر رضي الله عنه.

(٤) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٢٥٧٨-ابن الضُّرَيس، ٩/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٥) أي: في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨٠، ر: ٤٩٣٨، الجزء ٣، صـ١٥٦، عن عمر بن الخطاب.

(٦) أي: في "التفسير" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٧٨، ر: ٤٤، ١/ ٥٧، عن عمر بن الخطاب.

(٧) أي: في "السنن" كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، ر: ٢٢٧٦، صـ٣٨١، عن عمر بن الخطاب.

(٨) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٧٥، ٢/ ١٠٤، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٩) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدّمة، باب الكراهية الفتيا، ر: ١٢٩، ١/ ٦٤، عن عمر: «يا أيّها الناس! إنّا لا ندري لعلّنا نأمركم بأشياء لا تحلّ لكم، ولعلّنا نحرِّم عليكم أشياء هي لكم حلال، إنّ آخرَ ما نزل من القرآن آيةُ الرِّبا، وإنّ رسولَ الله ﷺ لم يبيّنها لنا حتّى مات، فدعُوا ما يُريبكم إلى ما لا يُريبكم!».

(٢٧) الشّيخان وعبد الرزّاق[١] وابنا جرِير[٢] والمنذر[٣] عن عمر ﵁ قال: «وثلاثٌ ودِدتُ أنّ رسولَ الله ﷺ لم يفارِقنا حتّى يعهدَ إلينا عهداً: (١) الجَدّ (٢) والكلالة (٣) وأبواب من أبواب الرِّبا»[٤].

---

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ٢/ ٧٥٤، نقلاً عن عبد الرزّاق.

(٢) أي: في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥٤، الجزء ٦، صـ٥٨، ٥٩، عن عمر بن الخطاب يخطب على منبر المدينة فقال: «أيّها الناس! ثلاثٌ وددتُ أنّ رسولَ الله ﷺ لم يفارقنا حتّى يعهدَ إلينا فيهنّ عهداً يُنتهى إليه: (١) الجدّ، (٢) والكلالة، (٣) وأبواب الرِّبا».

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ٢/ ٧٥٤، نقلاً عن ابن المنذر.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الأشربة، باب ما جاء في أنّ الخمر ما خامر العقل من الشراب، ر: ٥٥٨٨، صـ٩٩٢، عن ابن عمر ﵄ قال: خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: «إنّه قد نزلَ تحريمُ الخمر وهي من خمسة أشياء: (١) العِنب، (٢) والتمر، (٣) والحنطة، (٤) والشّعير، (٥) والعسل، والخمرُ ما خامر العقل. وثلاثٌ ودِدتُ أنّ رسولَ الله ﷺ لم يفارِقنا حتّى يعهدَ إلينا عهداً: الجدّ، والكلالة، وأبوابٌ من أبواب الربا» قال: قلتُ يا أبا عَمرو! فشيءٌ يُصنع بالسند من الأرز؟ قال: ذاك لم يكن على عهد النّبي ﷺ -أو قال-: على عهد عمر. وقال حَجّاجٌ عن حمّاد، عن أبي حيّان مكان العنب، الزبيب. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر، ر: ٧٥٦٠، صـ١٣١١، عن عمرَ بن الخطاب.

(٢٨) الطيالسي[١] وعبد الرزّاق[٢] وأبو بكر بن أبي شَيبة[٣] و[٤]العدَني[٥] وابنُ ماجه[٦] و[٧]الشّاشي[٨] وابنُ جرِير وأبو الشّيخ في "الفرائض"[٩]، والحاكمُ[١٠]

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٢٤.

(٢) أي: في "المصنّف" كتاب الفرائض، باب الكلالة، ر: ١٩١٨٤، ١٠/٣٠٢، عن عمر، قال: «ثلاث لأن يكونَ النبيُ ﷺ بيّنهنّ لنا أحَبّ إليَّ من الدّنيا وما فيها: الخلافة، والكلالة، والرّبا».

(٣) أي: في "المصنّف" كتاب البيوع والأقضية، أكل الرّبا وما جاء فيه، ر: ٢٢٠٠٢، ٤/٤٤٨، عن عمر.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الكلالة، ر: ٣٠٦٨٤، ١١/ ٣٥، نقلاً عن العدني.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه محمد، ر: ٦٦٤٩، ٧/ ٤٨٧.

(٦) أي: في "السنن" كتاب الفرائض، باب الكلالة، ر: ٢٧٢٧، صـ٤٦٣، عن عمر بن الخطاب.

(٧) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الكلالة، ر: ٣٠٦٨٤، ١١/ ٣٥، نقلاً عن الشاشي.

(٨) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٣١٦٩-الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كُليب بن سُرَج، ١٠/ ١٩٤.

(٩) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الكلالة، ر: ٣٠٦٨٤، ١١/ ٣٥، نقلاً عن أبي الشيخ في "الفرائض".

(١٠) أي: في "المستدرَك" كتاب التفسير، تفسير سورة النساء، ر: ٣١٨٨، ٣/ ١١٩٤، عن عمر. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخَين، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري ومسلم".

والبَيهقي[١] والضياء[٢] عنه ﷺ قال: «ثلاثٌ لأن يكونَ النبيُّ ﷺ بيّنَهنّ لنا، أحَبُّ إليَّ من الدّنيا وما فيها: (١) الخلافة (٢) والكلالة (٣) والرِّبا»[٣].

(٢٩) عبد الرزّاق والعدَني[٤] وابنُ المنذر[٥] والحاكم[٦] عنه ﷺ قال: «لأن أكونَ سألتُ النبيَّ ﷺ عن ثلاثٍ،أحَبُّ إليَّ من حُمر النَّعم: (١) عن الخليفة بعدَه، (٢) وعن قومٍ قالوا: نُقِرّ بالزّكاة من أموالنا ولا نؤدِّيها إليك! أ يحِلّ قِتالهم؟ (٣) وعن الكلالة»[٧].

---

(١) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، ٦/ ٢٢٥، عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) أي: في "المختارة" مُرّة بن شراحيل الكوفي، ر: ٢٧٨، ١/ ٣٩٦، عن عمر.

(٣) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥١، الجزء ٦، صـ٥٨. وأخرجه الطيالسي في "المسند" الإفراد عن عمر، ر: ٦٠، صـ٦١، عن عمر.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، ر: ٣٠٤٦٩، ١١/ ١١، نقلاً عن العدني.

(٥) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، ر: ٣٠٤٦٩، ١١/ ١١، نقلاً عن ابن المنذر.

(٦) أي: في "المستدرَك" كتاب التفسير، تفسير سورة النساء، ر: ٣١٨٦، ٣/ ١١٩٣، ١١٩٤، عن عمر بن الخطاب ﷺ. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "بل خرّجا لمحمدٍ شيئًا، ولا أدرك عمر".

(٧) أخرجه عبد الرزاق في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب الكلالة، ر: ١٩١٨٥، ١٠/ ٣٠٢، عن قال عمر. وقال: وكان أبو بكر يرى القتالَ.

وأخرج عبد الرزّاق[١] وأبو بكر بن أبي شَيبة[٢] وابنُ جرير عن ابن المسيَّب ﵄: "أنّ عمرَ ﵁ كتبَ في الجدّ والكلالة كتاباً، فمكثَ يستخير اللهَ تعالى يقول: «اللّهم إن علمتَ أنّ فيه خيراً فأمضِه» حتّى إذا طعنَ دعا بالكتاب، فمحَى ولم يدر أحدٌ ما كتبَ فيه"[٣].

(٣٠) سعيدُ بن منصور[٤] والبَيهقي عن طارق بن شِهاب[٥] قال: "أخذ عمرُ بن الخطّاب كتفاً وجمعَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ليكتبَ الجدَّ وهُم يرَون أنّه يجعله أباً، فخرجتْ عليهم حيةٌ فتفرّقوا، فقال: «لو أنّ اللهَ أراد أن يُمضيَه لأمضاه»"[٦].

وأخرجه ابنُ جرِير عنه بلفظ: "أخذ عمرُ كتفاً، وجمع أصحابَ النّبي ﷺ ثمّ قال: «لأقضينَّ في الكلالة قضاءً تحدِّث به النِّساءُ في خُدورهنّ!» فخرجتْ حينئذٍ حيّةٌ

---

(١) أي: في "المصنّف" كتاب الفرائض، باب الكلالة، ر: ١٩١٨٣، ١٠/ ٣٠١، ٣٠٢، عن عمر. وقال: «إنّي كتبتُ في الجدّ والكلالة كتاباً، وكنتُ أستخير اللهَ فيه، فرأيتُ أن أتركَكم على ما كنتم عليه».

(٢) أي: في "المصنّف" كتاب الفرائض، باب في الجدّة ما لها من الميراث، ر: ٣١٩٢٠، ١١/ ٣٢٠، عمر.

(٣) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥٠، الجزء ٦، صـ٥٨، عن عمر بن الخطّاب.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الجدّ، ر: ٣٠٦٢١، ١١/ ٢٨، نقلاً عن سعيد بن منصور.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الطاء: من اسمه طارق، ر: ٣٠٨٠، ٤/ ٩٤.

(٦) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب التشديد في الكلام في مسئلة الجدّ مع الإخوة ...إلخ، ٦/ ٢٤٥، عن طارق بن شِهاب.

من البيت فتفرّقوا، فقال: «لو أراد اللهُ أن يتمَّ هذا الأمرَ لأتمَّه»"[١] فيهما إنّ الذي أنزلَ القرآنَ لم يُرِد أن يجتمعوا فيهما على شيءٍ.

(٣١) أحمدُ وأبو داود[٢] والترمذي[٣] والبَيهقي[٤] عن البَراء بن عازِب[٥] قال: "جاء رجلٌ إلى النّبي ﷺ يسأله عن الكلالة، فقال: «تكفيك آيةُ الصَّيف!»"[٦].

وأخرج ابنُ جرير عن أبي سلَمة وفيه: «ألم تسمع الآيةَ التي أنزلتْ في الصَّيف

(١) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥٣، الجزء ٦، صـ٥٨، عن عمر.

(٢) أي: في "السنن" كتاب الفرائض، باب من كان ليس له ولد وله أخوات، ر: ٢٨٨٩، صـ٤٢٠، عن البراء بن عازِب، قال: "جاء رجلٌ إلى النّبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! يستفتونك في الكلالة، فما الكلالة؟ قال: «تُجزئك آيةُ الصَّيف» فقلتُ لأبي إسحاق: هو مَن مات ولم يدع ولداً ولا والداً؟ قال: كذلك ظنّوا أنّه كذلك".

(٣) أي: في "السُنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، ر: ٣٠٤٢، صـ٦٨٥، عن البراء قال: "جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَو امْرَأَةٌ﴾ [النساء: ١٧٦] فقال له: «تُجزئك آيةُ الصَّيف»".

(٤) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب حجب الإخوة والأخوات من كانوا بالأب ...إلخ، ٦/ ٢٢٤، عن البراء بن عازِب.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الباء والراء، ر: ٣٨٩، ١/ ٣٦٢.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ر: ١٨٦١٣، ٦/ ٤٢٤، عن البراء بن عازب.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ [النِّساء: ١٢]»[١].

وأخرج الطبَراني عن سمُرة بن جُندب: "أنّ رسولَ الله ﷺ أتاه رجلٌ يستفتِيه في الكلالة، فلم يقُل له رسولُ الله ﷺ شيئاً، غير أنّه قرأ عليه آيةَ الكلالة التي في سورة النِّساء، ثمّ عاد الرجلُ يسأله، فكلّما سأله قرأها حتّى أكثر، وصخب الرّجل واشتدّ صخبه من حرصِه على أن يبيّنَ له النبيُّ ﷺ، فقرأ عليه الآيةَ ثمّ قال له: «إنّي والله لا أزيدُك على ما أعطيتُ!»"[٢] وفيها أنّ الذي نزّلَ عليه القرآنُ لم يُرِد أن يزيدَهم البيانَ.

(٣٢) البَيهقي عن مَسروق: قال: "كتب كاتبٌ لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه: هذا ما أرَى اللهُ أميرَ المؤمنين عمر، فانتهره عمرُ وقال: «لا، بل اكتبْ: هذا ما رأى عمرُ، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمِن عمر!»"[٣].

وأخرج ابنُ المنذر عن عَمرو بن دِينار[١] أنّ رجلاً قال لعمر رضي الله عنه: ﴿بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ [النِّساء: ١٠٥] قال: «مَه! إنّما هذه للنّبي ﷺ خاصّة»"[٢].

---

(١) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥٦، الجزء ٦، صـ٦٠، عن أبي سلَمة.

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب، سليمان بن سمرة، ر: ٧٠٥٥، ٧/ ٢٥٩، بطريق عن سمُرة.

(٣) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ...إلخ، ١٠/ ١١٦، عن مسروق.

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين: من اسمه عمرو، ر: ٥١٨٨، ٦/ ١٤٠-١٤٢.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٥، ٢/ ٦٧٧، نقلاً عن ابن المنذر.

(٣٣) الحاكم والبَيهقي[١] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «أوّلُ مَن أعالَ الفرائضَ عمرُ؛ لما تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً، قال: والله ما أدرِي كيف أصنعُ بكم! والله ما أدري أيّكم قدّم اللهُ ولا أيّكم أخَّر! وما أجد في هذا المال شيئاً أحسنَ من أن أقسّمَه عليكم بالحِصص» ثمّ قال ابنُ عبّاس: «وَأَيمُ الله! لو قدّم مَن قدَّم اللهُ وأخّر مَن أخَّر اللهُ، ما عالت فريضة» فقيل له، أيّها قدّم اللهُ أيّها أخَّر؟ قال: «كلُّ فريضةٍ لم يهبطها اللهُ تعالى عن فريضةٍ إلّا إلى فريضةٍ، فهذا ما قدّم اللهُ تعالى، وكلُّ فريضةٍ إذا زالت عن فرضِها لم يكن لها إلّا ما بقيَ، فتلك التي أخَّر اللهُ تعالى، فالذي قدّم كالزّوجَين والأم، والذي أخّر كالأخوات والبَنات، فإذا اجتمع مَن قدّم اللهُ ومَن أخَّر، بدئَ بمَن قدّم فأعطيَ حقّه كاملاً، فإن[٢] بقيَ شيءٌ كان لمن أخّر، وإن[٣] لم يبقَ شيءٌ فلا شيءَ له»[١].

---

(١) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب العول، ٦/ ٢٥٣، بطريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

(٢) كزوجٍ وأمٍّ وأختٍ، المسألة من ستّةٍ، [و] صار نصفُها سُدساً للأخت واحدٌ صار نصفُها سُدساً، وعندنا من ثمانية لها ثلاثة، ومخرج زوج وأبوَين وابنتين ١٢ تصحّ عنده من ٦٠ للزَّوج ١٥، وللأمّ ١٠ كملاً، وللأب ٧، ولكلّ بنتٍ ١٤ نقص كلّ ثلاثةِ أعشار حقّه، وعندنا تعول إلى ١٥ ينقص كلّ خُمسِ حقِّه، انتهى. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٣) كزوجٍ وأمٍّ وأختَين لأمّ وشقيقتَين، لا شيءَ للشقيقتَين، وعندنا تعول لعشرة ينقص كلّ خُمسَي حقِّه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب الفرائض، ر: ٧٩٨٥، ٨/ ٢٨٤٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرجاه".

أقول: هذا منزعٌ نفيسٌ[١] في غاية النَّفاسة؛ فإنّ[٢] مَن لا ينزل من الفرض إلى العصوبة قطّ، علمَ أنّ اللهَ تعالى لم يجعل له إلّا نصيباً مفروضاً، ولو مختلفاً بحجب النّقصان والتقدير لا يقبل التغيير[٣]، ومَن يتغيّر أحياناً إلى العصوبة علمَ أنّ التقديرَ في حقِّه ليس بحتمٍ، بل قد يجد ما يبقى قلَّ أو كثُر، وإن لم يبقَ لم يجد، فيكون هو إلّا حقّ بالبخس، ومعلومٌ أنّ الفرائضَ لا تضيق على أحد الصِنفَين ما لم يجتمعا، فلو فعل هكذا لم تعل فريضةٌ قطّ، لكن يلزم على هذا أن تكونَ الأمُ ممّن قدّم اللهُ، والأبُ ممّن أخّرَه. وعامّةُ الصّحابة لا يَرضون بتفضيل الأمّ على الأب، خلافاً لابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما كما سيأتي[٤].

---

(١) ولذا قال الزهري: "وأيم الله! لولا أنّه تقدّمه إمام هُدى كان أمره على الورع" -يريد عمرَ رضي الله تعالى عنه ما اختلف على ابن عبّاس اثنان من أهل العلم، رواه أبو الشّيخ في "الفرائض" [انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، ر: ٣٠٤٨٦، ١١/ ١٣، نقلاً عن أبي الشّيخ في "الفرائض"] والبَيهقي في آخر الحديث المذكور.

(٢) وهُم ستّةٌ والأمّ والجدّة وولدا الأمّ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] [لعلّه كتب الإمام أحمد رضا هنا "أربع" وفهم النّاقلُ "الستّة". والله تعالى أعلم بالصواب].

(٣) وهُم ستّة: الأبُ والجدُّ والبنتُ وبنتُ الابن والأختُ العينية والعلاتية. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٤) انظر: صـ٣٣٠، ٣٣١.

سيّدنا ذُو النُّورَين رضي الله عنه

(٣٤) عبد الرزّاق والدّارمي[١] والبَيهقي[٢] عن مَروان[٣] أنّ عمرَ رضي الله عنه لما طعنَ قال: «إنّي كنتُ قضيتُ في الجدّ قضاءً، فإن شئتم أن تأخذوا به فافعلوه!» فقال له عثمانُ رضي الله عنه: «إن نتبعَ رأيَك، فإنّ رأيَك رُشدٌ، وإن نتبعَ رأيَ الشّيخ قبلَك فنِعم ذو الرّأي كان»[٤]. فلو بيّن له القرآنُ ما سوغ اتّباعُ كلا الرأيين، بل ولا مالَ إلى رأيٍ، بل ولم يكن رأيٌ.

(٣٥) مالكٌ[٥] والشّافعي[١] وعبد بن حمَيد[٢] وعبد الرزّاق[٣]

(١) أي: في "السنن" كتاب الفرائض، باب في قول عمر في الجدّ، ر: ٢٩١٦، ٢/ ٤٥٢، عن مروان بن الحكم.

(٢) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب من لم يورث الأخوة مع الجدّ، ٦/ ٢٤٦، عن مروان بن الحكم.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه مروان، ر: ٦٨٣٨، ٨/ ١١٠، ١١١.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأقوال، ر: ٣٠٦٢٣، ١١/ ٢٨، نقلًا عن مروان عن "عب".

(٥) أي: في "الموطأ" كتاب النكاح، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بمِلك اليمين، والمرأة وابنتها، ر: ١١٤٤، صـ٣٠٤، عن عثمان.

(١) أي: في "المسند" ومن كتاب عشرة النساء، ر: ١٣٧٣، صـ٤٧٣، بطريق ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان بن عفّان رضي الله عنه الأختين من ملك اليمين، هل يُجمع بينهما؟ فقال عثمان رضي الله عنه: «أحلّتهما آية، وحرّمتها آية، وأمّا أنا فلا أحبّ أن أصنعَ هذا» ...الحديث.

(٢) انظر: "الدر المنثور" النساء، تحت الآية: ٢٣، ٢/ ٤٧٦، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(٣) أي: في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب جمع بين ذوات الأرحام ...إلخ، ر: ١٢٧٢٨، ٧/ ١٨٩، عن عثمان.

ابنُ أبي شَيبة[١] ومسدّد[٢] وابنُ جرِير وابنُ أبي حاتم[٣] والدارقُطني[٤] والبَيهقي[٥] عن الزُّهري عن قبيصة بن ذؤيب عن عثمان ﵁ أنّه سُئل عن الأختَين الأمتَين من مِلك اليمين، هل يجمع بينهما؟ قال: «أحلّتهما آيةٌ، وحرّمتها آيةٌ، وما أحبُّ أن أصنعَه»[٦].

سيّدنا علي المرتضى كرّم الله تعالى وجهَه

(٣٦) ابنُ عبد البرّ في "العِلم" عن زاذان[١] وأبي البختري[٢] عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: «أيُّ أرضٍ تقلني؟ إذا قلتُ في كتاب الله تعالى ما لا أعلم!»[٣].

---

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب في الرجل يكون عنده الأختان مملوكتان فيطأهما جميعاً، ر: ١٦٥١٢، ٤/ ١٦٩، عن عثمان بن عفّان.

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرّمات النكاح، ر: ٤٥٦٦٩، ١٦/ ٢١٣، نقلاً عن مسدّد.

(٣) أي: في "التفسير" النساء، تحت الآية: ٢٣، ر: ٥٠٩٧، الجزء ٣، صـ٩١٣، ٩١٤، عن عثمان بن عفّان.

(٤) أي: في "السنن" كتاب النكاح، باب المهر، ر: ٣٦٨٣، ٣/ ٣٣٣، عن عثمان بن عفّان.

(٥) أي: في "السنن الكبرى" كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين وبين المرأة ...إلخ، ٧/ ١٦٣، ١٦٤، عن عثمان بن عفّان ﵁.

(٦) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرّمات النكاح، ر: ٤٥٦٦٩، ١٦/ ٢١٣، نقلاً عن ابن جرير.

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الزاي: من اسمه زاذان، ر: ٢٠٤١، ٣/ ١٢٨.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف السين: من اسمه سعيد، ر: ٢٤٥٤، ٣/ ٣٦٢.

(٣) أخرجه ابن عبد البرّ في "جامع بيان العلم وفضله" باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه =

(٣٧) هو فيه وابنُ جرِير[(١)] عن محمدِ بن كعب قال: "سأل رجلٌ عليّاً -كرّم الله تعالى وجهَه- عن مسألةٍ فقال فيها، فقال الرجلُ: ليس هكذا، ولكن كذا وكذا، قال عليٌّ ﵁: «أصبتَ وأخطأتُ، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم»"[(٢)].

(٣٨) الدّارمي عن أبي البختري، وزاذان قالا: قال عليٌّ ﵁: «وأبردُها على الكبد، إذا سُئلتُ عمّا لا أعلَم، أن أقولَ: اللهُ أعلم!»[(١)].

وروى سعدان بن نصر[(٢)] في الرّابع من حديثه عن عبد الله[(٣)] بن بِشر: "أنّ عليَّ

=

من وجوه العلم، ر: ١٥٦٢، ٢/ ٨٣٤، عن علي بن أبي طالب ﵁.

(١) أي: في "الجامع" سورة يوسف، تحت الآية: ٧٦، ر: ١٤٩٦٧، الجزء ١٣، صـ٣٦، بطريق أبي معشر، عن محمد بن كعب قال: "سأل رجل عليّاً عن مسألة، فقال فيها، فقال الرّجل: ليس هكذا، ولكن كذا وكذا، فقال علي: «﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]».

(٢) أخرجه ابن عبد البرّ في "جامع بيان العلم وفضله" باب جامع في آداب العالم والمتعلم، فصل في الإنصاف في العلم، ر: ٨٦٥، ١/ ٥٣١، عن محمد بن كعب القرظي.

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدّمة، باب في الذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتي، ر: ١٧٥، ١/ ٧٤، عن علي.

(٢) الشيخ، العالم، المحدّث، الصدوق، أبو عثمان سعدان بن نصر بن منصور الثقفي، البغدادي، البزاز، وإنّما اسمه سعيد، فلُقّب بسعدان. انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٢٢٥٣، سعدان، ٨/ ٥١٧.

(٣) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف العين المهملة، ر: ٤٥٨٣، ٤/ ٢٢، ٢٣.

بن أبي طالب -كرّم الله تعالى وجهَه- سُئل عن مسألةٍ فقال: «لا علمَ لي بها» ثمّ قال: «وأبردُها على الكبد، سُئلت عمّا لا أعلم، فقلتُ: لا أعلم»"[١].

(٣٩) الدّارمي عن عبد الله بن عَمرو الخارفي[٢] عن علي ﵁ قال: أتاه رجلٌ فسأله عن فريضة، قال: «إن لم يكن فيها جَدٌّ، فهاتها!»[٣].

(٤٠) عبد الرزّاق[١] وسعيدُ بن منصور[٢] والدارمي عنه -كرّم الله تعالى وجهَه- قال: «مَن سَرّه أن يتقحمَ جراثيم جهنّم، فليقضِ بين الجَدّ والإخوة»[٣].

---

(١) انظر: "كنز العمال" حرف العين، كتاب العلم من قسم الأفعال، باب في آداب العلم والعلماء، فصل في رواية الحديث، آداب العلم متفرّقة، ر: ٢٩٥٠٤، ١٠/ ١٣٤، نقلاً عن سعدان بن نصر في الرابع من حديثه.

(٢) هو عبيد بن عمرو الخارفي أبو المغيرة يعدّ في الكوفيين. روى عن علي ﵁. وروى عنه أبو إسحاق الهمداني. قال أبو محمد: وروى عن حذيفة. ("التاريخ الكبير" باب العين، ر: ١٤٧٤، ٥/ ٤٥٣. و"الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم، باب كلّ اسم ابتداء حروفه عين، ر: ١٨٩٩، ٥/ ٤١٠).

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الفرائض، باب الجدّ، ر: ٢٩٠١، ٢/ ٤٥٠، عن علي.

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب فرض الجدّ، ر: ١٩٠٤٨، ١٠/ ٢٦٢، ٢٦٣، بطريق أيوب، عن سعيد بن جبير، عن رجل من مراد قال: سمعتُ عليّاً يقول: «مَن سَرّه أن يتقحمَ جراثيم جهنّم، فليقضِ بين الجَدّ والإخوة».

(٢) أي: في "السنن" كتاب الفرائض، باب قول عمر الجدّ، ر: ٥٦، ١/ ٦٦، عن علي.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الفرائض، باب الجدّ، ر: ٢٩٠٢، ٢/ ٤٥٠، عن علي.

(٤١) أبو بكر بن شَيبة[١] ومسدّد[٢] وأبو يعلى[٣] وابنُ جرِير[٤] والبَيهقي[٥] وأبو عُمر في "العِلم" عن أبي صالح قال: قال عليٌّ ﵁: «سَلُوني فإنّكم لا تسألون مثلي، ولن تسألوا مثلي!» فقال ابنُ الكواء: أخبِرني عن الأختَين المملوكتَين! فقال: «أحلّتْها آيةٌ، وحرّمتْها آيةٌ، ولا آمُر ولا أنهَى، ولا أحِلّ ولا أحرِّم، ولا أفعله أنا ولا أهلُ بيتي!»[٦].

---

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب في الرجل يكون عنده الأختان مملوكتان فيطأهما جميعاً، ر: ١٦٥٠٨، ٤/ ١٦٩، بطريق وكيع، عن شعبة، عن أبي عون، عن أبي صالح الحنفي أنّ ابنَ الكواء سأل عليّاً عن الجمع بين الأختَين، فقال: «حرّمتها آية، وأحلّتها أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلي».

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرّمات النكاح، ر: ٤٥٦٨٨، ١٦/ ٢١٥، نقلاً عن مسدّد.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرّمات النكاح، ر: ٤٥٦٨٨، ١٦/ ٢١٥، نقلاً عن أبي يعلى.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرّمات النكاح، ر: ٤٥٦٨٨، ١٦/ ٢١٥، نقلاً عن ابن جرِير.

(٥) أي: في "السنن الكبرى" كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين وبين المرأة ...إلخ، ٧/ ١٦٤، عن علي ﵁.

(٦) أخرجه ابن عبد البرّ في "جامع بيان العلم وفضله" باب في ابتداء العالم جلساءه بالفائدة وقوله: سلُوني وحرصهم على أن يؤخذَ ما عندهم، ر: ٧٣٤، ١/ ٤٦٨، عن علي ﵁: "سلُوا ولو أنّ إنساناً يسأل" فسأله ابنُ الكواء عن الأختَين المملوكتين، وعن ابنة الأخ والأخت من الرضاعة، قال: "إنّك لذَهاب في التيه، سَل عما ينفعك أو يُعينك" قال: إنّما نسأل عمّا لا نعلم، قال: فقال: في ابنة الأخ والأخت من الرضاعة: أردت رسولَ الله ﷺ على بنت حمزة، فقال:
=

علّم ﷺ عليّاً ألف ألف ألف علمٍ

أقول: ولقد صدقَ رضي الله عنه: «إنّكم لا تسألون»[١] ...إلخ؛ لأنّه كان أعلَم النّاس في زمنه، ولا يخلق بعدَه مَن يساوِيه، كيف وهو الذي علّمه المصطفى ﷺ ألف ألف ألف علمٍ!.

أخرج أبو نعَيم في "الحلية"، وأبو أحمد الفرضي[٢] في "جُزئه"[٣] الحدِيثي" عنه -كرّم اللهُ تعالى وجهَه- قال: «علّمني رسولُ الله ﷺ ألفَ بابٍ، كلُّ بابٍ يفتح ألفَ باب»[٤].

وروَى الإسماعيلي في "معجمه"[٥] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: إنّ عليّاً رضي الله عنه

=

«هي ابنةُ أخي من الرّضاع». وقال في الأختين المملوكتين: "أحلّتها آية وحرّمتها آية، لا آمُر ولا أنهى، ولا أحلّ ولا أحرّم، ولا أفعله أنا ولا أهل بيتي".

(١) وقد احترس رضي الله عنه للأشياخ الثلاثة -رضوان الله تعالى عليهم- إذ نفى الحالَ والاستقبال دون الماضي، وذلك كقوله -كرّم الله تعالى وجهَه-: «أنا الصِّديق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كذّاب» ["سنن ابن ماجه" المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ر: ١٢٠، صـ٣١]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٣٨٩٠-أبو أحمد الفرضيّ، ١١/١٠٨.

(٣) انظر ترجمته: "المعجم المفهرس" للعَسقلاني، حرف الفاء، ر: ١٤٢٥، صـ٣٣٤.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، فضائل علي رضي الله عنه، ر: ٣٦٣٦٨، ١٣/ ٥٠، نقلاً عن أبي أحمد الفرضي في "جزئه" وأبي نعَيم في "الحلية".

(٥) أي: "معجم الشيوخ": لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، المتوفّى سنة ٣٧١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٩٦).

خطب النّاسَ فقال: «لتفتحنّ البصرة، ولتأتينّكم مادّةٌ -أي مددٌ- من الكُوفة ستّةُ آلافٍ وخمسُمئةٍ وستّين، أو خمسةُ آلافٍ وستُّمئةٍ وخمسين» -أي: نفراً- قال ابنُ عبّاس: فقلتُ: الحربُ خدعةٌ! قال: فخرجتُ فأقبلتُ أسأل النّاسَ -أي: المدد الآتي من الكُوفة- كَم أنتم؟ فقالوا كما قال، فقلتُ: «هذا مما أسرَّه إليه رسولُ الله ﷺ، إنّه علّمه ألفَ ألفِ كلمةٍ، كلُّ كلمةٍ تفتح ألف كلمة»[1].

كلا الأثرَين حَسنُ الإسناد. وقد رجع رضي الله عنه إلى الجزم بتحريم الأختَين الأمتَين.

رواه بنو أبي شَيبة[2] وجرير[3] والمنذر[4]، والبَيهقي[5] عنه،

(١) أخرجه الإسماعيلي في "المعجم"، ر: ٢٥٤، الحسين بن شيرويه، صـ١٢٩، ١٣٠، عن ابن عباس.

(٢) أي: في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب في الرجل يكون عنده الأختان مملوكتان فيطأهما جميعاً، ر: ١٦٥١٩، ٤/ ١٧٠، بطريق عبد الله بن مبارك، عن موسى بن أيوب، عن عمه، عن علي قال: سألته عن رجل له أمتان أختان وطئ إحداهما، ثمّ أراد أن يطأ الأخرى، قال: «لا، حتّى يُخرِجَها من مِلكه» قال: قلتُ: فإنّه زوّجها عبدَه؟ قال: «لا، حتّى يُخرِجَها من مِلكه».

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرمات النكاح، ر: ٤٥٦٨٥، ١٦/ ٢١٥، نقلاً عن ابن جرِير عن علي.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرمات النكاح، ر: ٤٥٦٨٥، ١٦/ ٢١٥، نقلاً عن ابن المنذر عن علي.

(٥) أي: في "السنن الكبرى" كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين وبين المرأة... إلخ، =

وابنُ جرِير[١]وأبو عمر[٢] في "الاستذكار"[٣] عن إياس بن عامر[٤]، وابنُ جرِير[٥] عن سليمان بن يسار[٦]، وذكره ابنُ شِهاب في حديث قبيصة المارّ، فإنّ تمامَه: "فبلغَ ذلك

=

٧/ ١٦٤، بطريق ابن مبارك، عن موسى بن عقبة، عن عمه، عن علي ﵁ سأله رجل له أمتان أختان وطئ إحداهما، ثمّ أراد أن يطأَ الأخرى، قال: «لا، حتّى يُخرِجَها من مِلكه».

(١) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرمات النكاح، ر: ٤٥٦٨٦، ١٦/ ٢١٥، نقلاً عن ابن جرِير عن إياس بن عامر.

(٢) أخرجه ابن عبد البرّ في "الاستذكار" كتاب النكاح، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين، ٤/ ٤٩٢، ٤٩٣، بطريق إياس بن عامر قال: سألتُ علي بن أبي طالب ﵁ فقلت له: إنّ لي أختَين مما ملكتْ يميني، اتخذتُ إحداهما سرية، فولدت لي أولاداً، ثمّ رغبتُ في الأخرى، فما أصنع؟ فقال علي: «تعتق التي كنتَ تطأها، ثمّ تطأ الأخرى» قلتُ: فإنّ ناساً يقولون: ثمّ تزوّجها، ثمّ تطأ الأخرى، فقال علي: «أرأيتَ إن طلّقها زوجها، أو مات عنها، أليست ترجع إليك؟ لأن تعتقَها أسلَم لك!» ثمّ أخذ عليٌّ بيدي فقال لي: «إنّه يحرم عليك مما ملكتْ يمينُك ما يحرم عليك في كتاب الله من الحرائر، إلّا العدد -أو قال الأربع-، ويحرم عليك من الرضاعة مثل ما يحرم عليك في كتاب الله من النَّسب».

(٣) أي: "الاستذكار لمذهب أئمّة الأمصار وفيما تضمّنه الموطأ من المعاني والآثار": للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، المتوفّى سنة ثلاث وستين وأربعمئة. ("كشف الظنون" ١/ ١٢١).

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف: من اسمه إياس، ر: ٦٣١، ١/ ٤٠٣.

(٥) انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأفعال، محرمات النكاح، ر: ٤٥٧٠٣، ١٦/ ٢١٧، نقلاً عن ابن جرِير.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف السين: من اسمه سليمان، ر: ٢٦٩٤، ٣/ ٥١٢، ٥١٣.

رجلاً من أصحاب النّبي ﷺ فسأله عن ذلك، فقال: «لو وُلّيتُ شيئاً من أمر المسلمين ثمّ جئت به، جعلتُه نكالاً» قال الزُّهري: "أراه عليّاً رضي الله عنه"[1].

سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٤٢) تقدّم[2] حديثُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لقد علِمنا بعضاً مما بيّن لنا في القرآن».

(٤٣) الإمام الأعظم أبو حنيفة[3] ومن طريقه محمدٌ[4] في "الآثار"[1]

---

(١) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين ...إلخ، ٧/ ١٦٣، ١٦٤، بطريق مالك، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب أنّ رجلاً سأل عثمان بن عفّان رضي الله عنه عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان رضي الله عنه: «أحلّتهما آية، وحرّمتهما آية، وأمّا أنا فلا أحبّ أن أصنعَ هذا» قال: فخرج من عنده فلقيَ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: «لو كان لي من الأمر شيء، ثمّ وجدت أحداً فعل ذلك، لجعلتُه نكالاً» "قال مالك رحمه الله قال ابن الشهاب: "أراه علي بن أبي طالب رضي الله عنه".

(٢) أي: في "الدولة المكية" النظر ٥، صـ١٦٩.

(٣) أي: في "جامع المسانيد" الباب ٢٣ في النكاح، ٢/ ١٠٤، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في المرأة، توفّي عنها زوجها ولم يفرض لها صداقها، ولم يكن دخل بها فقال: «لها صداقُ نسائها، ولها الميراثُ، وعليها العدّة» فقام معقل بن سنان الأشجعي مثل ما قضيت.

(٤) أي: في "كتاب الآثار" كتاب النكاح، باب من تزوّج ولم يفرض ... إلخ، صـ٨٦، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) "كتاب الآثار": لمحمد بن الحسن بن واقد الشيباني أبو عبد الله الفقيه الحنفي البغدادي، توفّي سنة ١٨٩هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٣٧. و"هدية العارفين" ٦/ ٨).

وأحمدُ[١] في "المسند"، وابنُ أبي شَيبة[٢] وأصحابُ السُّنن الأربعة[٣] والحاكمُ[٤] والبَيهقي[٥]، وهذا حديثُ أبي داود عن عبد الله بن عتبة بن مسعود[٦] أنّ ابنَ مسعود رضي الله عنه: "أتيَ في رجلٍ تزوّج امرأةً، ولم يفرض لها صداقاً، فمات عنها ولم يدخل بها، فقال: «أقول: إنّ لها صداقاً كصداق نسائِها، لا وَكْسَ ولا شَطَطَ، ولها الميراثُ، وعليها العدّةُ، فإن يكُ صواباً فمن الله تعالى، وإن يكُ خطأً فمنّي ومن الشّيطان، واللهُ ورسولُه بريئان!» فقام ناسٌ من أشجَع

(١) أي: في "المسند" مسند عبد الله بن مسعود، ر: ٤٢٧٦، ٢/ ١٥٩، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

(٢) أي: في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب في الرجل يتزوّج المرأة فيموت عنها ولم يفرض لها، ر: ١٧٤٠٢، ٤/ ٣٠١، عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب النكاح، باب ما جاء في الرجل يتزوّج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، ر: ١١٤٥، صـ٢٧٧، عن ابن مسعود. [قال أبو عيسى]: هذا حديث ابن مسعود حديثٌ حسن صحيح. وأخرجه النَّسائي في "السنن" كتاب النكاح، باب إباحة التزويج بغير صداق، ر: ٣٣٥١، الجزء ٦، صـ١٢٠، ١٢١، بطريق زائدة بن قدامة، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبد الله، وفي آخره: فرفع عبد الله يدَيه وكبّر. وأخرجه ابنُ ماجه في "السنن" كتاب النكاح، باب الرجل يتزوّج ولا يفرض لها فيموت على ذلك، ر: ١٨٩١، صـ٣١٧، ٣١٨، عن عبد الله.

(٤) أي: في "المستدرك" كتاب النكاح، ر: ٢٧٣٧، ٣/ ١٠٣٤، ١٠٣٥، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي:] "على شرط مسلم".

(٥) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الصداق، باب أحد الزوجين يموت ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها، ٧/ ٢٤٦، عن عبد الله بن مسعود.

(٦) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٣٠٦١ -عبد الله بن عتبة بن مسعود، ٣/ ٣٠٦. و"تهذيب التهذيب" حرف العين: من اسمه عبد الله، ر: ٣٥٥١، ٤/ ٣٨٩، ٣٩٠.

فقالوا: نشهد أنّ رسولَ الله ﷺ قضَى في برْوَعَ بنت واشق كما قضيتَ، قال: ففرحَ ابنُ مسعود فرحاً شديداً حين وافَق قضاؤُه قضاءَ رسولِ الله ﷺ"[١].

(٤٤) الدّارمي في باب التورُّع عن الجواب فيما ليس فيه كتابٌ ولا سنّةٌ، عن عامِر[٢] عن ابن مسعود ﵁ قال: «ما سألتمونا عن شيءٍ من كتاب الله تعالى، نعلمه أخبرناكم به، أو سنّةٍ من نبيِّ الله ﷺ أخبرناكم به، ولا طاقةَ لنا بما أحدثتم!»[٣].

(٤٥) الدّارمي عن شقيقٍ[٤] قال: سُئل عبد الله ﵁ عن شيءٍ فقال: «إنّي لأكرهُ أن أحِلَّ لك شيئاً حرّمَه اللهُ عليك، أو أحرِّمَ ما أحَلَّه اللهُ لك!»[٥].

(١) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب النكاح، باب فيمن تزوّج ولم يسمّ لها صداقاً حتّى مات، ر: ٢١١٦، صـ٣٠٦، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) أي: الشَّعبي.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، ر: ١٠١، ١/ ٥٩، عن ابن مسعود.

(٤) أي: أبو وائل.

(٥) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ر: ١٤٦، ١/ ٦٧، عن عبد الله.

سيّدنا زَيد بن ثابت ﵁

(٤٦) الطَبَراني عن خارجة[١] بن زَيد بن ثابت ﵄: "أنّ زَيدَ[٢] بن ثابتٍ كتب لمعاوية ﵄: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، لعبد الله مُعاوية أمير المؤمنين، مِن زَيد بن ثابتٍ، سلامٌ عليك أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله! فإنّي أحمد إليك اللهُ الذي لا إلهَ إلّا هو، أمّا بعد: فإنّك كتبتَ تسألني عن ميراث الجدّ والإخوة، وإنّ الكلالةَ وكثيرٌ مما يقضَى به في هذه المواريث، لا يعلم مَبلغَها إلّا الله تعالى، وقد كنّا نحضر من ذلك أموراً عند الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، فوعينا منها ما شِئنا أن نَعِيَ، فنحن نُفتي بعد مَن استفتانا في المواريث»"[٣].

(٤٧) عبد الرزّاق عن عكرمة: "أرسلَني ابنُ عبّاس إلى زَيد بن ثابت ﵃ أسأله عن زوجٍ وأبوَين، فقال: «للزَّوج نصفٌ، وللأمّ ثُلثُ ما بقي، وللأب الفَضلُ» فقال ابنُ عبّاس: «أ في كتابِ الله تعالى وجدتَه أم رأيٌ تراه؟» قال: «بل رأيٌ أراه، لا أرى أفضلَ أُمّاً على أب» وكان ابنُ عبّاس يجعل لها الثُلث من جميع المال[١].

---

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الخاء، من اسمه خارجة، ر: ١٦٦٨، ٢/ ٤٩٣.

(٢) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف الزاي المنقوطة، ر: ٢٨٨٧، ٢/ ٤٩٠-٤٩٢. و"أسد الغابة" حرف الزاي، باب الزاي والهاء والواو، ر: ١٨٢٤، ٢/ ٣٤٦-٣٤٨.

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب الزاء، أبو الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت، ر: ٤٨٦٠، ٥/ ١٣٤، عن زيد بن ثابت.

(١) أخرجه عبد الرزّاق في "المصنَّف" كتاب الفرائض، ر: ١٩٠٢٠، ١٠/ ٢٥٤، عن عكرمة.

ورواه الدّارمي عنه مختصراً، ولفظُه: "قال أرسلَ ابنُ عبّاس إلى زَيدِ بن ثابتٍ ﵄، أ تجد في كتاب الله ثُلثَ ما بقي؟ فقال زيدٌ: «إنّما أنتَ رجلٌ تقول برأيِك، وأنا رجلٌ أقول برأيِي!»"[1].

(٤٨) الدّارمي عن إبراهيم -هو النّخعي- قال: "خالَفَ[2]ابنُ عبّاس ﵄[1]

---

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الفرائض، باب في زوج وأبوين وامرأة وأبوين، ر: ٢٨٧٥، ٢/ ٤٤٤، ٤٤٥، عن عكرمة.

(٢) وحديثه ﵁ في رِبا الفضل [انظر: "شرح معاني الآثار" كتاب الصرف، باب الربا، ر: ٥٦٢٧، ٣/ ٣٣٣، ٣٣٤] وفي المتعة [انظر: "شرح معاني الآثار" كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، ر: ٤٢٢٠، ٢/ ٣٨٢، ور: ٤٢٣٥، ٢/ ٣٨٥] والبقاء على قوله إلى زمن ابن الزبير ﵄ ثمّ رجوعه عنهما، وحديث عبد الله بن عمر ﵄ في ربا الفضل ثمّ رجوعه [انظر: "شرح معاني الآثار" كتاب الصرف، باب الربا، ر: ٥٦٣٠، ٣/ ٣٣٥، ور: ٥٦٤٢، ٣/ ٣٣٨] وفي طلاق الحائض وقوله ﵁: «أ رأيت إن عجز» وذكر لفظة أخرى [انظر: "شرح معاني الآثار" كتاب الطلاق، باب الرجل يطلق امرأته وهي حائض ...إلخ، ر: ٤٣٧٣، ٢/ ٤١٥]، وقوله أبيه ﵁ حين أشاره رجلٌ باستخلاف عبد الله [انظر: "تاريخ الطبَري" ذكر استخلاف عمر بن الخطاب، قصة الشُّورى، ٤/ ٢٢٨]، وكذلك حديثهما في مسح الرجلَين [انظر: "شرح معاني الآثار" كتاب الطهارة، باب فرض الرجلين في وضوء الصّلاة، ر: ١٥٠، و١٥٢، ١/ ٤٢، ر: ٢٠٦، و٢٠٨، ١/ ٥٠] إلى غير ذلك من أشياء كثيرة معروفات شهيرة لا نطيل الكلام بسردها، ولو أطلنا إلى هذا النوع لا تسع الخرق. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(١) **أقول**: إلى جُمهورهم وإلّا فإبراهيم هو الراوي عن علي كقول ابن عباس ﵃. رواه الدارمي =

أهلَ القبلة في امرأةٍ وأبوَين، جعل للأم الثُلثَ من جميع المال"[1].

(٤٩) ابنُ سعد في "السنّة"[2] والدّارمي[3] والعدَني وابنُ جرِير عن عبد الله[4] بن أبي يزيد[5] قال: "كان ابنُ عبّاس رضي الله تعالى عنهما إذا سُئل عن الأمر، فكان في القرآن أخبرَ به، وإن لم يكن في القرآن، وكان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرَ به، فإن لم يكن فعن أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله تعالى عنهما، فإن لم يكن قال فيه برأيِه"[1].

=

[أي: في "السنن" كتاب الفرائض، باب في زوج وأبوين وامرأة وأبوين، ر: ٢٨٧٧، ٢/ ٤٤٥] منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الفرائض، باب في زوج وأبوين وامرأة وأبوين، ر: ٢٨٧٨، ٢/ ٤٤٥، بطريق الفضيل بن عمرو، عن إبراهيم قال: "خالف ابن عبّاس أهلَ القبلة في امرأةٍ وأبوَين، جعل للأمّ الثُلث من جميع المال".

(٢) لم نعثر على ترجمته.

(٣) أي: في "السُنن" المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدّة، ر: ١٦٦، ١/ ٧١، عن عبد الله بن أبي يزيد.

(٤) وفي نسخة عبيد الله بن أبي يزيد وهو الصّحيح؛ لأنّ وجدنا في كتب الأعلام المترجمة عبيد الله بن أبي يزيد، لا عبد الله بن أبي يزيد.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبيد الله مصغّراً، ر: ٤٤٨٦، ٥/ ٤١٦.

(١) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، كتاب الإيمان والإسلام من قسم الأفعال، الباب ٢ في الاعتصام بالكتاب والسنّة، ر: ١٦١٩، ١/ ١٩٢، نقلاً عن ابن سعد في "السنّة" والعدني، وابن جرير.

(٥٠) ابنُ جرِير عن ابن أبي مليكة: "إنّ ابنَ عبّاس ﵄ سُئل عن آيةٍ -لو سُئل عنها بعضُكم لقالَ فيها-، فأبى أن يقولَ فيها"[١].

(٥١) عبد الرزّاق[٢] وسعيدُ بن منصور[٣] وأبناءُ المنذر[٤] وأبي حاتم والأنباري[٥] في "المصاحِف"، والحاكمُ وصحّحه[٦] عن عبد الله بن أبي مليكة قال: "دخلتُ على ابن عبّاس ﵄ أنا وعبدُ الله[١] بن فيروز مَولى عثمان بن عفّان ﵁، قال فيروز: يا أبا عبّاس! قولُه تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السّجدة: ٥] فكان ابنُ عبّاس ﵄ اتّهمَه[٢] فقال: «ما يومٌ

---

(١) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" خطبة الكتاب، ذكر بعض الأخبار التي غلط في تأويلها ...إلخ، ر: ٧٨، الجزء ١، صـ٥٩، عن ابن أبي مُليكة.

(٢) أي: في "التفسير" سورة السجدة، تحت الآية: ٥، ر: ٢٢٩٨، ٣/ ٢٥، عن عبد الله بن أبي مليكة.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة السجدة، تحت الآية: ٥، ٦/ ٥٣٧، ٥٣٨، نقلاً عن سعيد بن منصور.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة السجدة، تحت الآية: ٥، ٦/ ٥٣٧، ٥٣٨، نقلاً عن ابن المنذر.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة السجدة، تحت الآية: ٥، ٦/ ٥٣٧، ٥٣٨، نقلاً عن ابن الأنباري في "المصاحف".

(٦) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب الأهوال، ر: ٨٨٠٣، ٨/ ٣١٦٠، عن عبد الله بن أبي مليكة. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري".

(١) لم نعثر على ترجمته.

(٢) أي: ظنّ أنّه يسأله تعنتاً وامتحاناً منه.

كان مقدارُه خمسين ألفَ سَنة؟» فقال: "إنّما سألتُك لتُخبرني! فقال ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: «هُما يومان ذكرَهما اللهُ تعالى في كتابه، اللهُ أعلَم بهما، وأكرهُ أن أقولَ في كتاب الله تعالى ما لا أعلَم!» فضرب الدّهر من ضرباته حتّى جلستُ إلى ابن المسيَّب رضي الله عنه، فسأله عنها إنسانٌ، فلم يخبِر ولم يدرِ، فقلتُ: ألا أخبرُك بما أحضرتُ من ابن عبّاس؟ قال بلى! فأخبرتُه، فقال للسّائل: «هذا ابنُ عبّاس أبى أن يقولَ فيها، وهو أعلَم منّي!»[1].

(٥٢) بنو جرير[2] وأبي حاتم والأنباري فيها[3]، ومَردوَيه[4] والحاكمُ وصحّحه[1] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «بينما أنا في الحجر جالس، إذا آتاني رجلٌ فسأل عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ [العاديات: ١]، فقلتُ: الخيلُ حين تُغِير في سبيل الله، فانفتلَ عنّي فذهب إلى عليٍّ -كرّم الله تعالى وجهَه- وهو جالسٌ تحت سَقاية زَمزَم فسأله، فقال: سألتَ عنها أحداً قبلي، قال نعم، سألتُ عنها ابنَ عبّاس فقال: هي الخيلُ تُغير في سبيل الله، فقال: اذهبْ فادعُه لي! فلمّا وقفتُ على رأسه قال: تُفتي

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" سورة السجدة، تحت الآية: ٥، ر: ١٧٨٢٢، الجزء ٩، صـ٣١٠٣، ٣١٠٤، بطريق عبد الله بن أبي مليكة رضي الله عنه.

(٢) أي: في "الجامع" سورة العاديات، تحت الآية: ١، ر: ٢٩٢٤٣، الجزء ٣٠، صـ٣٤٧، عن ابن عباس.

(٣) انظر: في "الدر المنثور" سورة العاديات، تحت الآية: ١، ٨/ ٦٠٠، ٦٠١، نقلاً عن ابن الأنباري في "المصاحف".

(٤) انظر: في "الدر المنثور" سورة العاديات، تحت الآية: ١، ٨/ ٦٠٠، ٦٠١، نقلاً عن ابن المردوَيه.

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب الجهاد، ر: ٢٥٠٧، ٣/ ٩٤٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخَين، ولم يخرجاه".

النّاسَ بما لا علمَ لك! فساقَ الحديثَ وفسّرها بالإبل العاديات من عَرفة إلى جمع» قال ابنُ عبّاس: «فنزعتُ عن قَولي ورجعتُ إلى قول عليٍّ كرّم الله تعالى وجهَه»[١].

(٥٣) ابنُ المنذر والحاكم[٢] عن ابن عبّاس ﵄ قال: «شيءٌ لا تجدونه في كتاب الله، ولا في قضاءِ رسولِ الله ﷺ وتجدونه في النّاس كلِّهم: للبِنت النّصفُ، وللأختِ النّصفُ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النِّساء: ١٧٦]»[٣].

هُما[١] وعبدُ الرزّاق[٢] والبَيهقي[٣] عنه ﵄: "أنّه سُئل عن رجلٍ توفّي وتركَ ابنتَه وأختَه لأبيه وأمِّه، فقال: «للبنت النّصفُ، وليس للأخت شيء، ما بقيَ فلعصبته» فقيل: إنّ عمرَ جعل للأخت النّصفَ! فقال ابنُ عبّاس: «أأنتم أعلَم أم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" سورة العاديات، تحت الآية: ١، ر: ١٩٤٤٢، الجزء ١٠، صـ٣٤٥٧، عن ابن عباس.

(٢) أي: في "المستدرك" كتاب الفرائض، ر: ٧٩٧١، ٨/ ٢٨٣٨، عن ابن عباس ﵄. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "صحيح".

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ٢/ ٧٥٨، نقلاً عن ابن المنذر.

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب التفسير، تفسير سورة النساء، ر: ٣٢٠٩، ٣/ ١٢٠٢، عن ابن عبّاس ﵄. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري ومسلم".

(٢) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، ر: ١٩٠٢٣، ١٠/ ٢٥٤، ٢٥٥، عن ابن عباس.

(٣) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب الأخوات مع البنات عصبة، ٦/ ٢٣٣، عن ابن عباس.

الله؟ قال الله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ فقلتم أنتم: لها النّصفُ، وإن كان له ولد هذا!»"[١].

وقد أخرج البخاري في "صحيحه"[٢] والدّارمي[٣] وعبد الرزّاق[١] والحاكمُ[٢] عن الأسوَد[٣] قال: "قضَى فينا مُعاذُ بن جبلٍ على عهدِ رسولِ الله ﷺ في ابنةٍ وأختٍ: للابنة النّصفُ، وللأخت النّصفُ"[٤] وسيأتي[٥] مرفوعاً صريحاً عن ابن مسعود ﷺ.

---

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ٢/ ٧٥٨، نقلاً عن ابن المنذر.

(٢) وفي الرواية للدارمي فائدةٌ أخرى إذ قال عنه: "إنّ ابن الزبير كان لا يورّث الأختَ من الأب والأم مع البنت، حتّى حدّثه الأسود أنّ معاذَ بن جبل ﷺ جعل للبنت النصفَ، وللأخت النصفَ، فقال: أنتَ رسولي إلى عبد الله بن عتبة، فأخبره بذلك. وكان قاضيه بالكُوفة" ["سنن الدارمي" كتاب الفرائض، باب في بنت وأخت، ر: ٢٨٨٠، ٢/ ٤٤٥]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له

(٣) أي: في "الدارمي" كتاب الفرائض، باب في بنت وأخت، ر: ٢٨٧٩، ٢/ ٤٤٥، عن الأسود بن يزيد.

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، ر: ١٩٠٢٥، ١٠/ ٢٥٥، عن الأسود بن يزيد.

(٢) أي: في "المستدرَك" كتاب الفرائض، ر: ٨٠١٢، ٨/ ٢٨٥٠، عن الأسود بن يزيد. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري ومسلم".

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الهمزة والسين وما يثلثهما، ر: ١٥٨، الأسود بن يزيد، ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الفرائض، باب ميراث الأخوات مع البنات عصبة، ر: ٦٧٤١، صـ١١٦٤، عن الأسود.

(٥) انظر: صـ٣٤٥، ٣٤٦.

(٥٤) سعيدُ بن منصور عن عطاء قال: "قلتُ لابن عبّاس ﵄: إنّ النّاسَ لا يأخذون بقَولي ولا بقَولك! ولو متُّ أنا وأنتَ ما اقتسموا ميراثاً على ما تقول!" قال: «فليجتمعوا فلنضع أيدِينا على الرُّكن، ثمّ نبتهل ما حكمَ اللهُ بها قالوا!»"[١].

(٥٥) ابنُ جرِير[٢] والحاكمُ وصحّحه، والبَيهقي في "سُننه"[١] عن ابن عبّاس ﵄ "أنّه دخلَ على عثمان ﵁ فقال: «إنّ الأخوَين لا يردَّان الأمَّ عن الثُلث، قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النِّساء: ١١] فالأخوانِ ليسا بِلِسانِ قومِك إخوة» قال عثمانُ: «لا أستطيع أن أردَّ ما كان قبلي، ومضَى في الأمصار، وتوارَثَ به النّاسُ»[٢].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في "السنن" كتاب الفرائض، باب العول، ر: ٣٧، ١/ ٦١، عن عطاء.

(٢) أي: في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١١، ر: ٦٩٤٧، الجزء ٤، صـ٣٧٠، عن ابن عباس: "أنّه دخل على عثمان ﵁ فقال: «لِمَ صار الأخوان يردَّان الأم إلى السُّدس، وإنّما قال الله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ والأخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا بإخوة؟» فقال عثمان ﵁: «هل أستطيع نقض أمر كان قبلي، وتوارثه الناسُ ومضى في الأمصار؟»".

(١) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب فرض الأمّ، ٦/ ٢٢٧، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب الفرائض، ر: ٧٩٦٠، ٨/ ٢٨٣٤، ٢٨٣٥، عن ابن عباس ﵄. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "صحيح".

وأخرج الحاكمُ[١] والبَيهقي عن زَيد بن ثابتٍ ﷺ أنّه كان يحجب الأمَّ بالأخوَين، قال: «إنّ العربَ تسمِّي الأخوَين إخوةً»[٢].

(٥٦) عبدُ بن حمَيد عن ابن عبّاس ﷺ: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ [النِّساء: ٢٣] قال: «ذلك في الحرائر، فأمّا في المماليك فلا بأسَ»[٣].

عبد الرزّاق عن عَمرو بن دينار، أنّ ابنَ عبّاس ﷺ كان يعجب من قول عليٍّ -كرّم الله تعالى وجهَه- في الأختَين يجمع بينهما: «حرّمتهما آيةٌ، وأحلّتهما أُخرى» ويقول: ﴿إِلّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النِّساء: ٢٤] هي مُرسَلة[١].

عبدُ بن حمَيد[٢] وابنُ المنذر عنه عن ابن عبّاس ﷺ: "أنّه كان لا يَرى بأساً أن يجمعَ بين الأختَين المملوكتين"[٣].

---

(١) أي: في "المستدرَك" كتاب الفرائض، ر: ٧٩٦١، ٨/ ٢٨٣٥، عن زيد بن ثابت أنّه كان يقول: «الإخوة في كلام العرب أخوان فصاعداً» [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخَين، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري ومسلم".

(٢) أخرجه البَيهقي في "سنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب فرض الأمّ، ٦/ ٢٢٧، عن خارجة بن زيد، عن أبيه.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ٢/ ٤٧٥، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(١) أخرجه عبد الرزّاق في "المصنف" كتاب الطلاق، باب جمع بين ذوات الأرحام في ملك اليمين، ر: ١٢٧٣٧، ٧/ ١٩٢، ١٩٣، عن عَمرو بن دينار.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ٢/ ٤٧٥، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(٣) أخرجه ابن المنذر في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ر: ١٥٥٧، ٢/ ٦٣٢، عن عمرو بن دينار.

عبدُ الرزّاق[١] والبَيهقي عن عكرمة قال: "ذكرَ عند ابن عبّاس قولُ عليٍّ ﵁ في الأختَين من مِلك اليَمين فقالوا: "إنّ عليّاً قال: «أحلّتها آيةٌ، وحرّمتها آيةٌ» قال ابنُ عبّاس عند ذلك أحلّتها آيةٌ، وحرّمتها آيةٌ: «إنّما يحرّمهنّ على قَرابتهنّ منّي، ولا يحرِّمهنّ على قَرابةِ بعضِهنّ من بعض؛ لقول الله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النِّساء: ٢٤]»"[٢].

ابنُ المنذر عنه عن ابن عبّاس ﵄: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ [النِّساء: ٢٣]: «يعني في النكاح»[١].

(٥٧) ابنُ أبي شَيبة عن ابن عبّاس ﵄: سُئل عن الرّجل يقع على الجارية وابنتِها، تكونان عنده مملوكتَين" فقال: «حرّمتها آيةٌ، وأحلّتها آيةٌ، ولم أكن لأفعله»[٢].

---

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب الطلاق، باب جمع بين ذوات الأرحام في ملك اليمين، ر: ١٢٧٣٦، ٧/ ١٩٢، بطريق عمرو بن دينار.

(٢) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين ...إلخ، ٧/ ١٦٤، عن عمرو عن عكرمة.

(١) أخرجه ابن المنذر في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ر: ١٥٥٦، ٢/ ٦٣٢، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة.

(٢) أخرجه ابن أبي شَيبة في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب الرجل يكون تحته الأمة المملوكة وابنتها فيريد أن يطأ أمّها، ر: ١٦٥٠٠، ٤/ ١٦٧، عن ابن عباس.

قلتُ: وقد أجابَ عنه الإمامان عليٌّ وعبدُ الله ﷺ فأحسَنا، أمّا المرتضَى فروَى ابنُ أبي شَيبة[1] عنه: أنّه سُئل عن ذلك فقال: «إذا أحلّت لك آيةٌ، وحرّمت عليك أُخرى، فإن أملكَهما آيةُ الحرام ما فصل لنا حُرّتَين ولا مملوكتَين»[2] انتهى. يريد -كرّم الله تعالى وجهَه- أن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كما هي مرسَلةٌ كذلك ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ فالترجيحُ للتحريم.

وأمّا ابنُ مسعود فروَى عبدُ الرزّاق[1] وابنُ أبي شَيبة[2] وعبدُ بن حمَيد[3] وابنُ أبي حاتم والطبَراني[4] عنه ﷺ: أنّه سُئل عن الرّجل يجمع بين الأختَين الأمتَين

---

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب الرجل يكون تحته الأمة المملوكة وابنتها فيريد أن يطأَ أمّها، ر: ١٦٥٠٣، ٤/ ١٦٧، عن علي.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ٢/ ٤٧٨، نقلاً عن ابن أبي شَيبة.

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب الطلاق، باب جمع بين ذوات الأرحام في ملك اليمين، ر: ١٢٧٤٢، ٧/ ١٩٣، عن ابن مسعود.

(٢) أي: في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب في الرجل يكون عنده الأختان مملوكتان فيطأهما جميعاً، ر: ١٦٥٠٩، ٤/ ١٦٩، عن ابن مسعود.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ٢/ ٤٧٦، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(٤) أي: في "المعجم الكبير" باب، ر: ٩٦٦٧، ٩/ ٣٣٥، عن ابن مسعود.

فكرهَه، فقيل: يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فقال: «وبعيرُك أيضاً مما ملكتْ يمينُك!»[١].

سيّدنا أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه

(٥٨) الدارمي عن عامرٍ قال: "استفتَى رجلٌ أبَي بن كعب[٢] رضي الله تعالى عنه فقال: يا أبا المنذر! ما تقول في كذا وكذا؟ قال: «يا بُنيّ! أ كان الذي سألْتني عنه؟» قال: لا، قال: «أمّا لا، فأجّلني حتّى يكونَ، فنعالِج أنفسَنا حتّى نخبرَك»"[١].

سيّدنا عمّار بن ياسِر رضي الله تعالى عنهما

(٥٩) أيضاً عنه قال: سُئل عمّار بن ياسِر[٢] رضي الله تعالى عنهما عن مسألةٍ فقال: «هل كان هذا بعد؟» قالوا: لا، قال: «دَعونا حتّى تكون، فإذا كان تجشمناها لكم»[٣] ...انتهى.

وأيُّ تجشّم؟ وأيُّ معالجةٍ بعد التبيان؟ إنّما هُما في استخراج الخفي المستور.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ر: ٥٠٩٩، الجزء ٣، صـ٩١٤، عن ابن مسعود.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الهمزة والباء وما يثلثهما، ر:٣٤، أُبيُّ بن كعب بن قيس، ١/ ١٦٨-١٧١.

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ر: ١٤٩، ١/ ٦٧، ٦٨، عن عامر.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف العين، باب العين والميم، ر: ٣٨٠٤، ٤/ ١٢٢-١٢٨.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من كراهية الفتيا، ر: ١٢٣، ١/ ٦٣، بطريق داود، عن عامر قال سئل عمار بن ياسر.

سيّدنا أبو الدَرداء رضي الله عنه

(٦٠) ابنُ عساكر في "تاريخه" عن حمّاد بن زَيد[١] عن أيّوب[٢] عن أبي قلابة[٣] عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: «إنّك لم تفقَه كلَّ الفقه حتّى ترَى للقرآن وُجوهاً» قال: "فقلتُ لأيّوب: أ رأيتَ قولَه: «حتّى ترى للقرآن وُجوهاً؟» أ هُو أن يرَى له وُجوهاً فتهاب الإقدام عليه! قال: نعم، هو هذا"[١] ...انتهى.

أقول: وقدمّنا[٢] محملَه الآخَر عن الإمام السُّيوطي رحمه الله، والكلُّ حسَن، فذاك في المتوافِقات كقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ [يونس: ٣٧] وهذا في المتنافِيات كقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

(٦١) الدّارمي عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: «وما نحن لولا كلماتُ العلماء!»[٣].

---

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٣٠٥، حمّاد بن زيد، ٦/ ٢٧٤-٢٧٨.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه أيوب، ر:٦٤٧، ١/ ٤١٣، ٤١٤.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبد الله، ر:٣٤٢١، ٤/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(١) أخرجه ابن عساكر في "التاريخ" حرف العين، تحت ر: ٥٤٦٤ عويمر بن زيد بن قيس ...إلخ، ٤٧/ ١٧٣، عن أبي الدرداء.

(٢) أي: في فصل في تقريب العموم إلى المفهوم ...إلخ، فائدة جليلة، صـ٢٥٦.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، ر: ٣٩٠، ١/ ١١٩، عن أبي الدرداء.

(٦٢) أبو نعَيم في "الحلية" عن مالك عن يحيى بن سعيد، أنّ أبا الدَّرداء كتبَ إلى سَلمان[١] ﵁: «هلُمّ إلى الأرض المقدّسة!» فكتبَ إليه سلمانُ: «إنّ الأرضَ لا تقدِّس أحداً، وإنّما يقدِّس الإنسانَ عملُه، وقد بلغَني أنّك جعلتَ طبيباً -يريد قاضياً- فإن كنتَ تبرئ فنعمّا لك! وإن كنتَ متطبّباً فاحذرْ أن تقتلَ إنساناً، فتدخل النّار!» فكان أبو الدرداء إذا قضَى بين اثنَين فأدبرا عنه، نظرَ إليهما وقال: «متطبّبٌ والله! ارجِعا إليَّ أعيدا قصّتكما»[١].

سيّدنا ابن عمر ﵄

(٦٣) أبو داود في "النّاسخ والمنسوخ"[٢] وابنُ مَردوَيه عن خالد بن أسلَم[٣] قال: "خرجنا نمشي مع ابن عُمر ﵄ فلحقَه أعرابيٌّ فسأله عن إرث العمّة، فقال:

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين واللام، ر: ٢١٥٠، ٢/ ٥١٠، ٥١٣-٥١٥.

(١) أخرجه أبو نعَيم في "الحلية" ذكر الصحابة من المهاجرين، سلمان الفارسي، ر: ٦٥٢، ١/ ٢٦٣، عن يحيى بن سعيد.

(٢) "ناسخ القرآن ومنسوخه": لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو بن عمران الأزدي الحافظ أبو داود السَّجستاني الحنبلي، وُلد سنة ٢٠٢ وتوفّي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ٣٢٤).

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب الكمال" حرف الخاء، من اسمه خالد، ر: ١٥٧٧، ٥/ ٣٢٩.

«لا أدري» قال: "أنتَ ابن عُمر ولا تدري؟" قال: «نعم، اذهبْ إلى العلماء!» فلمّا أدبر قبّل ابنُ عمرَ يدَيه، فلحقَه أعرابيٌّ قال: نِعمَ ما قلتَ!"[١].

والدارمي عن عبَيد بن جريج[٢] قال: كنتُ أجلس بمكّةَ إلى ابن عُمر يوماً، وإلى ابن عبّاس يوماً رضي الله عنهم، فما يقول ابنُ عمر فيما يُسئل: «لا علمَ لي» أكثرُ مما يُفتي به[١].

ومن طريق عبد الله العُمري[٢] عن نافع، وطريق[٣] هِشام بن عُروة عن أبيه قالا: "إنّ رجلاً أتى ابنَ عُمر رضي الله عنهما يسأله عن شيء، فقال: «لا علمَ لي» ثمّ التفتَ بعد أن قفى الرّجلُ فقال: نِعمَ ما قال ابنُ عمر! يُسئل عمّا لا يعلم فقال: «لا علمَ لي» يعني ابنُ عمر نفسُه[٤].

---

(١) انظر: "إتحاف السادة المتقين" كتاب العلم، الباب ٦ في آفات العلم، ١/ ٣٩٤، نقلاً عن أبي داود في "الناسخ والمنسوخ" وابن مَردوَيه.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبيد مصغّرا بغير إضافة، ر: ٤٤٩٨، ٥/ ٤٢١، ٤٢٢.

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ر: ١٥٥، ١/ ٦٨، ٦٩، عن عبيد بن جريج.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبد الله، ر: ٣٥٧٩، ٤/ ٤٠٥، ٤٠٦.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب في الذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتي، ر: ١٧٩، ١/ ٧٤، عن ابن عمر.

(٤) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب في الذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتي، ر: ١٨١، ١/ ٧٥، عن ابن عمر.

وفي "قُوت القلوب"[١] و"الإحياء": "كان ابنُ عمر ﵄ يُسئل عن عشر مسائلَ، فيُجيب عن واحدةٍ، ويسكت عن تسعة"[٢].

أبو موسى الأشعَري وسَلمان بن ربيعة ﵄

(٦٤) البخاري[١] وعبد الرزّاق[٢] والدارمي والحاكم[٣] والبَيهقي عن هزيل بن شُرحبِيل[٤] أنّ أبا مُوسى الأشعَري ﵁ سُئل عن ابنةٍ وابنةِ ابنٍ، وأختٍ لأبوَين، فقال: «للبنت النّصفُ، وللأخت النّصفُ، وأتِ ابنَ مسعودٍ فسيتابعني» فسُئل ابنُ مسعود ﵁ وأخبرَ بقول أبي موسى فقال: «لقد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدِين، أقضِي فيها بما قضَى النبيُّ ﷺ: للابنة النّصفُ، ولابنة الابن السُّدسُ تكملةً للثُلثَين،

---

(١) "قُوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد" في التصوف، الفصل ٣١ في ذكر العلم وتفضليه ...إلخ، ذكر فضل علم المعرفة واليقين ...إلخ، الجزء ١، صـ١٣١: لأبي طالب محمّد بن علي بن عطيّة العجمي ثمّ المكّي، المتوفّى سنة ٣٨٦هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣١٩).

(٢) "إحياء علوم الدين" كتاب العلم، الباب ٦ في آفات العلم وبيان علامات ...إلخ، ١/ ٨٥.

(١) أي: في "الصحيح" كتاب الفرائض، باب ميراث ابنة ابن مع ابنة، ر: ٦٧٣٦، صـ١١٦٣، عن هزيل بن شرحبيل.

(٢) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، ر: ١٩٠٣٢، ١٠/ ٢٥٧، عن هزيل.

(٣) أي: في "المستدرَك" كتاب الفرائض، ر: ٧٩٨٥، ٨/ ٢٨٣٤، عن هزيل بن شرحبيل. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري ومسلم".

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الهاء، من اسمه هزّال وهزيل، ر: ٧٥٦٢، ٩/ ٣٩.

وما بقيَ فللأخت» فأتَينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود ﵁ فقال: «لا تسألوني مادام هذا الحَبرُ فيكم!»[1].

ولفظ الدّارمي[1]: جاء رجلٌ إلى أبي مُوسى الأشعَري وإلى سَلمان [2] بن ربيعة[3] فسألهما -فذكر بمعناه، وفيه-: «وأتِ ابنَ مسعودٍ فإنّه سيتابعُنا»[4] ...إلخ، إلّا قول أبي موسى: «لا تسألوني» ...إلخ.

---

(١) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب فرض الابنة، ٦/ ٢٢٩، عن هزيل.

(١) وعزاه الحافظ في "الإصابة" [حرف السين المهملة، تحت ر: ٣٣٦٦ سلمان بن ربيعة، ٣/ ١١٧] للنَّسائي [أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، ذكر الأخوات مع البنات ومنازلهن من التركات، ر: ٦٢٩٤، ٦/ ١٠٧]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٢) يقال له سلمان الخيل عدّه البخاري في الصحابة، وأنكره ابن مندة [انظر: "الإصابة" حرف السين المهملة، ر: ٣٣٦٦ سلمان بن ربيعة، ٣/ ١١٧] وقال الحافظ في "التقريب" يقال له: "صحبة، ولّاه عمرُ قضاءَ الكُوفة" ["التقريب" حرف السين، ر: ٢٤٧٤ سلمان بن ربيعة، صـ١٨٦] انتهى.

أقول: كفى به دليلاً على صحّة قول البخاري لما صرّح في "الإصابة" في عدة مواضع، أنّهم كانوا لا يولّون إلّا صحابياً، ووقع في نسخة "الدارمي" المطبوعة: سليمان مصغّراً، وهو تصحيف. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين واللام، ر: ٢١٤٧، سلمان بن ربيعة، ٢/ ٥٠٨، ٥٠٩.

(٤) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الفرائض، باب في بنت وابنة ابن وأخت لأب وأمّ، ر: ٢٨٩٠، ٢/ ٤٤٧، عن هزيل بن شرحبيل.

سيّدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه

(٦٥) أحمدُ عن عبد الرّحمن بن عتاب[١] كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: «مَن أصبح جُنباً فلا صومَ له» قال: فأرسلَني مروانُ بن الحكم أنا ورجلٌ آخَر إلى عائشة وأمّ سلَمة رضي الله تعالى عنهما، نسألها عن الجُنب يُصبح في رمضان قبل أن يغتسلَ، فقالت إحداهُما: «قد كان رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يُصبح جُنباً، ثمّ يغتسل ويُتمّ صيامَ يومِه» وقالت الأُخرى: «كان يُصبح جُنباً من غير أن يحتلمَ، ثمّ يُتمّ صومَه» قال: فرجعا فأخبرَا مروانَ بذلك، فقال لعبد الرّحمن: أخبِر أبا هرَيرة بما قالتا، فقال أبو هرَيرة[٢] رضي الله تعالى عنه: «كذا كنتُ أحسب، وكذا كنتُ أظنّ» فقال له مروانُ: بـ"أظنّ" وبـ"أحسب" تُفتي النّاس؟![٣].

جُندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه

(٦٦) الدارمي عن الوليد بن مسلم[٤] قال: جاء طلقُ بن حبَيب[٥] إلى جُندب

---

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٣٣٥٣، عبد الرحمن بن عتاب، ٣/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) وله من طريق أبي بكر عبد الرّحمن بن حارث قال: "قالتاه لكما؟ قالا: نعم، قال: هما أعلَم، إنّما أنبأنيه الفضلُ بن عباس" [أي: "المسند" مسند السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، ر: ٢٥٧٣١. ١٠/ ١٤] اهـ. وفيه التقليد. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، ر: ٢٥٥٦٥، ٩/ ٥٥٠، عن عبد الرحمن بن عتاب.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الواو، من اسمه الوليد، ر: ٧٧٣٦، ٩/ ١٦٧.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الطاء: من اسمه طلق وطليق، ر: ٣١٢٢، ٤/ ١٢٣.

بن عبد الله -هو ابنُ عبد الله بن سُفيان البجلي صحابي رضي الله تعالى عنه- فسأله عن آيةٍ من القرآن، فقال له: «أحرِّج عليك إن كنتَ مسلماً، لما قمتَ عنّي" -أو قال-: "أن تجالسَني»[1].

عمران بن حصَين رضي الله تعالى عنه

(٦٧) الشَّعراني في "الميزان": "قد قال: رجلٌ لعمران بن حصَين رضي الله تعالى عنهما لا تتحدّث معنا إلّا بالقرآن، فقال له عمرانُ: «إنّك لأحمَق! هل في القرآن بيانُ عددِ ركعاتِ الفرائض؟ أو اجهروا في كذا دُون كذا؟» فقال الرجل: لا، فأفحَمه عمرانُ[2].

عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه

(٦٨) ابن أبي شَيبة[3] والدّارمي[4] وابنُ جرِير عن أبي الخير مرثد[5] بن عبد الله اليزني[6]، إنّ رجلاً سأل عقبة بن عامر[7] -هو الجُهني صحابي صلّى الله تعالى عليه وسلّم- عن الكلالة،

(١) لم نجده في "سنن الدارمي" ولكن وجدناه في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" المقدّمة، ذكر نعض الأخبار التي غلط في تأويلها ...إلخ، ر: ٧٩، الجزء ١، صـ٥٩، عن الوليد بن مسلم.

(٢) "الميزان" فصل شريف في بيان الذمّ من الأئمّة المجتهدين ...إلخ، الجزء ١، صـ٥٥، ٥٦.

(٣) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب في الكلالة منهم، ر: ٣٢٢٥٧، ١١/ ٤١٦، عن عقبة بن عامر.

(٤) أي: في "السنن" كتاب الفرائض، باب: الكلالة، ر: ٢٩٧٣، ٢/ ٤٦٢، عن عقبة بن عامر الجُهني.

(٥) بميم فراء مثلثة ووقع في نسخة "الدارمي" المطبوعة يزيد وهو تصحيف. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه مرار ومرثد، ر: ٦٨١٧، ٨/ ٩٨.

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والقاف، ر: ٣٧١١، ٤/ ٥١، ٥٢.

فقال: «ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة؟ وما أعضل بأصحاب رسول الله ﷺ شيء ما أعضلت بهم الكلالة»[١].

فهؤلاء أعيانُ علماء الصّحابة، أعلَم الأمّة الذين إليهم انتهتْ رِئاسةُ العلوم الإلهيّة، فيهم حكيمُ الأمّة[٢] أبو الدّرداء، وأفرضُهم زيدُ بن ثابت، وأقرأُهم أبَي بن كعب، الذي قال له النبيُّ ﷺ: «لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر»![٣] وأعلمُهم بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل، والمملوءُ إيماناً من قرنه إلى قدمِه عمّارُ الذي ما خُيّر بين أمرَين إلّا اختار أرشدَهما، وكان يزول مع الحقّ حيث يزول، وترجمانُ القرآن ابنُ عبّاس، وعالمُ هذه[٤] الأمّة عبدُ الله بن عُمر، وأفقهُ الصّحابة بعد الخلفاء الأربعة، كنَيف ملئ علماً عبدُ الله بن مسعود وغيرُهم.

---

(١) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٧٦، ر: ٨٥٥٧، الجزء ٦، صـ٦٠، عن عقبة.

(٢) ابن عساكر عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ: «إنّ لكلّ أمّة حكيماً، وحكيم أمّتي أبو الدرداء» ["تاريخ دِمشق" حرف العين، ر: ٥٤٦٤، عويمر بن زيد بن قيس، ٤٧/ ١١٣]. الطبَراني في "الأوسط" عن شريح بن عبيد عن النّبي ﷺ: «حكيمُ أمّتي عوَيمر» [انظر: "الجامع الصغير" حرف الحاء، ر: ٣٧٥٢، الجزء ١، صـ٢٢٨، نقلاً عن الطبَراني في "الأوسط" عن شريح بن عبيد مرسَلاً] كلاهما مرسَل. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، ر: ١٨٨٥،صـ٣٢٧، عن أبَي بن كعب.

(٤) رواه الدَّيلمي عن ابن عباس عن النبي ﷺ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

وفيهم خطيبُ منبر "سَلُوني" الذي علّمه النبيُّ ﷺ ألفَ ألفِ الفِ علمٍ، الذي كان يقول في خطبته: سَلُوني![1] فوالله لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى يوم القيامة إلّا حدّثتكم به، سَلُوني عن كتاب الله! فوالله ما منه آيةٌ إلّا أنا أعلَم أ بلَيلٍ نزلتْ أم بنهار! أم في سهلٍ نزلت أم في جبلٍ! أعني عليّاً كرّم الله تعالى وجهَه.

وفيهم خليلُ رسول الله ﷺ ووليُّه في الدّنيا والآخِرة، ورفيقُه في الجنّة عثمانُ، وفيهم الفارُوق الذي ذهبَ بتسعةِ[2] أعشارِ العِلم، وفيهم الصدّيقُ الأكبر أعلَمُهم جميعاً وأكملهم طُرّاً رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

---

(١) رواه ابن الأنباري في "المصاحف" [انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، كتب الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، فصل في التفسير، جامع التفسير، ر: ٤٧٣٧، ٢/ ٢٣٩،٢٤٠، نقلاً عن ابن الأنباري في "المصاحف"] وابن عبد البرّ في "العلم" عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنهما قال: "شهدت علي بن أبي طالب يخطب فقال في خطبته فذكره" ["جامع بيان العلم وفضله" باب في ابتداء العالم جلساءه بالفائدة ...إلخ، ر: ٧٢٦، ١/ ٤٦٤]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) مرّ عن ابن مسعود [أي: في فصل في العموم ومعنى قول أمير المؤمنين...إلخ، صـ١٢٢، ١٢٣] وأخرج الدَّارمي عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال: "ذهب عمر بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم فقال: ذهب عمر بتسعة أعشار العلم" [المقدمة، باب فضل العلم والعالم، ر: ٣٥٥، ١/ ١١٢، ١١٣]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

فإذا لم يكن القرآنُ تبيانَ كلِّ حُكمٍ دِينيٍّ لهؤلاء، فلمَن يكون؟ وقد علمتَ أنّ هذا أخصُّ ما خصّصوا به الآيات، فإذا لم يستقم الأخصُّ، أين يستقيم الأعمُّ؟ فأنّى تصحّ العموماتُ! نسألُ اللهَ الهداية والثَّبات!.

سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه

(٦٩) ابنُ جرِير من طريق مالكٍ عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيَّب رضي الله عنهما، أنّه كان إذا سُئل عن تفسير آيةٍ من القرآن قال: «أنا لا أقول في القرآن شيئاً»[١]. أيضاً عن يزيد بن أبي يزيد[٢] هو الرشك قال: "كنّا نسأل سعيدَ بن المسيَّب عن الحلال والحرام -وكان أعلَمَ النّاس-، وإذا سألناه عن تفسير آيةٍ من القرآن سكتَ كأن لم يسمع"[٣].

ابن الشِّهاب الزُّهري رضي الله عنه

(٧٠) الدارمي عن أبي سهيل قال: "كان على امرأتي اعتكافُ ثلاثةِ أيّامٍ في المسجد الحرام، فسألتُ عمرَ بن عبد العزيز وعنده ابنُ شِهاب. قال: قلتُ: عليها صيام؟ قال ابنُ شِهاب: لا يكون اعتكافٌ إلّا بصيام، فقال له عمرُ بن عبد العزيز: عن النّبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، قال فعن أبي بكر؟ قال: لا، قال: فعن عُمر؟ قال: لا، قال:

---

(١) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" خطبة الكتاب، ذكر بعض الأخبار التي في تأويلها منكر ...إلخ، تحت ر: ٧٦، الجزء ١، صـ٥٩، عن سعيد بن المسيّب.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يزداد ويزيد، ر: ٨٠٧٢، ٩/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٣) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" خطبة الكتاب، ذكر بعض الأخبار التي في تأويلها منكر ...إلخ، تحت ر: ٨٠، الجزء ١، صـ٥٩، ٦٠، عن سعيد بن المسيّب.

فعن عثمان؟ قال: لا، قال عمر: ما أرى عليها صياماً، فخرجتُ فوجدتُ طاؤساً وعطاءَ بن أبي رباح فسألتُهما، فقال طاؤسٌ: كان ابنُ عبّاس لا يرَى عليها صياماً، إلّا أن تجعلَه على نفسها، قال: وقال عطاءٌ: ذلك رأيِي"[١].

مجاهدٌ وعطاءٌ وطاؤسٌ وعكرمة

(٧١) ابنُ عساكر بسندٍ حسنٍ عن مجاهدٍ قال: "بينا نحن جلوسٌ أصحابُ ابن عبّاس: عطاء وطاؤس وعكرمة، إذ جاء رجلٌ وابنُ عبّاس قائمٌ يصلّي، فقال: هل مِن مفتٍ؟ فقلتُ: سَل، فقال: إنّي كلمّا بُلتُ تبعَه الماءُ الدّافِق؟ فقلنا: الذي يكون منه الولدُ؟ قال: نعم، فقلنا: عليك الغُسل، فولّى الرّجلُ وهو يرجّع، وعجّل ابنُ عبّاس في صلاتِه، فلمّا سلّم قال: يا عكرمة! عليَّ بالرّجل، فأتاه به ثمّ أقبلَ علينا فقال: أرأيتم ما أَفتيتم به هذا الرّجلَ عن كتاب الله تعالى؟ قلنا: لا، قال فمِن سنّة رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا، قال فعن أصحابِ رسولِ الله ﷺ؟ قلنا: لا، فعمّن؟ قلنا: عن رأينا، فقال: لذلك يقول رسولُ الله ﷺ: «فقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشّيطان من ألفِ عابدٍ» ثمّ أقبلَ على الرّجل فقال: أرأيتَ إذا كان منك هل تجد شهوةً في قلبك؟ قال: لا، قال فهل تجد خدراً في جسدِك؟ قال: لا، قال: إنّما هذا بردةٌ يجزئك منه الوضوءُ"[٢].

---

(١) أخرجه الدَّارمي في "السنن" المقدمة، باب الفُتيا وما فيه من الشدة، ر: ١٦٢، ١/ ٧٠، بطريق عبد العزيز ابن محمد، عن أبي سهيل ...الحديث.

(٢) أخرجه ابن عساكر في "التاريخ" حرف الراء، ذكر من اسمه روح، تحت ر: ٢١٩٦ روح بن جناح، ١٨/ ٢٣٠.

(٧٢) الدارمي عن المسيَّب بن رافع[١] قال: "كانوا إذا نزلت بهم قضيةٌ ليس فيها من رسول الله ﷺ أثرٌ، اجتمعوا لها وأجمعُوا، فالحقُّ فيما رأوا، فالحقُّ فيما رأوا"[٢].

القاسم بن محمد ابن الصدّيق رضي الله عنه

(٧٣) وعن أيّوب قال: سمعتُ القاسم سُئل، قال: "إنّا والله! ما نعلم كلَّ ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حلّ لنا أن نكتمَكم"[٣].

وعن ابن عَون[٤] قال: "قال القاسم: إنّكم تسألون عن أشياء ما كنّا نسأل عنها، وتنقرون عن أشياء ما كنّا ننقر عنها، وتسألون عن أشياء ما أدري ما هي، ولو علمناها ما حلّ لنا أن نكتمَكموها"[٥].

---

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه المسيب، ر: ٦٩٤٦، ٨/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) أخرجه الدَّارمي في "السنن" المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنّة، ر: ١١٥، ١/ ٦١، عن المسيّب ابن رافع.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنّة، ر: ١١٢، ١/ ٦١، عن أيوب.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، بقية في من اسمه عبد الله، ر: ٣٦٠٩، ٤/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٥) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنّة، ر: ١١٨، ١/ ٦٢، عن ابن عون.

وعن يحيى قال: "قلتُ للقاسم: ما أشدّ عليَّ أن تُسئَلَ عن الشّيء لا يكون عندك، وقد كان أبوك[١] إماماً! قال: إنّ أشدَّ من ذلك عند الله وعند مَن عقلَ عن الله، أن أفتِيَ بغير علمٍ أو أروِي عن غير ثقةٍ"[٢].

عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه

(٧٤) وعن عبد العزيز بن رفيع[٣] قال: "سُئل عطاء عن شيء، قال: لا أدري، قال: قيل له: ألا تقول فيها برأيِك؟ قال: إنّي أستحيي من الله أن يُدانَ في الأرض برأيِي"[٤] انتهى.

أقول: أي: فيما لم يتبيّن؛ فإنّ ما تبيّن فقد استند إلى مأخذه، وإلّا فلعطاءٍ آراء لا تحصَى، وتقدّم الآن قولُه ذلك: "رأيي".

الإمام إبراهيم النَّخعي رضي الله عنه

(٧٥) وعن إبراهيم أنّه: سُئل عن ثمانيةِ أبواب مسائل، فأجاب عن أربعٍ وترك أربعاً[٥].

---

(١) يريده سيّدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٢) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب التورع عن الجواب ...إلخ، ر: ١١٤، ١/ ٦١، عن يحيى.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبد العزيز، ر: ٤٢١٩، ٥/ ٢٣٩.

(٤) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنّة، ر: ١٠٧، ١/ ٦٠، عن عبد العزيز بن رفيع.

(٥) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا وكرها التنطع والتبدع، ر: ١٣٠، ١/ ٦٤، عن إبراهيم.

الإمام الشّعبي رضي الله عنه

(٧٦) وعن عُمر بن أبي زائدة[١] قال: ما رأيتُ أحداً أكثرَ أن يقولَ إذا سُئل عن شيءٍ: "لا علمَ لي به" مِن الشّعبي[٢]. وعن مُغيرة قال: كان عامرٌ إذا سُئل عن شيءٍ، يقول: "لا أدري" فإن ردّوا عليه قال: إن شئتُ كنتُ حلفتُ لك بالله، إن كان لي به علمٌ"[٣].

(٧٧) أبو نعَيم في "الحلية" عن أحمد بن حنبل، عن سفيان، عن الشّعبي أنّه قال: إذا سألوه عن الملتبَس قال: زياد ذاتُ وَبَرٍ لا تنقاد ولا تنساق، ولو سُئل عنها أصحابُ محمدٍ ﷺ لعضلت بهم[٤].

سعيد بن جبَير رضي الله عنه

(٧٨) الدارمي عن جعفر بن إياس[١]: قلتُ لسعيدِ بن جبَير: ما لكَ لا تقول

---

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عمر، ر: ٥٠٥٣، ٦/ ٥٤، و"تاريخ الإسلام" حرف العين، ر: ٢٣٦، عمر بن أبي زائدة، ٤/ ١٦١.

(٢) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا وكرها التنطع والتبدع، ر: ١٣٢، ١/ ٦٤، عن عمر بن أبي زائدة.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب في الذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتي، ر: ١٨٢، ١/ ٧٥، عن مغيرة.

(٤) أخرجه أبو نعَيم في "الحلية" ذكر طبقة من تابعي المدينة، عامر بن شراحيل الشعبي، ر: ٥٨٣٦، ٤/ ٣٥٣، عن الشعبي.

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الجيم، من اسمه جعفر، ر: ٩٧٠، ٢/ ٥٠، ٥١.

في الطلاق شيئاً؟ قال: "ما منه شيءٌ إلّا قد سُئلتُ عنه، ولكنّي أكره أن أحلَّ حراماً أو أحرِّمَ حلالاً"[1].

حُمَيد بن عبد الرّحمن رضي الله عنه

(٧٩) وعن ابن سِيرِين عن حُمَيد بن عبد الرّحمن -يعني ابنَ عَوف، أحد العشَرة رضي الله عنهم- قال: "لأن أردَّه بعيِّه أَحَبُّ إليَّ من أن أتكلّفَ له ما لا أعلَم"[2].

الإمام ابن سِيرِين رضي الله عنه

(٨٠) وعن محمدِ بن سِيرِين، أنّه كان لا يُفتي في الفرْج بشيءٍ فيه اختلافٌ[3].

(٨١) العارف عبد الوهّاب في "الميزان": "أمّا ما نُقل عن الأئمّة الأربعة -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- في ذمِّ الرّأي، فأوّلُهم تبرّياً من كلّ رأيٍ يخالف ظاهرَ الشّريعة، الإمامُ الأعظم أبو حنيفة النّعمان بن ثابت رضي الله عنه، خلاف ما يُضيفه إليه بعضُ المتعصّبين، ويا فضيحتَه يومَ القيامة من الإمام إذا وقع الوجهُ في الوجه!؛ فإنّ مَن كان في قلبه نورٌ

---

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا ...إلخ، ر: ١٣٤، ١/ ٦٥، عن جعفر بن إياس.

(٢) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا ...إلخ، ر: ١٤٧، ١/ ٦٧، عن حمَيد بن عبد الرحمن.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ر: ١٥٢، ١/ ٦٨، عن محمد بن سيرين.

لا يتجرّأ أن يذكرَ أحداً من الأئمّة بسُوء، وأين المقامُ من المقام؟ إذا الأئمّةُ كالنّجوم في السّماء، وغيرُهم كأهل الأرض الذين لا يعرفون من النُّجوم إلّا خيالها على وجه الماء!.

الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه

وقد روى الشيخُ محيى الدّين في "الفُتوحات المكّية" بسندِه إلى الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنّه قال: "إيّاكم والقول في دِين الله تعالى بالرّأي، وعليكم باتّباع السنّة، فمَن خرج منها ضلّ"[1] -قال-: "ودخلَ عليه مرّةً رجلٌ من أهل الكُوفة والحديثُ يقرأ عنده، فقال الرجلُ: دَعونا من هذه الأحاديث، فزجرَه الإمامُ أشدَّ الزَّجر، وقال له: لو لا السنّةُ ما فهمَ أحدٌ منّا القرآنَ، ثمّ قال للرّجل: ما تقول في لحم القِرد؟ وأين دليلُه من القرآن؟ فأفحم الرّجل، فقال للإمام: فما تقول أنتَ فيه؟ فقال: ليس هو من بهيمة الأنعام"[2].

سيّدنا ربيعة رضي الله تعالى عنه

(٨٢) ابنُ أبي حاتم عن الإمام مالك بن أنس عن ربيعة قال: "إنّ اللهَ تعالى أنزلَ القرآنَ وتركَ فيه مَوضعاً للسُنّة، وسنَّ رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم السنّةَ وترك فيها مَوضعاً للرّأي"[3]...انتهى.

---

(١) "الفتوحات المكية" الباب ٣١٨ في معرفة منزل نسخ الشريعة المحمدية ...إلخ، ٣/ ٧٠ بتصرّف.

(٢) "الميزان" فصول في بيان ما ورد في ذمّ الرأي عن الشارع وعن أصحابه والتابعين ...إلخ، الجزء ١، صـ٥٨ ملتقطاً وبتصرّف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٥، ر: ٥٩٢٧، الجزء ٤، صـ١٠٥٨، ١٠٥٩، عن ربيعة.

ربيعة هذا هو ابنُ أبي عبد الرّحمن فروخ التَيمي الإمام الثقة، الفقيه المشهور من رجال الستّة، والأئمّة والتابعين، وشُيوخ إمام دار الهجرة مالك، كان يقال له: "ربيعة الرّأي"؛ لكثرة قولِه بالرّأي.

الإمام مالك رضي الله عنه

(٨٣) وعن ابن وَهب قال: "قال لي مالكٌ: الحكمُ الذي يحكم به بين النّاس، على وجهَين: (١) فالذي يحكم بالقرآن والسُنّة الماضية، فذلك الحكمُ الواجبُ والصّواب، (٢) والحكمُ الذي يجتهد[1] فيه العالمُ نفسُه فيما لم يأتِ فيه شيءٌ، فلعلّه أن يوفَّقَ، قال: والثالث: التكلُّف لما لا يعلم، فما أشبَه ذلك أن لا يوفَّق"[2].

سفيان بن عيَينة رضي الله عنه

(٨٤) أبو نعَيم في "الحلية" عن علي بن المِديني قال: "كان سفيانُ بن عيَينة إذا سُئل عن شيءٍ يقول: لا أُحسِن، فيقول: مَن نسأل؟ فيقول: سَلِ العلماءَ، وسَلِ اللهَ التوفيقَ!"[3].

الإمام الشّافعي رضي الله عنه

(٨٥) الإمام السُّيوطي في "الإتقان": "قال الشّافعي رضي الله عنه مرّةً بمكّةَ: سَلُوني عمّا شئتم، أُخبركم عنه من كتاب الله تعالى، فقيل له: ما تقول في المحرِم يقتل الزّنبور؟

---

(١) لعلّ صوابَه: يجهد بلا "تاء". منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٥، ر: ٥٩٢٧، الجزء ٤، صـ١٠٥٩، عن ابن وهب.

(٣) أخرجه أبو نعَيم في "الحلية" ذكر تابعي التابعين، سفيان بن عيينة، ر: ١٠٦٩٧، ٧/ ٣٢٤، عن علي بن المدِيني.

فقال: بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وحدّثنا سفيانُ بن عيَينة، عن عبد الملِك بن عمَير[١]، عن رِبْعي بن حراش[٢]، عن حذَيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ أنّه قال: «اقتدُوا بالذين مِن بعدي أبي بكرٍ وعمرَ». وحدّثنا سفيانُ، عن مسعر بن كدام[٣]، عن قَيس بن مسلم[٤]، عن طارق بن شِهاب، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: أنّه أمرَ بقتل المحرِم الزّنبورَ"[٥].

(٨٦) في "ميزان الإمام الشَّعراني": "اللهُ يجزي جميعَ المجتهدين عن هذه الأمّة خيراً؛ فإنّهم لولا استنبطوا للأمّة الأحكامَ من الكتاب والسنّة، ما قدر أحدٌ من غيرهم على ذلك، ودليلُهم في ذلك الاتّباعُ لرسول الله ﷺ بتبيينه ما أجملَ في القرآن مع قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فإنّه ﷺ لولا بيّنَ لنا كيفيةَ الطهارةِ والصّلاةِ والحجّ وغيرِ ذلك، ما اهتدَى أحدٌ من الأمّة لمعرفة استخراج ذلك من القرآن، ولا كنّا نعرف عددَ ركعاتِ الفرائض، ولا النَّوافل، ولا غير ذلك"[٦] ...إلخ.

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين: من اسمه عبد الملك، ر:٤٣٢٤، ٥/ ٣١٠-٣١٢.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الراء: من اسمه ربعي، ر:١٩٤١، ٣/ ٦٢، ٦٣.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه: مسعر، ر: ٦٨٧٧، ٨/ ١٣٦-١٣٨.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف القاف، من اسمه: قَيْس، ر: ٥٧٨١، ٦/ ٥٣٩، ٥٤٠.

(٥) "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبطة من القرآن، ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٦) "الميزان" فصل في بيان استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة، الجزء ١، صـ٤٦ ملتقطاً.

(٨٧) وفيها: "سمعتُ شيخَنا شيخ الإسلام زكريّا[١] ﵀ يقول: لولا بيانُ رسول الله ﷺ والمجتهدين لنا ما أجملَ في الكتاب والسنّة، لما قدرَ أحدٌ منّا على ذلك، كما أنّ الشّارعَ ﷺ لولا بيّنَ لنا بسنّتِه أحكامَ الطهارة، ما اهتدَينا لكيفيّتها من القرآن، ولا قدرنا على استخراجها منه، وكذلك القولُ في بيان عددِ ركعاتِ الصّلوات من فرضٍ ونفلٍ، وكذلك القولُ في أحكام الصَّومِ والحجِّ والزّكاةِ وكيفيّتِها، وبيانِ أنصبتها وشُروطها، وبيانِ فرضِها من سنّتِها، وكذلك القولُ في سائرِ الأحكام التي وردت مجملةً في القرآن، لولا أنّ السنّةَ بيّنت لنا ذلك ما عرفناه، ولله تعالى في ذلك حِكمٌ وأسرارٌ يعرفها العارِفون ...انتهى"[٢].

(٨٨) وفيها: "سمعتُ سيّدي عليّاً الخواصَ ﵀ يقول: لولا أنّ السنّةَ بيّنت لنا ما أجملَ في القرآن، ما قدرَ أحدٌ من العلماء على استخراج أحكام المياهِ والطهارة، ولا عرفَ كونَ الصّبح ركعتَين، والظهر والعصر والعِشاء أربعاً، والمغرب ثلاثاً، ولا ما يقال في التوجُّه والافتتاح، ولا صفةَ التكبير وأذكارَ الرُّكوع والسُّجود، والاعتدالَين، ولا ما يقال في جلوسِ التشهُّدَين، ولا كان يعرف كيفيةَ صلاة العيدَين والكسُوفَين، والجنازة، والاستِسقاء، ولا أنصبة الزّكاة، وأركان الصِّيام، والحجّ، والبَيع، والنِكاح، والجراح، والأقضِية، وسائر أبواب الفقه"[٣].

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) "الميزان" فصل ومما يدلك على صحة ارتباط جميع أقوال علماء الشريعة ...إلخ، الجزء ١، صـ٣٧.

(٣) "الميزان" فصل شريف في بيان الذمّ من الأئمّة المجتهدين ...إلخ، الجزء ١، صـ٥٥ ملتقطاً.

فتبيّن أنْ ليس القرآنُ تبيانَ الأحكام الضروريّة أيضاً للأمّة، فضلاً عن سائر الأحكام، فضلاً عن سائر ما يتّصل بالدِّين، فضلاً عن جميع ما يفتقرون إليه في الدّنيا، فضلاً عن كلِّ شيءٍ، ويجب الإيمانُ قطعاً بأنّه تبيانٌ لكلّ شيءٍ، فإذن ليس إلّا لمحمّدٍ ﷺ، والحمد لله ربّ العلمين!.

(٨٩) قال قدس سره في كتابه "الجواهر والدُّرر" ما نصُّه مختصراً: "قال رضي الله تعالى عنه: ما أحوَجَ النّاسَ إلى التأويل إلّا عجزُهم عن تعقّل الأمور الغامضة، التي جاء بها الشّارعُ ﷺ -قال-: أمّا تفصيل ما أجملَ في الكتاب فليس لهم قدمٌ فيه، إنّما هو للرُّسُل عليهم الصلاة والسلام -قال-: وقد قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: ٤٤] فلم يكتفِ سبحانه وتعالى بنزول الكتابِ إلى عبادِه، دُون تبيين الرُّسُل فيها"[١].

(٩٠) قال الحافظ العَسقلاني في "فتح الباري"[٢]، والإمام العَيني في "عمدة القاري"[٣]، والعلّامة الزّرقاني في "شرح المواهِب": "إنّه كان يخفى على الكثير من الصّحابة رضي الله تعالى عنهم بعض الأحكام، ورُبما ذكرَه بعضُهم إذا ذكّر"[٤].

---

(١) "الجواهر والدرر" صـ٢٨٢.

(٢) "فتح الباري" كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، تحت ر: ٨٢٨، ٢/ ٣٥٧.

(٣) "عمدة القاري" كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، تحت ر: ٨٢٨، ٤/ ٥٧٧.

(٤) "شرح المواهب" المقصد ٩ في لطيفة من لطائف عبادته ﷺ، النوع ٢ في ذكر صلاته ﷺ القسم ١ في الفرائض وما يتعلّق بها، الباب ١ في الصلوات الخمس، الفصل ٣ في ذكر كيفية صلاته ﷺ، الفرع ١٢ في ذكر جلوسه للتشهد، ١٠/ ٣٧٣.

وبالجملة هذا بحرٌ لا ينزف غمرُه، ولكنّي أدلُّك على عدةِ أمورٍ، كلُّها ينافي التبيانَ، ولا يستطيع إنكارَها مَن له عَينان، وجميعُها في الأحكام ومسائل الحلال والحرام؛ لينتفيَ أخصّ خصوصٍ أتَوا به في المقام.

فأقول وبالله التوفيق: **الأوّل**: كثرةُ الاختلاف الفاشي مِن لدُن الصّحابة رضي الله تعالى عنهم حتّى في مسائل الفرائض، التي مَدخل الرّأي فيها أقلُّ قليلٍ، حتّى تفرّق الخمسةُ الذين هُم أعلَم الصّحابة، أعني الخلفاءَ الأربعة، وعبد الله رضي الله تعالى عنهم في مسألةٍ واحدةٍ منها إلى خمسةِ أقاويل، وهي مسألةُ أمٍّ وجدٍّ وشقيقةٍ، وهذا تصويرُها على المذاهب الخمسة:

مسألة الصدّيق

أمّ	جدّ	أخت
١	٢	لا شيء

مسألة الفارُوق

أمّ	جدّ	أخت
٣	٤	٢

مسألة ذو النّورَين

أمّ	جدّ	أخت
١	١	١

مسألة المرتضى

أمّ	جدّ	أخت
٢	١	٣

مسألة ابن مسعود

أمّ	جدّ	أخت
١	٢	٣

عبد الرزّاق عن الشّعبي قال: "اختلف عليٌّ وابنُ مسعودٍ وزيدُ بن ثابتٍ وعثمانُ بن عفّان وابنُ عبّاس رضي الله تعالى عنهم في جدٍّ وأمٍّ وأختٍ لأبٍ وأمٍّ.

فقال عليٌّ: «للأخت النّصفُ، وللأمّ الثُلث، وللجَدّ السُّدس».

وقال ابنُ مسعود[1]: «للأخت النّصفُ، وللأمّ السُّدس، وللجَدّ الثُلث».

---

(١) هذا هو مذهبنا، والحمد لله!. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

وقال عثمان: «للأمّ الثُلث، وللأخت الثُلث، وللجَدّ الثُلث».

وقال زيدٌ: «هي على تسعة أسهُم: للأمّ الثُلث، وما بقيَ فثُلثان للجَدّ، والثُلث للأخت».

وقال ابنُ عبّاس: «للأمّ الثُلث، وما بقيَ فللجدّ، وليس للأخت شيءٌ»"[1].

قلتُ: ومعلومٌ أنّ ابنَ عبّاس إنّما تبعَ أفضلَ الأمّة الصدّيق، وقولُ زيدِ بن ثابتٍ هو قولُ الفاروق رضي الله تعالى عنهم.

فقد أخرجَ البخاري وغيرُه[2] عن ابن الزبَير[3] رضي الله تعالى عنهما: «أنّ أبا بكرٍ رضي الله تعالى عنه كان يجعل الجدَّ أباً»[4]. وفي "مصنَّف عبد الرزّاق" عن قَتادة قال: "دعَا عمرُ بن الخطّاب

---

(١) أخرجه عبد الرزّاق في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب فرض الجد، ر: ١٩٠٦٩، ١٠/ ٢٦٩، ٢٧٠، عن الشعبي.

(٢) كعبد الرزّاق [في "المصنّف" كتاب الفرائض، باب فرض الجدّ، ر: ١٩٠٤٩، ١٠/ ٢٦٣]، وابن أبي شَيبة [في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب في الجدّ من جعله أباً، ر: ٣١٨٥٦، ١١/ ٢٨٩]، وسعيد بن منصور [في "السنن" كتاب الفرائض، باب الجدّ، ر: ٤٧، ١/ ٦٤]، والدارمي [في "السنن" كتاب الفرائض، باب قول أبي بكر في الجدّ، ر: ٢٩١١، ٢/ ٤٥١]، والدارقُطني [انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفرائض من قسم الأفعال، الجدّ، ر: ٣٠٦٠٤، ١١/ ٢٦] والبَيهقي [في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب من لم يورث الإخوة مع الجدّ، ٦/ ٢٤٦]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٢٩٤٩، ٣/ ٢٤١-٢٤٤.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الفرائض، باب ميراث الجدّ مع الأب والإخوة، صـ١١٦٣، وقال أبو بكر، وابن عباس، وابن الزبير: «الجدّ، أب» وقرأ ابن عباس: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾

=

عليَّ بن أبي طالبٍ وزيدَ بن ثابتٍ وعبدَ الله بن عبّاس رضي الله عنهم فسألهم عن الجَدّ" -فذكر الحديثَ إلى أن قال-: "فأخذ عمرُ بقول زَيدٍ"[١].

وفيه أيضاً: أخبرَنا مَعمر[٢] عن الزُّهري قال: "إنّما هذه فرائضُ عمر بن الخطّاب، ولكن زَيد أثارَها بعد، وفشت عنه"[٣].

الثاني: مُناظَراتهم فيما بينَهم، وردُّ بعضِهم على بعض، وكثيراً مادام كلٌّ بعدَه أيضاً على ما قال، وهو آيةُ شدّة الخفاء، حتّى لم ينجلِ بعد البحثِ والتنقيرِ أيضاً، وهذه أيضاً سنّةٌ جاريةٌ من لدُن الصّحابة رضي الله عنهم.

الخطيبُ في "رُواة مالك" عن سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه: "أنّ عمرَ بن الخطّاب، وعثمانَ بن عفّان رضي الله عنهما كانا يتنازعان في المسألة بينَهما، حتّى يقولَ الناظرُ إليهما:

=

[الأعراف: ٢٦] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨] «ولم يذكر أنّ أحداً خالف أبا بكرٍ في زمانه، وأصحاب النّبي صلى الله عليه وسلم متوافرون» وقال ابن عباس: «يرثني ابن ابني دون إخوتي، ولا أرث أنا ابن ابني» ويذكر عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد، أقاويلَ مختلفة.

(١) أخرجه عبد الرزّاق في "المصنّف" كتاب الفرائض، باب فرض الجدّ، ر: ١٩٠٥٩، ١٠/ ٢٦٦، عن قتادة.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم: من اسمه معمر، ر: ٧٠٨٧، ٨/ ٢٨٢-٢٨٤.

(٣) أخرجه عبد الرزّاق في "المصنّف" كتاب الفرائض، باب فرض الجدّ، ر: ١٩٠٦٠، ١٠/ ٢٦٦، عن الزهري.

لا يجتمعان أبداً، فما يفترقان إلّا على أحسنِه وأجملِه"[١].

مسدّد وأبو عَوانة[٢] والطحاوي[٣] عن جري بن كلَيب[٤] قال:"رأيتُ علياً يأمر بشيءٍ وعثمانُ ينهَى عنه، فقلتُ لعلي: إنّ بينكما لشرّاً! قال: «ما بينَنا إلّا خيرٌ»"[٥].

وتقدّم[٦] قولُ زيدِ بن ثابتٍ لابن عبّاس جواباً عمّا أوردَ: «تقول برأيِك، وأقول برأيِي!».

الثالث: كلُّ مجتهدٍ يُخطِئ ويُصيب، وكلٌّ مأخوذ من قولِه ومردودٌ عليه، إلّا رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: "كنز العمال" حرف العين، كتاب العلم من قسم الأفعال، باب في آداب العلم والعلماء، فصل في رواية الحديث، آداب العلم متفرّقة، ر: ٢٩٤٩٩، ١٠/ ١٣٣، نقلاً عن الخطيب في "رواة مالك".

(٢) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٢٨٩٠-أبو عوانة، ٩/ ٥٦٨، ٥٦٩.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥١.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الجيم، من اسمه جرير، وجري، ر: ٩٦١، ٢/ ٤٤.

(٥) انظر: "كنز العمال" حرف همزة، كتاب الإيمان والإسلام من قسم الأفعال، الباب ٢ في الاعتصام بالكتاب والسنّة، ر: ١٦٣٥، ١/ ١٩٥، نقلاً عن المسدد، وأبي عوانة، والطحاوي.

(٦) انظر: صـ٣٣١.

أحمدُ[١] والستّةُ[٢] إلّا الترمذي عن عَمرو بن العاص، وأحمدُ[٣] والستّةُ[٤] عن أبي هرَيرة ﵁ عن النّبي ﷺ: «إذا حكمَ الحاكمُ فاجتهدَ فأصابَ، فله أجران، وإذا

(١) أي: في "المسند" مسند الشاميين، حديث عمرو بن العاص، ر: ١٧٧٨٩، ٦/ ٢٣٠، ٢٣١، عن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ر: ٧٣٥٢، صـ١٢٦٤، عن عمرو بن العاص. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، فأصاب أو أخطأ، ر: ٤٤٨٧، صـ٧٦١. وأخرجه أبو داود في "السنن" كتاب القضاء، باب في القاضي يخطئ، ر: ٣٥٧٤، صـ٥١٣. وأخرجه النَّسائي في "السنن الكبرى" كتاب القضاء، ثواب الإصابة في الحكم بعد الاجتهاد لمن له أن يجتهد، ر: ٥٨٨٧، ٥/ ٣٩٦. وأخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحقّ، ر: ٢٣١٤، صـ٣٨٨.

(٣) أي: في "المسند" مسند الشاميين، حديث عمرو بن العاص، تحت ر: ١٧٧٨٩، ٦/ ٢٣١، "قال: فحدثتُ بهذا الحديث أبا بكر بن عمرو بن حزم، قال: "هكذا حدّثني أبو سلَمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة".

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، تحت ر: ٧٣٥٢، صـ١٢٦٤. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، فأصاب أو أخطأ، ر: ٤٤٨٨، صـ٧٦١. وأخرجه أبو داود في "السنن" كتاب القضاء، باب في القاضي يخطئ، تحت ر: ٣٥٧٤، صـ٥١٣. وأخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحقّ، تحت ر: ٢٣١٤، صـ٣٨٨. كلّهم عن أبي هريرة.

حكمَ فاجتهدَ فأخطأَ، فله أجرٌ واحد»[١].

الحاكمُ وصحّحه عن عبد الله بن عَمرو، وأحمدُ[٢] وابنُ سعد[٣] والطبَراني في "الكبير"[٤] عن عَمرو ﷺ، وهذا حديثُ الحاكم، أنّ رجلَين اختصمَا إلى النّبي ﷺ فقال لعَمرو: «اقضِ بينهما!» قال: أقضِي وأنت حاضر؟ قال: «نعم، على أنّك إن أصبتَ فلك عشرُ أجورٍ، وإن اجتهدتَ فأخطأتَ، فلك أجرٌ»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب الأحكام، باب ما جاء في القاضي يصيب ويخطئ، ر: ١٣٢٦، صـ٣٢١. وأخرجه النَّسائي في "السنن" كتاب آداب القضاة، باب الإصابة في الحكم، ر: ٥٣٩١، الجزء ٨، صـ٢٣٨.

(٢) أي: في "المسند" مسند الشاميين، حديث عمرو بن العاص، ر: ١٧٨٤١، ٦/ ٢٤٥، عن عمرو بن العاص.

(٣) أي: في "الطبقات" الطبقة ٣ من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها، ر: ٧٣١ عمرو بن العاص بن وائل ...إلخ، ر: ٥٨٧٣، ٥/ ٥٧، عمرو بن العاص.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الخاء، كتاب الإمارة من قسم الأقوال، الباب ٢ في القضاء، الفصل ٢ الترغيب وآدابه، الإكمال ر: ١٥٠١٤، ٦/ ٤٠، نقلاً عن الطبَراني.

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب الأحكام، ر: ٧٠٠٤، ٧/ ٢٥٠٥، عبد الله بن عمرو. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة". و[قال الذهبي:] "فرَج بن فضالة ضعفوه".

ابنُ عدي عن عُقبة بن عامِر رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «اجتهدْ؛ فإذا أصبتَ فلك عشرُ حسَناتٍ، وإن أخطأتَ فلكَ حسَنةٌ»[١].

الطبَرانيُّ عن ابن عبّاس عن النّبي ﷺ: «ليس من أحدٍ إلّا يؤخَذ من قوله ويدع»[٢].

البَيهقيُّ عن مجاهدٍ وعطاءٍ قالا: "ما من أحدٍ إلّا ومأخوذٌ من كلامِه ومردودٌ عليه، إلّا رسولُ الله ﷺ"[٣] انتهى.

وقال عالمُ المدينة مالكٌ: "ما مِن أحدٍ إلّا ومأخوذٌ من كلامِه ومردودٌ عليه، إلّا صاحبُ هذا القبر ﷺ"[٤].

الرّابع: "لا أدري" وما من صحابيٍّ، ولا مجتهدٍ، ولا إمامٍ تكلّم في العِلم وتصدَّى للفُتيا، إلّا قالها.

---

(١) أخرجه ابن عدي في "الكامل" ابتداء أساميهم جاء ممن ينسب إلى ضرب من الضعف، باب ذكر من سرق العدوي من الحديث ...إلخ، من اسمه حفص، تحت ر: ٥٠٥- حفص بن سليمان، ٣/ ٢٧٣، عن عقبة بن عامر.

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" عكرمة عن ابن عباس، ر: ١١٩٤١، ١١/ ٢٦٩، عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه قال: «ليس أحدٌ إلّا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ﷺ».

(٣) أخرجه البَيهقي في "المدخل" باب حديث الذي يروى خلافه عن رسول الله ﷺ، ر: ٣٠، ١/ ١٠٧، عن مجاهد.

(٤) انظر: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٣١٥- مالك بن أنس، ٦/ ٣٢٥.

وأخرج الدّارمي عن الشّعبي قال: "لا أدري نصفُ العِلم"[١].

وسعيدُ بن منصور في "سُننه"[٢]، والهَرويُّ[٣] في "ذَمّ الكلام"[٤] عن الشّعبي قال: قال ابنُ مسعود رضي الله تعالى عنه: «إذا سُئل أحدُكم عمّا لا يدري، فليقل: لا أدري؛ فإنّه ثُلث العِلم»[٥].

أقول: الإنسانُ في كلِّ مسألةٍ بينَ أن يعلمَ وأن لا يدريَ، فهو نصفٌ، ثُمّ ما ثَمّ إلّا نصٌّ صريحٌ، أو استنباطٌ صحيحٌ، أو لا أدري، فهو ثُلث، ولما كان عبدُ الله رأسَ الفقهاء قال: "ثُلث"، والشعبيُّ لم يجتهد قطّ، ولم[٦] يقُل شيئاً برأيِه فقال: "نصفٌ".

هذا، وقد سُئل إمام دار الهجرة سيّدنا مالِك رضي الله تعالى عنه عن أربعين مسألةً، فأجاب

---

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمّة، باب في الذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتي، ر: ١٨٠، ١/ ٧٤، عن الشعبي.

(٢) انظر: "المقاصد الحسنة" حرف اللام ألف، تحت ر: ١٢٨٢، صـ٤٦٥، نقلاً عن "سنن سعيد بن منصور".

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٤) "ذم الكلام": لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري، الهروي، المعروف بشيخ الإسلام، المتوفّى سنة ٤٨١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٦٢٤).

(٥) أخرجه الهَروي في "ذمّ الكلام" باب التغليظ في معارضة الحديث بالرأي، ر: ٢٧٨، ٢/ ١٢٧، ١٢٨، عن الشعبي.

(٦) ابن جرير عن الشعبي قال: "ثلاث لا أقول فيهن حتّى أموتَ: القرآن والروح والرأي". ["جامع البيان" خطبة الكتاب، ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكر والقول في تأويل القرآن، ر: ٨٣، الجزء ١، صـ٦٠] منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

عن أربعٍ، وقال في ستٍّ وثلاثين: لا أدري[1].

وسُئل الأعمَش عن خمسين مسألةً، فلم يدرِ جوابَ شيءٍ منها، وأشار إلى أبي حنيفةَ فأجاب عنها جميعاً، قال أنّى لك هذا؟ قال: من الأحاديث التي سمعتُها منك، ثمّ ذكر كلَّ مسألةٍ واستنباطَها من الحديث، فقال الأعمَش: "حسبُك! ما حدّثتُك في مئةِ يومٍ تحدِّثني به في ساعة! يا مَعشرَ الفقهاء! نحن الصَّيادِلة وأنتم الأطباء! وأنت يا أبا حنيفةَ قد أخذتَ بكلا الطرفَين!"[2].

وقد ثبت "لا أدري" عن الإمام أبي حنيفةَ في غيرما مسألةٍ، منها: وقتُ الختان وغيره، ونظمَها شيخُ الإسلام ابنُ أبي شريف فقال: "حملَ الإمامُ أبا حنيفةَ دينَه، أن قال: لا أدري لتسعةِ أسئِلة"[3] ...إلخ.

وزاد العلاّمةُ الشّامي[4]: "عاشرةً"[5]، بل في "الدرّ المختار"[1]

---

(١) انظر: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٣١٥- مالك بن أنس، ٦/ ٣١٧.

(٢) "الخيرات الحسان" الفصل ٣٠ في سنده في الحديث، صـ١٤٩ ملتقطاً وبتصرّف.

(٣) انظر: "الشُّرُنبُلالية" كتاب الأيمان، باب حلف القول، ٢/ ٥٩، نقلاً عن ابن أبي شريف.

(٤) انظر ترجمته: "الأعلام" ٦/ ٢٦٨. و"هدية العارفين" ٦/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٥) أي: في "رد المحتار" كتاب الأيمان، باب اليمين في الأكل والشرب واللبس والكلام، مطلب في المسائل التي توقف فيها الإمام، ١١/ ٥١٦.

(١) "الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار" في الفروع: لعلاء الدّين محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحيم الحَصكفي الحنفي، مفتي الشّام، المتوفّى سنة ١٠٨٨هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ٢٨٤).

عن "السّراج"[١]: "توقف الإمامُ في أربعَ عشرةَ مسألةً"[٢] ...إلخ.

وسُئل عليٌّ -كرّم الله تعالى وجهَه- عن مسألةٍ، وهو على المنبر فقال: «لا أدري» فقال السّائل: وأنت تعلو فوقَ النّاس؟ قال ﷺ: «إنّما أعلمُ بقدر علمِي، ولو علَوتُ بقدرِ ما لا أعلم، لارتفعتُ فوقَ السّماء»[٣] أو كما قال ﷺ.

وفي "قُوت القلوب" و"الإحياء"[٤]: "كان في الفقهاء مَن يقول: لا أدري عنهم أكثر مِن أن يقول: أدري، منهم: سفيان الثَّوري، ومالكُ بن أنس، وأحمدُ بن حنبل، وفضيلُ ابن عِياض[٥] وبشرُ بن الحارث[٦] رضي الله تعالى عنهم"[٧].

الخامس: "الرُّجوع" لم تزل الأئمّةُ الصّحابة فمَن بعدهم يقولون بقولٍ، ثمّ يرجعون عنه، ورُبما يتركونه لا إلى قولٍ.

---

(١) "السّراج الوهّاج الموضِّح لكلّ طالبٍ محتاج": للإمام أبي بكر بن علي المعروف بـ"الحدّادي" العبّادي، توفّي سنة ٨٠٠هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٢٠، ٥٢١).

(٢) "الدر" كتاب الأيمان، باب اليمين في الأكل والشرب واللبس والكلام، ١١/ ٥١٤، ٥١٥.

(٣) انظر: "المرقاة" كتاب العلم، الفصل ٣، تحت ر: ٢٧٢، ١/ ٥٢٧، ٥٢٨.

(٤) "الإحياء" كتاب العلم، الباب ٦ في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء، ١/ ٨٥ بتصرّف.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الفاء، من اسمه فضيل، ر: ٥٦٢٠، ٦/ ٤٢٠-٤٢٢.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الباء الموحدة، من اسمه بشر، ر: ٧٢٤، ١/ ٤٦٥، ٤٦٦.

(٧) "قُوت القلوب" الفصل ٣١، ذكر فصل علم المعرفة واليقين على سائر العلوم ...إلخ،الجزء ١، صـ١٣١ بتصرّف.

أخرج ابنُ أبي شَيبة والبَيهقي[١] وابنُ سعد[٢] وعبدُ الرزّاق[٣] عن عبَيدة السّلماني[٤] قال: "لقد حفظتُ عن عمرَ بن الخطّاب ﵁ في الجدّ مئةَ قضيةٍ مختلفة"[٥]، وتقدّم[٦] قولُه: «أُشهِدكم إنّي لم أقضِ في الجَدّ قضاءً!».

والدّارمي عن الحَكم بن مسعود[٧] قال: "أتَينا عمرَ ﵁ في المشركة فلم يشرك، ثمّ أتَيناه العامَ المقبِل فشركَ، فقلنا له فقال: «تلك على ما قضَيناه، وهذه على ما قضينا»"[١].

(١) أي: في "السنن الكبرى" كتاب الفرائض، باب التشديد في الكلام في مسألة الجدّ ...إلخ، ٦/ ٢٤٥، عن عبيدة.

(٢) أي: في "الطبقات" ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدي ...إلخ، ٢/ ٥، عن عبيدة.

(٣) أي: في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب فرض الجدّ، ر: ١٩٠٤٣، ١٠/ ٢٦١، ٢٦٢، عن عبيدة السلماني.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبيدة بفتح أوّله، ر: ٤٥٤٦، ٥/ ٤٤٤، ٤٤٥.

(٥) أخرجه ابن أبي شَيبة في "المصنَّف" كتاب الفرائض، باب اختلافهم في أمر الجدّ، ر: ٣١٩١٥، ١١/ ٣١٨، عن عبيدة.

(٦) انظر صـ٣٠٥، ٣٠٦.

(٧) انظر ترجمته: "لسان الميزان" حرف الحاء، من اسمه حكامة والحكم، ر: ٢٩٢٦، ٢/ ٣٨٤.

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب الرجل يفتي بالشيء ثمّ غيّره، ر: ٦٤٥، ١/ ١٦٢، عن الحكم بن مسعود.

وأيضاً عن طاؤسٍ قال: "رُبما رأى ابنُ عبّاس الرّأيَ ثمّ تركه"[١]. وقد كثُر القولُ القديم والجديدُ في فقه الإمام المطَّلبي عالم قرَيش ﵁.

السّادس: كانوا رُبما لا يطمئنّون بما ظهرَ لهم، ولا يأمنون أن يبدوَ لهم خلافُه غداً، ومرّ قولُ الصدّيق[٢] والفاروق[٣] وكنَيف العلم[٤] ﵃: «إن كان صواباً فمِن الله» ...إلى آخِره. ونهَى بعضُ أئمّةِ التابعين عن كتابةِ فتاواه وقال: ما يدريك لعلّي أرجع عنها غداً؟

السّابع: "رؤية التعارُض في الظواهر" كما تقدّم[٥] عن الرّازي. "والقول بالترجيح والتوفيق" ومرّ قولُ عثمان[٦] وعلي[٧] وابن عبّاس[١] ﵄: «أحلّتهما آيةٌ، وحرّمتهما آيةٌ».

الثامن: "رُجوعهم جميعاً إلى الأحاديث".

---

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدمة، باب اختلاف الفقهاء، ر: ٦٣٠، ١/ ١٥٩، عن طاؤس.

(٢) انظر صـ٢٩٧.

(٣) انظر صـ٣١٦.

(٤) انظر صـ٣٢٨.

(٥) انظر صـ٢٨٦.

(٦) انظر صـ٣٢٠.

(٧) انظر صـ٣٢٣.

(١) انظر صـ٣٣٨.

التاسع: وإن لم يجدوا فيها أيضاً فإلى الرّأي، وهذا شيءٌ قد علمَ من الدّين ضرورةً كالذي قبلَه. قال الإمامُ البخاري في "كشف البزدوي": "ذكر الغزالي[١] رحمه الله تعالى: أنّه قد ثبتَ بالقواطِع من جميع الصّحابة الاجتهادُ، والقولُ بالرّأي، والسُّكوتُ عن القائلين به، وثبت ذلك بالتواتُر في وقائع مشهورةٍ، فأورثَ ذلك علماً ضروريّاً بقَولهم بالرّأي، وما نقلوه بخلافِه فأكثرُها مقاطيعُ ومَرويةٌ من غير ثبتٍ، وهي بأعيانها معارِضةٌ برواياتٍ صحيحةٍ عن صاحبها بنقيضها، فكيف يترك المعلومُ ضرورةً بمثلها"[٢] ...إلخ. وفيه قبلَه: "كانوا مجمعين على ذلك فيما لا نصَّ فيه، وكفَى بإجماعِهم حجّةً"[٣] ...انتهى.

وكذا صرّح[٤] بكَون حجيّةِ القياس من ضروريّات الدِّين في صدر "فواتح الرَّحموت" نقلاً عن أبيه مِلك العلماء نظام الدّين[٥] عن صاحب "مسلَّم الثبوت"[١] عمّن أثرَ عنه في بعض كتبِه، وقد أذنتْ محاوراتُهم ومطارحاتُهم أنّهم لم تظهر لهم تلك

---

(١) أي: في "المستصفى" القطب الثالث كيفية استثمار الأحكام من مثمرات الأصول، كتاب القياس، مسألة في الردّ على من حسم سبيل الاجتهاد بالظنّ، صـ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) أي: في "كشف الأسرار" باب القياس، باب تفسير القياس، ٣/ ٥١٢ ملتقطاً.

(٣) أي: في "كشف الأسرار" باب القياس، باب تفسير القياس، ٣/ ٥١٢.

(٤) "فواتح الرحموت" المقدّمة، صـ٩.

(٥) انظر ترجمته: "نزهة الخواطر" حرف النون، ر: ٧٢٦، ٦/ ٣٩٤-٣٩٦.

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٦.

الأحكامُ من القرآن الكريم؛ لأنّهم لم يستندوا فيها إلّا إلى خبرٍ أو أثرٍ أو قياسٍ، حتّى عند دعوى أنّه لا يخبر إلّا عن القرآن، كما مرّ[1] عن الإمام الشّافعي في قتل المحرِمِ الزنبورَ، ويقرب منه حديثُ ابن مسعودٍ رضي الله عنه في لَعن الواصلة وأخواتها: "فقالت له امرأةٌ من بني أسد: بلغَني أنّك لعنتَ كيتَ وكيتَ! قال: «ما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ وهو في كتاب الله؟» فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحَين، فما وجدتُ فيه كما تقول! قال: «لئن كنتِ قرأتِه لقد وجدتِه، أمَا قرأتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟» قالت: بلى! قال: «فإنّه -صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم- قد نهَى عنه»" ...رواه البخاري[2].

العاشِر: كلُّ مسألةٍ مجتهَد فيها، فإنّهم جميعاً إنّما يظنّون فيها ظنّاً، وليس لأحدِهم أن يقطعَ بقولِه ويحكم بضلالِ كلِّ مَن خالَفه، كما يحكم به في أصول العقائد.

هذا هو الفَرق في الخلاف الأصولي والفُروعي، وهو مجتمَعٌ عليه من لدُن الصّحابة رضي الله عنهم وهلُمّ جرّاً، فتبيّن أنّ القرآنَ المجيد لم يكن تبيانَ شيءٍ من المسائل الغير الإجماعيّة لأحدٍ من الأمّة قاطبةً، بل وفي كثيرٍ من الإجماعيات أيضاً، فرُبما يكون أهلُ الإجماع ظانّين، وإنّما يأتي القطعُ من قِبل الإجماع، لا قَبل الإجماع، قال في "فواتح

---

(١) انظر صـ٣٥٨، ٣٥٩.

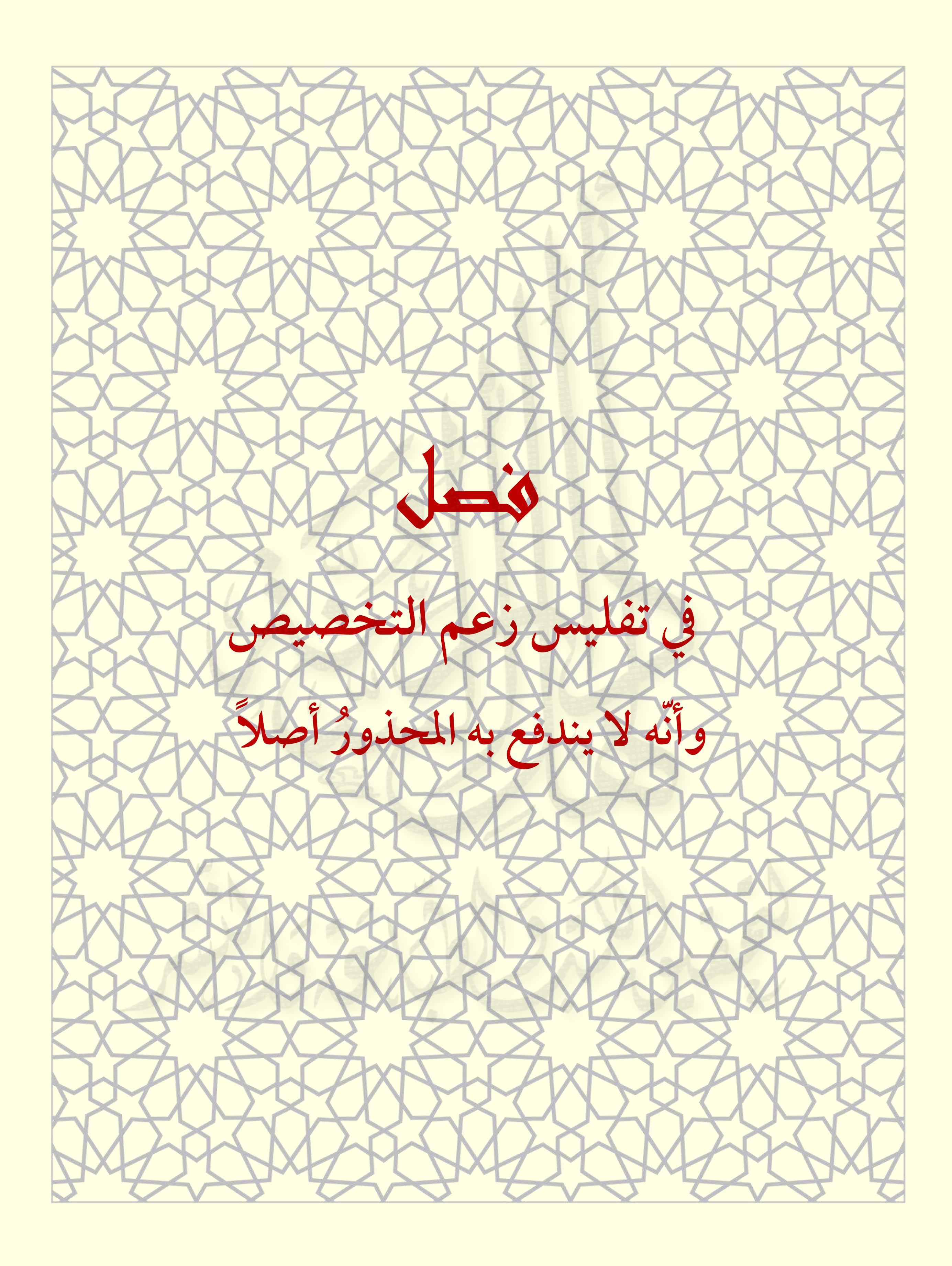
(٢) أي: في "الصحيح" كتاب التفسير، سورة الحشر، باب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] ر: ٤٨٨٦، صـ٨٦٦، عن عبد الله.

الرَّحموت" من تقسيم الخبر: "الإجماعُ قطعيٌّ في إثبات ما أجمعَ عليه، وإن كان أهلُ الإجماع ظانِّين"[1] ...انتهى.

ذكرنا تسعين ثَمّ أتممناها بعشرٍ فتمّت مئةٌ، والحمد لله ربّ العالمين!.



(١) "فواتح الرحموت" الأصل ٢ السنة، صـ٤٠٠.



فصل

في تفليس زعم التخصيص

وأنّه لا يندفع به المحذورُ أصلاً


أهل السنة
لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

فصل

في تفليس زعم التخصيص، وإنّه لا يندفع به المحذورُ أصلاً

وإنّه لم يأت لهم بمخلصٍ أو محيصٍ، وهو احتجاجٌ بوجهٍ آخَر، على أنّ القرآنَ الكريم ليس تبيانَ كلِّ شيءٍ للأمّة، الأوّلُ كان من جهة أحوال العلماء، وهذا من جهة نفس القرآن العظيم بظَهره الظاهرِ لهؤلاء.

فاعلم أنّهم اختلفوا فيما بينهم في تقرير الخصوص على وُجوهٍ شتّى، ولو كان من عند غير الله لوَجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فأكثرُهم حموا جانبَ لفظة "كُلّ"؛ لأنّها من أقوى صِيغ العموم، فلم يتجاسروا على تحويلها إلى الادّعاء والمبالَغة، إنّما خصّوا الشيءَ بالعلوم الدِينيّة.

ثمّ تارةً أرسلوها إرسالاً، وتارةً أوسعوا بتعميم ما يتصل بالدِّين، وتارةً خصّوا بما يحتاج إليه في الدِّين، وتارةً فصّلوها بعلوم العقائد والأعمال وتزكية الباطن ومعرفة الذّات والصّفات والأسماء والأفعال والأحكام، وتارةً اقتصروا على الحلال والحرام والفرائض والأحكام كما أسمعناك نصوصَهم، ثمّ لما رأوا أنّ الأمرَ لا يتمّ لهم؛ إذ ليس في القرآن تفصيلُ كلِّ حكمٍ دينيٍّ من الحلال والحرم، فضلاً عن غيرها، فافترقوا فرقتَين، فنُفاة القياس تخلّصوا بإنكار كلِّ حكمٍ لم يبيّن في القرآن، متمسكين بأنّ الأصلَ براءةُ الذِّمة، فلا حكمَ لله تعالى إلّا ما نجده بين دفّتَي القرآن، ولما لم يتأتّ هذا لأهل السنّة ومقلِّدِي الأئمّة منهم، اضطروا إلى أنّ بيانَها في القرآن، إمّا مفصّلاً وإمّا مجمَلاً.

ولما وردَ عليه أنّ الإجمالَ ينافي التبيانَ، التجأوا إلى حيلة الإحالة على الأصول الثلاثة البَواقي، أي: أنّها مبيّنةٌ فيها، وقد أحال عليها القرآن، فجاء من هذا الوجه التبيانُ

ولو بوسط، هذا غايةُ سعيِهم في إبقاء "كُلّ" على حقيقته، وشذّ شاذٌّ منهم فاعترض على البَيضاوي بأنّ تخصيصَ أمورِ الدِّين لا يقتضيه المقامُ، وحديثُ الوسط تكلّفٌ، والتأويلُ بتجويز الإجمال والتفصيل لا يتحمله عبارةُ التفصيل، أي: أنّ اللهَ تعالى يقول: ﴿تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وأنتم تقولون: بل التفصيلُ لشيءٍ والإجمال في شيءٍ، فليس الأمرُ كما زعمتم أنّ لفظةَ "كلّ" هاهنا للإحاطة والتعميم، بل للتكثير والتفخيم؛ إذ ما في الإحاطة والتعميم، ما في التبيان من المبالَغة في البيان، هذا خلاصة كلّ ما أتَوا به.

وكلّ ذلك إذا فتّش ظهر أنْ لا طائلَ تحته، وأنّ القرآنَ على ما يريدون ليس تبيانَ أهمِّ مهمّات العلوم الدِّينية: علم أصول الدِّين، وعلم أصول الفقه، وعلم الفُروع الفقهيّة، فضلاً عن غيرها.

فالعبدُ الضعيف يَذكر أوّلاً ما يبيّن لك هذا، ثمّ يثنّي بإبانة ما في بقية كلامِهم، ثمّ يثلّث بإثخان ما أتت به "الرّسالة المذكورة"[1].

القرآن ليس تبيانَ جميعِ أصول الدِّين لهم

فأقول وبالله التوفيق:

(١) علم أصول الدِّين: قال الإمام الرّازي: "إنّه بتمامه حاصلٌ فيه؛ لأنّ الدّلائلَ الأصليّة مذكورة فيه على أبلَغ الوجوه، فأمّا رواياتُ المذاهب وتفاصيلُ الأقوال، فلا حاجةَ إليها"[2].

---

(١) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢٥.

(٢) أي: في "التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٧.

أقول أوّلاً: إنّما فصّل فيه كما تريدون دلائلَ التوحيد والرّسالة والحشر، أمّا جميع مسائل الأصول فلا يُرى فيه لأكثرها ذكرٌ أصلاً، فضلاً عن إقامة البراهين عليها، كمسألة أنّ العالَمَ بقضِه وقضيضِه حادِث، إنّما فيه بديعُ السّماوات والأرض، ولذا زلّت بعضُ الأقدام، فقيل بقِدم العرش والكرسي، وذكر له العارفُ النابلُسي تأويلاً في "الحديقة النَّدية"[1] إذ وقع إلمامٌ به في بعض الحواشي، كما سنذكره[2] آخرَ الفصل.

ومسألة أنّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوق، ومسألة أنّ اللهَ تعالى لا يقوم به حادِثٌ، ومسألة أنّه تعالى لا يجب عليه شيء، ومسألة أنّه تعالى لا يقبح منه شيء. والمخالف يعترف أنّ اللهَ يحكم ما يريد، يفعل اللهُ ما يشاء، ويقول: لا يريد إلّا الخيرَ، ولا يشاء إلّا الحَسن.

ومسألة وجوبِ عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنّها من الكبائر أو والصّغائر، ومن العمد أو والسَّهو، وبعد النبوّة أو وقَبلها.

ومسألة امتناع التقصير في التبليغ -عليهم صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم-، ومسألة فتنة القبر، ومسألة الصّراط حتّى تعجّب بعضُ الأئمّة من عدم وُروده في القرآن العظيم، ومسألة الشَّفاعة الكُبرى واختصاصها بالنّبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ...إلى غير ذلك من مسائل كثيرة.

---

(١) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٢، ١/ ١٤٠.

(٢) انظر: صـ٤٥٢- ٤٦٤.

وثانياً: بل جاء في المسكوت عنه ما توهّم به الضالُّون خلاف ما عليه المهتدون، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً﴾ [الزخرف: ٣].

وقوله تعالى: ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقوله تعالى في آدم وفي موسى وفي داود عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ﴾ [الفتح: ٢].

والآيات المتشابهات في الصّفات، كالاستواء واليَد والعَين والوجه والمجيء، ولا ينفيها ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى: ١١]؛ فإنّ المثلَ المساوي.

وثالثاً: ما ذكر فرُبما ذكر بلفظٍ محتَملٍ قابلٍ للتأويل فلم يفحم المخالف، ولك قولُ علي رضي الله عنه: «لا تحاجِجهم بالقرآن؛ فإنّه حمّالٌ ذو وُجوهٍ، تقول ويقولون»[1].

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافّات: ٩٦].

جاء في ذكر الأصنام أوّله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافّات: ٩٥].

فقال الضالّون: يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام.

---

(١) انظر: "الإتقان" النوع ٣٩ في معرفة الوجوه والنظائر، ١/ ٢٨٣، ٢٨٤.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقع في ذكر قبول الإسلام أوّله في سورة الدهر: ﴿فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٩].

وفي سورة التكوير: ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] فقالوا: هذا في الخير، أمّا الشرّ فإليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] قالوا: سبرها واختبارها والتمييز بين جيّدها ورديها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قال المحرومون: أي: راجية منتظرة إلى غير ذلك.

ولا ترى طائفةً في الإسلام حقيقة أو ادّعاء إلّا وهي تحتجّ بالقرآن الكريم، مع أنّ القرآنَ حجّةٌ على أكثرهم، ولكن لا يعلمون!.

ورابعاً: ما قدّمنا[1] من قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦] وحديث الإمام الحكيم الترمذي عن أمير المؤمنين عمر ﷺ عن النّبي ﷺ عن جبريل الأمين -عليه الصّلاة والتسليم-: قال: «بكتاب الله يضلّون».

---

(١) أي: في فصل ليس القرآن تبياناً للأمة بل لنبيِّها ﷺ، صـ٢٨٠، ٢٨١.

ورواه أيضاً ابنُ أبي عاصم[١] في "السُنّة[٢]"[٣] والعَسكريُّ[٤] في "المواعظ"[٥] وأبو نعَيم في "الحلية"[٦]، والدَّيلمي في "مُسند الفِردوس"[٧]، ولا يضرّ ضعفُ إسنادِه؛ فإنّه إخبارٌ بالغَيب، وقد أتى الواقعُ مطابقاً للخبر، فدلّ على صدقِه، وليس فيه متّهَمٌ بوضعٍ حتّى يظنَّ أنّه رأى شيئاً فاختلق بطبقه.

ونظيره ما روى الخطيبُ عن علي -كرّم الله تعالى وجهَه- أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «تكون مدينةٌ بين الفُرات ودِجلة، يكون فيها مُلك بني عبّاس، وهي الزوراء،

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٧. و"الأعلام" ١/ ١٨٩.

(٢) أي: "كتاب السنّة": لابن أبي عاصم، الحافظ، الكبير أحمد بن عمرو الشيباني، المتوفّى سنة ٢٨٧هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٦٦).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنّة" باب، ر: ٣٠٣، ١/ ١٣١، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٢٢٥. و"الأعلام" ٢/ ١٩٦.

(٥) "الزواجر والمواعظ": لأحمد حسن بن عبد الله العسكري، المتوفّى سنة ٣٨٢هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ١٠. و"الأعلام" ٢/ ١٩٦).

(٦) "حلية الأولياء" ذكر جماعة من تابعي التابعين من أهل الكوفة، عمر بن ذر، ر: ٦٦٠٨، ٥/ ١٣٧، عن عمر بن الخطاب.

(٧) انظر: "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الياء، فصل، ر: ٨٢٨٤، ٥/ ٣١٠، ٣١١.

تكون فيها حرب مقطعة تُسبى فيها النّساء، ويذبح فيها الرّجالُ كما يُذبح الغنمُ»[1] ثمّ قال: إسنادُه شديدُ الضَّعف.

قال الإمام السُّيوطي في "الجامع الكبير"[2]: "قلتُ: وقعت هذه الحربُ والذبحُ بعد موت الخطيب بأكثر من مائتَي سنةٍ، وذلك مما يقوّي ورودَ الحديث"[3] انتهى.

قلتُ: وليعتبر بهذا مَن يجمد على حال السَّند، فإن جاء غيرُ متماسكٍ نفاه عن النّبي ﷺ، وإنّما حقُّه أن يقولَ: "لم يثبت"؛ فرُب ضعيفٍ أتى بشيءٍ صحيح، ورُب نسيٍّ حفظَ أشياء، بل الكذوبُ قد يصدُق، نعم ما نفاه عقلٌ نجيح، أو نقلٌ صريح، أو حسنٌ صحيح، فذلك الذي يُنفى.

وخامساً: كفانا قولُ الإمام الرازي نفسه في هذا التفسير، ولخّصه النيسابوري في "الرّغائب"[4]، ثمّ السيوطي في "الإتقان"[5] وأقرّاه، قال: "اعلم أنّ من الملحدة مَن طعنَ في القرآن: إنّا نراه يتمسّك به كلُّ صاحبِ مذهبٍ على مذهبِه:

---

(١) "تاريخ بغداد" باب ذكر أحاديث رويت في الثلب لبغداد والطعن على أهلها، وبيان فسادها وعللها، ر: ٢٤، ١/ ٤٤.

(٢)"جمع الجوامع" في الحديث المسمّى بـ"الجامع الكبير": للإمام الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٦٨).

(٣) "الجامع الكبير" باب حرف التاء المثنى، تحت ر: ١٠٩٧٣، الجزء ١١، صـ٣٥٨.

(٤) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" سورة آل عمران، تحت الآية: ٧، ٢/ ١٠٦، ١٠٧.

(٥) "الإتقان" النوع ٤٣، ٢/ ٢٢، ٢٣.

فالجبريُّ بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ [الأنعام: ٢٥].

والقدري يقول، بل هذا مذهبُ الكفّار: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥].

ومثبِت الرُّؤية بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

والنّافي بقوله: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومثبِت الجهة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النَّحل: ٥٠] بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

والنافي بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى: ١١].

ثمّ كلُّ واحدٍ يسمّي الآياتِ الموافقةَ لمذهبه محكمةً، والمخالفةَ متشابهةً، ورُبما آل الأمرُ في ترجيح بعضٍ إلى ترجيحاتٍ خفيّة، ووُجوهٍ ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعلَ الكتابَ المرجوع إليه في كلّ الدِّين إلى قيام السّاعة هكذا، أليس أنّه لو جعله ظاهراً جليّاً نقيّاً عن المتشابهات، كان أقرَبَ إلى حصول الغَرض.

فوائد المتشابهات وُجوهاً

واعلم أنّ العلماءَ ذكروا في فوائد المتشابهات وجوهاً:

الأوّل: متى كانت، كان الوصولُ إلى الحقّ أصعَب وأشقَّ، وزيادة المشقّة زيادة الثواب.

الثاني: لو كان محكماً بالكُلية لكان مطابقاً إلّا لمذهبٍ واحد، وكان بصريحه مبطِلاً لكلّ ما سِوى ذلك، وذلك ينفِّر أربابَ المذاهب عن قبوله، ولما كان مشتملاً على المتشابه، يطمع صاحبُ كلِّ مذهبٍ أن يجدَ فيه ما يقوّي مذهبَه، فينظر فيه جميعُ أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمّل فيه، فإذا بالَغوا في ذلك صارت المحكماتُ مفسَّرةً للمتشابهات، فبهذا الطريق يخلص المبطل عن باطلِه ويصل إلى الحقّ.

الثالث: افتقر الناظرُ فيه إلى الاستعانة بدليل العقل، وحينئذٍ يتخلّص عن ظُلمة التقليد، ويصل إلى ضياء الاستدلال والبيّنة، أمّا لو كان كلُّه محكماً لم يفتقر إلى الدّلائل العقليّة، فيبقى في الجهل والتقليد.

الرّابع: افتقروا إلى تعلّم طُرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر ذلك إلى علومٍ كثيرةٍ من اللُّغة والنَّحو وأصول الفقه، ولو لم يكن كذلك، ما كان يحتاج الإنسانُ إلى هذه العلوم الكثيرة.

الخامس وهو الأقوى: أنّ القرآنَ مشتملٌ على دعوة الخواص والعوام، وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمَن سمعَ من العوام في أوّل الأمر إثباتَ موجودٍ ليس بجسمٍ ولا متحيّزٍ ولا مشارٍ إليه، ظنّ أنّ هذا عدم فوقع في التعطيل، فكان الأصلَح أن يخاطبوا بألفاظٍ دالّةٍ على بعض ما يناسب ما يتوهّمونه مخلوطاً بما يدلّ على الحقّ الصريح، فالأوّلُ المتشابهات، والثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر هو المحكمات"[1] ...انتهى.

---

(١) "التفسير الكبير" سورة آل عمران، تحت الآية: ٧، ٣/ ١٤١، ١٤٢ ملتقطاً وبتصرّف.

فهذه العبارةُ برمّتها تنفي أنّه بين جميع أصول الدين للنّاس بياناً واضحاً جليّاً من دون لبس، وتنبئ أن لو كان كذا لانتفت الفوائدُ الخمس.

ليس القرآنُ تبيانَ أصولِ الفقه لهم

(٢) علم أصول الفقه: أنت تعلم أن لا بيانَ لعامّة تفاصيل مسائله في القرآن الكريم، ثمّ مرجعُها وجُماعها حجيّةُ الأصول الأربعة، وظاهرُ الكتاب وأخبارُ الآحاد والقياساتُ بأسرها، والإجماعُ السُّكوتي والمنقولُ منه آحاداً، كلُّ ذلك ظنّياتٌ، وعليها مدارُ عامّة مسائل الفقه، ولا بيانَ لحجيّة شيءٍ منها في الكتاب الكريم، بل فيه ما يستدِلّ به المخالفُ على نفي حجيّتها.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النّجم: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

مع قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [النّجم: ٢٨].

فنفي أن يكونَ الظنُّ علماً، والأمرُ أعظَم على السّادة الشّافعية ومَن وافَقهم في ظنيّة العامّ؛ إذ ما من حكمٍ شرعيٍّ إلّا وللعموم مدخلٌ فيه، والتمسُّكُ على حجيّة خبر الواحد العدل بقوله ﷻ: ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] تمسّكٌ بالمفهوم.

أقول: وإن سلم نفي سائر شرائط القبول، كالضبط، وعدم الشُّذوذ والنكارة، والعِلّة بالاتفاق، والإرسال، والانقطاع، والإعضال، وعنعنة المدلِّس عند هؤلاء المحدِّثين، ووجبَ قبولُ قول المستور مطلقاً كالعدل، بل الإجماعُ القطعي أيضاً لم يُثبِته الإمامُ الشّافعي ﷺ بالقرآن الكريم حين سُئل عنه، إلّا بعدما تأمّل ثلاثةَ أيّام، فاستخرج قولَه تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥] وليس هذا

شأنَ التبيان، ثمّ هو بعد معترك الشُّبهات، وقد أوردَ عليه في "فواتح الرّحموت"[١] ثمانيةَ وُجوه، ثمّ أجابَ عن سبعةٍ بما في بعضِه حزازةٌ وقوى الثامن وهو أنْ لو سلّم دلالته من جميع الوجوه فظاهر، وهو مظنون، والتمسّكُ به إنّما ثبت بالإجماع، ولم يثبت بعد ...انتهى.

ودلالة ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ [الحشر: ٢] على حجيّة القياس أَدَقُّ وأخفَى، وتصادُم المطارحاتِ عليها أكثر وأجلَى، فأين التبيان؟ والحقُّ أنّ حجيّةَ الظواهر والعمومات وأخبار الآحاد والإجماع والقياس، كلُّ ذلك معلومٌ ضرورةً من الدِّين عند مَن مارَس وكان من الشّاهدين، فالمطالبُ ثابتةٌ، ولا تبيانَ لها من القرآن المبين.

لم يبيّن القرآنُ لهم جميعَ الأحكام والحلال والحرام

(٣) علم الفُروع: أجمعوا ولا بيانَ فوق العيان، أنّ القرآنَ الكريم أتى في كثيرٍ من المسائل، بل أكثرها بالإجمال، والإجمالُ ينافي التبيانَ.

أقول: للخفاء ثلاثةُ وُجوه، وكلُّها في القرآن الكريم:

الأوّل: تركُ الذِكر رأساً، وهو في أكثر المسائل، فقد أمرَ بالصّلاة ولم يبيّن جميعَ شروطها، وترتيب أركانها، وعدد ركعاتها، وحدود أوقاتها، وتفاصيل مفسداتها، فضلاً عن سُننها ومستحبّاتها وأذكارها ومكروهاتها، وبل ليس فيه بيان أنّ الصّلواتِ خمسٌ، وإنّما يستنبطونه بوجوهٍ بعيدةٍ لا تتمّ، إن شئتَ الإطّلاعَ عليها فارجعْ

---

(١) "فواتح الرحموت" الأصل الثالث الإجماع، صـ٤٩٥، ٤٩٦.

"حلبة"[١] للمحقّق ابن أمير الحاج متأمِّلاً، وليس فيه زكاةُ السّوائمِ وأموالِ التجارة، ولا نصبُها، ولا نصابُ الذهب ولا الفِضّة، ولا اشتراط الحَول ولا النّماء، إنّما قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، وقد خفي على مثل أبي ذرٍ[٢] رضي الله عنه وقال: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] ولم يبيّن ما هو، حتّى اشتبهَ على مثل عمر، وخالفَ ابنَه وابنَ عبّاس رضي الله تعالى عنهم في الفضل، والقائلون بتحريمه كالنَّسئة اختلفوا أنّه يخصّ بالأشياء الستّة أو لا؟ والذين قالوا بالتعدية اختلفوا أنّ مَناطَه القدرُ والجنسُ أو الطعمُ والثمَنيّة أو غير ذلك؟ وقِس عليه سائرَ الأبواب كما تقدّمت[٣] الإشاراتُ إليه في الفصل السّابق من كلام عمران بن حصَين رضي الله تعالى عنهما، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وسيّدي علي الخواص، والعارف الشَّعراني قُدّست أسرارُهم.

الثاني: ذكرُ لفظٍ محتملٍ لمعانٍ، وهُجومُ الاحتمال ينافي التبيانَ، كقوله تعالى: ﴿ثَلاَثَةَ قُرُوْءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] بالقِراءتَين نصباً وجرّاً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] بقراءتَي التخفيف والتشديد.

---

(١) "حلبة المجلّي وبغية المهتدي في شرح منية المصلّي" فرضية الصّلاة، ١/ ٣٣- ٣٦: للإمام الشهير بابن أمير الحاج محمد بن محمد بن أحمد [محمد] (الحنفي، المتوفّى سنة ٨٧٩هـ). ("كشف الظنون" ٢/ ٧٠٨، ٧٠٩).

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الذال، ر: ٥٨٦٩، أبو ذر الغفاري، ٦/ ٩٦، ٩٧.

(٣) أي: في فصل ليس القرآن تبياناً للأمة، بل لنبيّها صلى الله عليه وسلم، صـ٣٤٧و٣٥٩ .

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾ [النِّساء: ٤٣] مِن اللَّمس والملامَسة.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] و"أنّى" يحتمل كيف وأين.

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: الزوج أو الولي.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ [النُّور: ٣١] هو كالاستثناء من مفهوم نسائِهنّ، أي: لا يُبدِين زينتَهنّ لنسوةٍ إلّا أن يكن منهن، وهنّ المسلماتُ أو ما ملكتْ أيمانُهنّ، وهي الإماء، ولو كافرات.

وقد كان ظهرَ هذا للعبد الضعيف حتّى رأيتُه عن ابن جريج، ويحتمل الإطلاقَ إلى غير ذلك، والاختلافاتُ الناشئة منها في العلماء لا تخفى ولم يتعيّن بعد معنى قوله تعالى: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النُّور: ٣١] والله تعالى أعلم.

الثالث: وهو أصعبها أن يذكرَ بحيث يسبق الذهنُ إلى خلاف المقصود، كقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾ [النُّور: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النِّساء: ٢٣] أفتى عليٌّ -كرّم الله تعالى وجهَه- مالكَ بن أوس بن الحدثان[1] رضي الله عنهما حين ماتت امرأتُه، أن ينكحَ ابنتَها، قال مالكٌ: فأين قولُ الله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾؟ قال: «إنّها لم تكن في

---

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٥٦٥، مالك بن أوس، ٤/ ٤٠٣، ٤٠٤.

حجرك، وإنّما ذلك إذا كانت في حجرك»[١] رواه عبد الرزّاق وابنُ أبي حاتم[٢] بسندٍ صحيحٍ عن مالك بن أَوس ﵁.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النِّساء: ١٧٦] وقد سمعتَ[٣] فيه قولَ ابن عبّاس ﵄.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ [النِّساء: ١٠١-١٠٣] أي: "أتمّوها". رواه عبدُ بن حميد[٤] وبنو جرير[٥]

(١) أخرجه عبد الرزاق في "المصنَّف" كتاب النكاح، باب ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾، ر: ١٠٨٣٣، ٦/ ٢٧٨، ٢٧٩، عن مالك بن أوس.

(٢) أي: في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ٢٣، ر: ٥٠٨٧، الجزء ٣، صـ٩١٢، عن مالك بن أوس.

(٣) أي: في فصل ليس القرآن تبياناً للأمة، بل لنبيّها ﷺ، صـ٣٣٤.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، ٢/ ٦٦٧، نقلاً عن عبد بن حمَيد عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، ر: ٨٢٠٣، الجزء ٥، صـ٣٥٣، عن مجاهد.

والمنذر[١] وأبي حاتم[٢] عن مجاهد، والثلاثةُ الأُوَل[٣] وعبدُ الرزّاق[٤] عن قَتادة، وأخرج الستّةُ إلّا البخاري عن يعلى بن أميّة[٥] ﵁ قال: سألتُ عمرَ بن الخطاب ﵁ قلتُ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد أمن النّاسُ؟ فقال لي عمرُ: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال: «صدقةٌ تصدّق اللهُ بها عليكم، فاقبلوا صدقتَه»[٦].

---

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، ٢/ ٦٦٧، نقلاً عن ابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أي: في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، ر: ٥٩١٦، الجزء ٤، صـ١٠٥٧، بطريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ يقول: "أتمّوها".

(٣) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، ر: ٨٢٠٠، الجزء ٥، صـ٣٥٣، عن قتادة. وأخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، تحت ر: ٥٩١٦، الجزء ٤، صـ١٠٥٧. وانظر: "الدر المنثور" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، ٢/ ٦٦٧، نقلاً عن ابن المنذر عن قتادة.

(٤) أي: في "التفسير" سورة النساء، تحت الآية: ١٠٣، ر: ٦٣٤، ١/ ٤٧٥، عن قتادة.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الياء والعين والفاء، ر: ٥٦٤٧، يعلى بن أمّية، ٥/ ٤٨٦، ٤٨٧.

(٦) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، ر: ١٥٧٣، صـ٢٧٩. وأخرجه الترمذي في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب من سورة النساء، ر: ٣٠٣٤، صـ٦٨٢، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيح". وأخرجه أبو داود في "السنن" كتاب صلاة المسافر، باب صلاة المسافر، ر: ١١٩٩، صـ١٧٩. وأخرجه النَّسائي في "السنن" كتاب تقصير الصلاة في السفر، باب، ر: ١٤٢٩، الجزء ٣ =

وفي "التفسير الكبير" نفسه: "اعلم أنّ اللفظَ إذا كان بالنّسبة إلى المفهومَين على السويّة، فهاهنا يتوقّف الذهنُ مثلَ القُرءِ بالنّسبة إلى الحيض والطُهر، إنّما المشكلُ أن يكونَ اللفظُ بأصل وضعِه راجحاً في أحد المعنيَين، ومرجوحاً في الآخَر، ثمّ كان الرّاجحُ باطلاً والمرجوحُ حقّاً، ومثالُه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] فظاهرُ الكلام أنّهم يؤمَرون بأن يفسِقوا، ومحكمُه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء﴾ [الأعراف: ٢٨]. وكذلك قوله تعالى: ﴿نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ظاهرُه النِسيانُ ضدّ العلم، ومرجوحُه التركُ، والآيةُ المحكمة فيه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ [مريم: ٦٤]، واعلم أنّ هذا موضعٌ عظيم، فكلٌّ يدّعِي أنّ الآياتِ الموافِقة لمذهبه محكَمةٌ، والموافِقة لخَصمِه متشابهة"[1] ...إلخ.

وإذا كان هذا في أصول الدِّين وفُروعه، فتبيانُ أيِّ شيءٍ يكون لكم؟ فتبيّن أنّ ما قصدُوه لا استقامةَ له على شيءٍ من التخصيصات أيضاً، فما هي إلّا ضائعات، والقرآنُ بريءٌ عن الفارغات.

=

صـ١١٦. وأخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب تقصير الصلاة في السفر، ر: ١٠٦٥، صـ١٨٠.

(١) "التفسير الكبير" سورة آل عمران، تحت الآية: ٧، ٣/ ١٣٩ ملتقطاً وبتصرّف.

الكلام على إبطال الاحتيال بالإحالة

(٤) أما حديث الإحالة على السنّة والإجماع والقياس:

فأقول أوّلاً: هذا صاحبُنا الإمام الرّازي قائلاً تحت قوله تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١، ٢] في بيان أسامي القرآن الكريم: "إنّما سُمّي قيّماً؛ لأنّه قائمٌ بذاته في البيان والإفادة"(١) ...انتهى. والذي لا يبيّن بنفسه، بل يحيل على غيره، لا يكون قيّماً بهذا المعنى.

وثانياً: الإحالةُ بنفسها ليست بيّنةً بياناً واضحاً جليّاً بليغاً يحقّ أن يسمَّى تبياناً.

وثالثاً: عالم سُئل عن ألفِ مسألةٍ مثلاً، فأجاب عن واحدةٍ وقال: هذا فرضٌ، والبواقي منها فرضٌ وسنّةٌ ومكروهٌ وحرام، لا يصحّ أن يقالَ: إنّه بيّن كلَّ شيءٍ منها، إنّما بيّن ذلك الواحدَ وأبهَم حكمَ البواقي، غير أنّه أفادَ أنّ البواقي ليس لها حكمٌ واحد، وأفاد أنّها تفترق إلى أربعةِ أحكام، وأفاد أن ليس شيءٌ منها مُساويَ الطرفَين، أمّا مَن أجاب عن واحدةٍ وقال في البواقي: سَلِ العلماءَ، فإنّه لم يُفِد هذا القدرَ أيضاً، فهو أشدُّ إبهاماً من الأوّل، فكيف يقال: إنّه بيّن كلَّ شيء؟!

ورابعاً: لو كان الإحالةُ على مَن يبيّن تبياناً، لكان كلُّ بَدَوِي لا يدري شيئاً، قادراً على تبيانِ كلِّ شيء.

وخامساً: لو جمعَ رجلٌ أهلَ بلدةٍ وقال: سَلُوني أفصِّل لكم كلَّ شيءٍ تفصيلاً، وأبيِّن تبياناً جليّاً جليلاً، فسألُوه عن ألفِ شيءٍ، فأجاب عن واحدٍ، ثمّ جعل يقول

---

(١) "التفسير الكبير" سورة البقرة، تحت الآية: ٢، ١/ ٢٦٣.

كلمّا سُئل: سلُوا العلماءَ، فهل يتوهّم أحدٌ أنّه وفَى بها وعَد؟ وأتى بتفصيل كلّ ما ورد؟ بل ينسبونه إمّا إلى الجرأة والجهل، وإمّا إلى الاستهزاء والهزل، فكيف يسوغ حملُ ما مدحَ به القرآنُ نفسه على مثل هذا؟!

وسادساً: إن سلّمنا فالمُحال عليها لم تأت بتفصيل كلِّ شيءٍ، وتبيانِه الجلي البليغ، كما تبيّن[1] لك في الفصل السّابق، لا سيّما بالوُجوه العَشر الأواخر، فأنّى يصحّ تبيانُ كلِّ شيءٍ، وتفصيلُ كلِّ شيءٍ، ولو بوسط؟!

وسابعاً: البيان الطريق الموصِل إلى الفَهم والعلم، والتبيانُ أقربُ الطُرق وأوضَحها الذي لا يتعب ولا يلبث، فمَن أوصَل فهو الذي بيّن، ومَن قال: إنّ هناك طُرقاً توصِل فاسلكوها، وأومأ إلى ذلك بطرفٍ خفيٍّ، ولم يبيّن مَعالم تلك الطُرق، وعلائم الموصِلات منها، حتّى اختلف السّامعون في أنّه هل دلَّ على طُرقٍ أم لا؟ وعلى الدّلالة أيّها أراد؟ فأحجم قومٌ وأخذ الباقون يسلكون طُرقاً عنتْ لهم، وكانت السُبلُ ثلاثةَ أنواعٍ: موصِلةً ومزلّةً ومضِلّةً، فلأجل الالتباس وعدم التبيان وقعَ النّاهجون في كلّ منهج، والقائلُ كان عليماً حكيماً رحيماً اقتضت حكمتُه ذلك، وقيض برحمته لمن شاء منهم بَذرَقَة خفية لا يرونها هُم ولا سائرُ السّائرين، فأخذ البَذرَقَة بأيدِيهم ووقاهُم طُرقَ الضلال، وألقاهُم على الصّراط المستقيم، وترك آخَرين بعدلِه وحكمتِه يضلّون، وفي كلّ وادٍ يهيمون، ثمّ الذين سار بهم طريقُ الهُدى تركَ بعضَهم تزلّ قدمُه حيناً ويصل، وأيّد بعضَهم فما زلّت له قدمٌ، فكيف يصحّ له أن

(١)أي: في فصل ليس القرآن تبياناً للأمة، بل لنبيّها ﷺ، صـ٣٧٤- ٣٧٦.

يقولَ: لما ذكرتُ الطُّرق فقد أوصلتُ، بل يقول: بحكمتي أجملتُ، وبدُون إيضاح دلّلتُ، ثمّ برحمتي بعضَهم أوصلتُ، وبعَدلي بعضَهم أضللتُ، ومن الواصِلين مَن أزللتُ، وعلى زَلّةٍ له أوصلتُ، وهذا لعمري هو شأنُ القرآن الكريم، يُضِلّ به كثيراً ويَهدي به كثيراً، والمجتهدُ يخطِئ ويُصيب، ولو شاء لجعلَ كلَّ شيءٍ أبيَن من الأمس وأظهَر من الشّمس، وأزاح كلَّ لُبس، وأزال كلَّ تخمينٍ وحدس، لكن لم يفعل، ولو فعل لبطلت سائرُ العلوم واستوت النّاسُ؛ لعدم الالتباس، واختلّ هذا النّظامُ البديع الحكيم، كما كان يختلّ نظامُ الدّنيا لو سُوّي بينهم في مُعاشهم، ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وثامناً: لئن سلّمنا فلا شكَّ أنّ القائمَ بالبيان بنفسه، أحقُّ بفضل التفصيل والبيان ممن يحيل على غيره، فإذَن إحدى المقدّمات الصّغار كمتن الإمام مفتي الثقلَين نجم الدِّين عمر النَّسَفي[١] رحمه الله تعالى في "العقائد"[٢]، و"مختصر الإمام أبي الحسَن القُدوري"[٣] في الفِقه، تكون أحقَّ باسم "تبيان كلّ شيءٍ، وتفصيل كلّ شيءٍ" من القرآن العظيم، والعياذ بالله تعالى!.

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٢٤.

(٢) "العقائد النَّسَفية": للإمام نجم الدِّين أبو حفص عمر بن محمد، المتوفّى سنة ٥٣٧هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ١٥٣).

(٣) "مختصر القدوري" في فروع الحنفية: للإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي، المتوفّى سنة ٤٢٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٢٠).

القرآن معجِزٌ بحسب المعنى أيضاً

وتاسعاً: القول بالإحالة يُبطِل كونَ القرآن العظيم معجِزاً من حيث المعنى، ولا يرضَى به مَن أحبَّ تعظيمَ شأنِه، قال العلّامة التفتازاني: "القرآنُ بحرٌ لا تنقضِي عجائبُه، ولا تنتهي غرائبُه، فأنّى للبَشَر الغوضُ على لآليه، والإحاطةُ بكُنه ما فيه، ومِن هاهنا قيل: هو معجِزٌ بحسب المعنى أيضاً"[1] ...انتهى.

وقال العلّامة الشّمس الفناري[2] في "فصول البدائع في أصول الشّرائع"[3] والعلّامة مَولى خُسرو[4] في "مرقاة الوصول إلى مرآة الأصول"[5] واللّفظُ للفناري تحت قوله تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩] وقوله تعالى: ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]: "الكتابُ تبيانٌ لا بلفظةٍ فقط، بل

---

(١) "التلويح" القسم ١ من الكتاب في الأدلّة الشرعية، الركن ١ في الكتاب، الباب ١ في إفادة الكتاب المعنى، التقسيم ٣ في ظهور المعنى وخفائه، ١/ ٢٨٣ ملتقطاً.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٥٠، ١٥١.

(٣) "فصول البدائع في أصول الشرائع": لشمس الدّين محمد بن حمزة الفناري، المتوفّى سنة ٨٣٤هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٤٨).

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٦٨.

(٥) "مرقاة الوصول إلى علم الأصول" متن: لمولانا محمد بن فرامرز المعروف بـ"مُنلا خُسرَو" المتوفّى سنة ٨٨٥هـ. ثمّ شرحها وسمّاه: "مرآة الأصول". ("كشف الظنون" ٢/ ٥٣٩).

وتارةً بمعناه جليّاً أو خفيّاً، ورُبما يقال: التبيانُ بالمعنى، والبيانُ باللّفظ، وفي ذلك تعظيمُ شأنِ نظمِه ومعناه"[١] انتهى.

زاد مَولى خُسرو: "والكتابُ المبين كما قيل: هو اللَّوح المحفوظ، ولو أريدَ به القرآنُ فالوجه ما ذكرنا؛ فإنّ بعضَ الأشياء يكون فيه لفظاً، وبعضها معنى" ...انتهى.

وعاشراً: كفانا مؤنةً إكثارُ الردّ عليه الإمام الرازي نفسه؛ فإنّه لما ذكر قول الإحالة، عقبَه بقوله: "إلّا أنّا نقول: حمل قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] على هذا الوجه لا يجوز؛ لأنّ قولَه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ ذكر في معرض تعظيم الكتاب والمبالَغة في مدحه والثناء عليه، ولو حملنا هذه الآيةَ على هذا المعنى، لم يحصل منه ما يُوجِب التعظيم؛ لأنّا لو فرضنا أنّ اللهَ تعالى قال: اعملوا بالإجماع وخبرِ الواحد والقياس، كان المعنى الذي ذكروه حاصلاً من هذا اللّفظ، والمعنى الذي يُمكِن تحصيلُه من هذا اللّفظ القليل، لا يمكن جعلُه مُوجِباً لمدح القرآن والثناء عليه، بسبب اشتمال القرآن عليه، فثبت أنّ المعنى الذي ذكروه لا يُفيد تعظيمَ القرآن، فوجب أن يقالَ: أنّه لا يجوز حملُ الآية على هذا المعنى"[٢] ...انتهى.

ولقد قال بالحقّ وصدع به، بل لو قال: اعملوا بتلك الثلاث، لكان أبيَن مما يرَونه في القرآن لما علمت، أنّ في دلالة القرآن على حجيّتها خفاءً شديداً ونزاعاً بعيداً،

(١) "فصول البدائع" الركن ٤ في القياس، الفصل ١ في معناه، ٢/ ٣١٥ ملتقطاً.

(٢) "التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٨ ملتقطاً وبتصرّف.

ولكن من المذكورة -أعني "غاية المأمول"[١]- ساقت عبارةَ "الكبير" من أوّل هذا المحل وآخرِه، ولما أتت على هذا الردّ نفرتْ وطفرتْ، وصنعتْ جَسراً من قولها: "إلى أن قال" فمرّت وعبرتْ وتواتر أمثالِ هذا في تلك الصغيرة، التي لا تبلغ كراستَين، أدلُّ دليلٍ على ما عملت فيها أيدِي التوهُّب والمين، نسأل اللهَ العفوَ والعافية!.

(٥) وأمّا قصر الأحكام على المصرَّح به في القرآن الكريم:

الردّ على زعم نُفاة القياس

فأقول: أفسد وأفسد، وإلجاء الظهر إليه أبعَد وأبعَد!

أوّلاً: لأنّه قولُ قومٍ زائغين، يُنكِرون ما أطبقت عليه أئمّةُ الدِّين، من لدُن الصّحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، بل أرشدَ إليه سيّدُ المرسَلين، -صلّى الله تعالى وسلّم عليه وعليهم- إلى يوم الدِّين، فكيف يجوز أن يستندَ به مَن يضع نفسَه في المهتدين؟ وقد نصّ الرّازي تحت آية النّحل: "أنّه قولُ نُفاة القياس"[٢]، قال في آخِر تقرير كلامِهم: "وذلك يدلّ على أنّه لا تكليفَ من الله تعالى إلّا ما وردَ في هذا القرآن، وإذا كان كذلك كان القولُ بالقياس باطلاً، وكان القرآنُ وافياً ببيان كلّ الأحكام"[٣].

ثانياً: قد كذبوا، بل بطل به الحديثُ والإجماع أيضاً، وصاروا مصداقَ قولِه ﷺ: «رجلٌ شبعانٌ على أريكته متكئاً يأتيه الأمرُ من أمرِي مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه،

---

(١) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣١١- ٣١٥.

(٢) "التفسير الكبير" سورة النحل، تحت الآية: ٤٤، ٧/ ٢١٢.

(٣) "التفسير الكبير" سورة النحل، تحت الآية: ٨٩، ٧/ ٢٥٨.

فيقول: لا أدري! ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه»[١]، وأنكروا قولَه ﷺ: «ألا إنّي أوتيتُ القرآن ومثله معه»[٢]، وإنّ ما حرّم رسولُ الله كما حرّم الله»[٣]، ألا وإنّي والله قد أمرتُ ووعظتُ ونهيتُ عن أشياء، أنّها كمثل القرآن أو أكثر»[٤] كما تقدّم[٥] كلُّ ذلك.

فهؤلاء يعادون الأئمّةَ جهاراً، والرّسولَ[٦] إسراراً، والقرآنَ لُزوماً لقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقوله: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النِّساء: ٨٠].

وقوله: ﴿مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقوله: ﴿قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، ر: ٤٦٠٤، صـ٦٥١، عن المقدام بن مَعديكرب. وأخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقالَ عند حديث رسول الله ﷺ، ر: ٢٦٦٣، صـ٦٠٤. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ حسنٌ [صحيحٌ].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند الشاميين، حديث المقدام بن معديكرب، ر: ١٧١٧٤، ٦/ ٩١، عن المقدام بن معديكرب الكندي.

(٣) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، ر: ٢٦٦٤، صـ٦٠٤، ٦٠٥، عن المقدام بن معديكرب. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

(٤) أخرجه أبوداود في "السنن" كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في تعشير أهل الذمة ...إلخ، ر: ٣٠٥٠، صـ٤٤٦.

(٥) أي: في فصل في العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٧٤، ١٧٥.

(٦) صلّى الله تعالى عليه وسلّم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ﴾ [النِّساء: ٨٣].

وقوله: ﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّساء: ٥٩]

ولا يذهبنّ عنك نكتةُ إعادةِ "أطيعوا" مع الرّسول، دُون أُولي الأمر!.

وقوله: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النِّساء: ٦٥].

وثالثاً: الحمد لله! لم يبيّن لهم القرآنُ ما ذكر فيه من المسائل أيضاً، قال: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وهل فيه كَم هي؟ وما أوقاتُها؟ وركعاتُها؟ وأركانُها الأصليّةُ والزائدةُ والمكمِّلةُ؟ وشُروطُها الخارجةُ والداخلةُ؟ وصفتُها؟ وأذكارُها؟ ومفسداتُها؟ ومحظوراتُها؟.

وقال: ﴿وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وهل فيه مِن أيش؟ ومتى؟ وكَم؟ وبأيّ شرط؟ وقِس عليه كما تقدّمت[1] الإشارةُ إليه، فقصرُهم على القرآن يُفضِي إلى إبطال الدِّين، وترك الإنسان سُدى، وإذ قد بطل الوجهان لم يبقَ للتخصيص إلّا الهلاكُ والرّدى.

إبطال أنّ "كلَّ" للتكثير

(٦) بقي الشاذُّ منهم الفار عن التخصيص القاطع لـ"كلّ" عن موضوعِه، الحامل له على التكثير:

---

(١) انظر صـ٣٩٠.

فأوّلاً: يكفينا أنّهم لم يقبلوه وردّوه، بأنّه متى أمكَن حملَ كلمة "كلّ" على الاستغراق الحقيقي، لا تحمل على غيره، كما في "عناية القاضي"[1].

وأقول ثانياً: هذا قولٌ مستحدثٌ لا أثرَ له في آثار السَّلَف.

وثالثاً: لو أنّه جمعَ بين الوجهَين خصّص الكلامَ بأمور الدِّين، وحمل "كلّ" على التكثير، لم يصحّ ولم ينجع؛ فإنّ المصرَّحَ به في القرآن من الأحكام، ليس من الثابت بالأحاديث والاجتهادات واحداً من ألفِ ألفٍ، وإن أبيتَ فلخِّص آياتِ الأحكام، وقِسها بكتب الفتاوى الطوال المباسيط من المذاهب الأربعة، تعرف حقّية ما قلنا، ومَن بيّن واحداً من ألفِ ألفٍ، ثمّ ادّعى أنّه بيّن وفصّل وأوضَح كلَّ شيء، فأدنَى ما ينسب إليه الهزلُ، والقرآنُ متعالٍ عنه، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[الطارق: ١٣، ١٤]، ولكن هذا لم يرضَ بتخصيص أمور الدِّين، وعمّ البيانُ أمورَ الدِّين والدنيا، ثمّ ادّعى أنّ اللهَ تعالى قال: "قد بيّنتُ في كتابي هذا كلَّ شيءٍ من الدّنيا والدِّين، وفصّلتُ بالتفصيل المبين" قاله لأجل التكثير والتفخيم، فسبحان الله! كيف يلحظ بعين التفخيم والاستكثار ما ليس واحداً من ألفِ ألفِ ألف، والكثرةُ في نفسِه لا تجدي في أمثال القلّة الشّديدة، وإلّا لجازَ لمن سبحَ في البحر أحدَ عشرَ ذراعاً أو إثني عشرَ، أن يقولَ: قطعتُ كلَّ البحر سباحةً؛ لأنّ لأحدَ عشرَ كثرةً، ولذا كان مِصداقَ جمعِ الكثرة، ما أبعَد حملُ كلامِ إلهِ الحقّ -عزّ جلاله- في مدحِ كتابِه على مثل الادّعاء، الذي لا يرضَى به آحادُ أهل الوَرع والحياء! نسألُ اللهَ العفوَ والعافية!.

---

(١) "عناية القاضي وكفاية الراضي" يوسف، ٥/ ٢١٣.

وكأنّه اغترّ بنحو ما تقدّم[1] عن أبي الفضل المرسي: "أنّ القرآنَ الكريم قد احتوَى على علوم الأوائل":

فالهندسةُ في ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسَلات: ٣٠].

والنّجامة في ﴿أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

وفيه أصول الصنائع كالخياطة ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

والحدادة ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦].

والنجارة ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [هُود: ٣٧].

والغزل ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النَّحل: ٩٢].

والنّسج ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ [العنكبوت: ٤١].

والفلاحة ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣].

والغوص ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

والصياغة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً﴾ [الأعراف: ١٤٨].

والزجاجة ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النُّور: ٣٥].

والملاحة ﴿أَمَّا السَّفِينَةَ﴾ [الكهف: ٧٩].

والخبز ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً﴾ [يوسف: ٣٦].

والطبخ ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هُود: ٦٩].

والقصار ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدّثر: ٤].

---

(١) أي: في فصل في العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٦٢.

والجزارة ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

والصبغ ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ [البقرة: ١٣٨].

وأنت تعلم أنّ توهّمَ كونِ هذه الكلِم تبياناً لهذه العلوم والفنون، لا يتأتّى من عاقل، بل لا يتوهّم ذو عقلٍ، أنّ فيها إلماماً بإفادة تلك العلوم، ولو إجمالاً، ولو كرّرتَ قولَه تعالى: ﴿أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ كلَّ يومٍ ألفَ مرّةٍ حتّى تموتَ، لم تقف على مسألةٍ واحدةٍ من علم النّجوم.

وكذا لو كرَّرتَ قولَه: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾، بل سورة الكهف تماماً مَدَى عمرِك، لم تعرف من علم تيسير السُّفن خصلةً واحدة، وقِس عليه، ولو كان مجرَّد ذكر اسمِ شيءٍ تبياناً لعلومه، لكان كلُّ كتابٍ في اللُّغة أجمَع وأعظَم تبياناً لكلّ شيءٍ من القرآن العظيم -والعياذُ بالله تعالى-؛ لأنّ كلَّ اسمٍ في القرآن موجودٌ فيه، وفيه من الأسماء أُلوفٌ لا توجد في القرآن، فجعلُ مثلِ هذا تبيانَ كلِّ شيءٍ ولو إجمالاً، وحملُ قولِه تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] عليه، تعريضٌ للقرآن الكريم على استهزاء الملحِدين، والعياذ بالله ربّ العالمين!.

إبانة ما في بقية كلامهم

(٧) قال الإمام الرّازي تحت الآية الأُولى من الآيات الخمس: "إنّ ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ [الأنعام: ٣٨] يجب أن يكونَ مخصوصاً ببيان أشياء يجب معرفتُها، وبيانُه من وجهَين:

الأوّل: إنّ لفظَ التفريط لا يستعمل إلّا فيما يجب أن يبيّنَ؛ لأنّ أحداً لا ينسب إلى التفريط والتقصير في أن لا يفعلَ ما لا حاجةَ إليه.

والثاني: إنّ جميعَ آيات القرآن أو الكثير منها، دالّةٌ بالمطابَقة، أو التضمُّن، أو الالتزام على أنّ المقصودَ من إنزال هذا الكتاب، بيانُ الدِّين، ومعرفةُ الله تعالى، ومعرفةُ أحكام الله تعالى، وإذا كان هذا التقييدُ معلوماً من كلّ القرآن، كان المطلقُ[١] هاهنا محمولاً على ذلك المقيَّد"[٢] ...انتهى.

أقول أوّلاً: حاش لله! أن ينسبَ ربُّنا ﷻ إلى التقصير بتركِ شيءٍ مَهما تركَ! وهو الذي لا يجب عليه شيء، وهو الغنيُّ الحميد، ولو أنّه لم يُنزِل كتاباً، ولم يُرسِل رسولاً، ولم يبيِّن حُكماً، بل ولم يخلق خَلقاً أصلاً، لم يكن مقصِّراً ولا تاركَ فضيلةٍ، فضلاً عن شيءٍ ضروريٍّ، كما لم ينسب إليه بتركه في أزَل الآزال إلى أن أحدثَه فيما لا يزال، تعالى أن يكتسبَ بشيءٍ من خَلقٍ أوامِرَ فضلاً، أو يدفعَ به نقصاً، فالمبنى ساقطٌ من رأس، وإنّما المعنى ما تركنا به فسّر ابنُ عبّاس رضي الله عنهما فيما روى بنو جرِير[٣] والمنذر[٤] وأبي حاتم[٥] عن علي بن أبي طلحة[٦] عنه.

---

(١) حمل المطلق على المقيّد ليس من مذهبنا، وقد أقام علماؤنا على مذهبنا براهين تمّت بها الحجّةُ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) "التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٦، ٥٢٧ ملتقطاً.

(٣) أي: في "الجامع" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ر: ١٠٢٩٤، الجزء ٧، صـ٢٤٧، عن ابن عباس: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] «ما تركنا شيئاً إلّا قد كتبناه في أمّ الكتاب».

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٣/ ٢٦٧، نقلاً عن ابن المنذر.

(٥) أي: في "التفسير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ر: ٧٢٥٩، ٤/ ١٢٨٦، عن ابن عباس.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه علي، ر: ٤٨٩٩، ٥/ ٧٠١، ٧٠٢.

وثانياً: لا يمكن أن يكونَ المرادُ بالحاجة حاجةَ المتكلِّم تعالى عنها، بل احتياجُ المخاطَبين، فالمرادُ إمّا ما لا بدّ منه في الدِّين، بحيث لَولاه لاختلّ أمرُ الدِّين، كما ينبئ عنه قولُه: "يجب معرفتُها"[1] يجب أن يبيّنَ، أو كلُّ ما ينفع في الدِّين، كما قال في الآية الثالثة: "المرادُ ما يتضمّن من الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدِّين"[2].

الأوّل باطل؛ لأنّ الجملةَ وقعت تقريراً لما قبلَها من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، ولا شكّ أنّ ذكرَ أمم الدّواب والطُيور مما لا يحتاج إليه، بحيث لَولاه لاختلّ أمرُ الدِّين، وقد نقلتم وأقررتم: "إنّ المرادَ أنّه تعالى كما أحصَى في الكتاب كلَّ ما يتعلّق بأحوال البَشَر، من العُمر والرِّزق والأجَل والسّعادة والشَّقاوة، فكذلك أحصَى في الكتاب جميعَ هذه الأحوال في كلّ الحيوانات. قالوا: والدليلُ عليه قولُه تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وليس لذكر هذا الكلام عقيبَ قوله: ﴿إِلّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ فائدةٌ إلّا ما ذكرناه"[3] انتهى.

وعلى الثاني يجب الإحاطةُ بجميع ما كان وما يكون؛ لأنّ كلَّ كائنٍ فهو علمٌ على ربّه ﷻ، وإلّا لم يكن من العالَم، وفيه دلائل عظيمةٌ على باهِر قدرتِه وبديعِ صنعتِه

---

(١) أي: الإمام الرازي في "التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٦، ٥٢٧.

(٢) أي: في "التفسير الكبير" سورة يوسف، تحت الآية: ١١١، ٦/ ٥٢٣.

(٣) أي: في "التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٥.

وبالغِ حكمتِه، فلا شكّ في نفعِه في الدِّين، وقد مرَّ[١] الكلامُ فيه مشبعاً، وأثبتنا أنّ علمَ كلّ ذرّةٍ وكلِّ حالةٍ محتاجٌ إليه في الدِّين، ولا يُغني علمٌ عن علمٍ أبداً.

وثالثاً: بعد اللتيا والتي قد بيّنا[٢] أبيَن من الشّمس والأمس، أنّ القرآنَ ليس تبيانَ كلِّ شيءٍ لكم في أصول العقائد، ولا في الأحكام، ولا في أركان الإسلام، فأين المحيص؟!

استخراج الخانات والعَجلة الدُّخانية وغيرها من القرآن العظيم

لطيفة نفيسة

صدق رسولُ الله ﷺ فيما روَوا عنه، وهو الصّادقُ المصدوق: «إنّ القرآنَ لا تنقضي عجائبُه»[٣] لم يزل العلماءُ يستخرِجون منه أشياءَ تحدُث في الدّنيا.

قال في "الإتقان": "حكَى ابنُ سُراقة[٤] في "كتاب الإعجاز"[٥] عن أبي بكر

(١) أي: في فصل تقريب العموم إلى الفُهوم ...إلخ، فائدة جليلة، صـ٢٦٩.

(٢) انظر صـ٣٨٠- ٣٩٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنَّف" كتاب فضائل القرآن، باب في التمسّك بالقرآن، ر: ٣٠٠٠٨، ٦/ ١٢٥، بطريق أبي الأحوص، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ هذا القرآنَ مأدبةُ الله، فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم، إنّ هذا القرآنَ هو حبل الله، وهو النُّور البيّن، والشفاء النافع، عصمةٌ لمن تمسّك به، ونجاةٌ لمن تبعَه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يخلق من كثرة الردّ».

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٠٢.

(٥) "إعجاز القرآن": لمحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الأنصاري محيى الدين أبو بكر الشاطبي المالكي الأندلسي المعروف بابن سراقة، ولد سنة ٥٧٢ وتوفّي بمصر سنة ٦٦٢هـ.

=

بن مجاهد[١] أنّه قال يوماً: ما من شيءٍ في العالَم إلّا وهو في كتاب الله تعالى، فقيل له فأين ذكرَ فيه الخانات؟ فقال: في قوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [النُّور: ٢٩] فهي الخانات"[٢] انتهى.

وسُئل قريباً بعضُ العلماء عن العَجلة الدُّخانية الحادثة عمّا قليل فقال: قال ﷻ: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل: ٨] فهذه مما لم تكونوا تعلمون، ولما حدثتْ الآن تلك المراكبُ الطيّاراتُ، استخرجَها هذا العبدُ الضعيف -غُفر له- من قوله تعالى: ﴿وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولم يزل[٣] المفسِّرون يَفهمون أنّ هذا التقييدَ لمجرّد التأكيد، كقولك: "رأيتُ بعيني، وقلتُ بفَمي" فلمّا حدثتْ هذه الطيّاراتُ وقع في خَلَدي، أنّ القيدَ احترازيٌّ عن مثلها؛ فإنّها تطير بغير جناح، وليست أمماً كأمثالنا، والله تعالى أعلم.

=

("كشف الظنون" ١/ ١٥١. و"هدية العارفين" ٦/ ١٠٢).

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٣١٠٧، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، ١٠/ ١٤١، ١٤٢.

(٢) "الإتقان" النوع ٦٥ في العلوم المستنبطة من القرآن، ٢/ ٢٤٥.

(٣) ذكر الإمام الرازي وجهاً: "أنّه تعالى قال في الملائكة: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١] فذكر هاهنا قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ليخرج عنه الملائكة" ["التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٤] ...إلخ. **أقول**: كيف يخرجون مع قوله تعالى: ﴿مَّثْنَى﴾؟ منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٨) قال البَيضاوي تحتها: "مِن" مزيدة، و"شيء" في موضع المصدر، لا المفعول به، فإن فرطَ لا يتعدّى بنفسه"[١].

قال الشِّهاب: "تبع عليه أبا البقاء ﷺ فلا يبقى في الآية حجّةٌ لمن ظنّ، أنّ الكتابَ يحتوي على ذكر كلِّ شيء، ونظيرُه ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٢٠] أي: ضَيراً. وأوردَ عليه في "الملتقط"[٢]: أنّه إذا تسلّط النفيُ على المصدر، كان منفياً على جهة العموم، ويلزمه نفيُ أنواع المصدر وجميع أفراده، وليس بشيء؛ لأنّ المعنى حينئذٍ أنّ جميعَ أنواع التفريط منفيةٌ عن القرآن، وهو مما لا شبهةَ فيه، ولا يلزمه أن يذكرَ فيه كلّ شيء، فقول المصنِّف "من أمر الدّين"[٣] إشارةٌ إلى التأويل لا حاجةَ إليه مع اختيار هذا الوجه، كما أنّ نفيَ تعدّيه لا يضرّ مَن قال: إنّه مفعولٌ به على التضمين"[٤] ...انتهى.

أقول أوّلاً: إنّما يلمح إلى ما قاله الرازيُّ في التفريط، وقد علمتَ[٥] ردَّه، فالتقصيرُ لا منتسبَ له إلى القرآن على شيءٍ من الوجوه، والتركُ حاصلٌ قطعاً، إن بقي شيءٌ من الأشياء عن التبيان، فما أوردَ في "الملتقط" لا مَردَّ له.

---

(١) أي: في "أنوار التنزيل" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ١/ ٤٨٨.

(٢) لم نعثر على ترجمته.

(٣) أي: في "أنوار التنزيل" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ١/ ٤٨٨.

(٤) أي: في "عناية القاضي" سورة الأنعام، ٤/ ٥٥ ملتقطاً.

(٥) انظر صـ٤٠٥، ٤٠٦.

وثانياً: قد أظهرَ البَيضاوي وجهَ اختياره هذا الوجهَ "إنّ فرط لا يتعدّى بنفسه"، وقد كان يعلم أنّ الاحتياجَ إلى التأويل لا محيدَ عنه، غير أنّها خلّةٌ لا تنسدّ، وحاجةٌ لا تندفع، وإن احتيلَ كلّ حيلة كما علمتَ.

وثالثاً: لئن سلّمنا فقد قدّمنا[1] أنّ القرآنَ محتجٌّ به على جميع وُجوهه، فلا مساغَ لقوله: "لا تبقى في الآية حجّة"، أمّا زعم أنّ المعنى عليه لا على غيره، فقد تكفّل بردّه الشِّهابُ نفسُه.

(٩) الفاضل النيسابوري تحتها سلكَ مَسلك مأخذِه الرّازي أنّ المراد: "ما يحتاج إليه"[2] وزاد عليه أنّ: "المحتاج إليه إنّما هو الأصولُ والقوانين، لا الفُروعُ التي لا تضبط ولا تتناهى، وما علمٌ إلّا وفي القرآن أصلُه، ومنه شرفُه وفضلُه، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ [الأعراف: ٣١] للطبّ، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] للحساب، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] للأخلاق"[3] انتهى.

ثمّ ذكر في تفاصيل الفروع ما ذكر الرازي من قَولَي نُفاة القياس ومُثبتِيه.

أقول أوّلاً: إخراج الفُروع مما يحتاج إليه شيءٌ عجيب، بل بيانُها من أعظم مقاصد إرسال الرُّسُل، وإنزالُ الكتاب بعد بيان أصول الدِّين.

---

(١) أي: في فصل تقريب العموم إلى الفُهوم ...إلخ، فائدة جليلة، صـ٢٥٥- ٢٥٩.

(٢) أي: في "التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٤/ ٥٢٦، ٥٢٧.

(٣) أي: في "غرائب القرآن" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٨، ٣/ ٧٦ ملتقطاً.

وثانياً: الكلامُ في كلام الله الذي أحاطَ بكلّ شيءٍ علماً، وأحصَى كلَّ شيءٍ عدداً، فكيف يعلَّل تركُه الفروعَ بكَونها لا تضبط؟!

وثالثاً: قدّمنا(1) أنّ الحوادثَ التي يلحقها الحكمُ التكليفي منتهيةٌ بالسّاعة، بل قبلَها بأربعين سَنة، إن قُلنا: إنّ الكفّارَ غيرُ مخاطَبين بالفُروع، فأين عدمُ التناهي؟

ورابعاً: عامّة مسائل الفقه قوانين، لا تكاد تجد فيها قضيةً شخصيّةً إلّا نادراً، بل هي أيضاً ترجع إلى قضايا كُلّية، بل إنّما تُذكَر غالباً بالعنوان الكلّي، وإن جاز إرجاعُها شخصيّةً كقولهم: "استقبالُ القِبلة فريضةٌ في الصّلاة" و"يوجّه الميّتُ نحو القِبلة" وإن كان مرجعُها أنّ الكعبةَ قِبلتُنا أحياءً وأمواتاً، إن شاء الله تعالى.

نعم، أكثر القضايا الشخصيّة في أصول الدِّين، كالعقائد المتعلّقة بالله ﷻ، وبالقرآن العظيم، وبمحمّدٍ ﷺ، وباليوم الآخِر، وبالجنّة والنّار، والصّراط، والحَوض، وأفضليّة الصّديق ثمّ الفاروق ﭫ ...إلى غير ذلك. فالفروعُ التي يريد يخرِجها قد دخلتْ في قوله: "القوانين".

وخامساً: الذي يتوهّم عدم تناهِيه، هي القضايا الشخصيّة الفَرعيّة، كزَيد تفرض عليه الصّلاةُ وعمرٌو وبكرٌ إلى أن يأتيَ على سائر المسلمين إلى يوم القيامة، فهذا هو الذي لا يحتاج إليه بعد القانون الكلّي: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ [النِّساء: ١٠٣]؛ لأنّه قد تبيّنتْ تلك الجزئياتُ جميعاً بهذا القانون، بحيث

---

(1) أي: في فصل العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٦٦.

لم يبقَ خفاءٌ أصلاً، ولو فصّلت الأسماءُ لم يكن فيه إلّا تطويلٌ بلا طائلٍ، كما ذكرنا[1] في قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النِّساء: ١١]، فإن أراد بالفُروع هذه فعديمُ الجدوَى، وخارجٌ عن البحث أصلاً، وإلّا فعدمُ انضباطِ هذا أو عدمُ تناهِيه، كيف يكون وجهاً لترك أُلوف مؤلَّفةٍ من المسائل المذكورة في كتب الفقه؟

وسادساً: قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ [الأعراف: ٣١] أين فيه جميعُ أصول الطِبّ بقسمَيه النّظري والعَملي؟ وأين فيه العِلَل، والمنذرات، والعلامات، ومسائل النَّبض، والتَّفسِرَة، والأسباب، والمعالجات؟ وذكرُ الأدوِية، وطبائعِها، ومَراتبِها، وكيفياتِها، وخواصّها، وأقدارِ شربتِها، ومَنافعِها، ومضارِّها، ومصلحاتها، وأبدالها؟ ...إلى غير ذلك مما دُوّنت فيه مجلّدات؟ نعم، العاملُ بها يمرض أقلّ مما يمرض المسرِفون، وإنّما ينجو من الأمراض التي تحدث بسُوء التدبير في الأكل والشُّرب، ليست أسبابُ العِلل منحصرةً فيه، بل فيها كثرةٌ وسيعةٌ من داخل البدن ومن الخارج، ولذا تعتري الأمراضُ الأولياءَ والأنبياءَ الذين هُم منزَّهون عن كلّ إسراف عليهم السلام.

وسابعاً: أعجب من الكلّ جعلُ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] بياناً لأصول الحساب، وأيُّ حرفٍ من قواعد الحساب فيه؟ فضلاً عن إحاطته بجميع أصولِه، من قواعد الجمع والفَرق والضَّرب والقِسمة، المفردات والمركَّبات، والتجذير والتكعيب والمربَّعات، وسائر القُوى المتصاعدة والمتنازلة،

(١) أي: في فصل العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٦٦.

والكُسور العامّة، والإعشاريّة، والأربعة المتناسبة، والتعكيس، والخطأَين[1]، والجبر والمقابلة واللّوغارثمات وغير ذلك.

وإنّما أحسَن قول منّا إذا سمعنا مثل هذا أن نقولَ: إناّ لله وإنا إليه راجعون، بهذا يُشرح قولُ الله ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

(١٠) في "الكبير" تحت الآية الثانية من الخمس: "تحقيق الكلام أنّ العلومَ دينيّة أو ليست دينيةً، والأوّل أرفع حالاً، والدينيّةُ: علمُ العقائد والأعمال، أمّا علمُ العقائد فمعرفة الله تعالى، وملائكتِه، وكتبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر. أمّا معرفةُ الله تعالى فمعرفة ذاتِه وصفاتِ جلالِه، وصفاتِ إكرامِه، ومعرفة أفعالِه، وأحكامِه، وأسمائِه. والقرآنُ مشتملٌ على دلائل هذه المسائل وتفاريعِها وتفاصيلِها.

وعلمُ الأعمال: أمّا علم الفقه، ومعلومٌ أنّ جميعَ الفقهاء إنّما استنبطوا مباحثَهم من القرآن، وأمّا علمُ تصفية الباطن، وفي القرآن من مباحث هذا ما لا يكاد يوجَد في غيره، فثبت أنّ القرآنَ مشتملٌ على تفاصيل جميع العلوم الشّريفة، عقليّها

---

(١) علم الخطأَين من فُروع علم الحساب، وهو علمٌ يتعرّف منه استخراجُ المجهولات العدديّة، إذا أمكَن صَيرورتها في أربعة أعدادٍ متناسبةٍ، ومنفعته نحو منفعة الجبر والمقابلة، إلّا أنّه أقلّ عموماً منه وأسهل عملاً؛ وإنّما سمّي به لأنّه يفرض المطلوبَ شيئاً ويختبر، وإن وافَق فذاك، وإلّا حفظَ ذلك الخطأ، وفرضَ المطلوب شيئًا آخَر، ويختبر فإن وافَق فذاك، وإلّا حفظ الثاني ويستخرج المطلوب منهما ومن المقدارَين المفروضَين. ["أبجد العلوم" صـ٣٨٥].

ونقليّها اشتمالاً، يمتنع حصولُه في سائر الكتب، فصار معجِزاً، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ [يونس: ٣٧]"[١] ...انتهى.

أقول: الحمد لله -رحمه الله وجزاه الله خير جزاء-، لم يزل به الحقُّ حتّى أتاه مُذعناً، إذا اشتمل الكتابُ الكريم على كلّ ذلك، فأيُّ شيءٍ أبقى؟ ولو لم يكن فيه إلّا معرفةُ الأفعال الإلهيّة، لأحاطَ بكلّ ما كان وما يكون، وقدّمنا[٢] أنّ علمَ شيءٍ من الأشياء بهذا الوجه، لا يخرج عن العلوم الدِينيّة أبداً.

وما أحسَن قول الزَّمخشري إذ قال في وجهِ ذكره تعالى أممَ الطَير والدوابّ تحت الآية الأُولى أنّه[٣]: "الدلالةُ على عظم قدرتِه، ولطفِ علمِه، وسعةِ سلطانِه وتدبيرِه تلك الخلائقَ المتفاوتة الأجناس، المتكاثرةَ الأصناف، وهو حافظٌ لما لها وما عليها، ومهَيمنٌ على أحوالها، لا يُشغِله شأنٌ عن شأن"[٤] ...انتهى.

وما أحسَن قولكم أنّه "يمتنع حصولُه في غيره، وأنّه معجِزٌ من هذا الوجه" أيضاً، وهو كذلك حقّاً ويقيناً، لكن على طريقتنا، أمّا على طريقة مَن ينفي العمومَ

---

(١) "التفسير الكبير" سورة يونس، تحت الآية: ٣٧، ٦/ ٢٥٣ ملتقطاً.

(٢) أي: في فصل تقريب العموم إلى الفُهوم ...إلخ، فائدة جليلة، صـ٢٦٨.

(٣) لفظه: "فإن قلتَ: ما الغرضُ في ذكر ذلك"؟ قلتُ: الدلالة" ["الكشّاف" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٧، ٢/ ٢٢] ...إلخ. ولفظة "الغرض" من إرسالاته اللّسان، والعياذ بالله تعالى!. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٤) "الكشّاف" سورة الأنعام، تحت الآية: ٣٧، ٢/ ٢٢.

ويطلب في ظاهر ظهرِه العلومَ، فقد علمتَ أنّه لا يجده يحتوي على كثيرٍ من أصول الدِّين، والأحكامِ الضروريّة في أركان الإسلام، فضلاً عن غيرها.

ولا شكّ أنّ علمَي تشريحِ الأفلاك وبدنِ الإنسان علمانِ جليلانِ شريفانِ دِينيّانِ، حتّى قال الإمامُ حجّة الإسلام: مَن كان عنِيناً فيهما كان عنِيناً في معرفة الله تعالى، وقد أرشدَ القرآنُ الكريم إلى التفكُّر فيهما في غير آيةٍ، وقلتم: أنّه مشتملٌ على تفاصيل جميع العلوم الشّريفة عقليّها ونقليّها، فأين تجدون فيه تفصيلَ ممثلاتِ الأفلاك، وجزئياتِها، وحواملِها، وتدويراتِها، ومائلِها، وجَوِّ زهرتِها، ومديراتِها، وأوجاتِها، وحضيضاتِها، ومَناطقِها، وأقطابِها، ورؤوسِها، وأذنابِها، وحركاتِها، وجهاتِها، ومقاديرِها، ونطاقاتِها، وأوضاعِ الكواكب، وسيراتِها، ونظراتِها، واتصالاتِها، ومطارحِ أشِعتِها، وتناظُراتِها، وأوساطِها، وتقويماتِها، ومراكزِها، وتعديلاتِها، وأبعادِها، وأجرامِها، وبطؤِها، وسرعتِها، ورجوعِها، واستقامتِها، ووُقوفِها، ودَوراتِها، وعُروضِها، وانحرافاتِها، ومُيولها، وكُسوفاتِها، وثوابتِها، وسيّاراتِها، ومفرداتِها، ومزدَوجاتِها ...إلى غير ذلك من متعلّقاتها[1].

وقِس عليه أعضاءَ الإنسان الظاهرةَ والباطنةَ وأجزائَها وأجزاءَ أجزائِها وعُروقَها وأعصابَها وعضلاتِها، وما في كلّ جزء جزءٍ من حِكمٍ بالغةٍ لخالقِها، ومَنافع عظيمةٍ لصاحبِها. وكذا تفاصيلُ فنونِ الحساب التي ذكرنا بعضَها، وتفاصيلُ علوم

---

(١) وكلّ ذلك إن صحّ ما ذكروه، وإلّا فالصحيحُ وتكون إذَن حاجتُنا إليه أشدَّ؛ رفعاً للغلَط. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

الهَندسة على كثرةِ أفنانِها، أم يُحمَد القرآنُ بما ليس فيه؟! ويُذكَر باللِّسان ما ليس في الجَنان؟! ويُوصَف ادّعاء بما ينفيه العيان؟!.

(١١) تحت الثالثة لم يذكر شيئاً غير أنّ المرادَ: كلُّ ما يتّصل بالدِّين، ونقل عن الواحدي[1] أنّه "مِن العامّ الذي أُريدَ به الخاصُّ، كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] يريد كلَّ شيءٍ يجوز أن يدخلَ فيها، وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّمل: ٢٣]"[2] ...انتهى. وقد علمتَ أنّه كما تريدون لم يفعل بأهمّ مهمّات الدِّين، فضلاً عن سائر المهمّات، فضلاً عن غيرها، فضلاً عمّا ليس من نفسه، وإنّما يتّصل به ولا نُنكِر أنّ العامَّ قد يراد به الخاصُّ، ولا حاجةَ إلى المناقَشة في المثال، ولكن الأمرَ دين.

فأقول: الشيء في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ بمعنى المشيء، ولا شكّ أنّ رحمتَه تعالى وسعتْ كلَّ مخلوق، كيف ونفسُ الإيجاد رحمةٌ، ثمّ الإمدادُ كلَّ حينٍ وآنٍ من أوّلِ وجودِه إلى آخر بقائِه، بما يحتاج إليه رحماتٌ لا تعدّ ونعماتٌ لا تحصَى، ولا يخلو من هذه شيءٌ من الأشياء حتّى الكافر، أمّا قولُه: "يريد كلَّ شيءٍ يجوز أن يدخلَ فيها" فنعم، وكلُّ شيءٍ يجوز أن يدخلَ فيها، لا حجرَ على رحمةِ الله تعالى أصلاً، فعاد إلى العموم، وهو الحقّ! أبو الشيخ عن عطاء في الآية قال: "رحمتُه في الدُّنيا على خَلقه كلِّهم، يتقلّبون فيها"[3].

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٥٥.

(٢) "التفسير الكبير" سورة يوسف، تحت الآية: ١١١، ٦/ ٥٢٣.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٥٦، ٣/ ٥٧١، نقلاً عن أبي الشيخ.

(١٢) كلامه في الرّابعة خلاصةُ ما قدّم في الأُولى، لم يزِد فيه إلّا إفادة أنّ ذلك الحصرَ قولُ نُفاة القياس، والعجبُ أنّه لم ينبّه على ما بيّنا[1] أنّه لا يقتصر على نفي القياس، بل هو نفيُ السنّة والإجماع أيضاً، وليس لمسلمٍ أن يجترئَ عليه.

(١٣) أتى تحت الخامسة بشيءٍ عجيب، إذ قال: "المعنى أنّه تعالى لما ذكر أحوالَ آيتَي اللّيل والنَّهار، وهُما من وجهٍ دليلانِ قاطعانِ على التوحيد، ومِن وجهٍ آخَر نعمتانِ عظيمتانِ من الله تعالى على أهل الدّنيا، فلمّا شرحَ اللهُ تعالى حالَهما، وفصّل ما فيهما من وجوه الدّلالة على الخالق، ومن وُجوه النِّعم العظيمة على الخَلق، كان ذلك تفصيلاً نافعاً وبياناً كاملاً، فلا جرمَ قال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢] أي: كلَّ شيءٍ بكُم إليه حاجةٌ في مصالح دِينكم ودُنياكم، فقد فصّلناه وشرحناه، وهو كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقولِه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّحل: ٨٩]، وقولِه تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وإنّما ذكر المصدرَ وهو قولُه تعالى: ﴿تَفْصِيلاً﴾ لأجل تأكيد الكلام وتقريرِه، كأنّه قال: وفصّلناه حقّاً على الوجه الذي لا مزيدَ عليه"[2] ...انتهى.

أقول: إنّما المذكور في الكريمة [الإسراء: ١٢] محوُ آيةِ اللَّيل وأبصارُ آيةِ النَّهار، دلالة على الفاعل المختار، وليطلبَ العِبادُ الرِّزق، ويعلموا عددَ السِّنِين والحسابَ، فصحيح قوله: إنّ هذا تفصيلٌ نافعٌ وبيانٌ كامل، ولكن جعلَه تفصيلَ كلِّ

---

(١) انظر: صـ٤٠٠- ٤٠٢.

(٢) "التفسير الكبير" سورة الإسراء، تحت الآية: ١٢، ٧/ ٣٠٧.

شيءٍ يحتاج العِبادُ إليه، لا في الدِّين فقط، بل والدُّنيا أيضاً، لا تفصيلاً وسطاً، بل مستقصًى كمال الاستقصاء، متناهياً في شرح جميع الحوائج بحيث لا مزيدَ عليه، مما يُفضِي إلى العجب العاجب العجيب، كان العبادُ لا يحتاجون في دِينهم ولا دُنياهم إلّا إلى ما ذكر في هذه الآية الكريمة، وإذَن يكون باقي القرآن بتمامِه مستغنٍ عنه؛ إذ ليس وراءَ البيان الذي لا مزيدَ عليه بيانٌ، بل أنت تعلم أنّ القدرَ المذكور في هذه الكريمة لا يقع مما يحتاج إليه العِبادُ في دِينهم موقعَ واحدٍ من أُلوف، فضلاً عمّا يحتاجون إليه في دِينهم ودُنياهم، فتعبيرُه بـ"كلّ شيء" لا وجهَ لصحته، حتّى على الادّعاء القريب المتماسِك، والاستِشهاد بالآيتَين في الكتاب الكريم من قبِيل المصادرة.

أمّا بالثالثة -وقد لهجَ به غيرُه أيضاً- **فأقول**: غَفولٌ عن قيد الأمر؛ فإنّ بعدَه لا تخصيصَ أصلاً، بل تدمّر قطعاً كلّ ما أمرَ به ربُّها، ولا يأمرها إلّا بتدمير ما يقبل التدميرَ ويستأهله، كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [الرَّعد: ١١] فليس المعنى: أنّ اللهَ تعالى أمرَهم أن يحفظوا الإنسانَ حفظاً مطلقاً؛ إذ لو كان كذلك لما أصابَ إنساناً بلاءٌ قطّ، بل المعنى: يحفظونه من كلِّ ما يأمرهم اللهُ تعالى بحفظِه عنه، كذا هذا.

بحث الإيرادات الأربعة على البَيضاوي

(١٤) قد علمتَ[1] أنّ بعضَهم اعترض بالبَيضاوي بأربعةِ وُجوه:

الأوّل: أنّ التخصيصَ لا يقتضيه المقامُ.

---

(١) انظر: صـ٣٧٩، ٣٨٠.

الثاني: أنّ حديثَ الوسط تكلُّف.

الثالث: أنّ عبارةَ التفصيل لا تتحمّل هذا التأويلَ.

الرّابع: لا يصدُق التبيانُ مع التعميم؛ إذ لم يبيّن كلَّ شيءٍ، ولو دِينيّاً بياناً واضحاً لا يذر خفاء، وهذا وإن ذكرَه في مَعرض الاستدلال لحملِه "الكلّ" على التكثير، يصحّ إيرادُ أيضاً كما قرّرنا[١]، فالشِّهاب ذكر الوسطَين تحت الآية الثالثة ولم يُجب عن الثاني، وأجاب عن الثالث بأنّ "التفصيلَ" هنا بمعنى التبيين كما صرّح به في اللّغة، فلا ينافي الإجمال"[٢].

أقول أوّلاً: التبيين من البين، وهو الانقطاعُ والانفرازُ كالتفصيل من الفصل، والفصلُ بين الفصل والتفصيل، مثلُه بين القطع والتقطيع، فيكون كلُّ ما حواه منحازاً عن غيره، ممتازاً عمّا سِواه، ولم تسمع تفصيلًا إلّا ويقابله الإجمالُ، ولا إجمالًا يقال عليه التفصيلُ، وإن كان البيانُ قد يشمل الإجمالَ لما فيه من وُضوحٍ مّا، وامتيازٍ عن بعض ما عَداه، وفيه أيضاً توسّع، فأصلُ البيان كما في "النّهاية"[٣] و"الدرّ النثير"[٤]

---

(١) انظر: صـ٤٠٣- ٤٠٥.

(٢) "عناية القاضي" سورة يوسف، ٥/ ٢١٣.

(٣) "النِّهاية" في غريب الحديث: للشيخ الإمام أبي السّعادات مبارك بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفّى سنة ٦٠٦هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٧٨٣).

(٤) "الدرّ النثير في مختصر نهاية ابن الأثير": لعبد الرّحمن بن كمال الدّين أبي بكر بن محمد بن سابق الدّين الإمام جلال الدّين الأسيوطي المصري الشّافعي، توفّي في التاسع من جُمادى الأُولى لسنة ٩١١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٥٦٣. و"هدية العارفين" ٥/ ٤٣٤).

و"مجمع البِحار"[١]: "إظهارُ المقصود بأبلَغ لفظٍ"[٢].

وقد قال ﷺ: «البذاءُ والبيانُ شُعبتان من النِّفاق»[٣] وليس يريد مطلقَ إظهار المقصود، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩] دلَّ أنّ الإجمالَ لم يكن بياناً.

وثانياً: لئن سلّمنا فقد قال تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّحل: ٨٩] فهو المرادُ هاهنا أيضاً؛ فإنّ القرآنَ يفسِّر بعضُه بعضاً، ولذا قال الإمام الراغبُ في "مُفرداته": "قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢]، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: ١] إشارةً إلى ما قال: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾"[٤].

وثالثاً: لئن سلّم فكيف تفعلون بهذه الآية؟ فالوصفُ ثابتٌ للقرآن الكريم قطعاً، والإجمالُ ينافي التبيانَ جَزماً، وإن لم ينافِ عندكم التفصيل.

(١٥) أعاد هذا الثالثَ تحت الرّابعة أيضاً، ولما لم يتأتَّ هاهنا إدخالُ الإجمال في التبيان، جعل قولَ البيضاوي بالإحالة جواباً عنه. قال البيضاوي: "﴿تِبْيَاناً﴾ بياناً بليغاً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدِّين على التفصيل، أو الإجمال بالإحالة إلى السنّة، أو

---

(١) "مجمع بحار الأنوار" حرف الباء، باب الباء مع الياء، ١/ ٢٤٧.

(٢) "النهاية" حرف الباء، باب الباء مع الياء، ١/ ١٧٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ر: ٢٢٣٧٥، ٨/ ٣٠٨، بطريق محمد بن مطرف، عن حسان بن عطية، عن أبي أمامة الباهلي، عن النبي ﷺ قال: «الحياءُ والعي شُعبتان من الإيمان، والبذاءُ والبيانُ شُعبتان من النِّفاق».

(٤) "معجم مفردات ألفاظ القرآن" الفاء، صـ٣٩٥ ملتقطاً.

القياس"[١]. فقال الخَفاجي: "قوله: "بالإحالة" دفعٌ -لأنّ الإجمالَ ينافي البيانَ البليغ- بأنّه لما بيّنته السنّةُ أو عُلم بالقياس، كان معلوماً منه مبيَّناً به، واختيرَ في بعضه ذلك للإيجاز وابتلاء الرّاسخين، وتمييز العالمين"[٢] انتهى.

أقول: أمّا حديثُ الإحالة، فقد علمتَ ما فيه من الإحالة، ولكن -رحمكَ اللهُ-! لولا أنّ فيه من الإجمال ما فيه، ففيمَ الإيجاز؟ ومن أين يأتي الابتلاءُ والامتياز؟!

(١٦) استشعر أنّ كثيراً من المسائل متروكةٌ رأساً في ظاهرِ ظهرِ الكتاب الكريم، فضلاً عن الذِكر الإجمالي، ومستحيلٌ أن يدخلَ التركُ في البيان، فضلاً عن التبيان، فأوردَ سؤالاً وجواباً فقال: فإن قلتَ: من أمور الدِّين ما ثبتَ بالسنّة ابتداءً، فإن دفعَ بأنّه قليلٌ بالنِّسبة إلى غيره، رجع الأمرُ بالآخِرة للتكثير. قلتُ: المرادُ بالإحالة ما في "الكشّاف"[٣] "أنّه أمرَ باتّباع رسول الله ﷺ، وحثَّ على الإجماع، ورضيَ رسولُ الله ﷺ لأمّته اتّباعَ أصحابه، وقد قاسوا ووطئوا طريقَ القياس، فكانت السنّةُ والقياسُ مستندةً إلى تبيان الكتاب، وفيه تأملٌ"[٤] ...انتهى.

أقول: رحم اللهُ مَن أنصَف! أشار إلى أنّه لا يتمّ، وقد أعلمناك بُطلانَه، وإنّ مَن أجمل وأحال التفصيلَ على غيره، وآخَر تركَ رأساً وأحال الذكرَ على غيره، فهذا

---

(١) "أنوار التنزيل" سورة النحل، تحت الآية: ٨٩، ٢/ ٢٧٦.

(٢) "عناية القاضي" سورة النحل، ٥/ ٣٦١ ملتقطاً.

(٣) "الكشّاف" سورة النحل، تحت الآية: ٨٩، ٢/ ٥٨٦ ملتقطاً.

(٤) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢٢، ٣٢٣.

أبعَد عن اسم البيان من ذاك، فضلاً عن اسم التبيان، وأنّ المحالَ عليهم أيضاً لم يأتُوا بالتبيان، فلا صحةَ ولو بوسط، ولكن لكلّ ساقطةٍ لاقطة، آتت به المذكورةُ محتجّةً به مع قوله: "وفيه تأمّل".

ثمّ ما ذكر[1] أوّلاً جواباً عن السّؤال، بأنّه قليلٌ بالنّسبة إلى غيره، وردّه بأنّه يكون قراراً على ما منه الفرار، وهو حملُ "كلّ" على التكثير دُون التعميم. **فأقول**: لا مساغَ له رأساً؛ فإنّ المتروكَ أكثر بمَراتب من المذكور، وقد تقدّم[2] حديث: «أنّها كمثل القرآن أو أكثر»، "أو" بمعنى بل، كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافّات: ١٤٧].

(١٧) ذُكر الطرفَين من الإيرادات الأربعة تحت الرّابعة، وأجاب عن الرّابع "بأنّ ذلك بحسب الكميّة لا الكيفيّة"[3] انتهى. وقد تقدّم ردُّه بالغاً مُشبِعاً.

(١٨) ظهر أنّ هذه الإيراداتِ الثلاثةَ لا مَردَّ لها، وكذلك كان الأوّل، لو لا أنّ الموردَ بنفسه أُوّل، وكلمة "كلّ" إلى التكثير حُوّل؛ وذلك لأنّه لما حُمل على ما يظهر لهم من ظاهر الظهر، وظاهرٌ أنّ زعمَ التكثير عند تعميم الأمور أمور الدّنيا أظهَر بُطلاناً، فلا محيصَ عن التخصيص، وكفى قرينةً عليه ما اعترفَ به المعترضُ، أنّه "ما في التعميم ما في التبيان من مبالَغة البيان"[4] فعلى هذا الوجه لا بدَّ من القول بأنّ هذا

---

(١) انظر: "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) انظر: صـ٤٠١.

(٣) "عناية القاضي" سورة النحل، ٥/ ٣٦١.

(٤) انظر: "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢١.

الإيرادَ مدفوع، وإن لم ينفع ردُّه مآلاً؛ لما علمتَ[١] أنّ التخصيصَ لا يُغني من جُوع، وبه يندفع جوابُ الشِّهاب، فلا السؤالُ يبقى ولا الجواب، وهو قولُه ﷺ: "اختارَه لبقاءِ "كلّ" على معناها الحقيقي، لكنّه خصّ عمومَ شيءٍ بقيدٍ أو وصفٍ مقدّر بقرينة المقام، وأنّ بعثةَ الأنبياء عليهم السلام إنّما هي لبيان الدِّين، ولذا قال عليه السلام: «أنتم أعلَم بأمور دُنياكم»[٢] ولذا أجيبوا عن سؤال الأهِلّة بما أجيبوا"[٣] ...انتهى.

أقول أوّلاً: اقتضاءُ مقام تخصيصاً يعتمد شيئَين:

الأوّل: أن لا يصحَّ بالعموم.

والثاني: أن يصحَّ بالخصوص؛ إذ لا معنى لاقتضاء ما لا يصلح ولا يُغني، وجعل التبيان لمن نزلَ عليه ﷺ يصحّ العمومُ قطعاً، ويقطع عرقَ التخصيص أصلاً، وجعلُه للنّاس يُفسِد العمومَ، لكن لا يصلحه الخصوصُ كما علمتَ، فالاقتضاءُ باطلٌ بكلّ وجه.

---

(١) أي: في فصل تقريب العموم إلى الفُهوم ...إلخ، فائدة جليلة، صـ٢٥١.

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ...إلخ، ر: ٦١٢٦، صـ١٠٣٩، عن عائشة، وعن ثابت، عن أنس، أنّ النبيَّ ﷺ مرّ بقومٍ يلقحون، فقال: «لو لم تفعلوا لصلحَ» قال: فخرج شِيصاً، فمرّ بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلتَ كذا وكذا، قال: «أنتم أعلَم بأمر دُنياكم».

(٣) "عناية القاضي" سورة النحل، ٥/ ٣٦١.

وثانياً: ما ذكر من حديث الأهلّة تبعَ فيه ما ذكر أهلُ المعاني، أنّ السؤالَ كان عن سبب الحُدوث، وأجيبوا[1] عن حكمتِه تنبيهاً على أنّه الأهمّ الأليَق لهم أن يعتنوا به، وتعدّى بعضُهم فقال: "لأنّهم ليسُوا ممن يطّلع على دقائق الرّياضات"، واختاره الشِّهابُ وأراد إصلاحَه بقوله: "لأنّهم ليسُوا مما يقف على مثل هذه الدّقائق الموقوفة على الأرصاد والأدلّة الفَلسفيّة" -قال-: "وليس هذا مما نقصَ من قدرِهم كما توهّمه بعضُ الناس"[2] ...انتهى.

أقول: أيُّ إشكالٍ في إدراك سبب التشكّلات القمريّة؟ وأيُّ توقّفٍ له على الأرصاد والأدلّة الفَلسفية، ويمكن إظهارُه لبَدوي لا يعرف اسمَ الرَّصد، ولا حرفاً من زخارِف الفَلاسفة، فبناؤُه على أنّ الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم ليسُوا أهلاً لإدراك تلك الدّقائق، إساءةُ أدبٍ بهم وتنقيصٌ عظيمٌ من عظيم قدرِهم لا شكّ، وقد عرفُوا من الدّقائق الإلهيّة ما لم تبلغ الفلاسفةُ إلى عشرِ عشيرِ مِعشاره في أُلوفِ سِنِين، ثمّ لم يثبت أصلاً أنّ السؤالَ كان عن السبب، إنّما الواردُ عن أبي العالية[3] عند ابن أبي حاتم[4]، وعن قَتادة

(١) وقع في الشهاب: "سألوا عن السبب فأجيبوا ببيان الغرض تنبيهاً على أنّ الأَولى بحالهم أن يسألوا عن الغرض، لا عن السبب". ["عناية القاضي" البقرة، ٢/ ٢٨٣ ملتقطاً]. **أقول**: وكان عليه تبديلُ لفظ الغرض في الموضعَين بالفائدة والحِكمة. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٢) "عناية القاضي" سورة البقرة، ٢/ ٢٨٣.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الراء، من اسمه رُفَيع، ورقبة، ورُكانة، ر: ٢٠١٧، ٣/ ١١٠، ١١١.

(٤) أي: في "تفسيره" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ر: ١٧٠٨، الجزء ١، صـ٣٢٢، بطريق آدم، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قال: بلغنا أنّهم قالوا: يا رسولَ الله! لمَ خلقت
=

عند عبد بن حمَيد وابن جرِير[١]، وعن ابن جرَيج والرّبيع بن أنس عند ابن جرِير[٢] أنّهم "سألوا النبيَّ ﷺ لِمَ خُلقت الأهلّةُ؟"[٣] وهذا سؤالٌ قطعاً عن الحِكمة دُون سبب التشكّلات، وما روى ابنُ عساكر من طريق السّدي الصّغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «نزلتْ في مُعاذ بن جبل وثعلبة[٤] بن عَنَمة[٥] قالا: يا رسولَ الله! ما بالُ الهلال يَبدو ويَطلع دقيقاً مثل الخيط، ثمّ يزيد حتّى يعظمَ ويستويَ

=

الأهلّةُ؟ فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩] يقول: "جعلها اللهُ مواقيتَ لصوم المسلمين وإفطارهم، وعدة نسائِهم، ومحلّ دَينهم".

(١) أي: في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ر: ٢٥١٠، الجزء ٢، صـ٢٥٣، عن قتادة.

(٢) أي: في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ر: ٢٥١٣، الجزء ٢، صـ٢٥٣، عن ابن جريج.

(٣) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ر: ٢٥١١، الجزء ٢، صـ٢٥٣، عن الربيع.

(٤) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الثاء مع الرّاء ومع العين، ر: ٦١١، ثعلبة بن عنمة، ١/ ٤٧٣، ٤٧٤.

(٥) عَنَمة بفتح العين والنون كما في "الإصابة" [حرف الثاء المثلثة، ر: ٩٥١، ١/ ٥٢١]، ووقع في "المعالم" [سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ١/ ١٦٠] و"الخازن" [سورة البقرة، ١/ ١٢٩] و"البيضاوي" [سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ١/ ١٧١] و"الكبير" [سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ٢/ ٢٨١] و"النيسابوري" [سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ١/ ٥٢٥] و"أبي السعود" [سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ١/ ٣٥٧] غنم، وضبطه الشِّهابُ [أي: في "عناية القاضي" سورة البقرة، ٢/ ٣٠٣] بغين معجمة ونون بوزن قفل، انتهى. والظاهر أنّه تصحيفٌ أو نسبُوه إلى جدِّ جدِّه؛ فإنّه ثعلبة بن عَنَمة بن عدي بن نابي بن عَمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلَمة الأنصاري السلمي الخزرجي البدري رضي الله عنه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

ويستديرَ، ثمّ لا يزال ينقص ويدقّ حتّى يعودَ كما كان، لا يكون على حال واحد؟ فنزلتْ»[١] فمع قطع النَّظر[٢] عن أنّه بسندٍ قال فيه الحافظُ: "سلسلةُ الكَذب"[٣] أيُّ دليلٍ فيه على أنّ السؤالَ كان عن السبب دُون الحكمة؟؛ فإنّ[٤] اللَّفظ يحتملها، وقد

---

(١) أخرجه ابن عساكر في "التاريخ" باب اشتقاق اسم التاريخ وأصله ...إلخ، ١/ ٢٥، عن ابن عباس.

(٢) أي: بغض النظر.

(٣) "الإتقان" النوع ٨٠ في طبقات المفسِّرين، ٢/ ٣٧٥.

(٤) قال البيضاوي: "أنّهم سألوا عن الحكمة" ...إلخ. [أي: في "أنوار التنزيل" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ١/ ١٧٢] قال الشهاب: "إن أراد أنّ السؤالَ إنّما هو عن غايته وفائدته، فالمذكور في سبب النزول لا يساعده كما قيل: وليس بشيء؛ لأنّ عبارةَ السؤال لا تنافيه، ولذا قال النحرير: أنا لا أزيد على التعجّب سِوى أن أقولَ: أيُّ دلالةٍ لقولهم: «ما بالُ الهلال»؟ على أنّه سؤالٌ عن السبب، والفاعل دُون الغاية والحكمة، فحمله المصنّفُ على ذلك؛ لأنّه اللائق إذ مثلهم لا يستبعد منه السؤال عن ذلك ["عناية القاضي" سورة البقرة، ٢/ ٢٨٣] انتهى.

أقول: ولفظ الفاعل في كلام النحرير ليس محلّه؛ فإنّ الفاعلَ هو اللهُ تعالى، وإطلاق الفاعل على السبب ليس من اصطلاحات الفلاسفة أيضاً، وقول الشِّهاب: "إذ مثلهم" ...إلخ يلمح أخرى إلى ما لا يحسن، وهو التغريض؛ لأنّ الحكمةَ فيه ظاهرةٌ لا تخفى، لكن لا يستبعد سؤالها من مثلهم، غفر اللهُ تعالى لنا جميعاً، آمين!. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

أوضحته المراسيلُ، لا جرمَ جزمَ في "المفاتيح"(١) و"اللُّباب"(٢) و"الإرشاد"(٣) وغيرها، بأنّ الجوابَ على طبق السؤال، وإليه أشارَ ابنُ جرِير(٤).

وهذا لفظ "الكبير" بعد ذكره الخبرَ المذكور: "اعلم أنّ قولَه تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩] ليس فيه بيان، أنهم عن أيّ شيءٍ سألوا؟ لكن الجوابَ كالدالّ على أنّ سؤالهم كان على وجه الفائدة والحِكمة، فصار القرآنُ والخبرُ متطابقَين في أنّ السؤالَ كان عن هذا المعنى"(٥).

بعثتُه ﷺ لإصلاح دِيننا ودُنيانا معاً، لا للدِّين فقط

وثالثاً: لا شكّ أنّ بعثةَ نبيّنا ﷺ لإصلاح دِيننا ودُنيانا معاً، فأتى بأحكام العبادات والمعامَلات جميعاً، وكما هَدانا إلى أحكام الصَّوم والصّلاة، والحجّ والزَّكاة، كذلك أرشدَنا إلى أحكام البُيوع والإجارات، والمزارَعة والمساقات، والهبة والشّركة، والقِسمة والشُّفعة، والمضارَبة والوصية، ومَصالح المأكول والمشروب، والملبوس والمركوب، والنَّوم والنكاح، ومنافع الأرواح والأشباح، وسياسة المُدن وتدبير المنازل، وآداب حضور الأعراس والمحافل، ومُعاشَرة الآباء والإخوان، والأزواج والولدان،

(١) "المفاتيح" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ٢/ ٢٨١.

(٢) "اللباب" سورة البقرة، ١/ ١٢٩.

(٣) "الإرشاد" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ١/ ٣٥٨.

(٤) أي: في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، الجزء ٢، صـ٢٥٤.

(٥) "المفاتيح" سورة البقرة، تحت الآية: ١٨٩، ٢/ ٢٨١.

والأقارب والأجانب، والأحباب والأعداء، والجيران والبعداء، وآداب القيام والاتكاء، والقعود والاستلقاء، والضَّحك والبُكاء، والمآتِم والأفراح، حتّى الفَكاهة والمِزاح، فلا نضع قدماً ولا نرفعها في دينٍ أو دُنيا إلّا وفيها لشريعتِه ﷺ أحكامٌ علينا، تهدينا للخَير، وتمنعنا عن الضَّير، فوالذي بعثَه رحمةً للعالمين! لولا هو ما صلحتْ لنا دُنيا ولا دِين، وقد نَهانا عن الرَّهبانيّة كاليهوديّة والنصرانيّة، وأمرَنا[1] أن نأكلَ ونصُوم، ونَنام ونقُوم، ونتمتّع بالأزواج والإماء، حتّى لا يُرى في ديننا شدّةٌ ولا عناء[2].

وقد أخرج ابنُ عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النّبي ﷺ: «ليس بخيرِكم مَن ترك دُنياه لآخِرته، ولا آخرتَه لدُنياه، حتّى يصيبَ منهما جميعاً؛ فإنّ الدّنيا بلاغٌ إلى الآخِرة، ولا تكونوا كَلًّا على النّاس»[3].

---

(١) يشير إلى حديث أنس رضي الله تعالى عنه في "الصحيحَين" ["صحيح البخاري" كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ...إلخ، ر: ٥٠٦٣، صـ٩٠٦. و"صحيح مسلم" كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه ...إلخ، ر: ٣٤٠٣، صـ٥٨٦]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٢) يشير إلى حديث البَيهقي في "الشعب" عن المطلب بن عبد الله عن النبي ﷺ: «الهوا والعبوا! فإنّي أكره أن يُرى في دينكم غلظةٌ» ["الشعب" باب في تحريم الملاعب والملاهي، ر: ٦٥٤٢، ٥/ ٢٢٣١]، وحديث البخاري في "الأدب" عنه ﷺ: «خُذوا يا بني أرفدة حتّى تعلمَ اليهودُ والنصارى أنّ في دِيننا فسحةً». منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٣) "تاريخ دِمشق" حرف الياء، تحت ر: ٨٢٧٦- يزيد بن زياد القرشي البصري، ٦٥/ ١٩٧ ملتقطاً.

وأخرج البخاري في "الأدب المفرَد"[١] عن أبي[٢] نضرة[٣] قال: "قال رجلٌ منّا يقال له جابرٌ[٤] أو جوَيبر[٥]: طلبتُ حاجةً إلى عمر ﷺ في خلافتِه، فانتهيتُ إلى المدينة ليلاً فغدوتُ عليه، وقد أُعطيتُ فطنةً ولساناً -أو قال: منطقاً- فأخذتُ في الدّنيا

(١) "الأدب المفرَد" في الحديث: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، المتوفّى سنة ٢٥٦هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٠١).

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه المنذر، ر: ٧١٦٩، ٨/ ٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) وقع في "كنز العمّال" طبع الهند، و"منتخبه" طبع مصر: "أبي بصرة" ["منتخب كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل، الباب ٣ في ذكر الصحابة وفضلهم، الفصل ٥ في فضائل الصحابة مجتمعين ومتفرقين، ذكرهم متفرقين، أبي بن كعب، ٥/ ١٣١] بالموحَّدة والمهملة، وهو تصحيفٌ؛ فإنّ أبا بصرة الصحابي ﷺ غِفاري، وهذا الذي طلب حاجةً إلى الفاروق عبدي، والراوي يقول: "رجلٌ منّا". منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٤) وقع في "منتخب الكنز" جبر أو جوَيبر ["منتخب كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل، الباب ٣ في ذكر الصحابة وفضلهم، الفصل ٥ في فضائل الصحابة مجتمعين ومتفرقين، ذكرهم متفرقين، أبي بن كعب، ٥/ ١٣١]، وفي "الكنز" جبر أو جبَير ["كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، باب فضائل الصحابة مفصّلاً مرتّباً على ترتيب حروف المعجم، حرف الألف، أبي بن كعب، ر: ٣٦٧٦١، ١٣/ ١١٤]، والكلّ تصحيفٌ، وصوابُه كما في "الأدب المفرَد" جابر أو جوَيبر جاء هكذا بالشكّ، روى هذا الحديثَ عنه أبو نضرة منذر بن مالك كلاهما من أوساط التابعين، وعن أبي نضرة سعيد بن أياس الجريري من صغارهم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الجيم، من اسمه: جودان وجون وجويبر، ر: ١٠٣٣، ٢/ ٩٣، ٩٤.

فصغّرتُها فتركتُها لا تسوى شيئاً، وإلى جنبه رجلٌ أبيَض الشَّعر أبيَض الثِياب، فقال: لما فرغتُ: كلُّ قولك كان مقارِباً، إلّا وقوعَك في الدّنيا، وهل تدري ما الدّنيا؟ إنّ الدّنيا فيها بلاغُنا -أو قال: زادُنا- إلى الآخِرة، وفيها أعمالُنا التي نُجزى بها في الآخِرة، قال فأخذَ في الدّنيا رجلٌ هو أعلَم بها منّي، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! مَن هذا الرّجلُ الذي إلى جنبك؟ قال: سيّد المسلمين أبَي بن كَعب رضي الله تعالى عنه"[1].

فإذا نيطت الخيريّةُ بالإصابة منهما وقد بُعثت الأنبياءُ عليهم السلام للإرشاد إلى الخيريّة، وأيضاً كانت الدنيا بلاغاً وطريقاً إلى الآخِرة، ومَن دعا إلى مقصدٍ لا بدَّ له من بيان طريقِه، وجبَ أن تكونَ بعثتُهم لبيان الدِّين والدّنيا معاً، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «الدّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها، إلّا ما ابتغى به وجهَ الله تعالى»[2] رواه الطبَراني في "الكبير" عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه بسندٍ حسَن.

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها، إلّا ما كان منها لله عزّ وجلّ»[3] أخرجه الضياءُ في "المختارة"[4]، وأبو نعَيم في "الحلية" عن جابر[1] رضي الله تعالى عنه بسندٍ حسَن.

---

(١) "الأدب المفرد" باب الخرق، ر: ٤٨١، صـ١٠٧، ١٠٨.

(٢) انظر: "مسند الشاميين" ما انتهى إلينا من مسند عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ر: ٦١٢، ١/ ٣٥٣.

(٣) أخرجه أبو نعَيم في "الحلية" ذكر طبقة من تابعي المدينة وهم الفقهاء السبعة، محمد بن المنكدر، ر: ٣٦٣٥، ٣/ ١٨٣، عن جابر.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٣ في الأخلاق من قسم الأقوال، الباب ١ في الأخلاق والأفعال المحمودة، الفصل ٢ في تعديد الأخلاق المحمودة، حرف الزاي: الزهد ر: ٦٠٨٠، ٣/ ٧٧، نقلاً عن الضياء عن جابر.

فما كان منها لله ﷻ لابدَّ من بيانه، وكم في الأحاديث من الإرشاد إلى المصالح الدُنيويّة والمنافع البدَنيّة، بحيث لو جمعَ لجاءَ كتاباً حافلاً، وقد قال الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى: "من معجزاته الباهِرة ما جمعَه اللهُ تعالى له ﷺ من المعارِف والعلوم، وخصَّه به من الاطّلاع على جميع مَصالح الدّنيا والدِّين"[2] ...إلخ.

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: "قد تواتَر بالنقل عنه ﷺ من المعرفة بأمور الدّنيا، ودقائق مصالحها، وسياسة فرق أهلِها، ما هو معجِزٌ في البَشَر"[3] ...انتهى.

وتقدّم[4] في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢] قول "إرشاد العقل" و"الخازن" و"الجُمل" و"الكَرخي" و"الكشّاف" و"المدارِك" و"البَيضاوي" و"الرّازي" ومثله "النيسابوري" كلُّهم عمّموا البيانَ أمورَ الدّنيا والدين كما أسمعناك نصوصَهم، ونصّ "الرغائب": "وكلُّ شيءٍ مما تفتقرون إليه في دِينكم ودُنياكم، قد بيّناه بياناً غير ملتبسٍ".

دنيا المؤمن كلُّها دِينٌ

ورابعاً: لعلّك لا تشكّ أنّ دنيا المؤمن كلَّها دِينٌ، أكلَه وشُربه، ولُبسه ورُكوبه، وتزيُّنه وتطيُّبه، وبيعُه وتجارتُه، وحرثُه وزراعته، ومُلاعَبته لأهله، وتأديبَه

=

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الجيم والألف، ر: ٦٤٧- جابر بن عبد الله بن حرام، ١/ ٤٩٢- ٤٩٤.

(٢) "الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، الجزء ١، صـ٢١٧.

(٣) "الشفا" القسم ٣، الباب ٢، فصل، الجزء ٢، صـ١١٥.

(٤) أي: في فصل تقريب العموم إلى الفُهوم ...إلخ، فائدة جليلة، صـ٢٦١- ٢٦٦.

لفَرسه، حتّى مسابَقته مع عُرسه، ومبادحته[١] بالبطيخ مع إخوانه.

أحمد[٢] والبخاري[٣] ومسلم[٤] وأبو داود وابنُ ماجه[٥] عن أبي سعيد ﵁ عن

(١) أخرج البخاري في "الأدب المفرَد" عن بكر بن عبد الله قال: "كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائقُ كانوا هم الرّجال". ["الأدب المفرَد" باب المزاح، ر: ٢٦٦، صـ٦٤]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٢) أي: في "المسند" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١١٥٧، ٤/ ٤٣، عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ وصعد المنبرَ وجلسنا حولَه، فقال: «إنّ مما أخاف عليكم بعدي، ما يفتح اللهُ عليكم من زهرة الدّنيا وزينتها» فقال رجل: يا رسول الله! أوَ يأتي الخيرُ بالشَّر؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ، ورأينا أنّه ينزل عليه جبريل، فقيل له: ما شأنك تكلّم رسول الله ﷺ، ولا يكلّمك فسُرّي عن رسول الله ﷺ، فجعل يمسح عنه الرحضاء، فقال: «أين السّائل؟» وكأنّه حمدَه فقال: «إنّ الخيرَ لا يأتي بالشَّر، وإنّ مما ينبت الربيع يقتل أو يُلمّ حبطاً، ألم تر إلى آكلة الخضرة، أكلت حتّى إذا امتدت خاصرتاها، واستقبلت عين الشمس، فثلطت وبالت، ثمّ رتعت، وإنّ المالَ حلوةٌ خضرةٌ، ونعم صاحب المرء المسلم هو لمن أعطى منه المسكينَ واليتيمَ وابنَ السبيل» أو كما قال ﷺ: «وإنّ الذي أخذ بغير حقِّه، كمثل الذي يأكل ولا يشبع، فيكون عليه شهيداً يوم القيامة».

(٣) أي: في "الصحيح" كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، ر: ١٤٦٥، صـ٢٣٧، ٢٣٨، عن أبي سعيد الخدري ﵁.

(٤) أي: في "الصحيح" كتاب الزكاة، باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا وما يبسط منها، ر: ٢٤٢٣، صـ٤٢٣.

(٥) أي: في "السنن" كتاب الفتن، باب فتنة المال، ر: ٣٩٩٥، صـ٦٧٧، ٦٧٨.

النّبي ﷺ: «إنّ هذا المالَ حلوةٌ خضرة، ونِعم صاحب المسلِم هو لمن أعطاه المسكينَ واليتيمَ وابنَ السبيل، فمَن أخذَه بحقّه ووضعَه في حقّه، فنِعم المعونة هو، ومَن أخذه بغير حقّه كان كالذي يأكل ولا يشبَع، ويكون عليه شهيداً يومَ القيامة»[1].

أحمد[2] والترمذي عن أبي كبشة الأنماري[3] ﷺ عن النّبي ﷺ قال: «أحدِّثكم حديثاً فاحفظوه! إنّما الدّنيا لأربعة نفَر: (١) عبدٌ رزقَه اللهُ مالاً وعلماً، فهو يتّقي ربَّه فيه، ويصل فيه رحمَه، ويعلم لله تعالى فيه حقّاً، فهذا بأفضل المنازل، (٢) وعبدٌ رزقَه اللهُ تعالى علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادقُ النيّة، يقول: لو أنّ لي مالاً لعملتُ بعملِ فُلان، فهو بنيّته وأجرُهما سَواء، (٣) وعبدٌ رزقَه اللهُ تعالى مالاً ولم يرزقه علماً، يخبط في مالِه بغير علمٍ، لا يتّقي فيه ربَّه، ولا يصِل فيه رحمَه، ولا يعلم لله تعالى فيه حقّاً، فهذا بأخبَث المنازل، (٤) وعبدٌ لم يرزقه مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أنّ لي مالاً لعملتُ فيه

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في "المسند" ما روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

(٢) أي: في "المسند" مسند الشاميين، حديث أبي كبشة الأنماري، ر: ١٨٠٥٣، ٢/٢٩٨، عن أبي كبشة الأنماري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثٌ أقسم عليهنّ، وأحدِّثكم حديثاً فاحفظوه! قال: فأما الثلاث التي أُقسِم عليهنّ فإنّه (١) ما نقص مالَ عبدٍ صدقةٌ، (٢) ولا ظلَمَ عبدٌ بمظلمة فيصبر عليها إلّا زاده الله بها عزّاً، (٣) ولا يفتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلّا فتح الله له بابَ فقرٍ، وأمّا الذي أحدّثكم حديثاً فاحفظوه! فإنّه قال: إنّما الدنيا لأربعةِ نفرٍ: ...الحديث.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الكاف، ر: ٦١٩٤، أبو كبشة الأنماري، ٦/ ٢٥٥، ٢٥٦.

بعملِ فُلانٍ، فهو بنيّته، ووِزرُهما سَواء»[(١)].

الحاكم وابنُ[(٢)] لال[(٣)] والرامَهُرمُزي[(٤)] في "الأمثال[(٥)]"[(٦)] عن طارق بن أشيَم[(٧)] أشيَم[(٧)] رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «نعمتِ الدارُ الدنيا لمن تزوّدَ منها لآخِرته حتّى يُرضي ربَّه، وبئستِ الدارُ الدنيا لمن صدّته عن آخِرته، وقصرتْ به عن رضاء ربّه، وإذ قال العبدُ: قبّح اللهُ الدنيا! قالت الدنيا: قبّح اللهُ أعصانا لربِّه»[(٨)].

---

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، ر: ٢٣٢٥، صـ٥٣٢، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيح".

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٣ في الأخلاق من قسم الأقوال، الباب ١ في الأخلاق والأفعال المحمودة، الفصل ٢ في تعديد الأخلاق المحمودة، حرف الزاي: الزهد، ر: ٦٣٣٨، ٣/ ٩٨، نقلاً عن ابن لال.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٩.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٢٢٤.

(٥) "أمثال النبي ﷺ": للحافظ حسن ابن عبد الرحمن الرامَهُرمُزي، توفّي سنة ٣٦٠هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ٨١. و"هدية العارفين" ٥/ ٢٢٤).

(٦) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٣ في الأخلاق من قسم الأقوال، الباب ١ في الأخلاق والأفعال المحمودة، الفصل ٢ في تعديد الأخلاق المحمودة، حرف الزاي: الزهد، ر: ٦٣٣٨، ٣/ ٩٨، نقلاً عن الرامهرمزي في "الأمثال" عن طارق بن أشيم.

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الطاء والألف، ر: ٢٥٩٠، طارق أشيَم، ٣/ ٦٦.

(٨) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب الرقاق، ر: ٧٨٧٠، ٨/ ٢٨٠٥، عن طارق بن أشيم. [قال الحاكم:] "هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي:] "بل منكَر".

الدَّيلمي وابنُ النجّار[١] عن ابن مسعود ﵁ عن النّبي ﷺ: «لا تسبُّوا الدنيا؛ فلنعمَ المطيةُ للمؤمن، عليها يبلغ الخير، وعليها ينجو من الشَّرّ»[٢].

ابنُ لال[٣] والدَّيلمي عن جابر ﵁ عن النّبي ﷺ: «نعمَ العَونُ على تقوى الله المالُ»[٤] وفي حديث: «نِعم[٥] العونُ على الدِّين قُوتُ سَنةٍ»[٦] رواه الدَّيلمي عن مُعاوية مُعاوية بن حيدة القشري[٧] ﵁ عن النّبي ﷺ.

---

(١) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٣ في الأخلاق من قسم الأقوال، الباب ١ في الأخلاق والأفعال المحمودة، الفصل ٢ في تعديد الأخلاق المحمودة، حرف الزاي: الزهد، ر: ٦٣٤٠، ٣/ ٩٨، نقلاً عن ابن النجّار عن ابن مسعود.

(٢) انظر: في "الفردوس بمأثور الخطاب" باب لام ألف، فصل، ر: ٧٢٨٨، ٥/ ١٠.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٣ في الأخلاق من قسم الأقوال، الباب ١ في الأخلاق والأفعال المحمودة، الفصل ٢ في تعديد الأخلاق المحمودة، حرف الزاي: الزهد، ر: ٦٣٣٩، ٣/ ٩٨، نقلاً عن ابن لال.

(٤) انظر: في "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الميم، فصل، ر: ٦٧٥٦، ٤/ ٢٥٦.

(٥) البخاري في "الأدب المفرَد" عن عمرو بن العاص ﵁ عن النبي ﷺ قال: «يا عَمرو! نِعم المالُ الصّالح للمرء الصّالح» ["الأدب المفرَد" باب المال الصالح للمرء الصالح، ر: ٣٠٠، صـ٧١] منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٦) انظر: في "الفردوس بمأثور الخطاب"، باب الميم، فصل، ر: ٦٧٥٥، ٤/ ٢٥٦.

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الميم والعين، ر: ٤٩٨٢، معاوية بن حيدة، ٥/ ٢٠٠.

ودِين المنافِق كلُّه دُنيا، حتّى صومُه وصلاتُه وحجُّه وصدقاتُه وتورُّعه وإخباتُه، فلا يمتازان إلّا بالنيّات، «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، وعملُ المنافِق خيرٌ من نيّته»[1]. فإن أريدَ بأمور الدِّين ما تمحض للدِّين، ولا مَدخلَ فيه للدّنيا، فالتخصيص واضحُ البُطلان، وإن أريدَ مالُه وجّه إلى الدِّين، فالتخصيص والتعميم سِيّان.

وخامساً: لا يخفى عليك أنّ شيئاً من أفعال المكلَّف في دِينٍ كان أو دنيا، لن يخلونّ عن حكمٍ شرعيٍّ من استحباب إلى افتراض، أو كراهةٍ إلى تحريمٍ، أو إباحةٍ، وبيانُ كلِّ ذلك شأنُ النبوّة، غير أنّ النبيَّ في المباحات لا يماكِس، إنّما شأنُه فيها أن يقيمَ لهم ميزاناً تحفظ لهم الاعتدال، وأن يبيّنَ ما يردّ عليهم فيها من حقوق أنفُسهم وحقوق ذي الجلال، فإن أشار بشيءٍ في بعضها من دون أمرٍ جازِم، ومالت نُفوسٌ إلى غيره لأجل تعوّدٍ أو غيره، ولم يكن فيه خروجٌ عن الميزان، تركَهم وشأنَهم؛ لأنّ فيها

---

(١) هو حديث رواه الطبَراني في "الكبير" عن سهل بن سعد [انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٣ في الأخلاق من قسم الأقوال، الباب ١ في الأخلاق والأفعال المحمودة، الفصل ٢ في تعديد الأخلاق المحمودة، حرف النون: النيّة، ر: ٧٢٣٤، ٣/ ١٦٩، نقلاً عن الطبَراني عن سهل بن سعد.] وكالعسكري عن النواس بن سمعان [انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب ٣ في الأخلاق من قسم الأقوال، الباب ١ في الأخلاق والأفعال المحمودة، الفصل ٢ في تعديد الأخلاق المحمودة، حرف النون: النيّة، ر: ٧٢٦٨، ٣/ ١٧١، نقلاً عن العسكري في "الأمثال" عن نواس بن سمعان] والديلمي عن أبي موسى الأشعري ﷺ، كلُّهم عن النبي ﷺ [انظر: في "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الميم، فصل، ر: ٦٨٤٣، ٤/ ٢٨٦] منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

حبلَهم على غارِبهم، وهذا هو مَلمَح الحديث المذكور: «أنتم أعلَم بأمورِ دُنياكم»، وهذا هو دأبُه في المباحات الدِينيّة سَواءٌ بسَواء، ألا ترى إلى حديث طلبِه ﷺ القِرطاسَ، واختلاف الصّحابة في ذلك، وقول عمر رضي الله عنه: "إنّ النبيَّ ﷺ غلبَه الوجعُ، أي: فلا ينبغي تكليفُه، وعندنا كتابُ اللهِ حسبُنا" فلم يعنفهم ولا شدّدَ عليهم، بل تركَهم وما اختاروا، وقال: «قُوموا عنّي! ولا ينبغي عندي التنازُع»[1] رواه الشيخان[2] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

أمّا عدم تعرّضه ﷺ لبيان طُرق الحِرف والصناعات والحَرث والتجارات؛ فذلك لأنّ العقولَ تستقلّ بإدراكها، والنّاسُ مشتغلون بها، متوجّهون إليها، متعمّقون فيها، حتّى لو كان هناك شيءٌ يحتاج إليه، ولا تهتدي له العقولُ، لأتى الشّرعُ ببيانه، كما عُلّم أبونا آدمُ عليه السلام الحرث والنّسج، وسيّدُنا داود عليه السلام ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء:٨٠]، فكان هذا كعدم تعرّضه ﷺ لبيان علوم النَّحو والصَّرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع واللُّغة وأمثالها، مع أنّها من علوم الدِّين قطعاً؛ لأنّ النّاسَ قد كانوا عالمين بها، وإنّما تُبعث الأنبياءُ -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم-

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب العلم، باب كتابة العلم، ر: ١١٤، صـ٢٥، عن ابن عباس، قال: لما اشتدّ بالنبي ﷺ وجعه قال: «ائتوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده» قال عمرُ: إنّ النبيَّ ﷺ غلبَه الوجعُ، وعندنا كتابُ الله حسبُنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: «قُوموا عنّي، ولا ينبغي عندي التنازُع».

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، ر: ٤٢٣٢، صـ٧١٨، عن ابن عباس.

معلِّمين، بل مُعظَم مقصودِهم تعليمُ الغُيوب، التي لا يستبدّ بإدراكها حِسٌّ ولا عقلٌ، ولذا تركَ عليهم من علوم الدِّين علمَ أصول الفِقه، وتأسيسَ قواعد، وإبرازَ فوائده، وكذا أقامَ لهم في الفُروع أصولاً ومظانّاً، ثمّ تركَهم يجتهدون ويَستنبطون.

وسادساً: لئن سُلِّم فإنّما هذا شأنُ الأنبياء -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم- مع مَن بُعثوا إليهم، أمّا في أنفُسهم فقد أقَمنا الحجّةَ، أن لا شيءَ في العالَم إلّا وفيه لله تعالى آياتٌ ومَعارِف، ليست في غيره، وليس من شأنِهم أن يغفلوا عن شيءٍ من آياته، فلا بدّ لهم من معرفة جميع مجالي أسماء الله تعالى وصفاته مما كان ويكون، فلذلك يرَون مَلكوت السّماوات والأرض كما نطق به الكتابُ الكريم في خليله إبراهيم -عليه الصّلاة والتسليم-: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٧٦].

وحديثُ ابن عمر رضي الله عنهما السّالِف في حقّ الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام، فإن كان هذا قرينةَ التخصيص، فعند حمل الآيات على تبيان كلِّ شيءٍ للنّاس، وقد علمتَ أن لا دليلَ عليه، بل الدليلُ ناطقٌ ببُطلانه، فإذَن لا قرينةَ على خصوصٍ وتسلم [النصوصُ] جاريةً على ظواهرها النّصوص، والحمد لله ربّ العالمين!.

إثخان ما أتتْ به الرّسالةُ المذكورة "غاية المأمول"

(٩) الحمد لله فرغنا عن تزييف كلِّ ما سعَوا به لردّ النّصوص إلى الخصوص، وقد كان أكثر ذلك ردّاً على المذكورة، ولو بالتبع لا بالخصوص؛ لأنّها أتت بتلك النُّقول متمسّكةً بها معتمدةً عليها، لكنّها لم ترضَ أن لا يخصَّها شيء، فعمدتْ إلى إيضاح عبارة الشِّهاب تحت الآية الرّابعة، ثمّ تلخيص ما نقلت من الأقوال في الآية الأُولى والرّابعة.

أمّا الأوّل فلأنّها استصعبتها فأردتُ إيضاحَها، وقد اعتاص عليها فهمُها فخبطتْ، وأمّا الثاني فللاستشهاد بأقوالهم على مرادها، ولم تميّز بينها فخلطتْ، ونحن -بحمد الله تعالى- قد فرغنا عن الردّ، وإنّما قصدنا الآنَ إلى إبانة ما بعدتْ عن الفَهم وغلطتْ.

فأقول أوّلاً: قد علمتَ[1] أنّ الشِّهابَ هاهنا ذكر من قبل جاعل "الكلّ" للتكثير إيرادَين على البَيضاوي، وهُما الطرفان من الإيرادات الأربعة، وأجاب عن الأوّل بإبداء قرينة التخصيص، وعن الثاني بالعدول عن الكيف إلى الكَم، ثمّ تحت قول البَيضاوي بالإحالة ذكرَ الإيرادَ الثالث، وجعل هذا جواباً عنه، وختمَ تقريرَه بقوله: "وفيه تأمل"[2]، فالمذكورة لما لم تفهم قولَه: "إذ ما في الإحاطة والتعميم ما في التبيان، من المبالغة في البيان"[3] حذفتْه عما تصدّت له من شرح العبارة، ولم تلم به أصلاً.

وثانياً: رأت الشِّهابَ يقول بعد ذكر الإيرادَين، قد علمتَ[4] ردَّ الثاني، أعني أنّ التخصيصَ لا يقتضيه المقامُ، قال: أمّا الأوّلُ، أي: "ما في الإحاطة" ...إلخ "فقد ردَّ بأنّ ذلك بحسب الكميّة، لا الكيفيّة"[5] ...انتهى. فلم تجد بُدّاً من إبداء إيرادَين، ولم تفهم

---

(١) "عناية القاضي" سورة النحل، ٥/ ٣٦٢.

(٢) انظر: صـ٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) "عناية القاضي" سورة النحل، ٥/ ٣٦١.

(٤) انظر: صـ٣٧٩، ٣٨٠.

(٥) "عناية القاضي" سورة النحل، ٥/ ٣٦١.

الأوّلَ، فعمدتْ إلى الإيراد الثالث الذي أوردَه في القولة بعد هذا، فجعلتْه إيراداً آخَر، وضمّتْ إليه جوابَ الكيف والكَم، مع أنّ الشِّهابَ إنّما جعل جوابَه الإحالةَ.

وثالثاً: لما حذفت الأوّلَ إذ لم تفهمه، وضمّتْ الثالثَ مع الثاني لتحصل إيرادَين، لا جرمَ صار الثاني أوّلاً، والثالثُ ثانياً، فهكذا جعلتْ ولم تفهم أنّ الشِّهابَ يقول: "وأمّا الأوّلُ فقد ردّ" فكيف يصير الآخِرُ أوّلاً في كلام الشِّهاب بقلبك الترتيبَ.

ورابعاً: قالت في تلخيص أقوالهم المذكورة في الآيتَين: "أنّ النّاسَ في معناهما على ثلاثةِ أقوال:

الأوّل: أنّ المرادَ العلومُ الدِينيّة وغيرها.

والثاني: الدِينيّة فقط.

والثالث: أنّ الكتابَ العزيز مشتملٌ على جميع الأحكام الدِينيّة، لا غير"[1] ...انتهى.

الظاهر من كلام المذكورة، أنّها أخذت الأحكامَ بمعنى المسائل الفَرعيّة خاصّةً، ففرّقتْ في القولَين الآخيرَين، بأنّ الثاني أراد جميعَ العلوم الدِينيّة أصليّات وفَرعيّات، والثالث زادَ التضييقَ بإرادة الفَرعيّات وحدَها، وهذه فريةٌ بلا مرية، بل القولان متّفقان على إرادة جميع العلوم الدِينيّة، وإنّما الخلافُ في وجه الإحاطة بالفَرعيّة، فالمذكورةُ هي الناقلة[2] عن الرّازي: "أنّ علمَ الأصول بتمامه حاصلٌ فيه، وأمّا علمُ الفُروع فللعلماء هاهنا قولان". فانظر! كيف خصَّ الخلفَ بالفُروع، ما لي

---

(١) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢٧، ٣٢٨ ملتقطاً.

(٢) أي: في "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣١٣، ٣١٤ ملتقطاً.

أكلِّف المذكورةَ بفهم ما عسى أن لا تفهمه، بل لتنظر إلى ما نقلتْ عنه ثانياً في بيان القول الثالث خاصّة: "أنّ علومَ الدِّين أصولٌ وفُروع، أمّا علمُ الأصول فبتمامه موجودٌ في القرآن، وأمّا علمُ الفُروع فلا تكليفَ إلّا ما وردَ في القرآن"[1] ...انتهى.

وإن أخذت الأحكامَ على إطلاقها، فيشمل جميعَ العلوم الدِينية، ويتّحد القولان؛ فإنّ الكلَّ فيهما على معناه الحقيقي، وتصحيح الكلام بتخصيصه بالعلوم الدِّينية مطلقاً، وإن اختلفا في طريق التصحيح في البعض، وإنّما كان عليها أن تقولَ: إنّ هؤلاء الناسَ في معناهما على قولَين: الأوّل أنّ شيئاً على إطلاقه، و"الكلّ" للتكثير، والثاني أنّ "الكلّ" على حقيقته، والشيء مخصوصٌ بالأمور الدِّينية مطلقاً، ثمّ اختلف أصحابُ هذا القول في تصحيح الإحاطة بالفُروع، فقومٌ بالإحالة وقومٌ بالحصر فيما صرّح به في القرآن.

وخامساً: قالت في القولَين الأوّلَين: "أرباب القولَين متّفقون على أنّه ليس في الكتاب العزيز التنصيصُ على كلّ قضيةٍ جزئيةٍ من تلك العلوم، على وجه التفصيل، بل على التفصيل في بعضها، والإجمال والإشارة والرَّمز في بعضها"[2] ...انتهى. وهذا إن كان عن فهمٍ كان بهتاناً بحتاً، فصاحبُ القول الأوّل إنّما حمل "الكلّ" على التكثير فراراً عن الاشتمال على "الكلّ"، ولو على الإجمال في البعض.

وسادساً: ذهبَ عنها أنّه ردّ على البيضاوي زعمَ الإجمال في البعض، بأنّ الإجمالَ ينافي التبيانَ، ولا تتحمّله عبارةُ التفصيل، فكيف يوافقه على هذا الزعم؟!

---

(١) "التفسير الكبير" سورة النحل، تحت الآية: ٨٩، ٧/ ٢٥٨ ملتقطاً.

(٢) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢٧، ٣٢٨.

وسابعاً: ثمّ قالت: "بهذا اتّضح لدَيك وُضوحاً لا ريبَ معه، أنّ القولَين الأوّلَين متّفقان على وجود الإجمال"[1] ...إلخ، وقد اتّضح لدَيك وُضوحاً لا ريبَ معه، أنّ هذا باطلٌ ما له من مساغ.

وثامناً: قالت: "وأمّا القول الثالث فقد قصر العموم على الأحكام الشرعيّة كما علمتَه"[2] ...انتهى، أي: على الفَرعيّة لا غير، أو بخلاف الثاني فقد عمّمه العلوم الشرعيّة وغيرها كالأوّل، والكلّ بَهتٌ كما علمتَه فيها، سبحان الله ممن لم يستطع أن يفهمَ هذه الواضحاتِ! يقوم يتكلّم على علوم القرآن! وعلوم محمّدٍ سيّد الكائنات ﷺ! ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العلي العظيم.

حدوثُ العالَم بقضِّه وقضيضه

تنبيهٌ مهمّ

أخرج الإمامُ البخاري في "صحيحه" عن عمران بن حصَين ﵁ عن النبي ﷺ أنّه قال: «كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه»[3].

وبوجهٍ آخَر عنه ﵁ قال: «فأخذ النبيُّ ﷺ يحدِّث بدءَ الخَلق والعرش»[4].

---

(١) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢٨، ٣٢٩ ملتقطاً.

(٢) "غاية المأمول" الباب ١، الوجه ٢، صـ٣٢٩ ملتقطاً.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ر: ٣١٩١، صـ٥٣٢، عن عمران بن حصين ﵄.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ

=

أخرج الإمامُ أحمد والترمذي[١] وحسَّنه[٢]، وابنُ ماجه[٣] وآخَرون[٤] عن أبي رزين العُقيلي[٥] رضي الله عنه عن النّبي ﷺ في حديث، قال: «ثمّ خلقَ عرشَه على الماء»[٦].

=

الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ر: ٣١٩٠، صـ٥٣٢، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(١) أي: في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، ر: ٣١٠٩، صـ٧٠٢، عن أبي رزين. [قال أبو عيسى:] هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) وقال الحافظ في "الفتح" [كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ر: ٣١٩٠، ٦/ ٣٢٣] وتبعه في "إرشاد الساري" [كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ر: ٣١٩٠، ٧/ ١٢٥] أنّ: "الترمذي صحّحه" ولعلّها نسخة. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٣) أي: في "السنن" المقدّمة، باب فيما أنكرت الجهمية، ر: ١٨٢، صـ٤٠، عن أبي رزين.

(٤) كأبي داود الطيالسي [أي: في "المسند" أحاديث أبي رزين، ر: ١١٨٩، ٢/ ٤١٨] وابن جرِير [أي: في "الجامع" سورة الهود، تحت الآية: ٧، ر: ١٣٩٠٢، الجزء ١٢، صـ٧] وابن المنذر [انظر: "الدر المنثور" سورة الهود، تحت الآية: ٧، ٤/ ٤٠٣، نقلاً عن ابن المنذر] وأبي الشيخ في "العظمة" [انظر: "الدر المنثور"، سورة الهود، تحت الآية: ٧، ٤/ ٤٠٣، نقلاً عن أبي في الشيخ في "العظمة"] وابن مَردوَيه [انظر: "الدر المنثور" سورة الهود، تحت الآية: ٧، ٤/ ٤٠٣، نقلاً عن ابن مَردوَيه] والبَيهقي في "الأسماء والصفات" [جُماع أبواب إثبات صفات الفعل، باب بدء الخلق، ٢/ ١١٦]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الراء، ر: ٥٨٨٥، أبورزين العُقيلي، ٦/ ١٠٦.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند المدنيين، حديث أبي رزين العقَيلي، ر: ١٦٢٠٠،

=

وقد ثبت ضرورةً من الدِّين، أنّ العالَم بقضِّه وقضيضِه حادثٌ مسبوقٌ بالعدم، كائنٌ بعد أن لم يكن، ولا قديم شيءٌ غيرُ الله تعالى، أمّا صفاتُه فليست غيرَه كما هي عندنا ليست عينَه أيضاً.

وهذه مسألةٌ لم يخالف فيها أحدٌ ممن يتكلّم بكلمة الإسلام، ولو من المبتدعة اللِّئام، بل ولا أحدٌ ممن ينتحل ملّةً سماويّة، والضروريُّ لا يحتاج إلى سندٍ خاصٍّ ونصٍّ ناصٍّ، والتأويلُ(١) فيه لا ينفع ولا يُسمَع.

قال الإمام أبو زكريا النّوَوي(٢) في "الرَّوضة"(٣) ثمّ ابنُ حجر في "الإعلام"(٤): "الصَّوابُ تقييدُه -أي: تقييدُ الإكفار بإنكار المجمَع عليه- بما إذا جحدَ مجمَعاً عليه يعلم

=

٥/ ٤٧١، عن أبي رزين العقَيلي.

(١) أي: في الضروري بأن يصرفَه إلى معنى آخَر غير ما هو عند المسلمين، كمَن يؤوّل الجنّةَ والنّارَ بلذّاتٍ روحانيةٍ وآلامٍ نفسانية، أو يؤوّل خاتمَ النّبيين بأنّه الأصلُ في النبوّة، فإليه المنتهَى فيها، كما فعله في زماننا بعضُ الكفَرة من بلدةِ دِيوبَند، أمّا الذي يؤوّل كلامَ نفسِه فإن كان تأويلاً محتمَلاً سمع وإلّا لا، قال في "الشّفاء الشّريف": "لأنّ ادّعاءَه التأويلَ في لفظ صراح لا يُقبَل" ["الشفا" القسم ٤ في تصرّف وجوه الأحكام فيمن تنقّصه ...إلخ، الباب ١ في بيان ما هو في حقّه ﷺ سبٌّ أو نقصٌ ...إلخ، الجزء ٢، صـ١٣٥] انتهى. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) "روضة الطالبين وعمدة المفتين" كتاب الردّة، ١٠/ ٦٥.

(٣) "روضة الطالبين وعمدة المتّقين": للإمام محيي الدين أبي زكريّا يحيى بن شرف النَّوَوي، المتوفّى سنة ٦٧٦هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٦٩٣).

(٤) "الإعلام بقواطع الإسلام": لابن حجر الهيتمي، توفّي سنة ٩٧٤هـ.

=

من دين الإسلام ضرورةً، سواءٌ كان فيه نصٌّ أو لا"[١] انتهى. وفي "شرح المقاصد": "ما عُلم قطعاً من الدِّين أنّه على ظاهره، فتأويلُه تكذيبٌ للنّبي ﷺ"[٢] ...انتهى.

ولذا أطبقوا على إكفار مَن خالفَ في مسألتنا هذه، قال الإمام القاضي عياض في "الشِفا الشّريف": "نقطع بكفرِ مَن قال بقِدم العالَم أو شكَّ في ذلك" -إلى أن قال-: "فلا شكَّ في كفرِ هؤلاء قطعاً إجماعاً وسمعاً"[٣] ...انتهى. وقال: "كلّ مَن اعترف بإلهيّة الله تعالى ووحدانيّته، لكنّه اعتقدَ قديماً غيرَه، فذلك كفرٌ بإجماع المسلمين[٤] ...انتهى.

قال القاري في "شرحه": "نقطع على كفرِ مَن قال بقِدم العالَم، أي: جميعه أو بعضه"[٥] ...انتهى. وفي "نسيم الرّياض": "قد كفّرهم أهلُ الشَّرع بهذا؛ لما فيه من تكذيب الله تعالى ورُسُله وكتبه"[٦] ...انتهى.

وفي "الإعلام بقواطع الإسلام" تصنيف الإمام ابن حجر المكّي من المكفّرات القول: "الذي هو كفرٌ سَواءٌ أصدَر عن اعتقادٍ أو عنادٍ أو استهزاءٍ، فمِن

=

("كشف الظنون" ١/ ١٥٦. و"هدية العارفين" ٥/ ١٢١).

(١) "الإعلام بقواطع الإسلام" صـ١٦.

(٢) "شرح المقاصد" المقصد ٦ في السمعيات، الفصل ٣، المبحث ٦، الجزء ٥، صـ٢٢٦.

(٣) "الشفا" القسم ٤، الباب ٣، فصل، الجزء ٢، صـ١٧٠-١٧٢ ملتقطاً.

(٤) "الشفا" القسم ٤، الباب ٣، فصل، الجزء ٢، صـ١٧٠ ملتقطاً وبتصرّف.

(٥) "شرح الشفا" القسم ٤، الباب ٣، فصل، ٢/ ٥١١.

(٦) "نسيم الرياض" القسم ٤، الباب ٣، فصل، ٦/ ٣٤٨.

ذلك اعتقادُ قِدم العالَمَ"[١] ...انتهى. وفيه: "اعتقادُ قِدم العالَمَ أو بعضِ أجزائِه كفرٌ، كما صرّحوا به"[٢] ...انتهى.

وفي "المسايَرة"[٣] للإمام المحقّق على الإطلاق: "اختلف في تكفير المخالف بعد الاتفاق، على أنّ ما كان من أصول الدِّين وضرورياتِه يكفَّر المخالفُ فيه، كالقول بقِدم العالَمَ، ونفي حشر الأجساد"[٤] ...إلخ.

وفيها: "ما يُوجب التكذيبَ جَحدُ كلِّ ما ثبتَ عن النّبي ﷺ ضرورةً، كالإيمان برسالة محمّدٍ ﷺ، وما جاء به من وُجود الله تعالى وانفرادِه باستحقاقه العَبوديّة على العالمين، وما يلزمه من الانفراد بالقِدم"[٥] ...انتهى.

وفي "شرح أمّ البراهين"[٦] لمصنّفه العارف بالله الإمام محمد السَّنوسي[٧]:

---

(١) "الإعلام بقواطع الإسلام" صـ١٣.

(٢) أي في: "الإعلام بقواطع الإسلام" صـ٣٨.

(٣) "المسايَرة في العقائد المنجِية في الآخِرة": للإمام كمال الدّين محمد بن هُمام الدّين عبد الواحد الشهير بـ"ابن الهُمام" المتوفّى سنة ٨٦١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٤٦).

(٤) "المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة" صـ٣٦٤.

(٥) "المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة" صـ٣٥٧، ٣٥٨ ملتقطاً.

(٦) أي: "أمّ البراهين" في العقائد: للإمام محمد بن يوسف بن الحسين السنوسي، المتوفّى سنة ٨٩٥هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٨٦).

(٧) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٧٢.

"الإيجابُ الذاتي هو أصلُ كفرِ الفلاسفة، فقالوا لأجل ذلك بِقِدم العالَم، وألغَوا البرهان القطعي الدالّ على حُدوثه"[١] ...انتهى.

وفي "طوالع الأنوار"[٢] للقاضي البَيضاوي: "القول بالذَوات القديمة كفرٌ"[٣] ...انتهى.

وفيه[٤] وفي شرحه "مطالع الأنظار"[٥]: "القول بكثرة القُدماء كفرٌ بالإجماع"[٦] ...انتهى.

---

(١) أي في: "أمّ البراهين شرح العقيدة الصغرى" القسم ٣: جمع كلمة الشهادة للإلهيات والنبوات ...إلخ، الفصل ٣: معنى كلمة الشهادة، صـ١٣٥ ملتقطاً.

(٢) "طوالع الأنوار" مختصر في الكلام: للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي، المتوفّى سنة ٦٨٥هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ١٣١).

(٣) "طوالع الأنوار" الكتاب ٢ في الإلهيات،الباب ٢ في صفاته تعالى، الفصل ١ في الصفات التي التي يتوقّف عليها أفعاله، المبحث ١، صـ١٨٤.

(٤) "طوالع الأنوار" الكتاب ٢ في الإلهيات،الباب ٢ في صفاته تعالى، الفصل ١ في الصفات التي التي يتوقّف عليها أفعاله، المبحث ١، صـ١٨٤.

(٥) "مطالع الأنظار": للأبي الثناء شمس الدّين محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، المتوفّى سنة ٧٤٩هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ١٣١).

(٦) "مطالع الأنظار" الكتاب ٢ في الإلهيات، الباب ٢ في صفاته تعالى، الفصل ١ في الصفات التي التي يتوقّف عليها أفعاله، المبحث ١، قـ١٤٩.

وفي "المواقف": "الكفرُ إثباتُ ذواتٍ قديمة"[١] ...انتهى. وفي "شرحها": "إثباتُ المتعدِّد من الذوات القديمة هو الكفر إجماعاً"[٢] ...انتهى. وفيه: "الأجسامُ محدَثةٌ بذَواتها الجوهريّة، وصفاتها العَرضيّة، وهو الحقُّ، وبه قال: المِلّيُون كلُّهم من المسلمين واليهود والنّصارى والمجوس"[٣] ...انتهى.

وفي "مِنح الرَّوض"[٤]: "مَن يؤوّل النّصوصَ الواردةَ في حشر الأجساد، وحُدوثِ العالَم، و علمِ البارئ بالجزئيات، فإنّه يكفر"[٥] ...انتهى.

(١) "المواقف" الموقف ٥ في الإلهيات، المرصد ٤ في الصفات الوجودية، المقصد ١، الجزء ٨، صـ٥٥.

(٢) "شرح المواقف" الموقف ٢ في الأمور العامّة، المرصد ٣ في الوجوب والإمكان، المقصد ٥، الجزء ٣، صـ٢٠١.

(٣) "شرح المواقف" الموقف ٤ في الجواهر، المرصد ٢ في عوارض الأجسام، المقصد ١، الجزء ٧، صـ٢٢٧ ملتقطاً.

(٤) أي: "منح الروض الأزهر": للمولانا علي القاري، المتوفّى سنة ١٠١٤.

("كشف الظنون" ٢/ ٢٦٤. و"هدية العارفين" ٥/ ٦٠٠).

(٥) "منح الروض" صـ٢٥٣.

وفي "جمع الجوامع"[١] و"شرحِه[٢]"[٣] ثمّ "البحر الرائق"[٤] ثمّ "الطحطاوي على الدُّر"[٥]: "مَن خرج ببدعتِه من أهل القِبلة، كمنكرِي حُدوث العالَم، فلا نزاعَ في كفرِهم؛ لإنكارهم بعضَ ما علم مجيء الرّسول ﷺ به ضرورةً"[٦] ...انتهى.

---

(١) "جمع الجوامع" في أصول الفقه: لتاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن السُّبكي، الشافعي المتوفّى سنة ٧٧١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٦٧).

(٢) "البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع": لمحقّق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، المتوفّى سنة ٨٦٤هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٦٧).

(٣) "البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع" الكتاب ٧ في الاجتهاد، العقيدة، مسألة: التقليد في الاعتقاد، حرمة تكفير المسلم، ٢/ ٤٤٢.

(٤) "البحر الرائق في شرح كنز الدقائق": لزين الدّين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشهير بابن نجَيم المصري، وصل فيه إلى آخر كتاب الدّعوى، كذا ذكره في بعض تصانيفه، لكن في النُّسخ المتداولة ما يدلّ على أنّه بلغ إلى باب الإجارة الفاسدة، وتوفّي سنة ٩٧٠هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤٣٤. و"هدية العارفين" ٥/ ٣١٠).

(٥) "حاشية الطحطاوي على الدرّ المختار": لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي المصري، توفّي في ١٥ من رجب لسنة ١٢٣١هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ١٥٢).

(٦) "البحر الرائق" كتاب الصلاة، باب الإمامة، ١/ ٦١٣ ملتقطاً. و"ط" كتاب الصلاة، باب الإمامة، ١/ ٢٤٣.

وفي "شرح التحرير"[١] للإمام ابن أمير الحاجّ، ثمّ "ردّ المحتار"[٢]: "لا خلافَ في كفر المخالف في ضرورياتِ الإسلام، من حُدوث العالَم، وحشرِ الأجساد، ونفيِ العِلم بالجزئيات، وإن كان من أهل القِبلة المواظِب طولَ عمرِه على الطاعات"[٣] ...انتهى. وفي "كتاب الأنوار"[٤] للإمام يوسف الأردبيلي[٥]: "مَن اعتقد اعتقد قِدم العالَمَ أو حُدوثَ الصّانع، كفرَ"[٦] ...انتهى.

وفي "المقاصد"[٧] للعلّامة السَّعد[١]: "ليس بكافرٍ ما لم يخالف ما هو مِن

---

(١) "التقرير والتحبير في شرح التحرير" في الأصول، ٣/ ٤٢٤.

(٢) "ردّ المحتار على الدرّ المختار": للسيّد محمد أمين عابدين بن السيد عمر عابدين بن عبد العزيز بن أحمد عبد الرحيم الدِمشقي الحنفي المفتي العلاّمة الشهير بابن عابدين، توفّي سنة ١٢٥٢هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ٣٥١. و"هدية العارفين" ٦/ ٢٨٦).

(٣) "رد المحتار" كتاب الصلاة، باب الإمامة، مطلب: البدعة خمسة أقسام، ٣/ ٥٣٢.

(٤) "الأنوار لعمل الأبرار" في فقه الشافعي: للشيخ الإمام جمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي، المتوفّى سنة تسع وتسعين وسبعمئة. ("كشف الظنون" ١/ ٢٠٣).

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٤٣٣.

(٦) "كتاب الأنوار" كتاب الردة، ٣/ ٢٧٤.

(٧) "المقاصد" في علم الكلام: للعلاّمة سعد الدّين مسعود بن عمر التفتازاني، توفّي سنة ٧٩٢هـ.

٧٩٢هـ.

("كشف الظنون" ٢/ ٦٣٠).

ضرورياتِ الدِّين، كحُدوث العالَم، وحشرِ الأجساد"[٢] ...انتهى. وفي "شرحها" له: "لا نزاعَ في كفر أهل القِبلة المواظِب طولَ العمر على الطاعات؛ باعتقاد قِدم العالَم، ونفيِ الحشر، ونفيِ العِلم بالجزئيات، ونحو ذلك"[٣] ...انتهى.

وبالجملة فالنّصوص في هذا كثيرةٌ جدّاً، لا مَطمعَ في استقصائها، فما وقعَ لبعض متأخّرِي المحشِّين، من التشكيك في كَون خلافِه كفراً، زلّةٌ لا تزال، وعثرةٌ لا تقال، إلّا أن تدارك رحمة ذي الجلال، نسأل اللهَ السّلامةَ وحُسنَ المآل! ولولا أنّ تلك الحاشيةَ طبعتْ وشاعتْ لكان حقُّها أن تطوىَ ولا تروَى، لكن أخاف أن يطّلعَ عليها قاصِرون فيضلّوا، وإزالةُ المنكَر فرضٌ، فأذكر كلامَها مدمَّجاً مع الردّ عليها، وأعقبُه بذكرِ تأويلِ العارف النابلُسي مع إيضاح مراده، وبالله التوفيق!.

فالحاشيةُ المذكورة نقلتْ كلامَ السّعد المذكور في "شرح المقاصد" ثمّ عقبتْه بقولها: "ولعلّه أرادَ أنّ اعتقادَ قِدمه مع نفيِ الحشر كفرٌ"[٤] ...انتهى. **أقول:** ما أسمجَه من تأويل! وما أشنعَه من تحويل! وما مثلُه إلّا كمَن له زجاجتان، أحدُهما بيدِه وهو في

=

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٣٣٤.

(٢) "المقاصد" المقصد ٦ في السمعيات، الفصل ٣ في الأسماء والأحكام، المبحث ٧ في حكم مخالف الحقّ من أهل القبلة، ٥/ ٢٢٧.

(٣) "شرح المقاصد" المقصد ٦ في السمعيات، الفصل ٣ في الأسماء والأحكام، المبحث ٧ في حكم مخالف الحقّ من أهل القبلة، ٥/ ٢٢٨.

(٤) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٢، ١/ ١٤٠.

صبب، والأخرى موضوعةٌ فوق على حافة الصّبب، فتحدرت فخاف عليها فضربها بالتي في يده، لترجع فتصادمتا فتكسّرتا، وذلك أنّه جعل اعتقادَ قِدم العالَم كفراً، إن انضمّ إليه نفيُ الحشر، فنفيُ الحشر أيضاً لم يبقَ كفراً، ما لم ينضمّ إليه القولُ بقِدم العالَم؛ إذ لو كفَى في الإكفار كان ضمَّ ما ليس بكفرٍ معه لغواً، والكلام يُصان عن اللّغو الإهمال، فيؤوّل إلى أنّ شيئاً منهما ليس بكفرٍ ما لم يجتمعا، ألا ترى أنّهم لما تمسّكوا على حجيّة الإجماع بقوله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْـمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾ [النِّساء: ١١٥].

ونوقِش بأنّ الوعيدَ على المجموع، أجابوا[١] بأنّ المشاقةَ مستقلّةٌ بإيجاب الوعيد، فيبقى ضمُّ الاتباع لغواً، فيجب أن يكونَ مستقلاًّ كالأُولى، وهاهنا لما فرضَ اعتقادُ القِدم غير كافٍ، وجبَ أن يكونَ نفيُ الحشر أيضاً لا يكفي، وإلّا لغا الأوّل، وهذا ضمٌّ ذميمٌ وضمٌّ عظيم.

قال: "وإلّا فقد ذهبَ كثيرٌ من حكماء الإسلام إلى قِدم بعض الأجسام"[٢] ...انتهى. **أقول:** إن أراد المتفلسفةَ المدّعية للإسلام فلا يجدي، وإن أراد الحكماءَ

---

(١) به أجاب صدرُ الشريعة في "التوضيح" [٢/١٠٨-١١١] وأقرّه العلّامةُ في "التلويح" [٢/١٠٨-١١١] ولم ينكِر عليه هذا المحشّي في "حاشيته" [أي: في "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ١، النوع ٢، ١/ ٨٧]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا]

(٢) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٢، ١/ ١٤٠.

الذين هُم مسلمون، وبضروريات الدِّين جميعاً مؤمنون، فليس منهم مَن يقول بقِدم شيءٍ غير الله ﷻ.

قال: "والفُحول من أرباب المكاشَفة ذهبوا إلى قِدم العَرش والكُرسي، دُون سائر الأفلاك"[١] ...انتهى. **أقول:** هذا باطلٌ قطعاً، وحكايةٌ بلا محكي عنه، فلولا أنّه سهَا أو شُبّه له لكان فريةً بلا مرية، ومَن هو مِن فُحول أرباب المكاشَفة أشبَعُ كلاماً وأكثرُ نطقاً في الحقائق من الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه؟! وقد صرّحَ بحُدوث العالَم في مواضع من "الفُتوحات"، منها في الباب ٦٩: "العالَم كلُّه موجودٌ عن عدم، ووُجوده مستفادٌ من مُوجِدٍ أوجدَه، وهو اللهُ تعالى، فمُحالٌ أن يكونَ العالَمَ أزَليَّ الوُجود؛ لأنّ حقيقةَ الموجِد أن يُوجِدَ المعدومَ، لا ما كان موجوداً؛ فإنّ ذلك مُحالٌ"[٢] ...انتهى.

وهذا سيِّدُ أرباب الأحوال سيّدنا أبو بكرٍ الشِّبلي[٣] رضي الله تعالى عنه سُئل عن قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: "الرحمنُ لم يزل، والعرشُ محدَثٌ،

---

(١) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٢، ١/ ١٤٠.

(٢) "الفتوحات المكية" الباب ٦٩ في معرفة أسرار الصلاة وعمومها، فصل في الأوقات، ١/ ٤٨١ بتصرّف.

(٣) أبو بكر الشِّبلي اسمُه دلف بن جحدر، ويقال: اسمه جعفر بن يونس. وَهُوَ خُراساني الأَصْل، بغداديُّ المنشأ، ومولده بسامرّاء، تَابَ فِي مجْلِس خير النّساج، وَصَحب الْجُنَيْد وَمن فِي عصره من المَشَايِخ، وَصَارَ أوحَد وقتِه حَالًا وعلماً، وَكَانَ عَالمًا فَقِيهاً على مَذْهَب مَالك، عَاشَ سبعاً وَثَمَانِينَ سنةً، وَمَات فِي ذِي الْحجَّة سنة أَربع وَثَلَاثِينَ وثلاثمئة، وَدفن فِي مَقْبَرَة الخيزران، وقبرُه الْيَوْم ظَاهر. ("الطبقات الصوفية" ر: ٦١، الطبقة ٤ من أئمة الصوفية، صـ٢٥٧ ملتقطاً).

والعرشُ بالرّحمن استوَى"[١] ...انتهى. ذكره الإمامُ الأجلّ أبو القاسم القشَيري[٢] ﷺ في "رسالته الشّريفة"[٣].

دليلُ كلّ كلامٍ ينقل عن الأولياء مخالفاً لظاهرَ الشّريعة

فهذا الناقلُ إن وجدَ عن ناسٍ ما توهّمَ، فهلا سمّاهُم ونقلَ كلامَهم؟ فإن احتمل التأويل؛ فإنّ القِدمَ رُبما يطلَق على الأمدّ الطويل في الماضي كالأبد في المستقبَل، وقد يراد القِدمُ في علم القديم ﷻ، وقِدم عينه الثابتة التي لم تشمّ رائحةً من الوجود مع عدم اختصاص هذا بالعرش ونحوه، بل الكائناتُ كلُّها فيه سَواءٌ إلى غير ذلك من التأويلات فذاك، وإلّا كان مدسوساً على مَن نُسب إليه ومفترَى عليه، أو صدرَ عنه في غلبة الحال بدون فهمٍ ولا اختيار، أو تفوّه به في بدايته، ثمّ تداركَه ربُّه بهدايته، وكلُّ ذلك قد وقعَ، وفيه حكاياتٌ يطول ذكرُها:

قال الإمام الشَّعراني ﷫ في "الميزان": "يقع فيه كثيرٌ ممن ينقل كلامَ الأئمّة من غير ذَوقٍ، فلا يفرِّق بين ما قاله العالمُ أيّامَ بدايتِه وتوسّطِه، ولا بين ما قاله أيّامَ نهايتِه"[٤] ...انتهى.

---

(١) "الرسالة القشيرية" فصل في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول، صـ١٣.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٨٩.

(٣) "الرسالة القشيرية" في التصوّف: للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الأستاذ الشافعي، المتوفّى سنة ٤٦٥هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٦٦١).

(٤) "الميزان" فصل في بيان تقرير قولِ مَن قال: إنّ كلَّ مجتهدٍ مصيب أو المصيب واحد، الجزء ١، صـ٣٣.

وقال الأستاذُ الإمام جمال الإسلام أبو القاسم القشَيري ﵁ في "الرّسالة الشّريفة": "سمعتُ الإمامَ أبا بكر بن فورك[١] ﵀ يقول: سمعتُ أبا عثمان المغربي[٢] يقول: كنتُ أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلمّا قدمتُ بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبتُ إلى أصحابنا بمكّةَ: إنّي أسلمتُ الآنَ إسلاماً جديداً"[٣] ...انتهى.

وقال أيضاً ﵁: "سمعتُ الأستاذَ الإمام أبا إسحاق الأسفرائني[٤] ﵀ يقول: لما قدمتُ من بغداد كنتُ أدرِّس في جامع نيسابور مسألةَ الرُّوح، وأشرحُ القولَ في أنّها مخلوقة، وكان أبو القاسم النّصرآباذي[٥] قاعداً متباعِداً عنّا يُصغي إلى كلامي، فاجتازَ بنا بعد ذلك يوماً بأيّام قلائل، فقال لمحمّد الفراء[٦]: "أشهِدْ أنّي أسلمتُ جديداً على يدِ هذا الرّجل" وشارَ إليَّ"[٧] ...انتهى.

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٤٨.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٢٠.

(٣) "الرسالة القشيرية" فصل في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول، صـ١٠.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ١٠.

(٥) انظر ترجمته: "طبقات الأولياء" حرف الألف، صـ٢٦.

(٦) هومحمد بن أحمد بن حمدون الفراء أبو بكر. فهو من كِبار مشايخ نيسابور صحب أبا علي الثقَفي وعبد الله بن منازل، وصحب أيضاً أبا بكر الشِّبلي وأبا بكر بن طاهر وغيرهم من المشايخ، وكان أوحد المشايخ في طريقته. مات سنة سبعين وثلاثمئة وأسند الحديث.

("طبقات الصوفية" الطبقة الخامسة من أئمّة الصوفية، ر: ١٠٠، صـ٣٧٦).

(٧) "الرسالة القشيرية" فصل في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول، صـ١٢.

وأبو القاسم، هذا من أجلّاء أصحاب سيّدي أبي بكرٍ الشِّبلي وسيّدي أبي علي الروذْباري[١] رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا ببركاتهم في الدّنيا والآخِرة، آمين!.

فهذه أربعةُ وُجوه، فإن لم يكن شيءٌ من ذلك، بأن كان القولُ ثابتاً عنه، وقد قاله قاصداً مختاراً، ولم يرجع عنه، ولم يكن له تأويلٌ صحيح، ومنه ما للقَوم من اصطلاح، ولا مشاحةَ في الاصطلاح، لم يكن القائلُ به مسلماً، وإن كان من أهل الكشف الشّيطاني، غير أنّ كلامَ الأولياء بحرٌ عميقٌ لا وصولَ لقَعره إلّا لمثلهم، فمَن ثبتتْ ولايتُه قطعنا أنّ له معنى لا نصلُ إلى فهمِه كالمتشابهات، ومَن احتملَ أمرُه احتمالاً ناشئاً عن دليلٍ، حكمنا على القول، ووكّلنا أمرَ القائل إلى الله تعالى، وبه التوفيق!.

قال: "فلا وجهَ للتكفير؛ إذ لا تكذيبَ فيه للنّبي ﷺ"[٢]. **أقول:** بلى فيه تكذيب، كيف وهو تكذيبٌ للضروري، وكلُّ تكذيبٍ للضروري تكذيبٌ لله ورسوله جلّ وعلا، ﷺ وإن لم يكن فيه نصٌّ كما تقدّم[٣]، فكيف وفيه نصوصُ أحاديث صحاح، أجمعت الأمّةُ على اعتقادها! ومرّ[٤] قولُ "النّسيم": "قد كفّرهم أهلُ الشّرع بهذا؛ لما فيه من تكذيب الله تعالى وكتبِه ورُسُله" ...انتهى.

---

(١) انظر ترجمته: "طبقات الأولياء" حرف الألف، صـ٥٠، ٥١).

(٢) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٢، ١/ ١٤٠.

(٣) انظر: صـ٤٤٧.

(٤) انظر: صـ٤٤٨.

قال العارف النابلُسي: "لعلّ مرادَهم بقِدم العرش والكرسي قِدمُهما بالنّسبة إلى إيجاد الله تعالى لهما؛ فإنّه تعالى مُوجِدهما من الأزَل، حيث لا بدايةَ للزّمان الذي ابتدأ وجودُهما فيه؛ لأنّه تعالى لا يمرّ عليه الزّمانُ ولا على صفاتِه، فقبلَ حضور الزّمان الذي ابتدأ وجودُهما فيه، لا وجودَ لهما بالنّسبة إلينا، ولهذا كانا حادثَين عندنا، ولا وجودَ لهما أيضاً بالنّسبة إليه تعالى، وأمّا في الزّمان الذي ابتدأ وجودُهما فيه، فهُما موجودان فيه عندنا بطريق الحُدوث، والابتداءُ لهما لتقييدِنا بالزّمان، وموجودان فيه أيضاً عند الله تعالى، لكن لا بطريق الحُدوث والابتداء، بل من الأزَل، واللهُ تعالى ليس متقيّداً بالزَّمان؛ إذ هُو مِن جملة محدَثاتِه في مرتبتِه من الأزَل، ولا فعلُه تعالى حادِثاً، بل الحادِثُ مفعولُه بالنّظر إلينا، لا بالنّظر إليه تعالى؛ لحضور الأزمان كلِّها عندَه تعالى، من غير زمانٍ يكون هو متقيّداً به، وعدمُ حضور الأزمان كلِّها بالنّظر إلينا؛ لتقيُّدنا بزمانٍ دُون زمان، وهذا القائلُ بالقِدم في العرش والكرسي من فُحول أرباب المكاشَفة -قدّس الله تعالى أسرارَهم- يقول بحُدوثهما من جهة التقييد بالزّمان أيضاً كقول علماء الكلام، ولهذا قال: "دون سائر الأفلاك"؛ فإنّ سائرَ الأفلاك فيها خصوصٌ في عمومٍ لوُجود الزّمان، بالنّظر إلى سائر الأفلاك دُونهما، والحُدوث منشؤُه الزّمانُ، ولكن ينفرد بالمعرفة الإلهيّة في صدور العالَم عن الله تعالى، ما لا يعرفه غيرُه، ويريد بالعرش والكرسي العالَمَين الكلّيَين، وما اشتملا عليه من جميع النُّفوس

والأجسام، وذلك مجموعُ العالَمَ كلّه، وأمّا الحكمُ بقِدم شيءٍ من العالَم بالنّظر إلى التقييدَين بالزّمان، كقول الفَلاسفة ومَن تابَعهم، فلا خلافَ في أنّه كفرٌ"[١] ...انتهى.

تحقيق كلام النابلُسي في الحُدوث والقِدم

أقول وبالله التوفيق، وبه الوصولُ إلى ذُرى التحقيق: يظهر للعبد الضعيف، في تحقيق هذا الكلام المنيف، أنّ لحُدوث شيءٍ معنيَين:

الأوّل: حُدوثه في نفسه، وهو وُجوده بعد عدمِه وارتسامِه في صفحة الدَّهر بعد أن لم يكن فيها، لا كما تقول سفهاءُ الفَلاسفة المخترعة "وعاء الدهر" القائلةُ أنّ كلَّ شيءٍ موجودٌ فيه في زمانه أزَلاً وأبَداً، وإنّما الحُدوث الظهورُ لغيره بإقبال زمانِه، وفناؤُه بُطونه بإدباره كسلسلةٍ تجرّ، فكلّما قابَلك جزءٌ منها ظهرَ لك، فإذا ذهب غابَ عنك؛ فإنّ هذه سفسطةٌ سفهيّةٌ ونزغةٌ فلسفيّةٌ، نطقَ ببطلانه القرآنُ العظيم، والمتواتراتُ من الحديث الكريم، كما بيّنتُه في كتابي "مَقامع الحديد على خدّ المنطق الجديد"[٢] بل هو مخالفٌ لضروريات الدِّين.

---

(١) "الحديقة الندية" الباب ١، الفصل ٢، ١/ ١٤٠.

(٢) أي: "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" كتاب الشتّى (الجزء ٢) رسالة: "مقامع الحديد على خد المنطق الجديد" ٢٧/ ١٣٧-١٥٦.

وقال في "فواتح الرَّحموت": "في مسألة أنّ النبيَّ ﷺ داخلٌ في العُمومات"[1] بعدما نقله عن الفلاسفة أنّ "مشايخنا الكِرام يرَونه سفسطةً غير صلحة لابتناء الحقائق العلميّة، فضلاً عن الأمور الشرعيّة"[2] ...انتهى.

والثاني: حدوثُه عند غيره بمعنى أن يحدثَ لغيره بحُدوثه علمٌ أو حالٌ، كما تقول: حدثَ اليومَ عندنا ضَيفٌ، ومنه قولُه تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وبينهما عمومٌ من وجهٍ، فقد يكون الشيءُ حادثاً عند غيره حاصلاً له جديداً، ولا يكون حادثاً في نفسه، كما علمتَ من حديث القرآن الكريم، بل منه حدوثُ الضَيف اليومَ؛ فإنّه لم يحدُث في نفسه اليومَ، وقد يكون حادِثاً في نفسه لا عند غيره، إذا لم يتجدّد بحُدوثه شيءٌ في غيره، لا علمٌ ولا حالٌ، وذلك كحُدوث نورِ نبيّنا ﷺ إذ خلقَه ربُّه قبلَ الأشياء من نورِه، كما عند عبد الرزّاق[3] عن جابر رضي الله عنه عن النّبي ﷺ، فقد حدثَ ولم يحدُث بحُدوثه شيءٌ عند غيره؛ إذ لم يكن حينئذٍ في

(١) "فواتح الرحموت" المقالة ٣ في المبادي اللغوية، صـ١٦٧.

(٢) "فواتح الرحموت" المقالة ٣ في المبادي اللغوية، صـ١٦٩.

(٣) قال العلّامة القَسطلاني: "روى عبد الرزّاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلتُ: يا رسولَ الله! بأبي أنت وأمّي! أخبِرني عن أوّل شيءٍ خلقَه الله تعالى قبل الأشياء. قال ﷺ: «يا جابر! إنّ اللهَ تعالى قد خلقَ قبلَ الأشياء نورَ نبيِّك من نورِه»" ["المواهب اللدُنّية" المقصد الأوّل في تشريف الله تعالى له عليه السلام، ١/ ٧١]. وقال الإمام ابنُ حجر المكّي: "وإنّما الذي رواه عبد الرزّاق أنّه ﷺ قال: «إنّ اللهَ خلقَ نورَ محمدٍ قبل الأشياء من نورِه»". ["الفتاوى الحديثية" مطلب في موت فرعون كافرًا، صـ٣٨٠].

العالَمَ شيءٌ غيرُه، وكما أنّ الحدوثَ على وجهَين، كذلك مقابلُه القِدمُ، فالقِدمُ في نفسه أن لا يكونَ وجودُه مسبوقاً بالعدَم، وعند غيرِه أن لا يتجدّدَ له شيءٌ بحُدوثه، والله تعالى خلقَ الخلقَ كلَّه بعد أن لم يكن، فأحدثَ كلَّ شيءٍ في زمانه الحادِث، لم يكن قبل هو ولا زمانه في صفحة الدهر، ولكن لم يتجدّد له تعالى بحُدوثه شيءٌ، لا علمٌ ولا حضورٌ ولا إيجادٌ ولا معيّةٌ، ولا يعقل شيءٌ سِواها.

أمّا العلمُ فلأنّه تعالى يعلم الأشياءَ كلَّها أزَلاً وأبَداً، وأمّا الحضورُ فلأنّ كلَّ شيءٍ حاضرٌ عنده ﷻ أزَلاً وأبَداً حضوراً عِلميّاً لا عينيّاً، كما تقوله السفهاءُ القائلة بـ"وعاء الدَّهر".

قال في "شرح المواقف": "توضيحُه أنّه تعالى لما لم يكن مكانيّاً، كانت نسبتُه إلى جميع الأمكِنة على سَواء، فليس فيها بالقياس إليه تعالى قريبٌ وبعيدٌ ومتوسّطٌ، كذلك لما لم يكن هو وصفاتُه الحقيقيّة زمانيّةً، لم يتّصف الزّمانُ مقيساً إليه بالمضي والاستقبال والحضور، بل كان نسبتُه إلى جميع الأزمِنة سَواء، فالموجودات من الأزَل إلى الأبَد معلومةٌ له تعالى كلٌّ في وقته، وليس في علمِه كان وكائن وسيكون، بل هي حاضرةٌ عنده تعالى في أوقاتها"[1] ...انتهى.

---

(١) "شرح المواقف" الموقف ٦ في السمعيات، المرصد ٤، المقصد ٣ في علمه تعالى، الجزء ٨، صـ٨٦، ٨٧.

وتبعَه القوشجي[1] في "شرح التجريد"[2]: ومعناه كما علمتَ، أنّ الزمانَ مع ما فيه مع كونِه معدوماً في الأزَل حاضرٌ عنده ﷻ، مرئيٌّ له أزَلاً وأبَداً لا يعزُب عنه مثقالُ ذرّةٍ بناءً على أنّ مصحّحَ الرؤية الوجودُ بالفعل، لا خصوص الوجود في الحال، كما هو مختارُه في "الحديقة النديّة"[3]، وهذا معنى قول العارِف لحضور الأزمان كلِّها عنده تعالى ...إلخ .

صفات الأفعال قديمةٌ

وأمّا الإيجادُ فلأنّ المكوَّناتِ حادثةٌ، والتكوينُ عندنا قديمٌ، فكان تعالى خالقاً قبل أن يَخلقَ، ورازقاً قبل أن يَرزقَ، قال سيّدُنا الإمام الأعظم رضي الله عنه في "الفقه الأكبر"[4]: "أمّا الصّفاتُ الفعليّة، فالتخليقُ والترزيقُ والإنشاءُ والإبداعُ والصّنعُ وغيرُ ذلك، لم يزَل ولا يَزال بأسمائِه وصفاتِه لم يحدُث له اسمٌ ولا صفةٌ، لم يزَل عالماً بعلمِه، والعلمُ صفةٌ في الأزَل، قادراً بقدرته، والقدرةُ صفةٌ في الأزَل، متكلّماً بكلامه، والكلامُ صفةٌ في الأزَل، وخالقاً بتخليقه، والتخليقُ صفةٌ في الأزَل، وفاعلاً بفعله،

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٨٨، ٥٨٩.

(٢) "شرح تجريد العقائد": للمولى المحقّق علاء الدين علي بن محمد، الشهير بقوشجي، المتوفّى سنة تسع وسبعين وثمانمئة. ("كشف الظنون" ١/ ٣٠١).

(٣) "الحديقة الندية" الباب ٢ ، الفصل ١، ١/ ٢٥٢.

(٤) "الفقه الأكبر" في الكلام: للإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي، المتوفّى سنة ١٥٠هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٦٤).

والفعلُ صفةٌ في الأزَل، المفعولُ مخلوقٌ، وفعلُ الله تعالى غيرُ مخلوق"[(١)] انتهى. وقال ﵁: "قد كان اللهُ تعالى متكلّماً، ولم يكن كلَّم موسى، وقد كان اللهُ تعالى خالقاً في الأزَل ولم يَخلُق الخلقَ"[(٢)] ...انتهى.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ﵀ في "عقيدته"[(٣)]: "ليس منذ خَلق الخَلق استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداثِه البريةَ استفادَ اسمَ البارئ، فله معنى الرَّبوبيّة ولا مربوب، ومعنى الخالقيّة ولا مخلوق"[(٤)].

وهذا معنى قول العارف: "لا فعلُه تعالى حادِث، بل الحادِثُ مفعولُه"[(٥)].

وأمّا المعيّةُ فلأنّه تعالى متعالٍ عن الزّمان، فليس أنّ زمانَ هذا الحادِث لم يكن معه سبحانه في الأزَل لحُدوثه، فإذا حدثَ صار معه؛ لأنّه لم يكن ولا يكون في زمانه كما

---

(١) "الفقه الأكبر" صـ٨٢-٨٩ ملتقطاً وبتصرّف.

(٢) "الفقه الأكبر" صـ١٠٢.

(٣) "العقيدة الطحاوية": للإمام أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي أبو جعفر الطحاوي الفقيه الحنفي (الأزد بفتح الهمزة) وُلد بمصر سنة ٢٢٩ وتوفّي سنة ٣٢١هـ.
("كشف الظنون" ٢/ ١٥٢. و"هدية العارفين" ٥/ ٥١).

(٤) أي: في "العقيدة الطحاوية" صـ١٠ بتصرّف.

(٥) انظر: صـ٤٥٨.

لم يكن، ولا يكون في مكانٍ، أمّا المعيّةُ العِلميّة فحاصلةٌ من الأزَل على الوجه الذي وصفنا، وهذا معنى قولِ العارف "أنّه تعالى لا يمرّ عليه الزّمان"[1].

فثبت أنّ كلَّ حادثٍ فإنّما يحدُث في نفسه، ويحدُث ما سِوى المخلوق الأوّل عند حادثٍ غيره؛ لأنّه يتجدّد له بحُدوثه ما لم يكن، إمّا علمٌ أو حالٌ كمعيّةٍ زمانيّة، ولا يحدُث شيءٌ أصلاً عند بارئه ﷻ بالمعنى المذكور، فالعالَم كلُّه عنده تعالى، أي: في حكمِه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ لأنّه يعلم أنّه حادثٌ، وليس شيءٌ أصلاً حادِثاً عنده، أي: بالنّسبة إليه؛ لأنّه لا يتجدّد له شيءٌ بحُدوثه كما بيّنا، وبالله التوفيق! وهذا معنى قول العارف: "قِدمُهما بالنّسبة إلى إيجاد الله تعالى لهما"[2]. بقيَ أنّ هذا لا يخصّ العرش والكرسي، بل كلّ شيءٍ كذلك، فالجواب بوجهَين:

الأوّل: القول بالموجِب، فالمراد بهما هُما مع ما يحويانه، وهذا معنى قول العارف: "وذلك مجموعُ العالَم كلّه"[3].

كشف ما أضلّ القائلين بقِدم الزَّمان

والآخَر: إنّ الحدوثَ تعتبره النّاسُ باعتبار الزّمان؛ إذ لا خروجَ لهم عن دائرته، فلا يعقلون عدمَ الزّمان إلّا بوجوده؛ إذ يعبَّر عنه بقولنا: "حدثَ الزّمان بعد أن لم يكن" وهذه البَعديّةُ لا يجامع فيها القَبل، البَعدُ وما هي إلّا بعديّة زمانيّة، فيتوهّم

---

(١) انظر: صـ٤٥٨.

(٢) انظر: صـ٤٥٨.

(٣) انظر: صـ٤٥٩.

قبل الزّمان زمانٌ، وهذا هو الذي أضلَّ سفهاءَ الفلاسفة، فقالوا بقِدم الزّمان، ولزمَه قِدمُ الحركة التي هو مقدارُها، ولزمَه قِدمُ المتحرّك وهو الفَلك الأعلى، ولزمَه قِدمُ ما في جَوفه من الأفلاك والعناصر؛ لاستحالة الخلاء عندهم، وما هو إلّا حكمُ وهْمٍ لا مخرجَ لهم عنه، كما لا ينقطع الوهمُ أبداً عن تصوّرِ بُعدٍ خارجٍ محدب الفلك الأعلى؛ لأنّه جسمٌ متناهٍ، ولا تناهيَ إلّا بالانقطاع، والوهمُ لا يتصوّر انقطاعُ شيءٍ إلّا بأنّ ما وراءَه خالٍ عنه؛ إذ لو لم يخل لم ينقطع الجسمُ، بل كان باقيًا بعد، فلا يرعوى قطّ عن تصوّر بُعدٍ وراء مقطعِ الأبعاد، والعقلُ يقول: إنّه جمعُ نقيضَين، لكن الوهمَ لم يألف انقطاعَ شيءٍ إلّا بخلُوِّ ما وراءه عنه، فلا يرضَى إلّا بتصوّر بُعد بعد منتهى الأبعاد.

وكذلك إذا سُئلت: هل يقدر اللهُ تعالى أن يخلقَ فوقَه فلَكاً آخَر لم يكن بد؟ لا سيّما للمسلِم عن الإيجاب، فلا محيدَ عن تصوّر فضاءٍ فوقَه يسع تخليقَ فلكٍ آخَر، وإن كان حكمُ العقل أنّ الأبعادَ منتهيةٌ، وليس وراءَه بُعدٌ محقَّق أصلاً.

أقول: وأبيّن ذلك بشيءٍ توافقنا عليه الفلاسفةُ، وذلك أنّ لوجود الله تعالى تقدُّماً على وجود الحوادث، علاوةً على التقدُّم الذاتي بالبداهة؛ فإنّه حاصلٌ على كلّ قديمٍ وحادِث، وهذا يخصّ بالحادث، فنقول: كان الله ولم يكن زَيد، وليس لنا أن نقولَ: كان اللهُ ولم يكن علمُه، أو تقول على طريقتهم: وجودُ زيدٍ متخلّفٌ عن الوجود الإلهي، ولا يصحّ عندهم أن يقال: وجودُ العقل الأوّل متخلّفٌ عن وجود الله تعالى، وإلّا لزمَ تخلّفُ المعلول عن علّته التامّة، وهذا التقدُّم لا يمكن للوهم تصوّرُه، إلّا بأن يقدرَ امتداداً غير متناهٍ، كان فيه الوجودُ الإلهي قبل وجود الحوادث، وما هو إلّا الزمانُ مع الإجماع منّا ومنهم على أنّ البارئ متعالٍ عن الزّمان، ويستحيل

أن يكونَ في زمانٍ، كذلك إذا تصوّر الوهمُ عدمَ الزّمان الأصلي لم يقدِر عليه، إلّا أن يقدّرَ زماناً كان فيه عدمُ الزّمان، ثمّ حدثَ بعده الزمانُ، فيلزم قبل الزمانِ زمانٌ، وما هو إلّا من ضِيق عطنِ الوهم، وعدم استطاعتِه الخروجَ عن دائرته، أتقِن هذا! فإنّه الحقُّ الناصع، ولله الحمد!.

وإذا كان الأمرُ كذلك، وتخليق العرش والكرسي قبل خَلق الزّمان؛ لأنّه مقدارُ حركة الفلَك التاسع الأطلَس، وفوقه الكرسي، وفوقَه العرش، وإن فرضَ أنّ الفلكَ الأعلى الأطلَس هو العرش -كما يزعمون، وظواهرُ النّصوص تردُّه-، فلا شكَّ أنّه في أوّل حدوثِه غيرُ متحرّكٍ؛ لأنّ الحركةَ كونٌ ثانٍ، في أين ثانٍ أو على وضعٍ ثانٍ، ففي بدءِ وجودِهما لا حركةَ ولا زمان، فمن هذا الوجه جاء لهما الخصوصُ من بين سائر الأفلاك؛ لأنّ وجودَهما قبل وجود الزّمان الذي بحسبه يعتبر الحدوثُ، وهذا معنى قول العارف: "لوجود الزّمان بالنّظر إلى سائر الأفلاك دونهما"[١] هذا تحقيق كلام العارف، ولله الحمد!.

العمل في كلمة ضلالٍ تنسب إلى سنّي

وظهر لك به أنّه إنّما يريد تأويلَ كلامِ مَن نقل عنه المحشّيُ القولَ به: "مِن فُحول أرباب المكاشَفة"[٢] على فرضِ ثبوتِه عنهم، ولذا قال: "لعلّ مرادَهم"[٣]

---

(١) انظر: صـ٤٥٨.

(٢) انظر: صـ٤٥٨.

(٣) انظر: صـ٤٥٨.

لا مرادَه -أعني المحشّي- وأتى بتوجيهٍ لا يحتمله كلامُه، أنّ المرادَ بهما العالَمَ كلُّه، أو الحدوثُ قبل الزّمان، فالتأويلُ لا ينفع المحشّيَ.

كيف وإنّه يعارِض كلامَ "شرح المقاصد"، ومعلومٌ قطعاً أنّ كلامَه في الحدوث بالمعنى الأوّل، ولا شكَّ أنّ إنكارَ حدوثِ شيءٍ من العالَم بهذا المعنى كفرٌ وتكذيبٌ، كما صرّح به العارفُ آخراً، ولا أجد عذراً في هذا للمحشّي، إلّا أن يقالَ: لعلّ بعضَ مَن لا يخاف اللهَ تعالى دسَّ هذا في كلامه، كما فعلُوه بكثيرٍ من عِباد الله تعالى، كما فصّله سيّدي العارف بالله الشَّعراني في "اليواقيت والجواهر"، قال: "ودسّوا عليَّ أنا في كتابي "البحر المورد"[1] ...إلخ، انتهى.

فوقعت النسخةُ بيد سيّدي النابلُسي، وهي أو منتسخة عنها بيد أهل المطبع، كما وقع ذلك في "الفتوحات المكيّة" وغيرها، وبالله العصمة! ولا يلزم منه رفعُ الأمان عن الكتب الغير المرويّة بالقراءات المتّصلة؛ فإنّ المصيرَ إليه لدفع أعظَم مفسَدةٍ عن رجلٍ معدودٍ في العلماء من باب "مَن ابتلي ببليتَين اختار أهوَنهما"، بل هذا بابٌ يحتاج إلى اليقين؛ فإنّ الكلامَ فيمَن عرفَ بالإسلامِ بل والعلمِ، ولم يعرف ببدعة ولم يرم بضلالة، وليس لنا بهذا القول سندٌ متّصلٌ إليه شفاهاً عن شفاهٍ، ولا علمنا اشتهارَ هذا القول عنه في عصره فأوخذ عليه، فحاوَل الجوابَ أو اختار السُّكوتَ، لنستدلَّ بهذه على صحة هذا القول عنه، فلا يكتفى فيه بنقل واحدٍ بوسائط لا تعلم، ولا يُغني اشتهارُ الطبع؛ فإنّ مستندَه إلى واحدٍ مجهولٍ وفوقَه وسائط مجهولات. نعم، تحسينُ الظنّ بالنقَلَة يطلب الاعتماد، فيكتفى

---

(١) "اليواقيت والجواهر" الفصل ١ في بيان نبذة من أحوال الشيخ محي الدين ...إلخ، الجزء ١، صـ٢٣.

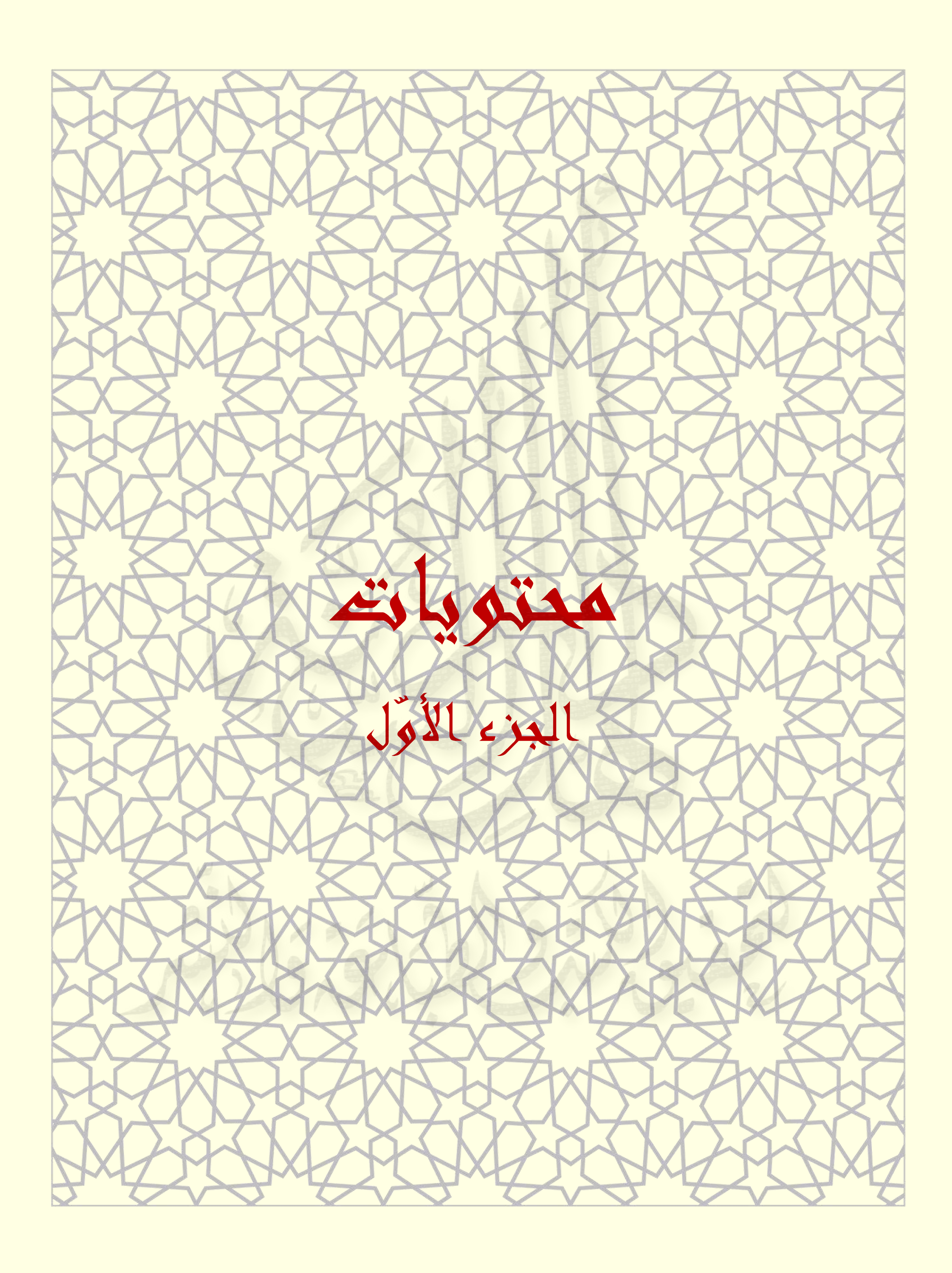
به حيث يكفي الظنّ، أمّا في إكفار مثل مَن وصفنا، فإنّ الظنَّ لا يُغني عن الحقّ شيئاً، وتحسينُ الظنّ به أوجَب منه بالنقَلة المجاهيل.

وقد نصّ الإمامُ حجّة الإسلام الغزالي في آفات اللّسان من "الإحياء": "لا تجوز نسبةُ مسلمٍ إلى كبيرةٍ من غير تحقيق! نعم، يجوز[1] أن يقالَ: قتل ابنُ ملجم عليّاً ﵁، وقتل أبو لؤلؤة عمرَ ﵁؛ فإنّ ذلك ثبتَ متواتراً"[2] ...انتهى. فاعرفْ واستقمْ، والحمد لله ربّ العالمين!.

(١) وقع في "شرح الأكبر" لعلي القاري نقلاً منه: "بل لا يجوز أن يقالَ: إنّ ابنَ ملجم قتلَ عليّاً، ولا أبو لؤلؤة قتل عمرَ؛ فإنّ ذلك لم يثبت متواتراً" [أي في "منح الروض الأزهر" صـ٢١٦] انتهى. وهو تحريفٌ شديدٌ وقعَ من بعض نسّاخ شرحِه، أو في نسخة "الإحياء" الواصلة إليه، أو نقله عن صدرِه فسَهَا. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) "إحياء علوم الدين" كتاب آفات اللسان، الآفة ٨، ٣/ ١٣٤.



محتويات

الجزء الأوّل


لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

محتويات الجزء الأوّل